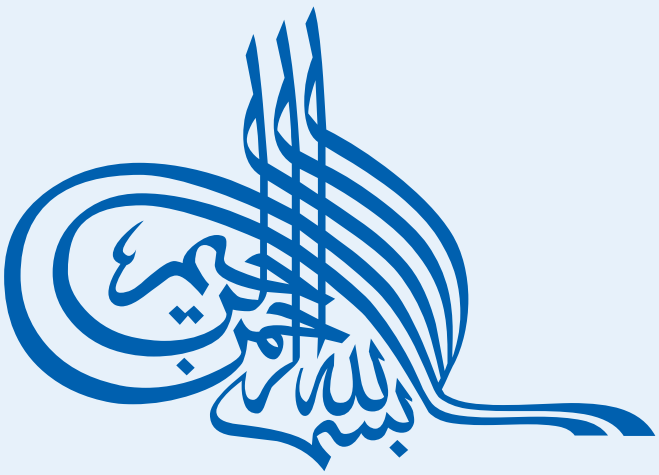
بسم الله الرحمن الرحيم

الأمريكيون الأفارقة والإسلام

القصة الكاملة: من لنكولن إلى أوباما

الدكتور
محمد عبده يماني

ⓒ محمد عبده يماني، ١٤٢٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

يماني، محمد عبده
المسلمون السود في أمريكا: القصة الكاملة/ محمد عبده يماني. الرياض ١٤٢٧هـ
ص ؛ سم

ردمك: ٩-٧٨٦-٥٦-٩٩٦٠

١. المسلمون في الولايات المتحدة ٢. الإسلام. الولايات المتحدة
٣. الزنوج في أمريكا أ. العنوان

ديوي ٢١٠,٩١٧٣ ١٤٢٧/٦٣٩٥

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٦٣٩٥
ردمك: ٩-٧٨٦-٥٦-٩٩٦٠

للمراسلة
ص.ب جدة المملكة العربية السعودية
هاتف: فاكس:
essammo2@yahoo.com
iqrcs@yahoo.com

الإهداء

إليك أيها الصحابي الجليل..

إلى من احتضنه رسول الله ﷺ ورعاه وأكرمه وقدمه

وأخذ بيده ليؤذن فوق الكعبة يوم الفتح الأكبر ودخوله الحَرمَ المكيَّ الشريف.

إليك أيها الصحابي الجليل الذي عَلّمَنَا بك وبحبك ومعاملتك رسول الله ﷺ

ألّا فرق بين عربي وأعجمي، ولا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

إلى سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه..

يا من بشَّره النبي ﷺ بالجنة، وروي عنه أنه سمع طقطقة نعليه في الجنة بين يديه الكريمتين.

إليك يا من دعاه عمر ليؤذن في الناس يوم دخوله بيت المقدس فامتثل لأمر أمير المؤمنين

وهو الشيخ الذي بلغ من العمر عتيا.

إليك يا من رفع الآذان في المسجد الأقصى حتى أجهش الخليفة عمر بكاؤه يسابق صوت

بلال، ويجهش المسلمون وهم يتذكرون قوله ﷺ أرحنا بها يا بلال.

إليك يا من ظل يردد وهو على فراش الموت بداره في دمشق:

﴿ وافرحتاه، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه ﴾

إليك سيدنا بلال أُهدي كتابي هذا..

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، الرحمة المهداة،
سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته إلى يوم الدين وبعد..

هذا الكتاب كان قد صدر لي في منتصف العام ١٤٢٧هـ (٢٠٠٧م) بعنوان (**المسلمون السود في أمريكا: القصة الكاملة**) بعد نشر ملخص لمادته في حلقات يومية بلغت عشرين حلقة بجريدة المدينة التي تصدر عن مؤسسة المدينة للطباعة والنشر في جدة.

ونظراً للاهتمام الذي حظيت به تلك الحلقات من قبل القراء والطلبات التي وردت إلى جريدة المدينة لإعادة نشر بعضها، اقترح القائمون على أمر الجريدة نشر الحلقات في كتاب معربين عن استعدادهم لطباعته في مطابع الجريدة وتسويقه.

وهكذا خرج الكتاب في طبعته الأولى إلى حيز الوجود حيث جاء في حوالي (٤١٢) صفحة من الحجم المتوسط. وفور صدوره وطرحه بالأسواق والمكتبات انهالت على الاتصالات والخطابات من داخل المملكة وخارجها على السواء، البعض كان يطلب نسخاً منه في حين أعرب عدد من الأخوان والأصدقاء الذين التقيت بهم عن إعجابهم به. منهم من أثنى على الكتاب وموضوعه باعتباره من الموضوعات المهمة وغير المطروقة ومنهم من أعرب عن تقديره للمعلومات القيمة التي تضمنها الكتاب وتوقعي بأن هذه الأقلية سيكون لها دور مؤثر في خارطة الأحداث وهو ما تحقق بفوز **أوباما** الذي يعتبر بكل المقاييس إنجازا تخطى سقف الطموحات بل والحد الأقصى للمطالب والتوقعات.

في حين ألمح آخرون إلى أن الكتاب جاء كبيرا بعض الشيء بسبب التفاصيل الكثيرة التي حواها مشيرين إلى ضرورة اختصاره ومن ثم ترجمته إلى اللغات العالمية الحية خاصة الإنجليزية لتعم الفائدة منه ولتوصيل رسالته إلى المعنيين بالأمر بالدرجة الأولى، وهم من الناطقين بالإنجليزية لكي يدركوا أننا معهم، منهم ولهم. نهتم بهم وبقضاياهم الحياتية والمصيرية، نتفاعل معهم ونشاركهم في السراء والضراء. ونزولاً على رغبة هؤلاء الأخوة الأعزاء وتمشياً مع

مقتضيات هذا العصر المتسارع الإيقاع والمكتظ بالأحداث فقد كان لابد من إصدار هذه الطبعة الثانية التي أردت أن تكون جديدة وفي نفس الوقت مزيدة ومنقحة بإضافة أهم حدثين شهدتهما الساحة بعد صدور الكتاب في طبعته الأولى وهما:

١) انتقال الأخ والصديق الإمام **وارث الدين محمد**، الزعيم الروحي لحركة أمة الإسلام (المسلمين السنيين الأمريكيين) إلى رحمة الله ﷻ في التاسع من رمضان الماضي (١٤٢٩هـ)، وانعكاساته على مسيرة الحركة ومستقبلها.

٢) الفوز الباهر الذي حققه مرشح الحزب الديمقراطي **باراك أوباما** في انتخابات الرئاسة الأمريكية التي جرت في الأسبوع الأول من نوفمبر ٢٠٠٨م ليكون بذلك أول أسود يتم انتخابه رئيساً للبلاد في تاريخ الولايات المتحدة بعد كفاح مرير استمر أكثر من أربعة قرون.

وبالنظر إلى أهمية هذين الحدثين فقد رأيت تغيير العنوان لهذه الطبعة ليكون (**الأمريكيون الأفارقة والإسلام: القصة الكاملة من لنكولن إلى أوباما**) ليمكن استيعاب المتغيرات التي طرأت. وقد حاولت في هذا الكتاب نقل صورة قلمية عن تجربتي الشخصية مع الأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية وخاصة المسلمين منهم، حيث بدأت بتتبع أصولهم وجذورهم مع النقل والسرد لجوانب من الحياة القاسية التي عاشوها على مر الحقب والعصور بداية من العام ١٥١٧م، تاريخ وصولهم إلى القارة الأمريكية عبيداً مكبلين بالأغلال والحديد يباعون في الشوارع والأسواق كالأنعام، ومرورا بمشاركتهم في حرب التحرير الأمريكية ضد المستعمر البريطاني، ثم إعلان تحريرهم من خلال القرار الشجاع الذي أصدره الرئيس الأمريكي **أبراهام لنكولن** (الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة) في العام ١٨٦٣م أي بعد حوالي مائة عام من جلاء الإنجليز وما تلا ذلك من اندلاع الحرب الأهلية الأمريكية التي استمرت حوالي أربع سنوات وحصدت عشرات الآلاف من أرواح الأمريكيين السود والبيض على السواء خلال حقبة التفرقة العنصرية القانونية ثم المستترة إلى أن صدر قانون الحقوق المدنية الأول للأمريكيين السود في العام ١٩٦٨م بعد مسيرة نضال استمرت حوالي أربعة قرون وكان ضحيتها مئات الآلاف من الأمريكيين واثنين من أعظم وأفضل الرؤساء الذين تعاقبوا على سدة الحكم في الولايات المتحدة وهما **أبراهام لنكولن** و**جون كنيدي**.

وعليه يمكن التمييز بين أربع حقب رئيسية لتاريخ هذه الأقلية التي كانت مضطهدة ومحتقرة حتى وقت قريب ولنضالها من أجل التحرير والمساواة والحقوق المدنية الكاملة وهذه الحقب هي:

١) **حقبة تجارة الرقيق** التي تمثل الصفحة الأكثر سواداً في تاريخ الولايات المتحدة والتي استمرت من ١٥١٧م حتى ١٨٦٣م (تاريخ تحرير الرقيق رسميا).

٢) **حقبة التمييز العنصري** بشقيه القانوني والمستتر والتي يحلو للبعض أن يسميها حقبة (**جيم كراو** أو **يعقوب الغراب**)، (وهي شخصية لبطل مسرحية هزلية اشتهرت في أواخر القرن التاسع عشر وكانت تسخر من السود)، وهذه الحقبة استمرت من ١٨٦٣م حتى ١٩٦٤م العام الذي صدر فيه قانون الحقوق المدنية للسود وإلغاء نظام التفرقة العنصرية بمختلف صورها وأشكالها.

٣) **حقبة حركة أمة الإسلام** أو بالأحرى العصر الذهبي للحركة والذي بدأ مع مطلع الستينات وتوج بتولي الإمام **وارث الدين محمد** مقاليد الزعامة في العام ١٩٧٥م، حيث يمكن القول عامة أن هذه الحقبة استمرت من ١٩٦١م وحتى ١٩٩٥م حين أعلن الأمريكيون ذوو الأصول الإفريقية عن أنفسهم كجماعة منظمة لها وزنها، وقوة جديدة لها

كلمتها المؤثرة في الانتخابات الأمريكية وذلك من خلال مسيرة المليون رجل أسود التي نظمها وقادها الزعيم مثار الجدل لحركة أمة الإسلام **لويس فراخان** في واشنطن العاصمة في أكتوبر من عام ١٩٩٥م.

٤) **حقبة النصر والقوة الجديدة** التي تجسدت في فوز المرشح الديمقراطي **باراك أوباما** في الانتخابات الرئاسية التي جرت في نوفمبر ٢٠٠٨م ليكون أول رئيس أمريكي من أصول إفريقية. هذه الحقبة يمكن أن نطلق عليها حقبة الاقتدار والقوة المتنامية القادمة بقوة للأمريكيين أصحاب البشرة السمراء.

فقد تناول البعض قضية الأمريكيين ذوي الأصول الأفريقية إلا أن الغالبية العظمى من الكتابات والدراسات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع كانت باللغة الإنجليزية كما اشتمل الكثير منها على معلومات غير دقيقة بعضها جاء بصورة متعمدة لغرض في نفوس أصحابها والبعض الآخر جانبه التوفيق والدقة في طرح الحقائق فأصبح تاريخ هذه الأقلية يشوبه الكثير من اللبس والغموض أو عدم المصداقية مما يستدعي إعادة كتابته وإجراء ما يلزم من تنقيح وتصحيح.

ولقد بدأ اهتمامي بهذه القضية عندما كنت طالب دراسات عليا بجامعة كورنيل في إثاكا (ولاية نيويورك) بين عامي ١٩٦٤ – ١٩٦٩م حيث وجدت نفسي وبحكم انتمائي الإثني والجهوي طرفاً في هذه القضية الشائكة ذلك أن البيض الأمريكيين كانوا حتى ذلك الوقت يطلقون صفة ملون (Colored) وهي التعبير المحتشم لكلمة أسود أو زنجي (Negro) على كل وافد من إفريقيا أو آسيا أو حتى أمريكا اللاتينية وجزر الكاريبي وسواء كان قدومه للولايات المتحدة بقصد العمل والهجرة أو الدراسة فقط فالأمر عندهم سيان. فخلال فترة وجودي في الولايات المتحدة كطالب علم كانت التفرقة العنصرية ما تزال واقعا معاشا في معظم المرافق التعليمية والسكنية والخدمية والترفيهية وحتى في دور العبادة. وكنا نرى ونسمع عن الممارسات اللا إنسانية والاعتداءات التي يتعرض لها السود والملونون على يد أفراد أو مجموعات من البيض بدون وجه حق أو سبب منطقي سوى أن يكون المعتدى عليه من أصحاب البشرة السمراء.

وتحضرني بهذه المناسبة حادثة وقعت لأحد الزملاء السعوديين في ولاية تكساس عندما تعرض لاعتداء وحشي من مجموعة من الشباب البيض لمجرد دخوله صالون حلاقة فقد أشبعوه ضرباً وركلاً وإساءات منكرين عليه الدخول في مثل ذلك المحل المحترم في حين أن هناك من يحلق للسود والحمير حسب تعبيرهم وذلك في إشارة ورسالة واضحة أنه إذا فكر في قص شعره مرة أخرى عليه أن يبحث عن إحدى المحلات المخصصة للملونين.

وكانت اللوحات التي تحمل عبارة (للبيض فقط) و(ممنوع دخول السود) تطالعك في كل مكان لتذكرك إذا كنت أسود أو أسمر البشرة بأنه ليس لك مكان في هذا المجتمع الأبيض وأنك وافد غير مرغوب فيه. هكذا كانت الأوضاع في بداية رحلتي مع الاغتراب في طلب العلم وكان الكثير من الطلاب العرب والأسيويين والأفارقة لا يجرءون على الخروج من الحرم الجامعي أو السكن إلا في مجموعات خوفاً من التعرض للاعتداء، وفي بعض المدن الكبيرة أمثال نيويورك على وجه الخصوص يصبح الخوف خوفين: من البيض المتطرفين من ناحية ومن بعض السود الأمريكيين المنفلتين من ناحية أخرى وإن اختلفت الدواعي والأسباب للاعتداء.

كما سمعت من بعض الأصدقاء أن الحافلات والمركبات العامة كانت مقسومة لجزئين في وقت سابق قبل قدومي للولايات المتحدة حيث كان القسم الأمامي منها مخصصاً للبيض أما القسم الخلفي (المفصول بألواح حديدية عازلة) فهو للسود والملونين. وشيئاً فشيئاً اختفت الفواصل بين القسمين ليصبح حق الجلوس على مقاعد الحافلات العامة عرفياً للبيض فقط وممنوعاً بالنسبة للملونين.

واستمر الوضع على هذا الحال حتى تم إلغاؤه إثر مقاطعة السود للحافلات العامة لعام كامل (١٩٥٥ – ١٩٥٦م)، أو ما يمكن أن يطلق عليه عام انتفاضة السود التي أطلقت شرارتها حائكة شابة اسمها **روزا باركس** دخلت التاريخ من أوسع أبوابه بسبب تصرف عفوي بسيط عندما رفضت إخلاء مقعدها في الحافلة لرجل أبيض فما كان من سائق الحافلة إلا اقتيادها لأقرب مخفر للشرطة فتم إيداعها السجن لانتهاكها أنظمة المدينة لتنطلق شرارة الثورة ومن ثم المقاطعة للحافلات العامة التي قادها الراهب الشاب **لوثر كنج** كما سيرد ذكره بمزيد من التفصيل لاحقا.

كان الاضطهاد والتمييز العنصري أمرين عاديين في معظم المدن الأمريكية خاصة في الولايات الجنوبية التي لها تاريخ حافل في مناصرة الرق والتفرقة العنصرية وأيضاً في المدن الكبرى أمثال نيويورك وشيكاغو ولوس أنجلس وديترويت وسان فرانسيسكو وغيرها. كما لا أنسى منظر أنهار الحليب السائل من خلال أنابيب شفافة جعلوها تمر عمداً عبر الأحياء الفقيرة التي يسكنها السود لتصب في البحر باعتبار أن هذا الحليب زائد عن حاجة السوق ومعاقبة من يمد يده إليه.

ومهما يكن فإن فترة إقامتي في الولايات المتحدة وعلى قصرها نسبياً إذ لم تتجاوز الخمس سنوات إلا أنها كانت واحدة من أكثر فترات التاريخ الأمريكي خصوبة وثراء بالأحداث الهامة. ولعله من حسن حظي أنني كنت شاهداً على حقبة هي الأهم والأكثر ثراء بالأحداث في تاريخ حركة الحقوق المدنية للأمريكيين السود بل وفي تاريخ الولايات المتحدة المعاصر بصفة عامة إذ شهدت تلك الفترة:

١) بزوغ نجم المناضل العالمي **مالكولم إكس** الذي اعتبر واحداً من أهم رموز حركة الحقوق المدنية حتى لحظة اغتياله التي عايشتها عن قرب في ٢١ فبراير ١٩٦٥م.

٢) مرور فترة وجيزة على اغتيال الرئيس الأمريكي المحبوب **جون كنيدي** في الثاني والعشرين من نوفمبر١٩٦٣م.

٣) ظهور نجم أسطورة الملاكمة العالمية **محمد علي كلاي** الذي كتب تاريخاً جديداً لهذه الرياضة وكانت له إسهامات واضحة ومقدرة في قضية حقوق الإنسان عامة.

٤) إجازة قانون الحقوق المدنية للسود في العام١٩٦٤م الذي وقّعه الرئيس **ليندون جونسون** الذي تقلد المنصب بعد اغتيال **كنيدي**.

٥) اغتيال الراهب الثائر الدكتور **مارتن لوثر كنج** رمز النضال للأمريكيين الأفارقة خلال الفترة من منتصف الخمسينات حتى اغتياله في١٩٦٨م قبل أن يكمل الأربعين من عمره كما هو الحال أيضاً بالنسبة لصديقه ورفيق دربه **مالكولم إكس**.

٦) إجازة الكونجرس الأمريكي لقانون الحقوق المدنية المعدّل للسود في ١٩٦٨م، ذلك القانون الذي غير وجه الحياة في أمريكا، واعتبر نقطة تحول هامة في تاريخها الحديث.

إن الأجيال الحالية من الشباب لا يمكن أن تتصور ما كانت عليه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الولايات المتحدة قبل العام ١٩٦٤ م.

لذلك فإنني إذ أكتب عن مجتمع الأمريكيين ذوي الأصول الأفريقية وأحاول تسليط بعض الأضواء عليهم وعلى رموزهم وقضاياهم وجوانب من تاريخهم، فإنني لا أفعل ذلك من منظور الباحث الدخيل (The Outsider) بالمعنى السوسيولوجي الكلاسيكي للكلمة لكني أفعل ذلك بدافع من الحب والإخاء والزمالة ومن خلال عدسة الباحث الذي هو أقرب للأصيل والذي هو جزء من مجتمع بحثه. وأرجو أن يوفقني الله ﷻ في نقل صورة صادقة وأمينة للواقع كما رأيته وعايشته، والذي أشعر أنني لم أنفصل عنه كثيراً حتى بعد عودتي لأرض الوطن وعملي بجامعة الملك عبد العزيز ثم وزارة

الإعلام وعضويتي بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ثم بعد ذلك من خلال الزيارات المتكررة للولايات المتحدة وإن تباعدت أحياناً بعض الشيء، ومن خلال التواصل مع أصدقاء وزملاء دراسة هناك مازلت أحمل لهم الكثير من الود والتقدير ومنهم من ساعدني في إنجاز هذا العمل وضبطه وتوثيقه ومازلنا على اتصال وتواصل برغم بعد المسافة والشقة واختلاف وجهات النظر والرؤى في عدد من القضايا. وقائع ما تزال ذكراها حية وكأنها ما تزال ماثلة أمامي لأحداث كنت شاهدا عليها، ولدرجة جعلتني أحس وفي كثير من الأوقات بالانتماء لذلك المجتمع الذي اندمجت فيه روحياً ووجدانياً، عانيت مع أفراده من ويلات التفرقة واحتفلت معهم بكلمات كل خطاب ناري من خطابات مالكوم إكس وبكل نصر حققه **محمد علي كلاي**.

ثم وبعد عودتي للمملكة حرصت على استمرار التواصل معهم من خلال الزيارات المتبادلة كما عقدت عدة اجتماعات مع بعض قادتهم أمثال **وارث الدين محمد** (رحمه الله)، الذي جمعتني به علاقة صداقة حميمة وظللت على اتصال به حتى وفاته في رمضان ١٤٢٩هـ، و**لويس فراخان** و**محمد علي كلاي**، وكانت بعض هذه الاجتماعات هنا في المملكة وبعضها الآخر في شيكاغو. فلا غرو أنني كنت أشعر وطوال فترة إقامتي بينهم بأنني بين أهلي بل زمرتي وعشيرتي.

فليس غريباً والحال كذلك أن أصبحت قضية الأمريكيين ذوي الأصول الأفريقية واحدة من أهم اهتماماتي. وبدأت فكرة الكتابة في هذا الموضوع تشغلني وتلح علي بين الحين والآخر طوال أكثر من عشرين عاماً مضت إلى أن كان هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ الآن.

كما أود أن أوضح أن منطلقي من هذا الكتاب لم يكن أبدا الرغبة في الانتقاد أو الانتقاص من مكانة أحد سواء كان من المنتسبين لمجتمع البحث أو من البيض عامة أو حتى من الإدارات التي تعاقبت على سدة الحكم في الولايات المتحدة. كما لا يرمي هذا الكتاب إلى إشعال صراع عفا عليه الزمن وأصبح في حكم الماضي، ولا لفرض آراء بعينها من باب الوصاية أو الاحتواء، لكني أفعل ذلك بدافع من الحب والوفاء والإشفاق لأناس حقيقيين كنت ومازلت أعتبر نفسي جزء منهم مهما فرقتنا الأزمان والأزمات ومهما باعدت بيننا الخطى والمسافات. ثم بدافع الرغبة في معرفة إلى أين يسيرون في مشوار البحث عن هوية وعن وطن؟ ماذا ينتظرون منا وماذا ننتظر منهم؟ ما هو مستقبلهم ودورهم في صناعة الأحداث والقرار في الولايات المتحدة؟ ما هو مستقبل علاقتنا بهم وعلاقتهم بالجاليتين العربية والإسلامية في الولايات المتحدة؟

كيف نحميهم من خطر الذوبان الكامل في المجتمع اللاديني والمحافظة على هويتهم الثقافية والحضارية مع التمسك بالولاء لوطنهم وانخراطهم في مؤسسات مجتمعهم المدني كأعضاء فاعلين وصوت محترم ومسموع وقوة لها وزنها وكينونتها؟ وكيف نتعاون معهم في الاستفادة من الفرص التي تلوح بين الحين والآخر واستخدام الأوراق التي بأيدينا الآن الاستخدام الأمثل؟

كيف نساعدهم في التخلص من عقدة الشعور بالدونية والرغبة في الانتقام والتصرف بعقلية الإنسان المحبط المقهور؟ لنبعث فيهم روح الأمل والعزة والكرامة والثقة بالنفس وبالآخرين لتكوين سياج واق ضد الميل للإنحراف والسقوط في فخ الجريمة، ذلك أننا نعلم أن الأحقاد والثأرات لا تفضي إلى نتيجة ولا تورث، ولا يجوز لأحد معاقبة الأحفاد على ما ارتكبه الأسلاف والأجداد من أفعال وجرائم، لقوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1].
وقوله جل من قائل ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

١) سورة فاطر: ١٨.

٢) سورة البقرة: ١٣٤.

وعليه فإن دورنا هو أيضا: كيف نعمل على زيادة أواصر التقارب والتعاون والتواصل والعلاقات معهم ومع الآخرين لما فيه الخير والمصلحة للجميع إن شاء الله، وكيف نعمل جميعا من أجل عالم أفضل تسوده روح التعاون والإخاء، تظلله ثقافة العدل والسلام للجميع من خلال نبذ العنف والاحتراب. إنها رسالة لإرساء الدعائم لأدب الحوار البنّاء القائم على الثقة والاحترام المتبادلين بين مختلف الأمم والشعوب. ودعوة مخلصة لزيادة التأصيل والترسيخ لنشر أدبيات السلام وثقافة الحوار كبديلين لثقافة إضرام نار الكراهية والعداء، دعوة للحب والحياة كبديل لتصدير الموت للأبرياء وسفك الدماء، هي نداء عاجل للعمل المشترك ووضع أسس جديدة للعلاقات الدولية تقوم على ضوابط أخلاقية صارمة تمنع الاعتداء على الأطفال والنساء والمدنيين والعجزة، تبنى على الاحترام المتبادل كبديل للاحتراب والخراب، فهل وهل وهل من مجيب؟

وسوف يجد القارئ الكريم أيضاً بين ثنايا هذا الكتاب تسليطاً للأضواء على بعض زعامات ورموز حركة الأمريكان الأفارقة ماض وحاضر ومستقبل، وبعض الطروحات المقترحة لكيفية مواجهة التحديات المشتركة والعمل مع أعضاء الجاليتين العربية والإسلامية في الولايات المتحدة لبناء وتعزيز أواصر الثقة والاحترام المتبادلين مع أعضاء هذه الأقلية المتنامية التي تشير كل الدلائل إلى أنها سيكون لها شأن في المستقبل القريب بإذنه سبحانه وتعالى وذلك من أجل المزيد من التعاون والتكافل والعمل المشترك الجاد المخلص والبنّاء نحو علاقات تقوم على المحبة والأخوة والثقة المتبادلة.

وأخيراً فإن هذا الكتاب يهدف لتعريف القارئ العربي وغير العربي مستقبلاً بأبعاد قضية الأفرو أمريكانز، أي القصة الكاملة لثورة الزنوج في أمريكا والمراحل التي مرت بها حتى وصولهم إلى البيت الأبيض ممثلين في شخص **باراك أوباما**، ومحاولة وضع اليد على موطن الداء وأسباب الخلاف والانفصام بينهم والغالبية العظمى من أعضاء الجاليتين العربية والإسلامية في أمريكا وكيفية رأب الصدع وإذابة جليد الشكوك والاتهامات المتبادلة والعمل على مد جسور التواصل والتعاون البناء من أجل تقريب وجهات النظر على الأقل إذا لم يمكن جمع الصف وتوحيد الكلمة والمواقف تجاه مختلف القضايا التي تهم الطرفين والتحديات المشتركة.

وإن هذا الكتاب هو محاولة لتزويد القاريء ببعض المعلومات وكشف جملة من الحقائق بعد أن انتهت تقريبا مرحلة النضال من أجل الحصول على الحقوق المدنية لتبدأ مرحلة العمل لتحسين الأوضاع والمضي في ركب التعليم للحاق بالركب، وقد قصدت منه إظهار الحقائق كما هي أكثر من الدفاع عنها أو تقديم وصفة علاجية مقترحة أو حلول محددة.

وبالله التوفيق.

محمد عبده يماني

مُقَدِّمَةٌ

هذا الكتاب مخصص في جزئه الأكبر لقصة صراع أمريكا الطويل مع حركة الحقوق المدنية والنضال من أجل المساواة، أو بالأحرى لثورة الزنوج في أمريكا التي مهدت الطريق لأوباما صاحب الجذور الأفريقية لأن يعتلي عرش الرئاسة الأمريكية. وأيضاً البحث في الجذور التاريخية للمسلمين الأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية الذين هم جزء لا يتجزأ من الأمة وقضاياها المصيرية الآنية والمستقبلية، وباعتبارهم ركيزة وعمقاً استراتيجياً هاماً للإسلام والمسلمين في الدولة التي تحتل الآن مركز الصدارة على خارطة العالم مما يجعل وحدة هؤلاء الأخوة قيمة وقوة تضاف لرصيدنا. وهو أيضا محاولة لترسيخ ثقافة السلام وأدب التواصل والحوار من أجل عالم أكثر عدلا واستقرارا ورفاهية وإنسانية للبشرية جمعاء.

ويتناول الكتاب بالدراسة والتحليل الأوضاع الحياتية لهؤلاء الأخوة، ماض وحاضر ومستقبل، والعوامل المتداخلة التي شكلت هذا الواقع والتوقعات لاتجاهاتهم المستقبلية وفرصَ مشاركتهم في الحياة السياسية والعامة في ضوء المعطيات الحالية والمستجدات التي طرأت. إذ طغت على سطح الساحة الأمريكية خلال العقود الأربعة الأخيرة ظاهرة لفتت انتباه الكثير من المفكرين والساسة والإعلاميين، وتتمثل هذه الظاهرة في الانتشار السريع للإسلام في أمريكا على وجه الخصوص حيث وصل عدد المسلمين إلى أكثر من سبعة ملايين (حوالي ٢,٥٪ من إجمالي السكان)، إلى أن جاءت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م المؤسفة لتضع الإسلام عقيدة وأمة في قفص الاتهام وموضع الاهتمام أيضاً، ويكفي دليلاً على ذلك ما أورده الدكتور نهاد عوض المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير)، خلال مقابلة معه نشرتها جريدة الرياض، حيث أوضح أن ٤٠ مليون مواطن أمريكي طلبوا منهم نسخاً من الترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم[1]، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة.

ولما كان الحاضر يتداخل بشدة مع الماضي وينبني بدرجة كبيرة عليه فقد كان لابد من وقفة قصيرة لإجراء

١) جريدة الرياض ـ شؤون دولية ـ عدد ٢٠٠٦/٦/٢١م، ص٧ ولعل أكثر الذين طلبوا هذه النسخ فعلوا ذلك بدافع الفضول ولمعرفة ماهية هذا الدين الذي يحب الكثير من أتباعه الموت في سبيله أكثر من حبهم للحياة.

استعراض سريع لتاريخ الإسلام والمسلمين في أمريكا. وتقديم صورة لأوضاع الأمريكيين السود عامة عبر الحقب والعصور منذ حلولهم في القارة الأمريكية. مروراً بالمراحل المختلفة التي عاشوا فيها كأقلية مضطهدة منبوذة، مسخرة للعمل والإنتاج بدون أن تكون لهم أي حقوق أو مقابل يذكر. ثم معاناتهم من نظام الفصل العنصري وصولاً إلى عصرنا الحاضر حيث تم الإلغاء الرسمي لآخر أشكال ذلك النظام البغيض في ١٩٧٢م. وتتويج ذلك بإصدار القوانين التي تنص على أن جميع السود المولودين في أمريكا هم رعايا لها ومواطنين أمريكيين لهم كامل الحقوق التي يتمتع بها أي مواطن أمريكي وإن بقيت بعض الممارسات التي تنم عن استمرار الظلم الاجتماعي للسود وعدم التكافؤ في الفرص المتاحة للتعليم والعمل حتى بعد فوز باراك أوباما رئيسا للولايات المتحدة.

وإذا كانت هذه الدراسة تتضمن رصداً ـ حرصت على أن يكون أميناً ـ لبعض الملابسات والأحداث الهامة التي أحسب أنه كان لها الأثر الواضح في رسم ملامح الواقع الحالي وتشكيل شخصية المسلمين الأمريكيين المنحدرين من أصول أفريقية وجذور معتقداتهم والإرث الثقافي لهم، وفي تركيبتهم الكلية من النواحي الفسيولوجية والعقلية والسيكلوجية والروحية وفي طريقة تعاملهم مع الأشياء وردود أفعالهم وولاءاتهم وسلوكياتهم عامة فقد كان ذلك بهدف تحديد الأسباب التي حالت دون معرفة المسلمين منهم للتعاليم الصحيحة للإسلام الحنيف وأيضاً في تشكيل مواقفهم تجاه مختلف القضايا الثقافية والسياسية والاجتماعية والحياتية عامة.

على أنني لم أقصد من وراء هذا السرد للأحداث إلا شرح بعض الظروف والملابسات والأجواء التي جرت فيها تلك الأحداث وتداعياتها. والخلفية التي تبلورت في بوتقتها وبين جنباتها ملامح شخصية المسلم الأمريكي المنحدر من أصول أفريقية بكل أبعادها وصفاتها، مزاياها ومآخذها وإمكاناتها خلال رحلة البحث الطويلة عن الذات والهوية. وكل ذلك تحقيقاً للغرض النهائي لهذه الدراسة المتمثل في التعرف على كيفية مساعدتهم في العودة إلى رحاب الدين القويم، وأفضل الوسائل لتحقيق هذا الهدف، ثم ربط هؤلاء الإخوة بالأمة الإسلامية وقضاياها وتشجيعهم على المشاركة الفاعلة في الحياة العامة وفي صنع القرار وذلك من خلال مد جسور التواصل معهم والعمل على كسب ثقتهم وفتح قنوات التلاقي والحوار الواعي والمسئول مع قيادتهم وذلك استشعارا لواجب الأخوة الإسلامية وتحقيقا لمبدأ التوادِّ والتراحم والتواصل والتكافل بين أفراد الأمة وتوضيح حقيقة أن انتهاج أسلوب العنف حتى لو كان من قبيل المعاملة بالمثل فهو لا يؤدي إلا لمزيد من الكراهية والأحقاد، وأن الثأر لا يورث ومن ثم لا يجوز معاقبة الأحفاد على جرائم ارتكبها الأجداد امتثالا لقوله ﷻ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1].

كما عليهم مراعاة مشاعر النخب من الأمريكيين البيض الذين وقفوا وما زالوا يقفون مع الحق والعدل والمساواة ومنهم من ضحى بحياته في سبيل هذه المبادئ وعلى رأسهم الرئيسين الأمريكيين لنكولن وكنيدي. ولعل الملفت والغريب هنا أن الرئيسين أبراهام لنكولن وجون كنيدي قدمهما الحزب الجمهوري الذي جاء أيضاً بأسوأ الرؤساء في تاريخ الولايات المتحدة وآخرهم جورج بوش، وكان للعديد من رموزه مواقف في غاية التطرف ضد السود والملونين.

وعليه فإن الرصد والسرد الواردين ضمن هذا العمل سيكونان بالقدر الكافي لخدمة أغراض هذه الدراسة. ولإعطاء القارئ فكرة عامة عن الظروف والمراحل التاريخية، والخلفية المحيطة بالقضية موضوع البحث دونَ الخوض المتعمق والمستفيض في التفاصيل الدقيقة التي تخرج عن إطار هذه الدراسة وذلك عملاً بمبدأ (ما زاد عن المعنى فلا معنى له).

فأنا حين أتحدث ـ مثلاً ـ عن الصورة المشوهة للإسلام في أذهان بعض الأمريكيين المسلمين المنحدرين من أصول

١) سورة فاطر: ١٨.

أفريقية فإنني لا أفعل ذلك من باب التشهير أو الإساءة لأحد. بل يجيء ذلك للتعريف بالظروف التاريخية والأسباب الموضوعية التي أفضت بالبعض إلى هذه النتيجة. والمحلل الحصيف المطلع على حقائق الأوضاع وتاريخ هؤلاء الأخوة، والظروف التي أدت بهم إلى انقطاع صلتهم بمنابع الإسلام من جهة وبإخوانهم المسلمين في العالم الإسلامي من جهة أخرى طوال ما يزيد على أربعة قرون قد يجد لهم بعض العذر ويتفهم الدواعي التي أفرزت هذه الصورة المشوهة للدين الحنيف في أذهانهم ذلك أن العقيدة ارتبطت عندهم دائماً بالنعرة العنصرية أو ما يعرف بالقومية السوداء.

وتزداد أهمية الموضوع وخطورته بالنظر إلى الأوضاع المتردية التي ظل يعيش فيها هؤلاء الأخوة مع الإحساس بفقدان الهوية والخواء الروحي وحالة اللا انتماء. علاوة على الشعور بمركبات النقص والغبن الاجتماعي والإحساس بالدونية والوضاعة والتهميش مما يدفع كثيرين منهم للانزلاق إلى هاوية الجريمة. ويكفي دليلاً على ذلك أن نسبة السود ـ المسلمين وغير المسلمين ـ الموجودين بالسجون الأمريكية ظلت على مدى العقدين الماضيين وحتى الآن مرتفعة وبصورة مخيفة. وحسب أحدث الإحصاءات الصادرة من الجهات الرسمية فإن السود والأفارقة يمثلون أكثر من ٧٠٪ من إجمالي نزلاء السجون في أمريكا البالغ عددهم حوالي ٥ مليون سجين. في حين أن نسبة الأمريكان السود لمجموع السكان(حوالي ٣٠٠ مليون) لا تكاد تصل إلى ١٢٪. كما كشفت هذه الإحصاءات أن عدد السود المحكوم عليهم بالسجن خلال الثلاثة عقود الأخيرة ظل يتراوح في المعدل السنوي بين ثلاثة إلى أربعة ملايين وهذا يعني أن المعدل العام هو سجين واحد على الأقل بين كل ثمانية من الأمريكيين السود البالغ عددهم الآن حوالي ٤٢ مليوناً أو أكثر قليلا. وأنه وحسب المصادر الرسمية يوجد واحد داخل دائرة الاتهام أو تحت المراقبة بين كل ثلاثة من الشباب السود وهذه النسبة تصل في واشنطن العاصمة إلى ٥٠٪ ولهذا يعتبر كثير من الأمريكيين السود أنهم يعيشون في دولة بوليسية[١]، هذا علاوة على تفشي ظاهرة إدمان المخدرات وانتشار العنف بين الشبان السود وخاصة في الأحياء الفقيرة بالمدن الكبرى والتي يطلقون عليها اسم (القيتو)[٢]، كما أشار الكاتب الأفرو أمريكي **شيلبي ستيل** إلى أن ٧٠٪ من أطفال السود الحاليين ولدوا خارج إطار مؤسسة الزواج [٣] وأظهرت الإحصاءات أن ٤٠٪ من المصابين بفيروس الإيدز هم من الأفروأمريكانز وأن ٧٥٪ منهم لم يكملوا تعليمهم العالي وأن ٦٨٪ من جرائم العنف في أمريكا تنسب إليهم[٤].

لقد أكد **إليس كوسي** في الكتاب الذي نشره مؤخراً تحت عنوان (معنى أن تكون رجلاً أسود في أمريكا) أن بعض السياسات العامة لحكومات الولايات المتحدة ساهمت في ارتفاع تلك النسب. ومن ذلك مثلاً أن الإدارات الحكومية توافق تلقائياً ودون شروط على تسجيل الأمريكي الأسود في معاشات صناديق البطالة التي أصبح أكثر السود يعتمدون عليها بدلاً من السعي إلى إكمال تعليمهم والبحث عن عمل. ومثل هذه الممارسات لا تحدث مع البيض حيث توضح السجلات أن واحدا من كل ثمانية أشخاص منهم تتم الموافقة على طلبه، في حين تصل النسبة إلى ٣: ١ بالنسبة للسود مما جعلهم كسالى وغير جادين سواء في الحياة العملية أو الاجتماعية.

ويشير كوسي أيضاً إلى المفارقات ما بين ما ينص عليه القانون والواقع الاجتماعي الذي تعيشه هذه الأقلية حيث يشير في مقدمة كتابه الجديد (حسد العالم (The Envy of The World) إلى أن التطبيقات الحرفية للقانون قد تضع

١) المقال بعنوان (مولد حركة جديدة للسود في أمريك) للكاتبة مها عبد الفتاح. جريدة الأخبار المصرية العدد ١٣٥٥٧ وتاريخ ١٩٩٥/١٠/١٨م.

٢) القيتو (Ghetto) لفظة تطلق على الأحياء الفقيرة بالمدن الأمريكية الكبرى؛ ولعل من سخرية الأقدار أن تلك الأحياء كان أكثر سكانها من اليهود فارتبطت الكلمة بهم خاصة وهم يحاولون منذ مدة طمسها ومنع استخدامها لكونها تعيد للأذهان ذكريات أيام الفقر.

٣) المقال بعنوان (صورتان للعنصرية على أعتاب مؤتمر ديربان) جريدة الشرق الأوسط العدد رقم ٨٣٠٧، ص ٨.

٤) المصدر السابق.

الأمريكي الأسود في المكان المناسب للحصول على حقوقه المدنية والدستورية لكنها وبطبيعة الحال لا يمكن أن تكون مفتاحا للنجاح الاجتماعي. ذلك أن القوانين لا تستطيع أن تنزع القناع العنصري لكنها قد تساهم في إخفائه. ويضيف أن المجتمع الأمريكي لا ينظر إلى الأمريكي الأسود إلا من زاوية تصوره رياضياً أو قسيساً في كنيسة سوداء أو مغنيا للروك. وما زالت هوليود تنظر إليه من زاوية (الكومبارس) في مؤسسة مهنية لا يمكن أن تعطي الملونين أدوار البطولة المطلقة لتحقيق الانتشار. ويخلص الكاتب إلى نتيجة هامة وهي أن المكتسبات التي حققها السود على مدى القرون الماضية لم تكن إلا وهماً وتخديراً للمشاعر ركنت إليه قيادات هذه الأقلية تغطية لخطة بيضاء الأصل رُسمت داخل البيت الأبيض الذي يرى أنه سمّي كذلك لأنه بالفعل يرمز إلى العقلية الأمريكية التي تنظر إلى الأرض الجديدة كعالم لا مكان فيه لغير العرق الأبيض. وينتقد الخطاب السياسي الأمريكي لأنه لا يحسب للأسود حساباً ولا يجد له مكاناً في قاموسه. وعلى الرغم من النجاحات التي حققها **كولن باول** و**كونداليزا رايس** و**جيسي جاكسون** وغيرهم لكنه يرى أن هذه النجاحات كانت مدبرة من الأغلبية البيضاء من أجل سد الذريعة والاحتفاظ بها في أرشيف التاريخ للحيلولة دون أية مطالبات أخرى مستقبلاً [١].

لكن هناك حقيقة هامة لابد من الإشارة إليها وهي أن عددا لا يستهان به من الأفروأمريكانز اهتدوا إلى دين الحق خلال وجودهم داخل السجون ولعل من أبرز هؤلاء وعلى سبيل المثال لا الحصر الشهيد **مالكولم إكس** الذي انتحل لنفسه اسم **مالك شاباز** بعد أدائه مناسك الحج. والملاكم المعروف **مايك تايسون** الذي اختار لنفسه أيضاً اسم **مالك شاباز** تيمناً بالبطل **مالكولم إكس** وهناك أيضا الشيخ **جهاد عبدالمميت** وهو من القيادات الحالية الصاعدة بقوة وغيرهم. وإن هذه الظاهرة تستحق أيضاً الدراسة والاهتمام وخاصة من العاملين في الدعوة أو في الدراسات الاجتماعية. كما ينبغي علينا مضاعفة الجهود لهداية القابعين خلف قضبان السجون. ولعله من البشائر المشجعة على ذلك اعتراف السلطات الأمريكية بأن من يعتنقون الإسلام في السجن لا يعودون إليه إلا في حالات نادرة جداً.

وعموماً وعلى الرغم من هذه الصورة التي قد تبدو قاتمة بعض الشيء فإن هناك قبسات وإشراقات تدعو للتفاؤل مما يمكن اعتباره بشائر خير وبداية جيدة للسير في الطريق الصحيح ومن ذلك وعلى سبيل المثال:

١) التغيير الإيجابي الواضح في عقلية الأفروأمريكانز عموماً وفى توجهاتهم والطريقة التي يفكرون ويتعاملون بها مع الأشياء والمستجدات من حولهم وربما يكون مرد ذلك إقبالهم المتزايد على التعليم ومؤسسات المجتمع المدني وبصورة متزايدة.

٢) الميل للمشاركة بصورة أكثر فاعلية في الحياة العامة وفى مؤسسات المجتمع المدني والقضايا التي تهم المجتمع الأمريكي بصفة عامة لاسيما بعد أن بدأت الإدارات الأمريكية في العديد من الولايات تبدي اهتماماً وحرصاً على توسيع دائرة المشاركة وإتاحة المزيد من الفرص للأمريكيين الأفارقة للتعبير عن آرائهم وإبراز قدراتهم ومواهبهم في مختلف ضروب الحياة ويتضح ذلك جليا من خلال اهتمام الحزبين الكبيرين باختيار كوادرهم على رأس لجانهما الحزبية ومن خلال القنوات الفضائية ووسائل الإعلام والاهتمام المتزايد حتى بأطفالهم.

١) المقال بعنوان (معاناة السود في أمريكا. واستمرار القناع العنصري) لعلى سعد الموسى. المنشور بجريدة الوطن العدد ٥٠٣ وتاريخ ١٤ فبراير ٢٠٠٢م (ص ٢٤).

٣) شروع الإدارات في العديد من الولايات الأمريكية في تنفيذ برنامج طموح لتحقيق الاختلاط والاندماج بين الأطفال السود والبيض في المدارس والملاعب والمنتزهات والأماكن العامة. وأذكر بهذه المناسبة ما نقله لي الأخ الدكتور **مهدي رضوي**[1] من أن سلطات التعليم في الولاية التي يعمل بها ألزمته بتسجيل أبنائه في مدارس بعيدة عن مقر سكنه وقد جاء التعليل لذلك بأن هذا الأمر تفرضه الظروف لتحقيق الاختلاط بين الأعراق المختلفة التي تشكل بنية المجتمع الأمريكي.

٤) الانتقادات العنيفة التي واجهتها إدارة الرئيس بوش بسبب التقصير وعدم التعامل بالجدية والسرعة المطلوبين مع إفرازات كارثة إعصار كاترينا الذي كانت الغالبية العظمى من ضحاياه من الأفروأمريكانز من سكان ولايتي نيو أورليانز ولويزيانا الجنوبيتين.

٥) المجتمع الأمريكي بصفة عامة يعتبر مجتمعاً مفتوحاً ويمثل تربة خصبة للإسلام إذا ما وجهت له الدعوة بالتي هي أحسن وإذا ما استطاع المسلمون غرس قيم الإسلام في المجتمع الأمريكي والتعامل معه بالأسلوب الحضاري، وبذلك يمكن أن يساهموا في علاج الكثير من علل هذا المجتمع وخاصة ما يتعلق بارتفاع معدلات الجريمة بمختلف أشكالها حتى في أوساط الأحداث والمراهقين وانتشار مرض الإيدز والفوارق الطبقية الهائلة والخواء الروحي ومشاكل البطالة والكساد والأزمة المالية التي يعاني منها الاقتصاد الأمريكي حاليا.

٦) التحول الإيجابي من جانب الإدارات الأمريكية عامة تجاه السود بعد أحداث الـ (Black outs) أي الانقطاع الكامل للتيار الكهربائي (التي حدثت أكثر من مرة ولعل أشهرها تلك التي حدثت في أعوام ١٩٦٥ و١٩٧٧م و٢٠٠٣م، وبالنسبة للبلاك أوت الذي حدث في مدينة نيويورك في مساء يوم ١٣ يوليو لعام ١٩٧٧ مثلاً فقد جاء في أعقاب عاصفة رعدية وأمطار مصحوبة برياح قوية مما أدى إلى تدمير جميع مولدات الكهرباء والأبراج حيث استمر الانقطاع في أجزاء من المدينة أكثر من ٢٥ ساعة مما نتج عنه خسائر وأضرار قدرت بأكثر من ٧٥ مليون دولار وكان أكثر المتضررين الشركة الأمريكية الموحدة للكهرباء.

وحسب الإحصاءات الرسمية فإن ما تم نهبه وإحراقه من المحلات التجارية ومحلات الذهب والمجوهرات والبنوك والمستودعات وصل عددها إلى أكثر من ألف، كما تم اعتقال حوالي ٤٠٠٠ ممن شاركوا في أعمال السرقة والنهب وإشعال الحرائق، حيث استغل الفرصة العشرات من ضعاف النفوس وقاموا بعمليات نهب وسرقة للمحلات التجارية والبنوك بل والاعتداء على كل من صادفهم وبدرجة وصلت لحد الاغتصاب لفتيات وسيدات في الطرقات والمصاعد وغيرها مما أشعر الإدارة الأمريكية والكونجرس ورجال الاقتصاد والسياسة عامة بخطورة هذه المشاعر المخزونة في قلوب السود من حقد وكراهية للأمريكي الأبيض وحتى لا يتكرر ما حدث في مدن أخرى وأيضاً بعد المسرة المليونية التي جرت في أكتوبر ١٩٩٥م.

١) جراح أمريكي من أصل إيراني يعمل بمستشفى القلب في كليفلاند (أوهايو).

٧) الزيادة المطردة والسريعة للأفر وأمريكانز ذلك أنه وحسب التقديرات الرسمية فإن نسبتهم مرشحة لأن تصل إلى معدل ٢٠٪ من إجمالي سكان الولايات المتحدة خلال العشر سنوات القادمة، ومع استمرار الزيادة بنفس المعدل(٥ – ٦ ٪) وذلك بالنظر لارتفاع معدل المواليد بينهم واستمرار الهجرة إلى أمريكا من القارة السمراء. وبالمقابل فإن أعداد البيض في الولايات المتحدة في تناقص مستمر بسبب برامج تنظيم الأسرة وتحديد النسل من ناحية وانخفاض معدل الخصوبة لدى السيدات البيض عامة من ناحية أخرى كما ورد ذلك في تقرير **باتريك بو شانان** بعنوان (Death of the West) (موت الغرب) الذي صدر مؤخراً حيث ورد أن نصيب المرأة البيضاء عموماً هو طفل واحد تقريباً كل عشرة سنوات بينما ترتفع النسبة إلى أكثر من ثلاثة لدى نساء الأفروأمريكانز.

مايكل استيل

٨) اختيار الحزب الجمهوري السناتور الأسود **مايكل استيل** في أول فبراير ٢٠٠٩م رئيسا للجنته الوطنية ليصبح أول أمريكي أسود يتم تعيينه في هذا المنصب في وقت كثرت فيه التكهنات حول إمكانية أن يختار **أوباما** سناتوراً جمهورياً لشغل منصب وزير التجارة في حكومته الأمر الذي سيفتح الباب أمام الديمقراطيين بالسيطرة الكاملة على مجلس الشيوخ. وكانت صحيفة نيويورك تايمز قد كتبت أن ستيل الذي كان قد شغل منصب نائب الحاكم لولاية ميريلاند قد يصبح أحد أهم الوجوه القيادية في الحزب الجمهوري بعد أن خسر الحزب البيت الأبيض والكونجرس. كما توقعت الصحيفة أنه في غضون عامين وعندما تبدأ معركة الانتخابات الرئاسية القادمة، أن يكون ستيل في مقدمة المنافسين للحصول على ترشيح حزبه لمنافسة **أوباما** على الرئاسة. وقد أكد العديد من الجمهوريين أنهم شعروا بالانجذاب نحو ستيل بسبب حضوره القوي بين الجمهور ومهاراته على شاشات التلفزيون وهناك أيضاً السيدة **جنداي فريزر** التي تم تعيينها مساعدة لوزير الخارجية للشؤون الأفريقية و(بيل جوسبي) الذي يعتبر حالياً من القيادات القادمة بقوة للأفروأمريكانز وكذلك أوبرا وينفري الذي يعتبر من الكوادر الصاعدة، على أنه من المهم الإشارة إلى أن السود في أمريكا عامة لا يمثلون كياناً واحداً سواء على المستوى الطبقي أو الديني أو حتى الإثني وإن كانت الغالبية منهم ذات أصول افريقية إلا أن هناك قسماً كبيراً ينتمون إلى أصول أسبانية أو لاتينية.

وعليه ولكل ذلك تجيء هذه الدراسة كمحاولة لوضع اليد على بعض مواطن الداء وتقديم وصفة علاجية مقترحة لإنهاء حالة العزلة والإحباط والفراغ التي يعيش فيها هؤلاء الأخوة بسبب سياسة التجاهل والتهميش التي يعانون منها وبسبب السلبية والنظرة السطحية بل واللامبالاة أحياناً في التعامل معهم ومع قضاياهم. راجيا أن تكون هذه المساهمة المتواضعة فاتحة خير ومصدر إلهام لدراسات وأبحاث أخرى أكثر عمقاً وشمولية فيما يتعلق بهذه القضية الهامة.

عرض موجز للدراسة

إن من ينظر بعمق في قضية التحول في النظرة تجاه السود في أمريكا من العداء والتفرقة والنفور في الماضي، إلى النقيض تماماً والذي توّج بانتخاب **باراك أوباما** كأول رئيس أسود للولايات المتحدة قد لا تنتابه الدهشة، فقد كان الثمن لهذه التطورات باهظا واستغرق وقتاً طويلاً تخللته الكثير من التضحيات قبل أن يتحقق التمازج بين الأعراق وإن لم تتحقق المساواة، فكيف حدث هذا الانقلاب؟ وكيف أمكن التغلب على تلك الصعوبات؟

الإجابة على هذا السؤال يجدها القارئ بين ثنايا هذه الدراسة لكن قبل ذلك ينبغي توضيح بعض الحقائق الهامة وهي:

أولا: إن قضية وجود الرقيق الأفريقي في أمريكا الشمالية والاضطهاد لهم ومعاملتهم كعبيد ليس لهم الحق في شيء هي قضية لا دخل للإدارات الأمريكية بمنشئها، فالتهجير للأفارقة إلى ما وراء البحار وبيعهم كرقيق في الأسواق الأوروبية والأمريكية (للعمل في المزارع والمصانع والبيوت) تم بواسطة شركات وأفراد أوروبيين، وكان من أولى الدول الأوروبية التي ولغت في هذه التجارة المشينة البرتغال التي كان لها ولأسبانيا القِدْحُ المعلّى في الكشوف الجغرافية التي أسفرت عن كشف الأمريكتين وجزر الكاريبي وأستراليا ونيوزيلندة وغيرها خلال القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين [1].

ثانيا: ورثت الإدارة الأمريكية عن المستعمر البريطاني بعد الجلاء في العام ١٧٧٦م مشكلة وجود أعداد كبيرة من الرقيق على أراضيها وخاصة في الولايات الجنوبية حيث ظل يعيش أكثر من ٨٠٪ من السود حتى عهد قريب وحيث تعتبر الزراعة هي عصب النشاط الاقتصادي.

ثالثا: لقد مرت حركة الحقوق المدنية للأفرو أمريكانز بثلاث مراحل هامة هي:

أ) **حقبة الرق والعبودية** التي استمرت حوالي ثلاثة قرون (١٥٣٠-١٨٦٣م) وانتهت بالقرار التاريخي الذي أصدره الرئيس الأمريكي **أبراهام لنكولن** بتحرير الرقيق.

١) يقدر أن ما بين ١٠ ـ ٢٥ مليون أفريقي تم اختطافهم أو شرائهم ومن ثم تهجيرهم قسرا عبر المحيط الأطلنطي ليباعون بأسواق النخاسة في أوروبا والأمريكتين خلال حقبة تجارة الرقيق.

ب) **حقبة التمييز العنصري المقنن** (١٨٦٣-١٩٦٤م) التي انتهت بإقرار قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ م.

وأرجو ألا ينخدع القارئ الكريم ويظن أن فوز **أوباما** كأول أمريكي من أصول سوداء رئيساً للولايات المتحدة يعني بالضرورة وتلقائياً نهاية المطاف بالنسبة لنظام التفرقة العنصرية لأن هذه التفرقة وبالأساس هي ثقافة متوارثة وأصيلة في بنية المجتمع الأمريكي، أي أنها ليست ظاهرة عابرة أو قانوناً مدنياً يمكن إلغاؤه وإزالته بجرة قلم أو بقرار رئاسي أو حتى بالنوايا الحسنة أو بمجرد فوز رئيس أسود للولايات المتحدة. إنها أعمق وأخطر من ذلك بكثير لأنها ثقافة متجذرة في الضمائر والعقول وخاصة لدى الشيوخ والكهول من الأمريكيين كما وضح ذلك جلياً خلال العملية الانتخابية الأخيرة التي فاز فيها **أوباما**.

ومهما يكن فإن فوز **أوباما** والذي أسعد غالبية شعوب العالم تضافرت فيه عوامل من أهمها أنه جاء تتويجاً لنضال حركة الحقوق المدنية التي لم تتوقف طوال القرنين الماضيين للأمريكيين ذوي الأصول الأفريقية ونتيجة للتراكمات والمكاسب التي حققوها، وثانياً كرد فعل طبيعي لرغبة الناخب الأمريكي في التغيير بسبب الأخطاء الفادحة والسياسات الرعناء والمتهورة ل**جورج بوش** الذي أطاح بحزبه الجمهوري.

ج) **حقبة التمييز العنصري المستتر** (١٩٦٤م وهي ما تزال مستمرة خاصة فيما يتعلق بفرص العمل والتوظيف ولكن بصورة أقل حدة ووضوحا).

ولعل الملاحظة المهمة هنا أن ثمن الحرية للأمريكيين الأفارقة كان باهظا جدا إذ:

١) اندلعت الحرب الأهلية الأمريكية بين الشمال المناصر لتحرير الرقيق والجنوب المناهض للمبدأ وذلك في أعقاب إعلان إحدى عشرة ولاية من الولايات الجنوبية الانسلاخ والانفصال عن منظومة الاتحاد، تلك الحرب التي دامت حوالي أربع سنوات وراح ضحيتها أكثر من مائتي ألف مواطن أمريكي وانتهت بانتصار ولايات الشمال وإلغاء نظام الرق نهائيا في جميع ولايات الاتحاد.

٢) تم اغتيال الرئيس الأمريكي **أبراهام لنكولن** الذي أصدر القرار التاريخي بتحرير كل العبيد المولودين والموجودين في عموم الأراضي الأمريكية وإن لم يكن **لنكولن** من دعاة المساواة الكاملة بين العرقين الأبيض والأسود كما سنرى لاحقا.

وبالنسبة لحقبة التمييز العنصري الرسمي فقد احتاجت الإدارات الأمريكية لحوالي مائة عام (١٨٦٣- ١٩٦٤م) للقضاء عليها، وهنا لابد من الإشارة إلى حقيقة أن الرق هو في الأصل نظام اجتماعي يقوم على أيديولوجية السخرة باعتبار أن الإنسان الأسود هو مجرد سلعة تنطبق عليها قوانين البيوع. أما التمييز العنصري فهو ظاهرة ثقافية متوارثة، وكما هو معروف فإن القضاء على الأنظمة أيا كانت أيسر بكثير من القضاء على العادات والثقافات خاصة إذا كانت الثقافة أصيلة وراسخة.

والتمييز العنصري في حقيقته هو أيضاً داء اجتماعي ينخر في جسم المجتمع الذي يمارسه ويترك آثاراً سلبية: نفسية وعقلية واجتماعية عميقة الجذور يصعب اجتثاثها والقضاء عليها.

وثقافة التمييز العنصري المعنية هنا قامت بالأساس على مبدأ تعظيم الإنسان الأبيض وتفوقه في كل شيء وبما في ذلك العقل والفكر والقوة ودرجة التحضر، والنظر إلى كل ما عدا البيض نظرة متعالية تنطوي على كثير من الدونية والاحتقار.

ولعل من يقرأ التفسير لكلمة (أسود) في القاموس الأمريكي حتى عهد قريب يصاب بالدهشة والهلع وهو يطالع ألفاظاً هي أقرب للسباب والإدانة منها للحياد الموضوعي والأمانة العلمية ومنها على سبيل المثال (الأسود تعني فيما تعني كل ما هو تافه، مظلم شرير، حقير وغير متحضر).

ولقد بدأت هذه الحقبة التي تعرف مجازاً باسم نظام **جيم كراو** (**يعقوب الغراب**) استهزاء بالسود وتحقيرا لهم بمجرد إعلان تحرير الرقيق في يناير ١٨٦٣م واستمرت حتى العام ١٩٦٤م عندما صدر قانون الحقوق المدنية الذي غير وجه الحياة في أمريكا والذي أصبح يعرف بـ (القانون الذي غير أمة) وهنا أيضا كان الثمن باهظاً وباهظاً جداً إذ اندلعت الحرائق وخربت البيوت وراح ضحية أعمال العنف والشغب رموز حركة النضال من أجل المساواة والحقوق المدنية وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي **جون كنيدي** ومن بعده ما لكولم إكس ثم أخيراً وليس آخراً الدكتور **مارتن لوثر كنج** و**روبرت كنيدي** شقيق الرئيس **جون كنيدي** وغيرهم.

وإذا أردنا التعرف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى إصدار قانون الحقوق المدنية لعامي ١٩٦٤م و١٩٦٨م بصفة خاصة فإنه يمكن القول وبكثير من الثقة أن ذلك التطور الإيجابي كان هو المحصلة الطبيعية لمسيرة النضال المستمر للسود على امتداد حقبة دامت نحو ثلاثة قرون، وما تخللها من أعمال بطولية ومواقف وأحداث وتضحيات جسام والتي شكّلت في مجموعها أداة ضغط متواصل على الإدارات المتعاقبة مما اضطرها في النهاية للرضوخ لمنطق الأشياء وحركة التاريخ.

فالحرية لم تكن في يوم من الأيام هبة تمنح لكنها حق لا يؤخذ إلا غلابا ؛ كما قال **أبو القاسم الشابي**:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها واندثر
ومن يتهيَّبْ صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

ذلك أن ليل الظلم لابد له من نهاية مهما طال الزمن، مع الإيمان الكامل بحقيقة أن لكل أجل كتاباً لا يعلمه إلا الله ﷻ.

وإذا كان إصدار قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤م جاء كرد فعل فوري لحادثتين هامتين هما:

أ) مسيرة الزحف الكبير نحو واشنطن العاصمة التي قادها **لوثر كنج** في أواخر ١٩٦٣م.

ب) اغتيال الرئيس الأمريكي **جون كنيدي** في العام نفسه حيث اعتبرت الموافقة على هذا القانون بمثابة الهدية للرئيس الراحل **جون كنيدي** وفاءً وعرفانا لما قدمه وتخليداً لذكراه.

فإن من الأسباب الأخرى غير المباشرة ما يلي:

- زيادة الوعي لدى رجل الشارع العادي من الأفروأمريكانز بحقه في الحياة الحرة الكريمة والفرص المتساوية في العمل والتعليم والتعبير والرعاية الصحية وذلك نتيجة للتطور الكبير الذي شهدته صناعة الإعلام والاتصالات في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية.
- مع زيادة الوعي بقضية المساواة في الحقوق والفرص في التعليم والتوظيف تعالت الأصوات تنديداً بثقافة التمييز العنصري مطالبة بإلغائها. ولم يعد مقبولاً ولا مستساغاً في عالم ما بعد الحرب الكونية الثانية أن يظل التمييز

بين المواطنين قائما في دولة عظمى تدَّعي أنها الحارس الأمين لمبادئ الحرية والعدل والمساواة لاسيما وهي البلد المستضيف للهيئة الدولية المنوطة بالمحافظة على الأمن والسلم العالميين وعلى حقوق الإنسان.

- عقدا الخمسينات والستينيات من القرن الماضي شهدا ذروة حركات التحرر الوطني في قارتي آسيا وأفريقيا كما توج ذلك مؤتمر دول عدم الانحياز الذي عقد في باندونغ (اندونيسيا) في ١٩٥٥م الذي كان تعبيراً صريحاً عن تضامن شعوب العالم الثالث وخاصة في قارتي آسيا وأفريقيا للتخلص من التبعية والاستعمار بمختلف أشكاله.

وظهرت خلال تلك الحقبة زعامات كان لها وزنها وتأثيرها على المستويين الإقليمي والعالمي نذكر منهم على سبيل المثال: **سوكارنو** و**نهرو** و**الملك فيصل** في قارة آسيا، **جمال عبد الناصر**، و**جومو كنياتا**، **كوامي نكروما** و**جوليوس نايريري** و**أحمد سوكارنو** في أفريقيا.

- مع بداية النصف الثاني من القرن الماضي أصبحت قضية التمييز العنصري المقنن ضد ذوي البشرة السوداء محصورة فقط في دولتين هما:

١) دولة جنوب أفريقيا العنصرية التي كانت تحكمها الأقلية البيضاء بدعم من بريطانيا حيث ظهر نلسون مانديلا كشخصية كارزماتيكية عالمية ورمز من أهم رموز حركة التحرر من العنصرية والاستعمار.

٢) الولايات المتحدة الأمريكية.

ثم انضمت إلى الركب إسرائيل التي مارست وما تزال تمارس التمييز العنصري ضد الفلسطينيين والدروز والفلاشا (اليهود الأثيوبيين ذوي البشرة السمراء)[1] الذين تم تهجيرهم لإسرائيل على ثلاث دفعات ابتداء من العام ١٩٨٣م بدعوى حمايتهم وترحيلهم إلى بلد السمن والعسل والحرية فإذا بالأيام تكشف أنهم يعاملون الآن معاملة الرقيق.

وبالنسبة لقانون الحقوق المدنية (الملحق) للعام ١٩٦٨م فلعل السبب المباشر لإقراره كانت الاضطرابات وأعمال الشغب التي اندلعت في أعقاب اغتيال الراهب المناضل الدكتور **مارتن لوثر**.

أما أهم الأسباب التي كانت وراء النقلة الثالثة المتمثلة في اختيار الجنرال **كولن باول** ثم **كونداليزا رايس** لشغل منصب وزير الخارجية الأمريكية (وكلاهما من الجمهوريين المحافظين) فلعل أهمها:

أ) المسيرة المليونية التي نظمها **لويس فراخان** في ١٩٩٥م والتي أظهرت السود كقوة انتخابية يحسب لها ألف حساب بعد المسيرة المليونية التي نظمها **لويس فراخان** في ١٩٩٥م مما دفع الحزبين الكبيرين لمحاولة استرضاء هذه الكتلة وكسب تأييدها لأسباب سياسية بحتة.

ب) إدراك الساسة والرؤساء الأمريكيين لخطورة وأهمية هذه القضية خاصة بعد أحداث الشغب التي رافقت انقطاع التيار الكهربائي عن مدينة نيو يورك في العام ١٩٧٧م أو ما يعرف بالبلاك آوت (Blackout).

وإجمالا فقد كان المخاض شاقاً وعسيراً ؛ فخلال المائة عام الماضية التي يمكن أن نقول إنها تمثل العصر الذهبي لحركة الحقوق المدنية الأمريكية أطلت نجوم كثيرة من النخب من البيض والسود على حد سواء ليعلنوا الرفض لثقافة التمييز المبني على لون البشرة. ولعل أهم الشخصيات التي ساهمت هذه الثقافة خلال القرن الماضي:

---

١) يقال أن المادة الأولى من الدستور الأثيوبي كانت وحتى عهد قريب تنص على أن حكم إثيوبيا يجب أن يبقى وإلى الأبد محصورا في نسل الملك منليك الأول الذي يقولون عنه أنه من نسل سيدنا سليمان بن داوود عليه السلام إلا أن منليك الثاني الذي تولى العرش خلفا لوالده لم يرزق نسلا رغم تعدد زوجاته، فآل الملك للإمبراطور هيلاسلاسي المتزوج من الفتاة التي تبناها منليك الثاني ولعل هذا يلقي بعض الأضواء على تاريخ اليهود الفلاشا.

١) الشاعر الثائر ماركوس قارفي (١٨٨٧-١٩٤٠م)

حضر من بلده الأصلي (جامايكا) إلى الولايات المتحدة وعمره حوالي ٢٨ عاما. كانت لديه فلسفة واضحة تتلخص في توحيد الزنوج على مستوى العالم تحت قيادة واحدة. وكان أيضا من دعاة عودة الزنوج من أمريكا إلى الوطن الأم (أفريقيا) كانت خطبه وأشعاره الحماسية تلهب المشاعر وتستنهض الهمم وكان لكلماته وقع السحر.

يمكن القول عامة أن قارفي سبق عصره بكثير أو بعبارة أخرى جاء في غير موعده من حيث الفكر والرؤى والأيديولوجيات إذ حاول توحيد الـ ٤٠٠ مليون زنجي المنتشرين في مختلف أنحاء العالم تحت لواء دولة واحدة (قارة أفريقيا)، منظمة واحدة وعقيدة واحدة (المسيحية السوداء).

أطلق على قارة أفريقيا منذ العام ١٩١٩م اسم (الولايات المتحدة الأفريقية) علما بأن منظمة الوحدة الأفريقية، التي لم تتمكن من تحقيق أي شكل من أشكال الوحدة حتى الآن، لم تظهر إلى حيز الوجود إلا في العام ١٩٦٣م، كما ظل قارفي يفخر بأنه سبق هتلر وموسليني في فكرة الدولة العنصرية والعنصرية القومية.

لم يحقق قارفي النجاح المنشود إذ كانت الطموحات والأحلام والتحديات أكبر بكثير من الإمكانات المتاحة والواقع المعاش حيث كانت جميع دول القارة الأفريقية (باستثناء إثيوبيا) ما تزال ترزح تحت نير الاستعمار الأوروبي لكنه ترك بصمة واضحة ومميزة جعلت الكثيرين ممن جاءوا بعده يتأثرون به وبأسلوبه وشعاراته وبما في ذلك زعماء حركة الحقوق المدنية في العقود التالية أمثال مالكولم إكس ومارتن لوثر وفراخان وحتى القس جسي جاكسون. تم طرده إلى بلده جامايكا في العام ١٩٢٧م بعد أن أمضى فترة في السجن.

٢. والاس دي فارد محمد

شخصية غامضة وغريبة بكل ما تحمل الكلمة من معنى. هناك من يدّعي أنه جاء من مكة المكرمة مباشرة ليعتق السود في أمريكا من حياة الذل والعبودية ويعيدهم إلى الدين الحق، دين آبائهم الأولين.

استخدم الإسلام كوسيلة لرد الاعتبار للسود الأمريكيين ولعل الحقيقة الوحيدة المتفق عليها عموماً هي أنه ظهر أول ما ظهر في ديترويت (متشجان) في يوليو من العام ١٩٢٩م وبدأ يدعو للإسلام في الأحياء الفقيرة للسود (القيتوز) حيث استطاع أن يجذب إليه ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص قبل اختفائه المفاجئ بعد أقل من خمس سنوات أي في العام ١٩٣٤م.

٣) إليجا محمد (١٨٩٧-١٩٧٥م) [١]

خليفة والاس دي فارد ويعتبر المؤسس الحقيقي لحركة أمة الإسلام وهي حركة عنصرية بدأت إسلامية التوجه خلال سنواتها الأولى إلا أنها سرعان ما كشفت عن وجهها الحقيقي الذي لا يمت للدين الحنيف بصلة.

ادعّى إليجا لنفسه الرسالة وادعى لفارد الربوبية وراح يحرف في تعاليم الدين الحنيف كيفما شاء بادعاء أنه رسول فارد الذي بعثه ليكمل الرسالة. ظل يدعو لتوحيد السود في أمريكا تحت راية حركته وإقامة دولة مستقلة لهم داخل كيان الولايات المتحدة من خلال اقتطاع عدد من الولايات وتخصيصها لهم.

١) المعروف أن إليجا هو اسم أحد الأنبياء اليهود وقد عاش في القرن التاسع قبل الميلاد حسب الموسوعة العالمية.

٤) فرانكلين روزفلت (١٨٨٢-١٩٤٥م)

الرئيس الثاني والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية (١٩٣٣-١٩٤٥)، لم تمنعه إعاقته (إصابته بالشلل عام ١٩٢١م) من أن يتقلد منصب الرئيس لأقوى دول العالم. أظهر تعاطفاً واضحاً تجاه السود وتحققت لهم في عهده مكاسب دستورية هامة كما وقفت إلى جانبه زوجته إلينور روزفلت التي عملت سفيرة للولايات المتحدة في الأمم المتحدة وتعتبر الواضع الرئيسي لوثيقة حقوق الإنسان (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) الذي جاء في ديباجته الرئيسية أن الناس جميعاً بغض النظر عن ألوانهم ومعتقداتهم ومواطنهم متساوون في حقهم في الحياة الحرة الكريمة والعدل والمساواة والكرامة وفرص العمل. حيث شغلت السيدة إلينور منصب رئيس اللجنة التي قامت بصياغة الوثيقة.

٥) الرئيس الأمريكي جون كنيدي (١٩١٧-١٩٦٣م)

الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة . يعتبر من أبرز رموز الحلم الأمريكي بعالم تسوده مبادئ الحرية والديمقراطية والعدل والمساواة وتقوده أمريكا . دخل التاريخ من أوسع أبوابه بسبب مناصرته للسود وانحيازه لحقهم العادل في الحصول على العدل والمساواة والحقوق المدنية الكاملة كمواطنين أمريكيين فدفع حياته ثمنا لذلك إذ مات مقتولا في مشهد أليم نقلته أجهزة التلفاز في مختلف أنحاء العالم عندما كان في زيارة رسمية لمدينة دالاس الأمريكية ولم يتم التعرف على القاتل الحقيقي له.

ولعله من المهم من الإشارة إلى أن جون كنيدي كان أول رئيس أمريكي ينتمي لطائفة الكاثوليك الأيرلنديين ويعتبر من أصغر الرؤساء الأمريكيين سنا وإن لم تستمر فترته الرئاسية إلا ثلاث سنوات فقط (١٩٦٠-١٩٦٣م) وغداة تنصيبه علّق شقيقه روبرت كنيدي بأنه وخلال ثلاثين عاماً سيتمكن أمريكي أفريقي من الفوز واحتلال هذا المنصب لكن هذا التوقع استغرق حوالي خمسين عاماً قبل أن يتحقق.

في العام ١٩٦٤م تم إقرار قانون الحقوق المدنية الذي أنهى نظام التفرقة العنصرية في الولايات المتحدة وقد وقعه الرئيس الأمريكي ليندون جونسون وفاءً وعرفاناً لما قدمه الرئيس كنيدي وتخليدا لذكراه.

وفي العام ١٩٦٨ لقي روبرت كنيدي (١٩٢٥- ١٩٦٨م) الشقيق الأصغر للرئيس جون كنيدي مصرعه أيضاً بسبب مناصرته للسود.

٦) الرئيس الأمريكي ليندون جونسون (١٩٠٨-١٩٧٣م)

الرئيس السادس والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٦٣-١٩٦٩م)، تولى الرئاسة بعد مصرع جون كنيدي. حصل الأفروأمريكانز في عهده على مكاسب لم يحصلوا على مثلها في عهد أي رئيس آخر مما جعله الأقرب إليهم والأكثر شعبية في أوساطهم حتى الآن ولم ينافسه في ذلك إلا الرئيس بيل كلينتون.يكفي أنه من أصر على المضي قدماً في توقيع قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤م برغم ما صادفه من عراقيل وعوائق.

٧) مالكولم إكس (١٩٢٥- ١٩٦٥م)

اهتدى إلى الإسلام وهو في السجن وكان قد عاش طفولة معذبة بسبب اغتيال والده على يد مجموعة من البيض عندما كان مالكولم في السادسة وإيداع والدته السجن وهو في الثامنة بسبب متاجرتها في المخدرات، ثم إحالتها بعد فترة وجيزة إلى

مصحة للأمراض العقلية حيث أمضت الستة والعشرين عاماً الأخيرة من حياتها في عزلة تامة حتى وفاتها بالمصحة.

ترك المدرسة برغم نبوغه وتفوقه بسبب إساءة وجهها له أحد الأساتذة البيض فانزلق إلى عالم الإجرام قبل أن يبلغ السادسة عشرة. بعد خروجه من السجن وانضمامه إلى حركة أمة الإسلام. قام بإسهامات كبيرة في انتشار الحركة وزيادة عضويتها حتى ليقال أن من اجتذبهم للحركة بلغ عددهم مئات الآلاف. امتدت شهرته إلى مختلف أنحاء العالم وأصبح الكثيرون ينظرون إليه باعتباره زعيم الثورة السوداء وأميرها بسبب آرائه الجريئة ومقدراته الخطابية الفائقة.

عاصر الدكتور **مارتن لوثر كنج** زعيم حركة الحقوق المدنية للأمريكيين السود خلال حقبة الخمسينات والستينات من القرن الماضي وكان الاختلاف الأساسي بين الرجلين أن مالكوم كان من دعاة الانتفاضة الشعبية واستخدام سلاح العنف والقوة للحصول على الحقوق المدنية أو الانفصال عن الولايات المتحدة في حين كان لوثر من دعاة التعايش السلمي والاندماج مع البيض بأي شروط يضعونها لذلك كان ينتهج أسلوب المسيرات السلمية والمقاطعة أي النهج التصالحي وليس المواجهة للقوة بمثلها. اغتيل **مالكولم** عندما كان يلقي محاضرة وعمره أربعون عاماً.

٨) لويس فراخان (١٩٣٣م ما يزال على قيد الحياة)

أحد وزراء **إليجا محمد** وأكثرهم شهرة بعد **مالكولم ووارث الدين** (ابن **إليجا محمد** الذي خلفه في قيادة الحركة) ـ سياسي من الطراز الأول وشخصية مثيرة للجدل وخطيب مفوه وعازف ماهر على آلة الكمان. انضم إلى حركة أمة الإسلام بإيعاز من **مالكولم إكس**. نظم مسيرة المليون رجل أسود في واشنطن العاصمة في أكتوبر ١٩٩٥م التي تعتبر أكبر مسيرة سلمية جمعت فقراء أمريكا وكانت لها نتائج واضحة فيما يتعلق بالنظرة الرسمية والشعبية تجاه السود إذ أظهرتهم كقوة لها وزنها في العملية الانتخابية (٨ -١٠ مليون ناخب). فكانت تلك المسيرة نقطة تحول هامة في التاريخ الأمريكي كما أكدت بشدة على أن إقرار قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤م لم يحقق للسود ما يصبون إليه.

نازع الإمام **وارث الدين** الخلافة بعد وفاة **إليجا محمد** ودامت القطيعة بين الرجلين أكثر من ٢٥ عاماً حيث قاد **فراخان** الفصيل المنشق واختار السير بجماعته على النهج الذي اختطه للحركة **إليجا محمد** وهو الصورة المشوهة التي لم تأخذ من الإسلام إلا اسمه وبعض شعاراته. عاد إلى جادة الطريق بعد المصالحة مع **وارث الدين** في ٢٦ فبراير ٢٠٠٠م.

٩) الدكتور مارتن لوثر كنج (١٩٢٩-١٩٦٨م)

راهب مسيحي وزعيم حركة الحقوق المدنية خلال حقبة الخمسينات والستينات من القرن الماضي. حصل على الدكتوراه في القانون كما حصل على جائزة نوبل للسلام.

كان من دعاة اندماج السود في الحياة الاجتماعية الأمريكية والتعايش السلمي مع البيض الأمريكيين، ومع ذلك فقد دخل السجن ثم اغتيل في أبريل ١٩٦٨م بمدينة ممفيس قبل أن يكمل الأربعين من عمره.

قاد المسيرة التي عرفت باسم الزحف الكبير أو (مسيرة الحرية) عام ١٩٦٣م التي شارك فيها حوالي ٢٥٠,٠٠٠ مواطن أمريكي، وألقى خلالها خطابه الشهير الذي بدأه بعبارة (عندي حلم) (I Have Dream) حيث قال: إنني أحلم باليوم الذي يعيش فيه أطفالي الأربعة في أمريكا حياة آمنةً مطمئنة يكون التقييم لهم ليس بلون بشرتهم لكن بقدراتهم، اعتبرت تلك المسيرة نقطة تحول هامة في التاريخ الأمريكي وحركة النضال من أجل الحقوق الطبيعية للسود الأمريكيين والذي توج في العام التالي (١٩٦٤م) بإقرار قانون الحقوق المدنية لجميع المواطنين الأمريكيين.

أما أهم المحطات التي كان لها تأثير واضح في حركة الأفرو أمريكانز من أجل الحصول على الحرية وإنهاء التمييز العنصري فهي:

١٨٠٨م: أصدر الكونجرس الأمريكي قرارا يمنع استيراد الرقيق من الخارج لكنه لم يحرّم الرق.

مع حلول العام ١٨٦١م: كانت ١٩ ولاية من ولايات الشمال والغرب قد حرمت الرق امتثالا لقرار الكونجرس بينما استمرت ١٥ ولاية من ولايات الجنوب في تحليله.

١٨٦١م: وافق الكونجرس على منح السود حق الخدمة في الجيش الأمريكي لأول مرة كمجندين رسميين.

١٨٦٢م: أصدر الرئيس **لنكولن** القرار التاريخي بتحرير الرقيق في الولايات الاتحادية ليدخل القرار حيز التنفيذ اعتبارا من أول يناير ١٨٦٣م وكانت الحرب الأهلية الأمريكية ما تزال على أشدها وقتها.

١٨٦٥م: انتهت في إبريل ١٨٦٥م الحرب الأهلية بانتصار ولايات الشمال وتحريم الرق في كافّة الولايات الأمريكية مع المصادقة على التعديل الثالث عشر للدستور.

١٨٦٨م: شهد التعديل الرابع عشر للدستور الأمريكي الذي أقر بأن جميع السود المولودين في أمريكا والذين تجنسوا بجنسيتها هم مواطنون أمريكيون، كما سعى هذا التعديل لحماية حقوقهم الطبيعية لكنه مهد الطريق لنظام المعاملة المتساوية إنما المنفصلة، أي أن يكون للسود مدارسهم الخاصة وكنائسهم الخاصة والفصل بينهم والبيض في المركبات العامة.

١٨٧٠م: تم التصديق على التعديل الخامس عشر الذي قضى بتحريم التمييز في الاقتراع على أساس العرق واللون.

١٨٩٦م: ظهور الاصطلاح الجديد (المعاملة المنفصلة لكن المتساوية) (بصورة أكثر وضوحاً من خلال قضية **هومر أدولف** الذي كان نصف أسود، وقد خسر **هومر** الدعوى عندما صادقت المحكمة العليا على الحكم ضده بالسجن لجلوسه في مقعد بقطار حيث كانت القاعد مخصصة للبيض فقط.

الملاحظة المهمة هنا أن معظم القرارات الصادرة من الرؤساء الأمريكيين المتعاطفين أمثال **أيزنهاور** أو من الكونجرس أو المحاكم الفدرالية والتي اعتبرت مكاسب للسود لم تجد طريقها للتنفيذ على أرض الواقع إما بسبب الرفض لها أو التحايل عليها وتأويلها بالصورة التي يريدها أنصار الرق والتمييز العنصري ولذلك فقد بقي تقدم النضال السياسي للسود بطيئا، وظلت مشاركتهم في الحياة السياسية ومؤسسات التعليم والخدمة المدنية أو حتى في العملية الانتخابية متدنية للغاية، فيما ظل التمييز ضدهم في الإسكان والتعليم والمواصلات وحتى دور العبادة قوياً وفعالاً.

١٩٠٨م: إنشاء (الجمعية الوطنية لتقدم الملونين).

١٩١٠م: تم إنشاء الرابطة الوطنية للتحول الحضري، ومشاركة عشرات الآلاف من الأفروأمريكانز في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) إلى جانب قوات الحلفاء في أوروبا وخاصة في الدفاع عن الأراضي الفرنسية التي اجتاحتها قوات المحور بقيادة ألمانيا، والمعاملة الإنسانية الكريمة التي وجدها السود هناك فتحت العيون أكثر لضرورة تغيير النظرة والمعاملة لهم في أمريكا كما زادت درجة الوعي والمطالبة بالحقوق المدنية المهضومة لهم.

١٩١٧-١٩٢٧م: هذه الحقبة تعتبر وبلا جدال هي حقبة الشاعر الجامايكي الأصل **ماركوس قارفي** الذي أسس (المنظمة العالمية لتقدم الزنوج) في ١٩١٦م بهارلم (نيويورك)، ويعتبر **قارفي** عند الكثيرين أول من أسس للعمل السياسي المنظم لحركة الحقوق المدنية للسود الأمريكيين وغير الأمريكيين.

١٩٣٠-١٩٦٠م: حقبة حركة أمة الإسلام التي أسسها فارد محمد في ديترويت ثم طورها وحرّف تعاليمها خليفة **إليجا محمد** ونقل مقرها إلى شيكاغو.

١٩٤٨: أصدرت المحكمة العليا قراراها بعدم قانونية التمييز العنصري في القوات المسلحة. وفي ذلك التاريخ كانت تسعة وعشرون ولاية من أصل ٤٨ تمنع الزواج بين السود والبيض كما كانت أغلب المدارس تمارس الفصل بين الطلاب السود والبيض إذا لم تكن تمتنع عن قبول الطلاب السود، ولم يكن يسمح إلا لقلة قليلة من السود بالتصويت في الانتخابات ناهيك عن الترشيح.

١٩٥٤م: أصدرت المحكمة الفدرالية العليا قرارها بعدم شرعية التمييز العنصري في المدارس الحكومية من خلال الفصل في القضية الشهيرة التي عرفت باسم (**براون** ضد مجلس التعليم في كنساس) حيث جاء القرار في مصلحة السيد **براون** وهو أمريكي أسود.

١٩٥٥م: شهد انطلاقة حملة المقاطعة للحافلات في مدينة مونتجمري (ألباما) التي استمرت عاماً كاملاً في أعقاب اعتقال الحائكة السوداء **روزا باركس** التي رفضت إخلاء مقعدها في الحافلة لرجل أبيض فأشعلت بذلك شرارة المقاطعة للحافلات والانتفاضة السوداء.

١٩٥٥-١٩٦٨م: حقبة **مالكولم إكس** و**جون كنيدي** و**مارتن لوثر كنج** و**محمد علي كلاي**. تعتبر الحقبة الأكثر إثارة وثراء في تاريخ حركة النضال في العالم أجمع من أجل التحرر من جميع أشكال الاستعمار ومن أجل المساواة. كما شهد الجزء الأخير من هذه الحقبة سفري لأمريكا لأول مرة وإقامتي فيها خمسة أعوام حيث حصلت على درجتي الماجستير والدكتوراه.

١٩٥٦م: وبعد مرور حوالي عام على حملة مقاطعة الحافلات التي قادها **مارتن لوثر كنج** قررت المحكمة العليا أن قانون التمييز في حافلات المدينة غير دستوري. ومعروف أنه وحتى ذلك التاريخ لم يكن مسموحا للسود بالجلوس في مقاعد الحافلات بل إن الحافلات في معظم الولايات الجنوبية كانت مقسومة لقسمين منفصلين الأمامي منها للبيض والخلفي للسود والملونين.

١٩٥٧م: تحدّت الطالبة **اليزابيث ايكافورد** البالغة من العمر ١٥ عاماً حشداً من الغوغاء البيض الذين كانوا يهتفون (أعدموها، اقتلوها) في أول يوم لها بالمدرسة الثانوية المركزية في ليتل روك (أركنساس)، عندما كانت تحاول مع ستة طلاب سود آخرين دخول المدرسة التي كان كل طلابها من البيض، مما اضطر الرئيس الأمريكي **آيزنهاور** للتدخل وإرسال قوة من المظليين لتمكين الطلاب السود من دخول المدرسة التي تم قبولهم بها.

١٩٥٦-١٩٥٧م: ظهرت منظمات جماهيرية سوداء كانت لها إسهامات فاعلة لقيت دعماً كبيراً من الرئيس الأمريكي **آيزنهاور** وزوجته **إلينور** المتعاطفة مع حركة الحقوق المدنية للسود الأمريكيين.

١٩٦٠م: شهد بداية حملة (الجلوس احتجاجاً في الأماكن المخصصة للبيض بالمقاهي والمطاعم والحدائق العامة) وذلك في ولاية كارولينا الشمالية.

١٩٦٣م: قام أفراد من منظمة الكوكلوس كلان الإرهابية السرية المتطرفة (KKK) بإلقاء قنابل على كنيسة للسود في بيرمنجهام (ألباما) مما أدّى إلى قتل أربعة فتيات سود تتراوح أعمارهن بين ١١ ـ ١٤ سنة.

١٩٦٣م: شهد أيضاً فصل ٧٦ طالباً أسود من جامعة (كليفورنيا بركلي) بدعوى أنهم زعماء الحركة ضد التمييز العنصري.

١٩٦٣م: الذي كان حافلاً بالأحداث شهد أيضاً (مسيرة الزحف الكبير) أو (مسيرة الحرية) التي قادها **مارتن لوثر** والتي جاءت لتقول للإدارة الأمريكية وللعالم أجمع إن السود لم يحصلوا على حريتهم ناهيك عن حقوقهم بعد مائة عام و٢٤٠ يوماً على إصدار قانون تحريرَ الرقيق، وأصل فكرة المسيرة يعود لاقتراح من السيد فيليب داندولف رئيس رابطة عمال عربات النوم بالقطارات. شهد هذا العام أيضاً اغتيال الرئيس الأمريكي **جون كنيدي**.

١٩٦٤م: وافق الكونجرس بعد مداولات طويلة جدا على قانون الحقوق المدنية الذي اعتبر انتصاراً تاريخيا لحركة النضال ضد التفرقة العنصرية، كما لعب الرئيسان **كنيدي** و**جونسون** دوراً بارزاً في إجازة هذا القانون. ولعله مما يجدر بالذكر أن السناتور الجمهوري المتعصب للتمييز العنصري **روبرت سي بيرد** ألقى خطاباً في إحدى الجلسات المخصصة لمناقشة هذا القانون استمر من السابعة و٣٨ دقيقة مساء حتى التاسعة وإحدى وخمسين دقيقة من صباح اليوم التالي (أي لأكثر من ١٤ ساعة متواصلة) ضاربا بذلك رقماً قياسياً يصعب تحطيمه حيث استمرت المناقشات للقانون في الكونجرس ٨١ يوماً.

١٩٦٥م: في ٧ مارس١٩٦٥م الأحد الدامي حيث استخدمت قوات الأمن ومكافحة الشغب الهراوات ومن ثم الرصاص للتفريق بين المشاركين في مسيرة سيلما (ألباما) المتجهة إلى مونتجمري التي نظمتها السيدة **أيليا بوينتون** وزوجها وشارك فيها **مارتن لوثر** وزعماء آخرين، وكتتت لإعطاء السود حق التصويت، وقد شهدت سيلما ثلاث مسيرات لنفس الغرض كان أ ولها في ١٩٦٣م.

١٩٦٥م: وافق الكونجرس على قانون يجيز توسيع حق الاقتراع للسود في الجنوب.

١٩٦٥م: شهد انفجار الحي الزنجي في لوس أنجلس (حي واطس).

١٩٦٦م: ظهرت حركة الفهود السود في أوكلاند (كاليفورنيا) التي أسسها طلاب من جامعة أوكلاند لمقاومة الشرطة والتصدي لقمعها لهم وأصبح لها أكثر من ٣٣ فرعاً وقد تعرضت قيادات الحركة لحملة اغتيالات طالت أكثر من ثلاثين منهم.

١٩٦٦م: تم عقد (مؤتمر المساواة العنصرية) وظهر **ستوكلي كارمايكل** كأبرز دعاة القوة السوداء التي تدعو لاستخدام لغة العنف والقوة ضد البيض.

١٩٦٧م: حدثت ٨٠ فتنة عنصرية استخدمت فيها فرقة مظلات عسكرية لتهدئة الأوضاع في ديترويت.

١٩٦٨م: اغتال رجل دين أبيض يدعى (**جيمس إيرل**)، زعيم حركة الحقوق المدنية الدكتور **مارتن لوثر** في ممفيس (تنسي) فاندلعت ثورة شملت ١٥٣ مدينة أمريكية ولم يتم التعرف على الجاني (**جيمس إيرل**) الذي أفلت من الجزاء.

١٩٦٨م: أجبرت هذه الموجة المشرّعين الأمريكان على تبني قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٨م الذي ألغى التمييز العنصري في البيع والشراء وإيجار المساكن.

١٩٦٩-١٩٧٠: شملت عمليات السود ١٩٠ مدينة أمريكية واستخدمت في قمعها الدبابات وطائرات الهليكوبتر والسيارات المصفحة.

١٩٦٩-١٩٧٤: كسبت السياسة العنصرية ضد السود نصيراً كبيراً في البيت الأبيض هو الرئيس الأميركي **ريتشارد نيكسون** الذي تقلد الرئاسة خلال تلك الفترة ثم اضطر للاستقالة بسبب فضيحة وترقيت الشهيرة.

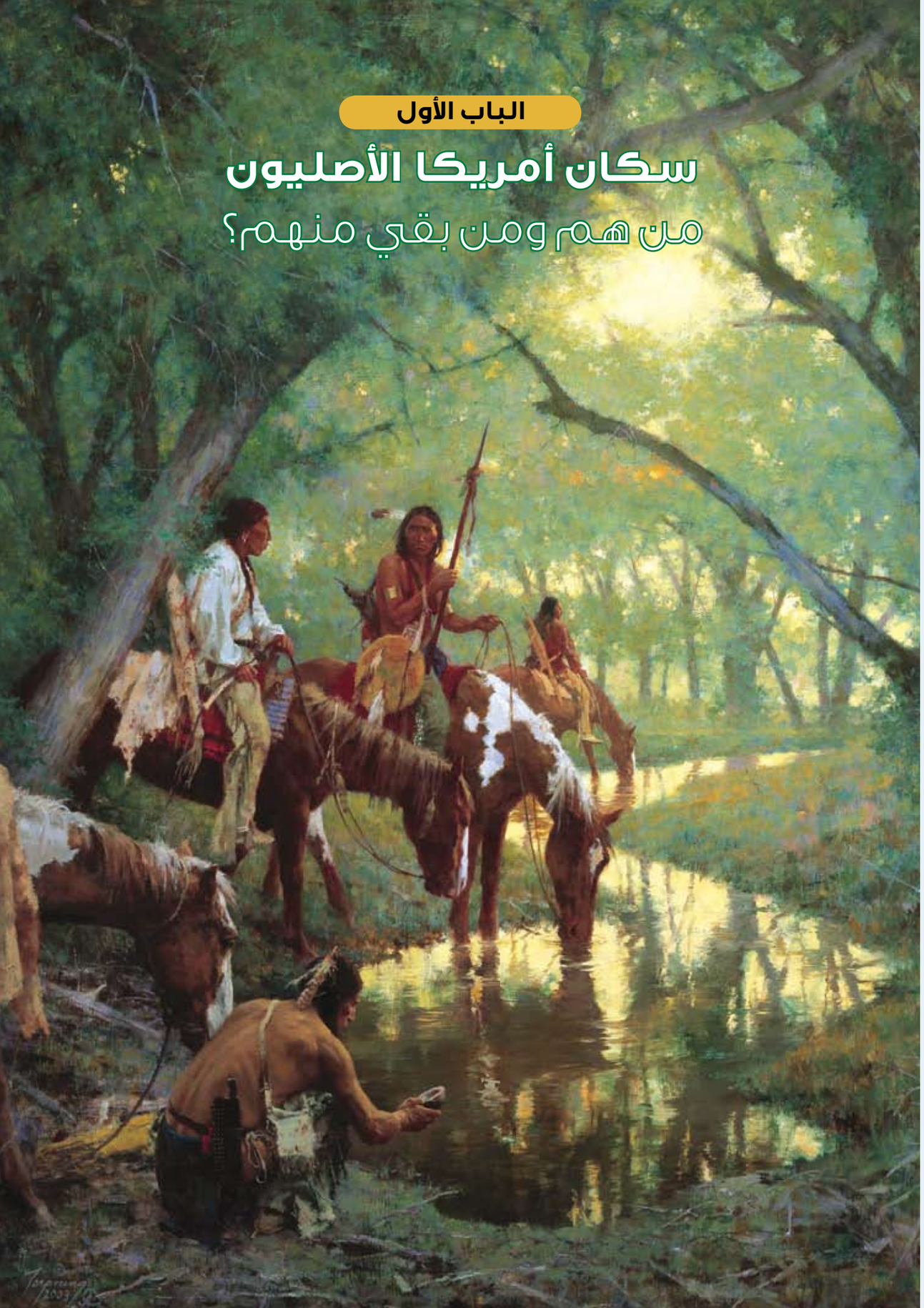

الباب الأول

سكان أمريكا الأصليون

من هم ومن بقي منهم؟

١٩٧٢م: ارتفع عدد أعضاء الكونجرس من السود إلى ١٦ عضواً كما زاد عدد رؤساء البلديات منهم برغم الردة أو الانتكاسة التي شهدتها حركة الحقوق المدنية خلال الجزء الأكبر من فترتي الرئيسين الجمهوريين **نيكسون** وريغان الذي قام بقطع الأموال عن برامج المساعدات الاجتماعية وبرامج التدريب المهني للعاطلين وهي البرامج التي تستفيد منها بالدرجة الأولى شرائح كبيرة من الأفرو أمريكانز. وهنا لابد من الإشارة إلى أن الحزب الديموقراطي الأمريكي ظل هو الحزب الذي اضطلع تاريخياً بمسؤولية القضاء على ظاهرة الرق وثقافة التمييز العنصري مما جعله الأقرب دائما للجماهير السوداء الكادحة هذا إذا استثنينا فترات الرئيسين **لنكولن** و**كنيدي**.

١٩٧٢م: اعترف وزير الدفاع الأمريكي **ميلفن ليرد** بوجود تمييز منظم وموجه ضد السود في القوات المسلحة الأمريكية سواء بالنسبة لاستخدامهم في الأعمال الخطرة (وبالتالي ارتفاع نسبة قتلاهم في ميادين القتال) أو بالنسبة لموقعهم المتردي في الهرم القيادي للقوات المسلحة الأمريكية عامة.

السفير أندرو يونج المندوب الدائم لأمريكا في الأمم المتحدة وهو أعلى منصب يشغله أسود حتى الستينات من القرن الماضي

١٩٧٦-١٩٨٠م: فترة رئاسة **جيمي كارتر** (لرئيس التاسع والثلاثون للولايات المتحدة وحاكم ولاية جورجيا السابق) كان يتمتع بصفات جعلته مقرباً من رجل الشارع العادي والسود خاصة، كما قام باختيار بعض السود لشغل مناصب استشارية هامة ولعل أشهرهم هو **أندرو يونج** (مساعد **مارتن لوثر كنج**) الذي شغل منصب مندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة إلا أن الضغوط من الحركة الصهيونية العالمية دفعته للاستقالة لمجرد اجتماعه مع مندوب منظمة التحرير الفلسطينية في المنظمة الدولية.

١٩٧٩م: تمكن السود من إيصال ١٧٠ مرشح أسود لرئاسة البلديات إلا أن تأثيرهم ظل محدودا كما انطبق الشيء نفسه على النواب السود في الكونجرس الأمريكي (الخلية السوداء) بسبب الضغوط من بعض قادة اليهود وأنصار الحركة الصهيونية الذين ظلوا على الدوام يلعبون دوراً معادياً لتقدم السود سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

١٩٨٥-٢٠٠٠م: هي حقبة القس **جسي جاكسون** و**لويس فراخان** الذي نظم مسيرة المليون رجل أسود في واشنطن العاصمة في أكتوبر ١٩٩٥م والتي اعتبرت نقطة تحول هامة جداً في مسيرة حركة الحقوق المدنية وفي التاريخ الأمريكي الحديث حيث اكتسح المرشح الديمقراطي **بيل كلينتون** الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٩٦م لمناصرة السود له، إلا أن المسيرة كشفت وبصورة صارخة أيضاً حقيقة أن معاناة ومأساة السود من التمييز العنصري ما تزال مستمرة برغم صدور قانوني الحقوق المدنية لعامي ١٩٦٤و١٩٦٨م والتشريعات الأخرى الكثيرة التي رمت إلى التخفيف من حدة المشكلة العرقية مما يؤكد على حقيقة أن الشرخ العميق الموجود في جسم المجتمع الأمريكي ما يزال ينزف ويشكل تهديداً للأمن القومي الأمريكي.

سكان أمريكا الأصليون
من هم ومن بقي منهم؟

أكدت المصادر التاريخية والجيولوجية الموثقة على قيام تجمعات بشرية كبيرة سكنت هذه القارة منذ فجر التاريخ وغابر الأزمان فيما ذهبت بعض المصادر إلى القول بأن سلالات من البشر استوطنت القارة الأمريكية قبل ما يتراوح بين ٨ آلاف و٢٥ ألف سنة من ميلاد السيد المسيح[١].

ويقول أصحاب هذا الرأي: أن القارة الأمريكية كانت موئلاً لحضارة قديمة يعتقد أنها تعود وبالدرجة الأولى إلى الهنود الذين قدموا من قارة آسيا عبر مضيق (بيرنج ستريت)[٢] إلى كندا أولاً ومن ثم إلى بقية أنحاء القارة الأمريكية.

أما الموسوعة العربية العالمية فقد جاء فيها أن الهنود الحمر أو الهنود الأمريكيين وخلال مطارداتهم لحيوان الصيد كانوا يعبرون ذلك المضيق أحياناً وكان عرضه لا يتجاوز ٨٠ كيلو متراً[٣]. ولقد استوطن الهنود الأمريكيون في معظم جزر الهند الغربية والأمريكتين.

وفي العام ١٤٩٢م عندما عبر **كولمبوس** المحيط الأطلسي من إسبانيا خلال رحلة بحثه عن طريق أقصر يوصله إلى جزر الهند الشرقية، لم يكن الأوروبيون حتى ذلك الوقت يعرفون شيئا عن وجود الأمريكتين على الكرة الأرضية. فلما توقفت سفنه في ما يعرف الآن بجزر الكاريبي لم يكن يعرف أنه وصل إلى أرض جديدة (بالنسبة للأوروبيين) بل ظن أنه وصل إلى منطقة ما في الهند فكانت الصدفة المحضة هي التي قادته إلى اكتشاف الأمريكتين.

وتقول بعض المصادر التاريخية الموثقة أن الهنود الحمر كانوا ما يزالوا يعيشون حياة بدائية عند مجيء الرحالة الإيطالي **كولمبوس** إليهم بل وحتى بداية الحملة الاسبانية في العام ١٥٤٠م كما لم يروا أحداً من خارج عرقهم لعدة قرون. وعموما فقد بدأت أفواج المهاجرين الأوائل من الأوروبيين تتوافد إلى الأراضي التي هي الآن الولايات المتحدة مع بدايات القرن السادس عشر وكان مجيئهم بغرض إنشاء المستعمرات وطمعا في الثراء السريع أو هربا من حياة الفقر والاضطهاد، لذلك فقد قامت علاقات ودية بين الطرفين في بادئ الأمر لكن بعد أن أخذ المهاجرون يستولون على الأراضي بقوة السلاح وبشكل متزايد فقد بدأ القتال ينشب بين الجانبين بين الحين والآخر.

كان المهاجرون يريدون الثروة السريعة والأراضي الخصبة، وسرعان ما وضح للهنود أن الغزاة الجدد ليسو على استعداد للتفاهم أو التعايش السلمي وذلك بسبب الجشع ونظرة التعالي التي سيطرت عليهم وتعاملهم مع الهنود (السكان الأصليين) على أنهم جماعة من الهمج المتوحشين الذين لا يستحقون العيش في هذه الأرض المعطاءة حتى لو كانت هي في الواقع أرضهم وأرض أجدادهم وإن كان بها متسع للجميع.

---

١) المقال بعنوان (سكان أمريكا الأصليين: الهنود الحمر من أين أتوا قبل ٣٠ ألف سنة؟(لأحمد صادق دياب المنشور بمجلة الجديدة العدد رقم ٨٢٠ وتاريخ ١٠ ذو الحجة ١٤٢٢هـ ص ٨، ٩

٢) كما هو معلوم فإن لفظة (هندي(كانت تطلق على أي مواطن من شبه القارة الهندية وأيضاً على ساكني جزر الشرق الأقصى في جنوب شرق آسيا والمناطق المحيطة بها.

٣) الموسوعة العربية العالمية المجلد ٢٦ ص ٢٠٤.

حرب الإبادة الجماعية والتطهير العرقي

تعج كتب التاريخ بالعديد من المجازر التي ارتكبها الغزاة الأسبان وغيرهم من الأوروبيين بحق الهنود الحمر. الذين وجدوا أنفسهم مضطرين للقتال بكل ما يملكون. ليس دفاعاً عن النفس فحسب بل من أجل البقاء. ومهماً يكن وحسب الموسوعة العربية العالمية فقد أصبحت جزر الكاريبي منطقة خالية من الهنود الحمر اعتبارا من منتصف القرن السادس عشر الميلادي[١].

ولعلي أذكر في هذا الصدد قصة غريبة قرأت عنها في أكثر من مصدر وأعتقد أنها أثرت تأثيراً واضحاً على العقلية الأمريكية ككل، وقائع هذه القصة يقال أنها جرت في مدينة سيلم (Salem) (فرجينيا) في أواخر القرن السابع عشر وتحديدا في العام١٦٩٤م أي عندما كانت الولايات المتحدة ما تزال جنينا يتكون أو بعبارة أخري جمهورية تحبو وتتكون، وكانت سيلم وقتها قرية صغيرة شيدها مهاجرون من طائفة البيوريتان (The Puritans) أي الأطهار، وهي طائفة منشقة عن الكنيسة البروتستانتية في انجلترا تحرم الموسيقى والرقص.

وكانت الأدغال تحيط بهذه القرية والهنود الحمر فيها يمثلون شبحاً مخيفاً لسكان القرية من المهاجرين الذين قصدوا بلاد الأحلام بحثاً عن الحرية الدينية التي افتقدوها في بلادهم أو ما يعرف بالقارة العجوز.

وقد حدث ذات مرة أن قامت مجموعة من الفتيات المراهقات بممارسة الغناء والرقص المحموم ليلاً بجوار الغابة بعيداً عن أعين الأهالي المتزمتين ولدى افتضاح أمرهن تظاهرت الفتيات بالجنون وأن سحراً أزرق قد ركبهن بفعل فاعل أو أرواح شريرة أطلقها الهنود الحمر عليهن. وخوفا من البطش والعقاب فقد وجهن أصابع الاتهام للهنود الحمر بل أحسنّ الاختيار بتوجيه الاتهام للمساكين ومن لا حيلة لهم بدعوى أنهم يهاجموهن روحياً ويؤثرون على تصرفاتهن. ولما كانت عقوبة ممارسة السحر والشعوذة هي القتل شنقاً أو رجماً، فقد راح كثير من الهنود الحمر ضحية لمثل هذه الادعاءات الباطلة التي بدأت باللهو والترفيه ثم ما لبثت أن انقلبت إلى مآسي وأعمال تعذيب وقتل. فكان جزاء كل من وجهت له الفتيات أصابع الاتهام أن يزج به أياماً في السجن ثم يعدم بعد ذلك دون محاكمة رسمية أو عادلة.

وبالطبع فقد استغل بعض الانتهازيين الفرصة وحرضوا بناتهم لتصفية الخصوم. ولما كان الأمر سهلاً والمجتمع يؤمن بالدجل والخرافات فقد انتشرت الظاهرة سريعاً، فما عليك إلا التظاهر بأن (فلاناً) الذي لا يعجبك أو ينافسك أو لديك معه مشكلة أرض يحاول السيطرة عليك روحياً لتتم تصفيته، حتى ليقال أن عدد الضحايا في شهر واحد فاق المائة برغم إنشاء محكمة صورية لم تزد الطين إلا بلة كما يقولون.

المهم أنه تم اكتشاف الأمر بعد خراب مالطة، إذ كان ذلك هو أول درس يقدمه العالم الجديد لكيفية تصفية الخصوم السياسيين وممارسة صيد الإنسان لأخيه الإنسان بأساليب قذرة ولتحقيق ما أصبح يعرف بالتطهير العرقي. وبعد ذلك بدأ الأمريكيون في إصلاح القوانين والمحاكم ليحدث تحول كبير في مجتمع الغابة المتخلف الذي تحكمه عقلية الكاوبوي (راعي البقر) إلى آخر مجتمع ديمقراطي متحضر.

لكن المأساة تتكرر بشكل أو بآخر بين الحين والحين، ولعلنا نذكر الحملة التي قادها السناتور (مكارثي) في أوائل الخمسينات من القرن الماضي مدعياً أن المجتمع الأمريكي أصبح يعج بالشيوعيين وأن بعض ضباط الجيش وقادة العمل عملاء للروس، ولقد طال هذا الاتهام العديد من الأفرو أمريكانز بالطبع ولم يسلم منه حتى **مارتن لوثر كنج** ومالكوم إكس. ولعل ما تم من تصفيات وقتها كان يشبه إلى حد كبير حادثة (سيلم) وإن اختلفت المعطيات والضحايا.

---

١) المجلد ٢٦ ص ٢٠٤.

ومع الإعلان عن تشكيل الولايات المتحدة الأمريكية اعتقد بعض الهنود الذين كانوا قد اندمجوا في الحياة الاجتماعية للبيض أن هذا الإعلان يعتبر نصراً لهم كمواطنين أمريكيين وأنه سيترتب عليه حصولهم على كامل حقوق المواطنة. ولكن سرعان ما عرفوا أن أحلامهم لم تكن سوى سراب. فقد تم تجميعهم من كل فج عميق ليكون مصيرهم النفي إلى مناطق نائية وغير صالحة للعيش أو غير مرغوب فيها بالنسبة للبيض عامة.

وعندما حصلت الولايات المتحدة على استقلالها عن التاج البريطاني في العام ١٧٧٥م قامت الحكومة الجديدة بعقد معاهدات مع الهنود الحمر وبموجبها تعهدت القبائل الهندية بالعيش في سلام مع المهاجرين كما تعهدت بالاعتراف بالتشريعات التي تصدرها الإدارات الأمريكية وتنازلت كل قبيلة عن الكثير من أراضيها وفي المقابل وعدت الحكومة الفدرالية بدفع تعويضات نقدية وتوفير الحماية لهم.

إلا أن هذه المعاهدات تعرضت للانتهاك بسبب تغوّل الأوروبيين على أراض خصصت للهنود مما نتج عنه حروب كثيرة. ثم أصدرت الحكومة الأمريكية قانوناً يقضي بترحيل من بقي من الهنود من الأماكن المخصصة لهم وتوطينهم في غرب الولايات المتحدة لإعطاء الأرض للمهاجرين. وحسب الموسوعة العربية العالمية فقد هجّرت الحكومة الأمريكية خلال عشرة سنوات أكثر من ٧٠ ألف هندي أحمر عبر نهر ميسوري فمات كثير منهم في الطريق الطويل الشاق نحو الغرب وعرفت هذه الرحلة في كتب التاريخ برحلة الدموع[١]. ومرة أخرى وقبل أن ينقضي وقت طويل أخذ المهاجرون في الاندفاع نحو الغرب متوغلين في الأراضي المخصصة للهنود حتى وصلوا المحيط الهادي. وتدخلت الإدارة الأمريكية مرة أخرى حيث قامت بتخصيص مناطق حجز منفردة للهنود في أماكن متفرقة.

هكذا استقر من بقي من الهنود الحمر في هذه المواقع المحجوزة وعاشوا فقراء معدمين. وقد اضمحل عددهم كثيراً فبعد أن كان تعدادهم أكثر من مليون نسمة قبل الاتصال بالأوروبيين انخفض العدد إلى حوالي ٣٠٠ ألف بعد ذلك الاتصال. وفي أمريكا اللاتينية حيث كان يعيش عدد من الهنود يتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ مليون عند بداية الاجتياح الأوروبي فقد انقرضت قبائل بأكملها ولم يبق لها أثر.

فهناك حتى اليوم من الهنود الحمر من يعيش كما كان يعيش آباؤهم الأولون وتحاول معظم أقطار الأمريكتين الآن إعطاء شعوبها الهندية حقوقها المدنية المسلوبة وفرصاً كالآخرين إلا أن النعرة العنصرية التي ما تزال تخيم على عقول الكثير من البيض وعدم رغبة بعض الهنود في الاندماج في الحياة العصرية لمجتمعاتهم جعلا معظم الهنود يقفون حتى الآن خارج التيار الرئيسي لمجتمعاتهم.

وحسب أحدث الإحصاءات المتوفرة لدي فإن كندا تحتضن حالياً حوالي ٣٥٠,٠٠٠ هندي وهم مسجلون كهنود في إدارة الشؤون الهندية. أما الولايات المتحدة فيوجد بها حوالي١,٤٠٠,٠٠٠ هندي أحمر لهم الحق في أن يعيشوا حيثما شاءوا وكيفما أرادوا. كما وضعت برامج وخطط لتحسين المستوى المعيشي والاقتصادي لهم في المناطق المحجوزة خاصة. وكانت قد قامت جمعيات هندية في الستينات من القرن العشرين طالبت بالحصول على الحقوق الاقتصادية والسياسية المهضومة للهنود الحمر حتى ولو أدى ذلك لاستخدام القوة للحصول على الحقوق ومن هؤلاء الجماعة المعروفة بالقوة الهندية (The Indian Power).

تظاهرة للهنود الحمر

١) المجلد ٢٦ ص ٢٠٧.

دخول الإسلام والمسلمين الأراضي الأمريكية

هناك من يقول: أن الإسلام وصل إلى القارة الأمريكية على يد الرقيق المخطوفين من غرب أفريقيا. فيما يرى آخرون أن الرواد الأوائل كانوا من **الالموريسكيين** (The Moriscoes)[١] الذين اصطحبهم الرحالة الإيطالي **كولمبوس** معه في رحلته الأولى عام ١٤٩٢م على ظهر السفينة **سانتا ماريا**. إلا أنني لا أميل كثيراً لهذا الرأي والذي تفنده أيضاً العديد من الشواهد التاريخية، فهناك من الآثار والنقوش العربية والإسلامية في مناطق من البرازيل والمكسيك الحاليتين ما يؤكد أن العرب والمسلمين وصلوا إلى تلك البقاع قبل **كولمبوس** بعشرات وربما مئات السنين، وإن كان المرجح أنهم سلكوا طريقاً غير الذي سلكه **كولمبوس** إذ كانت وجهتهم شرقاً عبر المحيط الهندي مروراً بجزر الهند الشرقية ومن ثم وعبر المحيط الهادي إلى الدنيا الجديدة.

وحسب بعض المصادر التاريخية فقد سلك الرحالة العربي **ماوي** ـ والذي يعود موطنه الأصلي إلى ليبيا الحالية ـ هذا الطريق ووصل إلى أمريكا الشمالية في العام ٢٣٢ قبل الميلاد ولعل ما يؤيد ذلك أن وجدت في المكسيك تحديدا نقوش تعود لذلك التاريخ (٢٣٢ ق.م) مكتوبة باللغة العربية. ولعل هذا هو سبب وجود كلمات عربية في لغات الهنود الحمر (سكان أمريكا الأصليين). كما حكى **كولمبوس** نفسه في سجل يومياته أن بعض الهنود الحمر المكسيكين كانوا يرتدون العمامة كنوع من الوجاهة. ومعروف أن العمامة هي زى عربي إسلامي صرف.

وكتب أيضاً أنه وفي الطريق إلى العالم الجديد توقف في جزيرة يسكنها أقوام لهم أشكال غريبة، فرجالهم كانوا سمر البشرة سود العيون والشعر. ونساؤهم كن يغطين رؤوسهن ووجوههن فلا يكاد يظهر منهن شيء. وأنهن عموماً يشبهن وإلى حد كبير نساء **الالموريسكيين** اللائي كان قد شاهدهن في اسبانيا قبيل مغادرته لها.

ولعل هذا الاعتراف الصريح يقف دليلاً على صحة رواية المؤرخ العربي المسلم **العمري** [٢] التي أشار فيها إلى أن أول مهاجر أفريقي مسلم وصل إلى العالم الجديد هو **منسا أبو بكر** من مملكة مالي القديمة.

ويؤكد **العمري** في كتابه أن **منسا** وصل إلى منطقة خليج المكسيك واستقر فيها عام١٣١٢م أي قبل وصول كولمبس إلى الأرض الجديدة بأكثر من ١٨٠ عاماً. وقد حظيت هذه الفرضية باهتمام واسع من قبل الباحثين والمؤرخين وعلماء الإنثربولوجي (الآثار). هذه الرواية وغيرها تؤكد حقيقة أن المسلمين وصلوا إلى الدنيا الجديدة قبل **كولمبوس**. هذا علاوة على قصة الأفريقي المسلم **كونتا كنتي** الذي وردت أكثر من إشارة له في كتاب الجذور لـ **إليكس هيلي** الذي تم تصويره سينمائيا.

أما الدكاترة **حسان حتحوت**، **صفي الدين حامد** والقس **إكرام لمعي** فلهم رأى مفاده أن أول صلة للإسلام بأمريكا لم تكن مجرد محاورة بل كانت وجوداً حقيقياً. ويمضون إلى القول (وكان المصدر لهم هو غرب أفريقيا. ونقرأ في أدبيات حركات الأفروأمريكانز أن عناصر من المسلمين قد نزحت بطريقة أو بأخرى مع **كريستوفر كولمبوس** أو حتى قبله في أوائل القرن الخامس عشر).

١) استخدمت هذه الكلمة في الإشارة إلى المسلمين الذين عاشوا في الأندلس قبل وبعد سقوط غرناطة التي كانت آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس وقد تظاهروا بالتنصر حيث كان أمام أي فرد مسلم أحد خيارين إما الجلاء عن اسبانيا أو اعتناق المسيحية ومن اختار غير ذلك فقد كان مصيره السجن والموت، لكنهم ظلوا يمارسون شعائرهم الإسلامية سراً إلى أن تم إجلائهم نهائيا خلال عملية الطرد الجماعي للموريسكيين في عام ١٦١٠م وكان عددهم حوالي ثلاثمائة ألف. هاموا على وجوههم ولم يجدوا بلداً يأويهم، بسبب اتهامهم بالتنصر وعدم معرفتهم باللغة العربية، إلا تونس وإسطنبول التي استقبلت أعداداً محدودة جداً فيما لقي الآلاف مصرعهم في الطريق.

٢) ابن فضل الله العمري صاحب كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأسمار) والذي أعيد نشره بالقاهرة عام ١٣٤٢هـ، كما تمت ترجمته ونشره بالفرنسية في باريس عام ١٩٢٧م.

ويستطرد مؤلفو الكتاب قائلين: (لكن ما يمكن أن نسميه موجة منهم لم توجد إلا عندما ذهب الأوروبيون أفواجاً إلى العالم الجديد ليستوطنوا هناك ويضيفوا إلى بلادهم الأوروبية امتدادات جديدة بدأت في شكل مستعمرات فدويلات ثم دولاً أهمها الولايات المتحدة).

أما عن رحلة المغامر المسلم **خشخاش** التي اختلف الناس حولها كثيراً ما بين مؤيد ومعارض فالمرجح عند المؤيدين. وهم الأكثرية. أنها تمت قبل عام٩٤٣م أي العام الذي بدأ فيه **المسعودي** تأليف كتابه (أخبار الزمان) الذي فقدت نسخته الأصلية.

حيث كتب **المسعودي** يقول: (وأن منهم رجلاً من أهل الأندلس يقال له **خشخاش** وكان من فتيان قرطبة وأحداثها، فجمع جماعة من أحداثها وركب بهم البحر في مراكب استعدها في هذا البحر المحيط - (أي المحيط الأطلسي والذي كان **المسعودي** يطلق عليه اسم بحر أقيانوس) . فغاب فيه مدة ثم انثنى بغنائم واسعة وخبره مشهور عند أهل الأندلس) [١].

إلا أن المؤيدين لرواية **المسعودي**. والتي وافقه فيها **الإدريسي** في كتابه (نزهة المشتاق) . عادوا واختلفوا حول النقطة النهائية التي وصل إليها، فمنهم من رأى أن **خشخاشاً** ورفاقه وصلوا إلى جزر أمريكا الجنوبية الواقعة شرق البرازيل كما قال بذلك **مصطفى شهاب الدين** والذي ذهب أبعد من ذلك ليقول: (ولا يستبعد بعد ذلك أن يكون هؤلاء العرب قد استوطنوا هذه الجزيرة ثم توغلوا في القارة الجنوبية[٢]).

ولعله من نافلة القول أن أولى دول أمريكا اللاتينية التي استقبلت الرقيق الأفارقة هي البرازيل وكان بينهم مئات من الأفارقة المسلمين الذين خدعهم تجار الرقيق البرتغاليين فأوهموهم بأنهم سيأخذونهم إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وانتهى بهم المطاف إلى ميناء سلفادور في البرازيل وغيرها من دول أمريكا الجنوبية.

وتوجد الآن في سلفادور العديد من الشواهد على الوجود الإسلامي والآثار الإسلامية وإن كان بعضها مهدد بالزوال بسبب التقادم والإهمال وقد تحول أكبر مساجد المسلمين وأولاها إلى كنيسة إلا أن الكتابات للآيات القرآنية باللغة العربية ما تزال تزين جدرانه رغم مرور مئات السنين.

ومهما يكن فإن قضية أيهم كان له قصب السبق في اكتشاف العالم الجديد ليست موضوع هذا العمل. وإن كان **كولمبوس** قد أنكر بشدة فضل البحارة العرب والمسلمين فيما وصل إليه فإن العديد من المؤرخين الأوروبيين اعترفوا بأن الأدوات التي استخدمها هذا الرحالة الإيطالي من خرائط بحرية وبوصلات ومزاول شمسية وجداول فلكية ومراصد ومناظير وحتى خيوط الرصاص التي استخدمها لسبر أعماق المحيط الأطلسي. أو (بحر الظلمات) كما سماه المسلمون. كانت معظمها إن لم تكن كلها من اختراع علماء مسلمين[٣].

ومما تقدم فإننا نخلص إلى نتيجة هامة وهي أن القول باصطحاب **كولمبوس** لبعض **الالموريسكيين** معه إلى العالم الجديد في أي من رحلاته الأربعة يبدو في غير محله بل يتناقض مع الظروف التي كانت سائدة وقتها وقرائن الأحوال، إلا أن يكون من اصطحبهم هم نفر قليل ممن احتاج للاستعانة بهم من أهل العلم والخبرة في ركوب بحر الظلمات. ذلك أن رحلات **كولمبوس** الاستكشافية كلها كانت رحلات مدفوعة الثمن من ملك وملكة أسبانيا اللذان شجعاه واستأجراه لهذا العمل في وقت كان فيه عداء الدولة الأسبانية للإسلام والمسلمين على أشده.

---

١) كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لعلي بن الحسين المسعودي (المتوفي عام ٣٤٦هـ) الذي أعادت دار الأندلس في بيروت طباعته في١٩٧٣م، المجلد الأول، ص ١٣٤-١٣٥.

٢) كتاب (الجغرافيون العرب) لمصطفى شهاب الدين الذي نشر ضمن سلسلة (اقرأ) العدد ٢٣٠ ص٣٤ (دار المعارف القاهرة ١٩٦٢م).

٣) كتاب (Al- Andalus) لفيرني وماساتس، الذي تم نشره في مدريد عام١٩٩٢م ص ١٨٤.

ولعله من غرائب الصدف أن (العام١٤٩٢م) الذي بدأ فيه **كولمبوس** رحلته الأولى إلى العالم الجديد كان هو نفس العام الذي فقد فيه المسلمون آخر معقل لهم في الأندلس (غرناطة). وبعد اكتشاف العالم الجديد وعندما انصب اهتمام المستعمرين على الاستحواذ على ثروات المستعمرات فيما وراء البحار وأصبح على رأس جدول الأولويات والأهداف استغلال أراضي المستعمرات لإنتاج المحاصيل الزراعية مثل القطن والقمح والسكر وأيضاً المعادن وعلى رأسها الذهب والحديد ثم مصادر الطاقة. ولكي يمكن تحقيق تلك الأهداف فقد عمد الاستعماريون وبمن فيهم الأسبان إلى سياسة إبادة السكان الأصليين أو تتصيرهم مع جعلهم مواطنين من الدرجة الثانية أو استعبادهم.

وكان المطلوب لانجاز هذه المهام . وكما يقول المهندس **لطف الله قاري**[١]: (رجال ذوو قلوب ضالة وضمائر ميتة، وهذا لا ينطبق على **الالموريسكيين** الذين كانوا مضطهدين أصلاً في إسبانيا نفسها مع اليهود والبروتستانت والغجر).

ولهذا فقد منعت كل هذه الطوائف من المشاركة في الحملات الاستعمارية على جزر الهند الغربية والأمريكتين. ولا يعقل بالطبع أن تحارب اسبانيا الإسلام في أراضيها وتقيم له محاكم التفتيش ثم تقوم بتصديره وزراعته في مستعمراتها بالأرض الجديدة.

ومما يدعم هذا الرأي ويؤكده أيضاً أن الأسبان عندما اكتشفوا أن عدداً من **الالموريسكيين** واليهود والبروتستانت استطاعوا أن يصلوا إلى العالم الجديد بعد اكتشافه طالبوا حلفاءهم من المستعمرين بإنشاء محاكم تفتيش في الأمريكتين على غرار ما كان موجوداً باسبانيا في ذلك الوقت. ونتيجة له تم إنشاء أول ديوان تفتيش بأمريكا الشمالية في عام١٥٦٩م.

وقد أورد الباحث الفرنسي **كارداك** أمثلة لحوالي عشرة حالات لأفراد مثلوا أمام جهاز التفتيش الأمريكي بتهمة الانتماء إلى **الالموريسكيين** أو لضبطهم وهم متلبسين بجريمة ممارسة الشعائر الإسلامية !

لكن سياسة الحظر لم تمنع أعداداً لا يستهان بها من المسلمين من الوصول إلى الدنيا الجديدة وذلك سواء في شكل أفراد أو مجموعات صغيرة وكان هؤلاء هم الرواد الذين نقلوا بذرة الإسلام للدنيا الجديدة.

---

١) كتاب (العرب قبل كولمبوس) ص ٥٢، الناشر دار القلم، دمشق.

الأفرو أمريكانز: الأصول والجذور

تمثال للعبودية

عن أصل الأمريكان الأفارقة ـ مسلمين وغير مسلمين ـ فالثابت هو أنهم من غرب أفريقيا أو المنطقة الواقعة جنوب وغرب الصحراء الكبرى اصطادهم تجار الرقيق الأوروبيين وهجَّروهم إلى الأرض الجديدة عنوة. وهناك باعوهم كما تباع السوائم واستخدموهم في المزارع خاصة وفي المصانع وكخدم في البيوت وعاملوهم بأشد أنواع القسوة مع الاستباحة لأعراضهم والإهدار لكرامتهم. وعموما فقد وصل أول فوج منهم إلى أمريكا على ظهر باخرة تابعة للبحرية الملكية البلجيكية في عام ١٦١٩م وكان قوامه مائة فقط جعلوهم كتجربة[١]!

وكان هؤلاء المائة ـ شأنهم شأن مئات الآلاف الذين لحقوا بهم ـ مكبلين بالحديد، أعناقهم مشدودة إلى أقدامهم والأصفاد تشد أعناقهم بعضاً لبعض. ولعل ما ساهم في انتعاش تجارة الرقيق أيضاً دخول المحالج في صناعة القطن اعتباراً من عام ١٧٩٣ م. واستمرت الأفواج تتوالى حتى تم تحريم تجارة الرقيق بعد نحو قرنين من الزمان بعد أن تم نقل حوالي مليوني أفريقي (وهذا الرقم يمثل الذين وصلوا أحياء) إلى أمريكا الشمالية ويعتقد أن ما بين ٢٠ – ٢٥٪ منهم على الأقل كانوا من المسلمين.

وحسب بعض المراجع التاريخية فإن من الأسماء المعروفة للمسلمين الأوائل من ضحايا تجارة الرقيق المهجرين إلى أمريكا **يورو محمود** (أو **يارو ماموت** كما ينادونه) و**أيوب بن سليمان دياللو** (الذي حرفوا اسمه ليصبح **جون بن سولومون**) وآخر يدعى عبد الرحمن وكثيرون غيرهم. وعن عبد الرحمن هذا كتب مراسل جريدة الشرق الأوسط في واشنطن يقول: (ولد **عبد الرحمن بن إبراهيم بن سوري** في مالي عام ١٧٦٢م وعندما كبر أرسله والده إلى تمبكتو التي كانت معلماً إسلامياً في تلك المنطقة حيث حفظ القرآن الكريم وأجاد القراءة والكتابة. ومر بالمنطقة يوم كان عمره عشرين سنة تجار رقيق يعتقلون الأفارقة للعمل في مزارع القطن والتبغ في ولايات الجنوب الأمريكي وأخذوه معهم. وأعجب إقطاعي أمريكي من سكان مسيسبي بذكاء عبد الرحمن وبعلمه وأخلاقه فاختاره رئيساً لعبيده البالغ عددهم أكثر من أربعمائة وسمّاه أمير العبيد (أو الأمير عبد الرحمن). وقد حاول الأمير بعد ثلاثين سنة من حياة الرق العودة لأهله أو الاتصال بهم على الأقل فأرسل خطابا إلى السناتور **توماس ريد** عضو الكونجرس عن ولاية مسيسبي لمساعدته في ذلك. وشاء السناتور مساعدته فبعث بالخطاب إلى قنصلية المغرب في واشنطن حيث كانت المغرب أول دولة عربية وإسلامية تعترف باستقلال أمريكا. وأرسلت القنصلية الخطاب إلى المغرب وبعد شهور قليلة جاء الرد من ملك المغرب بخطاب إلى الرئيس **جون كوينزي** لمساعدة الرجل في العودة لأفريقيا، ووافق الرئيس. وفي صباح يوم بارد من عام ١٨٢٨م ارتدى أمير الرقيق أحسن ثيابه وذهب إلى البيت الأبيض وقابل الرئيس وشكره ومن واشنطن سافر الرجل إلى ميناء بلتيمور في ولاية ميريلاند القريبة حيث ركب سفينة حملته إلى أفريقيا وعمره ستون سنة أمضى أربعين منها في حياة الرق بأمريكا)[٢].

١) هناك رواية تقول أن أول فوج من الرقيق الأفارقة كان قوامه عشرون فرداً، وأنهم وصلوا إلى جيمس تاون (فرجينيا) في العام١٦١٩م أيضاً.

٢) المقال بعنوان (الأمريكيون ينبشون للمرة الأولي قصصهم مع مسلمين استعبدوهم) الذي كتبه محمد على صالح مراسل جريدة الشرق الأوسط في الملحق الثقافي الأسبوعي للشرق الأوسط (المنتدى الثقافي) عدد الأربعاء ٢٠٠٥/٩/٢١م، ص٢، وقد تحدث فيه عن المعرض الذي أقيم في واشنطن في سبتمبر ٢٠٠٥م تحت عنوان (الجذور المنسية) والذي اشتمل على وثائق ومخطوطات عمرها أكثر من ٢٠٠ سنة ويعتبر هذا المعرض الأول من نوعه في أمريكا.

ولقد حيل بين الأفارقة المسلمين ودينهم واتخذ السادة البيض كل السبل التي تحول بينهم وبين أي معرفة بالإسلام بل أجبروهم على تغيير أسمائهم الإسلامية والعربية إلى أسماء مالكيهم البيض ومنعوهم من تعلم اللغة العربية أو التحدث بها طالما أن (أسيادهم) يجهلونها[١]. ومع ذلك فقد اشتمل المعرض الذي أقيم بواشنطن العاصمة مؤخراً على صورة مرسومة للأمير عبد الرحمن وورقة بخط يده كتبها تلبية لطلب سيده الذي يبدو أنه حاول إقناعه بترك الإسلام واعتناق المسيحية حيث كتب السيد باللغة الإنجليزية أن عبده يقدر على كتابة (صلاة الرب) المسيحية باللغة العربية. لكن النص المكتوب والموجود ضمن المعرض هو لسورة الفاتحة ولا يبدو أن السيد لاحظ ذلك لكن يلاحظه كل من يستطيع أن يقرأ الورقة بجزئيها الإنجليزي والعربي[٢]. ومما يراه الزائر للمعرض إعلاناً في جريدة عن هروب عبد رصدت جائزة مقدارها خمسة دولارات لمن يعثر عليه ووصف في الإعلان بأنه (عملاق طويل وله أُذن مقطوعة واسمه محمد). وفي المعرض يجد الزائر ما كان يسمي (قرآن محمد) وهو أول مصحف طبع في أمريكا باللغة العربية سنة ١٨٥٧م في فلادفيا (بنسلفانيا) وكان في مكتبة جامعة ألباما التي احترقت خلال الحرب الأهلية ويقال أنه كان الناجي الوحيد من المكتبة. وهناك قرآن كتبه باليد قبل ذلك بمائة سنة تقريبا **أيوب بن سليمان بن ابراهيم دياللو**. وكتب **أيوب** معه قصة حياته، حيث قال أنه من قبيلة الفلاتة في غرب أفريقيا وأنه تزوج ابنة إمام مسجد باموك (ربما بامكو عاصمة مالي الحالية وأنجب منها ثلاثة أطفال أسماهم **عبد الله وابراهيم وسامبو**. ثم تزوج مرة ثانية إبنة إمام مسجد أبام وأنجب منها بنتاً أسماها فاطمة. وكتب **أيوب** أن تجار الرقيق اعتقلوه سنة ١٧٣٠م ونقلوه في سفينة اسمها (أرابيلا) إلى ولاية ميريلاند حيث اشتراه **الكسندر توسلي** وسماه **جون بن سولومون** وحاول تنصيره لكنه رفض وهرب. وعندما تأكد سيده من قوة إيمانه أعاده وسمح له بالصلاة والصيام كما سمح له في وقت لاحق بكتابة القرآن وقصة حياته باللغة العربية. وقد تم نشر ملخص للقصة باللغة الإنجليزية في مجلة (جنتلمان ماغازين) في لندن سنة ١٧٥٠م. وعندما اشتهر الرجل في بريطانيا أعتقه سيده وسمح له بالسفر إليها مع أمريكي ساعده في نشر مذكراته باللغة الإنجليزية تحت عنوان: (مذكرات **جون بن سولومون**) وكتبت عنه الصحف البريطانية بأنه (بهر كل الذين قابلوه) وأشارت إلى أنه حفظ القرآن كاملا وفي النهاية عاد **أيوب** لوطنه ليجد زوجته وأولاده في انتظاره.

ولكن هذا لا يمنع ـ ولم يمنع ـ أن تقوم هناك أطياف للإسلام. ضعفت صورتها في بعض الأحيان لكنها لم تختف تماماً في أي وقت وظل يتوارثها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل. هذه الأطياف والبشريات يمكن أن تتبلور إذا وجدت من يحركها فيهم ويضفي عليها روحاً تشيع الاعتزاز بها بين جنباتهم والالتفاف حولها. ذلك أن الإسلام وفضلاً عن كونه دين الفطرة فهو أيضاً العقيدة التي يجد فيها المستضعفون والمضطهدون كل ما ينشدونه من العدل والمساواة علاوة على الشعور بالعزة والكرامة والطمأنينة.

ولهذا لم يكن غريباً أن يظهر في هؤلاء الأفارقة قادة يتعللون بالإسلام وحركات تتسمى به وتحاول اختطافه فهل كان هدف هؤلاء هو الإسلام أم أن الإسلام كان عندهم عاملاً ثانوياً يستفاد منه وإن لم يقصد بذاته؟ سنرى.

١) من البحث بعنوان: (Evaluation and Assessment of the Growth and Development of Islam. etc) الذي قدمه أمير الإسلام، ص٧.

٢) المقال بعنوان (الأمريكيون ينبشون للمرة الأولي قصصهم مع مسلمين استعبدوهم) لمحمد علي صالح، المنتدى الثقافي عدد ٢٠٠٥/٩/٢١م، ص ٢.

الهجرات المنظمة إلى الأرض الجديدة

إن حركة التهجير بأعداد كبيرة من القارة السمراء إلى الأمريكتين لم تنشط إلا عندما أخذت تجارة الرقيق شكلاً جديداً لم تعرفه البشرية من قبل. كان ذلك في أوائل القرن السادس عشر وتحديداً في العام ١٥٠٢م عندما أصبحت السفن البخارية العابرة للمحيطات في خدمة هذه التجارة المشينة. هذا التطور يعتبر نقطة تحول كبرى في تاريخ البشرية والعلاقات الإنسانية الدولية. فبعد اكتشاف العالم الجديد وتحويله إلى مستعمرات، حيث أصبح لاسبانيا نصيب الأسد من المستعمرات في أمريكا اللاتينية في حين استحوذت بريطانيا على الجزء الأكبر من أراضي أمريكا الشمالية التي تم تقسيمها إلى ثلاث عشرة مستعمرة.

وكنتيجة لزيادة الطلب العالمي على سلعة السكر على وجه الخصوص وحيث كانت الأراضي البكر في الأمريكتين بحاجة لمن يفلحها وكانت السفن العابرة للمحيطات بحاجة لبحارة يعملون عليها، حيث كان ركوب البحر من الأعمال الطاردة للأوروبيين، فقد نشطت تجارة الرقيق وتدافع النخاسون والمغامرون من الدول الأوروبية وخاصة اسبانيا والبرتغال وبريطانيا ثم هولندا وإيطاليا وألمانيا وفرنسا في وقت لاحق. تدافعوا إلى أفريقيا الغربية للعمل في صيد وتجارة الرقيق كما تعاون معهم قلة من أصحاب النفوس المريضة من الأفارقة أنفسهم ممن أعماهم الجشع والفتات الذي كانوا يلقونه من أولئك الأوروبيين. فباعوا أوطانهم وسلموا أهليهم إلى الغزاة والمستعمرين بثمن بخس. وتحكي كتب التاريخ أن بعض الأفارقة وقعوا في (شراك) أصحاب الحانات عديمي الضمير. فقد كان هؤلاء يبيعون السكارى والغائبين عن الوعي منهم إلى أصحاب السفن فيحملونهم إلى سطح السفينة قبل إبحارها بفترة وجيزة وهناك يتعرضون إلى معاملة وحشية ولم يكن لهم طعام إلا الأغذية المجففة[١].

ونقرأ في الموسوعة أيضا: (لقد جاءت تجارة الرقيق ضمن من جاءت بهم من العبيد بمئات الآلاف من المسلمين من غرب القارة الأفريقية إلى أمريكا الشمالية إلا أن الظروف القاسية التي عاشوها وارتفاع معدل الوفيات بينهم وتشتت عائلاتهم والاضطهاد الوحشي الذي تعرضوا له، جعل بقاءهم ضمن منظومة الإسلام الصحيح أمراً مستحيلاً). ويوضح مؤلفو كتاب (الإسلام في أمريكا) أن الأوروبيين عندما شرعوا في استغلال أراضِ العالم الجديد تبين لهم أنهم بحاجة إلى مصادر كبيرة للطاقة، ولم تكن الطاقة تتمثل في ذلك الوقت إلا في السواعد البشرية القوية والفتية. فقرروا أن تكون أفريقيا هي المصدر لهذه الطاقة، لا عن طريق الاستقدام وعقود العمل ولكن عن طريق الخطف القسري والاستعباد والسخرة. وقامت تجارة الرقيق لا على أنها جرائم تتم في الخفاء ولكن كعمل مشروع صنعته وباركته بل وولغت فيه دول كبرى، ثم اعترفوا به كأمر واقع ضمن البنية الاجتماعية للمجتمع الأمريكي. والذين قرأوا عن هذه الحقبة من التاريخ لاشك أصابهم الهلع والتقزز من مدى قسوة الإنسان على أخيه الإنسان والوحشية التي صاحبت حركة الاسترقاق ابتداء من عمليات الاختطاف حيث كان صيادو الرقيق يهاجمون القرى الأفريقية الآمنة ليصطادوا أهلها عبيداً. مروراً بعمليات الشحن لهم كالسوام إلى العالم الجديد عبر ما كان يعرف باسم (الرحلة الوسيطة)، وكان من ضحايا هذه الرحلات عدة ملايين من الأفارقة الذين مات كثيرون منهم في الطريق وألقيت أجسادهم في المحيط

هكذا كانت معاملة الرقيق

١) موسوعة الزاد المجلد رقم ٧، ص١٨٢٢ -١٨٢٣، الناشر: زاد س.ل مدريد (أسبانيا).

وانتهاء بعمليات البيع للأحياء منهم في أسواق النخاسة الأمريكية باعتبارهم سلعاً من سقط المتاع. ولعل الأسوأ من ذلك كله التفريق المتعمد للأسرة حيث كانت الأم تباع في اتجاه وزوجها في اتجاه آخر أما الأبناء فيباع كل منهم في ولاية مختلفة. وبعد ذلك تجيء المعاملة المذلة التي وصلت لدرجة التقنين لمبدأ أن الرقيق هو بعض إنسان وليس إنساناً كاملاً ثم إجبار هؤلاء الرقيق على تغيير أسمائهم ومعتقداتهم وقسرهم على اعتناق المسيحية مع منعهم من دخول كنائس البيض وإجبارهم على الأعمال الشاقة وفي كثير من الأحيان يكون ذلك تحت إشراف حراس يعاملونهم معاملة وحشية.

وعليه فإن قصة إسترقاق الأفارقة في أمريكا بدأت في القرن السادس عشر عندما بدأ تهجير الرقيق من أفريقيا للعمل في مستوطنات أمريكا الشمالية، وكان الناس يقتنون الرقيق في كافة المستوطنات التي أصبحت فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية خاصة في الجنوب وذلك للعمل في المزارع أولا ثم في المصانع وحتى كخدم في البيوت يلاقون معاملة مذلة وصلت لحد الاستباحة لأعراضهم. واستمرت عمليات التهجير حتى العام ١٨٠٧م[١] عندما أصدر الكونجرس قانونا يمنع استيراد الرقيق لكنه لم يحرم الرق. ومع حلول العام ١٨٦١م كانت ١٩ ولاية قد حرّمت الرق بينما استمرت ١٥ ولاية (خاصة في الجنوب) في العمل به. كانت ضربة البداية لعملية التغريب والتجريد من الهوية هي إجبار الرقيق المسلم بعد شرائه على تغيير اسمه إلى اسم عائلة سيده أو أي اسم غربي يختارونه له ومن رفض الانصياع لذلك كان نصيبه الضرب والتعذيب الذي قد يصل إلى حد الكي بالحديد المحمى أو الجلد حتى يسيل الدم من ظهره وساقيه.

أما ممارسة الشعائر الإسلامية فكانت من الكبائر التي يترتب عليها أقسى العقاب. ومع ذلك فقد استطاع أفراد منهم أن تكون لهم الغلبة على الاضطهاد والتعذيب فلم يهنوا أو يستكينوا بل صبروا وصابروا ومن هؤلاء الرجال ذلك الشيخ الذي كتب القرآن الكريم الذي كان يحفظه عن ظهر قلب كاملا والذي لم يحترق ضمن موجودات مكتبة ألباما كما أكد ذلك أكثر من مصدر.

ويضيف مؤلفو كتاب (الإسلام في أمريكا) أن العبيد المخطوفين كان من بينهم أعداد غير قليلة من المسلمين. وأن البعض منهم قاوم الوضع الجديد إما بمحاولة الهرب، وقد نجح في ذلك أفراد منهم مثل **أيوب بن سليمان** الذي وردت قصته في صفحات سابقة وغيره ممن تمسكوا بإسلامهم وأداء عباداتهم وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير بل وراحوا يؤلبون غيرهم من الرقيق على ملاكهم في تحد للعقوبات والأنظمة فكانت تلك هي الشرارة الأولى، كما توارثت بعض الأجيال الإسلام سراً وتوارثوا نسخاً من القرآن الكريم والكتب والعادات الإسلامية.

رسم يصور عمليات التعذيب

ولقد استطاع نفر منهم بالفعل أن يورث الإسلام لأبنائه وأحفاده ولكن الأغلبية الساحقة لم تستطع أن تصمد أو تمتنع عن الذوبان في المجتمع الجديد مع مرور الأيام وتعاقب الأجيال.

وتمضي الأيام ويكثر عدد الأفارقة حتى بعد توقف حملات التهجير بسبب ارتفاع معدل المواليد بينهم. ورغم الحرية الظاهرية التي شرعها القانون فإنهم كانوا يجدون أنفسهم ضحايا للتمييز العنصري كونهم ما يزالون في قاع المجتمع وفرصهم الاقتصادية والاجتماعية محدودة للغاية. وتبدأ هذه الشريحة في التململ وتظهر فيها قيادات وزعامات تدعوها إلى الاتحاد وعدم قبول الظلم والاعتماد

١) المرجح أن القانون جاء تجاوبا مع القانون الذي أصدرته الحكومة البريطانية في وقت سابق من نفس ذلك العام والذي منعت بموجبه تجارة الرقيق في عموم الإمبراطورية البريطانية حيث كانت بريطانيا وقتها هي سيدة البحار في العالم.

على نفسها في كسب رزقها بدلاً من قبول الفتات الممزوج بالذل الذي يقدمه الرجل الأبيض. وهكذا بدأت تظهر وتتبلور فكرة القومية السوداء وكان من بين قياديها مسلمون ولكن كان إسلامهم في الغالب رد فعل لمظالم الرجل (المسيحي) الأبيض وعلى مسيحيته التي تأبى على المسيحي الأسود أن يمارس عباداته مع المسيحي الأبيض في مكان واحد.

أما الوجود الحاسم والمنظم للمسلمين في الولايات المتحدة فيرجع إلى موجة الهجرات التي تدفقت من بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ففي عام١٨٧٦م أرسلت الإمبراطورية العثمانية وفداً إلى معرض فلادلفيا إلا أن عدداً كبيراً من أعضاء هذا الوفد وخاصة الحرفيين من السوريين واللبنانيين وغيرهم من التجار، فضلوا البقاء وعدم العودة إلى الديار التي قدموا منها. وقد شجعت هذه الهجرة آخرين ليحذوا حذوهم خاصة بعد لجوء السلطات في الدولة العثمانية إلى تطبيق نظام الخدمة العسكرية الإلزامية عام ١٩٠٨م.

ثم جاءت موجة الهجرات الحديثة في الخمسينات والستينات في أعقاب الأحداث السياسية والتطورات الهامة التي طرأت على الساحتين الإقليمية والدولية. كما زاد عدد أفراد الجالية الإسلامية مع قدوم مئات الآلاف من الطلاب والمهاجرين العرب والمسلمين الذين جاءوا إلى الولايات المتحدة من مختلف أنحاء العالم طلبا للعلم أو العمل أو كليهما معاً.

ففي أوائل الستينات من القرن العشرين وعندما تم تعديل قوانين الهجرة لأمريكا وعلى وجه الخصوص القانون المعروف باسم (The Oriental Exclusion Act)، وهو القانون الذي وضع خصيصا لوقف المد الإسلامي من خلال منع المسلمين (دون غيرهم) من الهجرة إلى الولايات المتحدة. وبإلغاء هذا القانون وجد الآلاف من المسلمين الفرصة لارتياد الأرض الأمريكية سواء بغرض الدراسة أو الإقامة الدائمة وكان من أولى ثمار هذه النقلة الجديدة إنشاء رابطة الطلاب المسلمين (The Muslim Students Association) (التي انطلقت فكرتها على يد طلاب عرب ومسلمين بجامعة إلينوى وسرعان ما انتشرت وأصبح لها فروع في المدن الجامعية على امتداد الولايات المتحدة. وفي العام ١٩٦٤م تم إنشاء منظمة الأطباء المسلمين ثم أعقب ذلك عام ١٩٧٠م إنشاء منظمة العلماء والمهندسين المسلمين وكذلك منظمة علماء الاجتماع المسلمين، ثم كان إنشاء الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية المعروف اختصارا باسم الـ (ISNA) والذي تنضوي تحته الآن المئات من المنظمات والمراكز الثقافية الإسلامية والمساجد وذلك في عام ١٩٧٧م، ثم كان تأسيس الوقف الإسلامي لأمريكا الشمالية وبعده المعهد العالي للفكر الإسلامي في ١٩٨٠م والذي أصبح مؤسسة أكاديمية عليا تعنى بشئون المعرفة وأسلمه المعارف، ثم تتويج كل ذلك بإنشاء المجلس الإسلامي الأمريكي في١٩٩٠م[١] حيث أصبح هذا المجلس ركيزة العمل والوجود الإسلامي في أمريكا.

وقد شهدت هذه الفترة أيضاً حركة دءوبة لإقامة المراكز الإسلامية والمزيد من المساجد في جميع المدن الأمريكية الكبرى. وظل المسلمون السنيون والشيعة يؤدون صلواتهم جنباً إلى جنب في ذات المساجد واستمر الحال على هذا المنوال حتى وقت قريب جداً[٢]، وتوجد حالياً في الولايات المتحدة حوالي سبع عشرة مجموعة وطائفة تتسمى بالإسلام وترفع شعاراته. وتتفاوت هذه الطوائف من حيث الالتزام ومدى القرب أو البعد من الإسلام الصحيح.

إن الموجات المتلاحقة من المهاجرين الجدد من ناحية وتزايد أعداد المسلمين الأفارقة من الناحية الأخرى هو الذي يشكل الجالية الإسلامية الحالية ويضفي عليها خصائصها وخصوصيتها وسماتها الأساسية، فالمسلمون يقطنون اليوم في جميع أنحاء الولايات المتحدة من أصغر ولاية وهى (فيرمونت) وبها حوالي ٢٠٠٠ مسلم إلى كبرى الولايات أمثال نيويورك وكاليفورنيا وإلينوى ومتشجان حيث يقطن بكل منهما حوالي مليون مسلم والحمد لله.

١) المقال بعنوان (مستقبل الإسلام في أمريكا مبشر بالخير) الذي نشرته مجلة العالم الإسلامي بقلم مراسلها في نيويورك.

٢) كتاب: (African American Islam) لأمينة بيفرلي ماك كلاود ص ٤٥.

لقد أصبح من الممكن الآن التمييز بين خمس مجموعات إثنية تكوِّنُ الجالية المسلمة في الولايات المتحدة وهذه المجموعات هي:

١) المسلمون الذين نزحوا إلى الولايات المتحدة واتخذوها مقراً ووطناً لهم واكتسبوا جنسيتها وإن بقيت صلاتهم بأوطانهم الأصلية حية في أذهانهم وقلوبهم وضمائرهم وهؤلاء أصبحوا أمريكان بالتجنس تشغلهم حقوقهم المدنية وهموم لقمة العيش والحياة اليومية كما تشغلهم في الوقت ذاته هويتهم الأصلية التي يريدون المحافظة عليها وهم يقفون في صدارة المتحمسين للعمل الإسلامي العام وغالبيتهم العظمى من حملة الشهادات العليا وبعض أصحاب التخصصات النادرة وفيهم الأثرياء الذين أصبحوا وأبناؤهم جزءاً هاماً من المجتمع الأمريكي.

٢) شريحة أبناء المهاجرين وهم الأجيال المتعاقبة من المولودين في أمريكا وقد أصبح الجزء الأكبر منهم منتمياً إلى الواقع الأمريكي ذائباً فيه بعد أن تشرب ثقافته ومثله وعاداته وتقاليده وقيمه. لكن وبرغم ذلك فإن معظم أفراد هذه الشريحة ومع ممارستهم لحقوقهم كمواطنين أمريكيين وذوبانهم في المجتمع الأمريكي إلا أنهم لم ينفصلوا بالكامل عن جيل الآباء خاصة من مكنته الظروف من تحصيل قدر لا بأس به من الثقافة الإسلامية عن طريق الالتحاق بإحدى الجمعيات أو المدارس الإسلامية ومعظم هؤلاء من أبناء الجيلين الثالث والرابع.

٣) المسلمون الوافدون الذين قدموا إلى الولايات المتحدة لمهام مؤقتة دراسية أو مهنية ولا يخططون للبقاء الدائم في المهجر. وهؤلاء يعتبرون خارج دائرة الاهتمام بممارسة الحقوق المدنية والسياسية وارتباطهم بأوطانهم الأصلية أقوى وأوثق من ارتباطهم بمجريات الأحداث في المجتمع الأمريكي وبين أفراد هذه المجموعة تبرز شريحة الطلاب بصفة خاصة.

٤) المسلمون الأمريكيون الأفارقة وهم جزء أصيل من بنية المجتمع الأمريكي وهذه المجموعة يزداد عدد أفرادها باستمرار ويختلط إسلامهم بنضالهم العرقي ضمن نضال الأمريكيين الأفارقة ضد التفرقة العنصرية. هؤلاء أكثر تشدداً في إسلامهم وفي مطالبهم وشعاراتهم نتيجة لهذا الخلط أو الدمج بين الإسلام والنضال العرقي وإن كان ارتباطهم بقضايا الأمة الإسلامية عامة يبدو ضعيفاً إلى حد كبير.

٥) المسلمون الأمريكيون البيض وهذه المجموعة وإن كان عدد أفرادها ما يزال محدوداً إذ يقال أنهم عدة مئات فقط أكثرهم من النساء إلا أنه مما يلفت النظر أن نسبة كبيرة منهم دخلت الإسلام كرد فعل للطغيان الكاسح لمنطق الحياة المادية الذي يدفع البعض إلى الرفض والتمرد والتحول عنه بزاوية انحراف قد تصل إلى معدل ١٨٠ درجة وذلك من خلال الاستغراق في الحياة الروحية.

وإذا كان المسلمون الأفارقة يمثلون مصدر الخلط بين العمل الإسلامي والنشاط المعادي للتفرقة العنصرية الذي تتزعمه جماعاتهم ومنظماتهم، فإن المسلمين الأمريكيين العرب يشاركون بنوع آخر من الخلط يتمثل في ازدواجية الأدوار والو لاءات بين العمل الإسلامي ضمن الجالية الإسلامية وبين نشاط الجاليات العربية وهموم وقضايا الأمتين العربية والإسلامية.

وإنه ووفقاً لأحدث الإحصاءات المتوفرة لدي (١٩٩٨) يوجد بالولايات المتحدة حوالي ٢,٥ مليون أمريكي من أصل عربي. إلا أن القسم الأكبر منهم مسيحيون هاجروا من بلاد الشام ثم من مصر وشمال أفريقيا في وقت لاحق، وأهم ما يميز هذه الشريحة ظاهرة التشرذم الجهوي والوطني وضعف روح العمل الجماعي كجالية واحدة.

وربما يكون الحل الأمثل ـ لكنه الأصعب ـ لحل هذه الإشكالية الخاصة بالمسلمين الأفارقة والمسلمين العرب وكما أوردته جريدة الخليج في عددها رقم ٥٩٩٣ الصادر بتاريخ ١٩/١٠/١٩٩٥م هو (أن يسعى المسلمون عموماً لجذب أكبر

عدد ممكن من الأمريكيين لتبني مواقف وأطروحات المسلمين في الولايات المتحدة. وربما تكون المسيرة المليونية التي نظمتها جماعة أمة الإسلام بزعامة **لويس فراخان**[1] مدخلا مهماً لتحقيق نجاح من هذا النوع. فقد استطاع **فراخان** بعد تلك المسيرة أن يحظى باحترام ومساندة أعداد كبيرة من الأمريكيين الأفارقة ومن زعمائهم السياسيين البارزين. وإن قيام المسلمين العرب بدور مماثل وسط الجالية العربية يمكن أن يدعم مكانة الحركة الثقافية والسياسية للمسلمين في الولايات المتحدة بصفة عامة).

وعموماً وحسب الإحصاءات الرسمية المتوافرة قبيل بداية العام ٢٠٠٠ فإن عدد المسلمين الأفارقة في الولايات المتحدة يزيد قليلاً عن المليونين من أصل أكثر من ٤٢ مليوناً هم إجمالي عدد الأمريكيين الأفارقة. ويشكل المسلمون منهم حوالي ٤٢٪ من إجمالي عدد المسلمين في الولايات المتحدة والذين يقدر عددهم بحوالي خمسة إلى سبعة ملايين مسلم. أما المسلمون العرب فهم حوالي ٦٢٠ ألفا (١٢,٥٪). ومن جنوب وجنوب شرق آسيا حوالي المليون وربع المليون (٢٥٪).

عليه وفيما يتعلق بالوجود الإسلامي في القارة الأمريكية فإن هناك جملة من الحقائق الهامة والجديرة بالملاحظة هي:

أولا: أن الإسلام يعد من أول الأديان التي دخلت الولايات المتحدة حيث ارتبط الوجود الإسلامي الموثق تاريخياً بالعقود الأولى التي تلت اكتشاف أمريكا ولعل خير دليل على ذلك ما أشارت إليه كتب التاريخ من أن المغربي (استيفانكو) كان واحداً من أول ثلاثة عبروا أمريكا الشمالية مع البعثة الاستكشافية الإسبانية في ١٥٢٩م.

ثانيا: أن الإسلام وكما يجمع المراقبون هو الدين الأسرع نمواً وانتشاراً في الولايات المتحدة وأن الزيادة في أعداد المسلمين ترافقها زيادة مماثلة في عدد المساجد والمراكز الإسلامية.

والمجتمع الأمريكي فضلا عن كونه مجتمعاً مفتوحاً فهو أيضاً يتمتع بدرجة عالية من الحرية وفيه بالطبع معادون للإسلام والعرب كما فيه متعاطفون أو على الأقل متفهمون للإسلام وللقضايا العربية، غير أن الصوت المؤثر في هذا المجتمع هو صوت أصدقاء إسرائيل ليس لأنهم على حق ولكن لأن أصحاب الحق غائبون ومغيبون لأنفسهم، فلا هم يفدون إلى المنابر المتاحة لهم ولا هم يتعاونون مع الأصدقاء والمتعاطفين معهم ونحن بالطبع لا نستطيع أن نغير ما في العقلية الأمريكية ما لم نغّير ما في عقولنا عن المجتمع الأمريكي.

ثالثاً: إن هناك علاقة ارتباط عضوي وثيقة وقد تصل إلى درجة الاندماج الكامل بين الإسلام من جهة وحركة المسلمين الأمريكيين أصحاب البشرة السمراء من جهة أخرى.

رابعاً: إن الأمريكيين الأفارقة، مسلمين وغير مسلمين، هم جزء أصيل من بنية المجتمع الأمريكي وتركيبته السكانية بل والسناريو للمشهد الديموغرافي العام للولايات المتحدة. وأن سياسة الإلهاء من خلال السهرات الكروية أو ما يعرف باسم الـ (Midnight Basketball)، التي بدأت الإدارات الأمريكية المتعاقبة تنتهجها لامتصاص طاقات الأفارقة وإشغالهم قد لا تجدي كثيراً. بل إن هذا النهج يعكس في الواقع السطحية التي تتعامل بها الإدارات الأمريكية مع هذه القضية العميقة الجذور. وما لم تغير أمريكا البيضاء هذه النظرة الخاطئة فسوف تظل هذه الشريحة مصدر قلق دائم للمجتمع الأمريكي بسبب حالة اللا انتماء والإحباط التي يعيشون فيها خاصة بعد أن تعددت في الآونة الأخيرة الحوادث والقضايا التي تؤجج نار الصراع العرقي والإحساس بالفوارق الطبقية

١) زعيم الفصيل المنشق عن حركة أمة الإسلام وسيجيء الحديث عنه بصورة موسعة لاحقاً.

بين البيض والأفارقة داخل الولايات المتحدة، ولعل أبلغ دليل على ذلك أعمال الشغب والعنف والسطو التي رافقت انقطاع التيار الكهربائي في نيويورك وغيرها. فالمسلمون الأفارقة أصبحوا قوة متنامية لا يمكن إغفالها ضمن منظومة المجتمع الأمريكي وإن بدوا للبعض كنغمة نشاز. وهذه القوة سيكون لها تأثيرها الواضح - إن كان إيجابا أو سلبا - بما لها من إمكانات هائلة مادية وبشرية ومعنوية وهي إن توحدت ووجدت الدعم الكافي لتفجير طاقاتها، ومع زيادة الإقبال على التعليم فسوف تصبح قوة لها وزنها المتعاظم في صناعة القرار والأحداث.

مواطنون من نيويورك تجمهروا في الشوارع ليستمعوا لخطاب عمدة المدينة من أجهزة المذياع بالسيارات خلال فترة انقطاع الكهرباء

خامساً: (وهذا هو الأهم): إن علينا نحن في العالمين العربي والإسلامي واجباً تجاه هؤلاء الإخوة في العقيدة ولابد أن نمد لهم يد المساعدة ونعمل بجدية لاجتذابهم ومد جسور التواصل والتعاون معهم وبخاصة فيما يتعلق بالنواحي الثقافية والتعليمية تحقيقا لمبدأ الأخوة الإسلامية الحقة القائمة على التحابُّ والتوادّ والتواصل والتكافل والتراحم، ذلك ليس باعتبارهم مجرد عمق استراتيجي لنا فحسب بل وأيضا لأنهم امتداد جغرافي مهم للعالم الإسلامي في الغرب كما أشار لذلك الأخ الدكتور **عبد العزيز التويجري** في الدراسة القيمة التي نشرها له موقع الإيسيسكو مؤخرا على الإنترنت.

ولا يجب أن نكتفي بالتحدث عن السلبيات والأخطاء في المفاهيم والتطبيقات لبعض تعاليم الإسلام من دون أن نفعل شيئاً فيما يتعلق بتصحيح هذه المعتقدات والممارسات. لأننا بذلك نهدر طاقات هائلة وقوة كامنة متنامية نحن في أمس الحاجة لها لتعديل نظرة وسياسة أعظم دول العالم وأكثرها نفوذاً وتأثيراً تجاه الإسلام والمسلمين. وليس من الحكمة في هذا الصدد أن ننتظر منهم أن يسعوا هم إلينا بل الواجب يحتم أن نأخذ نحن زمام المبادرة. وإننا إذا لم نبادر لانتهاز الفرصة فنتواصل معهم ونتحاور فإننا وبلا شك نفرط بذلك في قوة عظيمة سيكون لها شأن في مستقبل الولايات المتحدة. وعليه وكما يقول الأخ **عبد الله فراج الشريف**: (فهل نطمع في أن تسعى المنظمات الإسلامية وقادة دول العالم الإسلامي إلى احتضان هؤلاء الإخوة بصفة عامة وجماعة أمة الإسلام بصفة خاصة والتحاور معهم ومد يد العون لهم لتنمو هذه الحركة داخل وطنها وتؤثر فيه وفي سياساته. والذي لا نشك فيه أن ذلك سيكون في مصلحة ديننا وشعوبنا فقد حان اليوم وقت العمل لجمع كلمة المسلمين والتفاهم فيما بينهم بكثير من الأخوة والتسامح)[1].

سادساً: إنني على ثقة تامة من إمكانية التقارب وتصحيح المفاهيم الخاطئة والأفكار الدخيلة على الإسلام التي ألصقت به وبالتالي عودة حركة الإسلام ممثلة في جماعة أمة الإسلام - قيادة وقاعدة - إلى طريق الحق والرشاد فقط إذا خلصت النوايا ووضعنا جانبا المواقف السلبية والأحكام المسبقة مع التفهم الكامل للظروف والملابسات التي مرت بهؤلاء الإخوة والاضطهاد الذي تعرضوا له على مر الحقب والعصور، وإني لأرجو مخلصا أن نبدأ مشوار التواصل والتلاحم مع أعضاء وقيادة هذه الجماعة الآن وقبل فوات الأوان. وهذا التواصل أو التقارب يمكن أن

١) المقال بعنوان (حتى لا نفقد قوة إسلامية في أمريكا) المنشور بجريدة المدينة. عدد السبت ١٩٩٨/١١/٤.

يتم من خلال وضع آلية للقاءات والزيارات المتبادلة واعتماد برامج للتعاون في مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. واعتماد برامج منح دراسية لأبنائهم للالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا بالدول الإسلامية والعربية. والعمل على نشر اللغة العربية في أوساطهم مع الاستخدام لوسائل الإعلام المختلفة: المرئية والمسموعة والمقروءة في تنفيذ هذه البرامج ومن خلال وسائل الاتصال المختلفة. وإيفاد عدد من العلماء والدعاة ممن يتسمون بالحكمة والعقلانية لعمل برامج ودورات تدريب وتثقيف وتوعية. وعلى أن يتم كل ذلك وفقا لخطط مدروسة ومستمرة. ومع أهمية مشاركتهم في المناسبات الدينية والمؤتمرات والندوات لتحقيق المزيد من التقارب والترابط، ليشعروا بأننا معهم على الحق نهتم بأمورهم ونتفاعل مع قضاياهم.

وعلينا أن نتذكر أيضاً أن الصورة العامة عن الإسلام والمسلمين الآن في أمريكا أسوأ مما نتصور ومما كانت عليه قبل أحداث ١١ سبتمبر إلا أن الرأي العام في أمريكا متلهف أكثر من أي وقت مضى لمعرفة الحقائق الموضوعية عن الفكر الإسلامي وعن أوضاع العالمين الإسلامي والعربي من مصادر إسلامية وعربية حتى لو كان ذلك من باب الفضول أحيانا، وأن هناك فراغاً معرفياً يعمل أعداء الإسلام والعرب على ملئه بضخ معلومات وصور مشوهة ليس فقط من خلال أجهزة الإعلام المختلفة، بل ومن خلال المنابر الثقافية والكنسية أيضاً كما أوضح ذلك **محمد السماك** وكما ظهر ذلك جلياً من خلال المحاضرة التي ألقاها بابا الفاتيكان مؤخراً والاتهامات الباطلة التي وجهها للإسلام والمسلمين والتي تجيء ضمن الحملة العالمية لمحاصرة الإسلام والمسلمين في محاولة لإيقاف المد الإسلامي عن طريق تخويف الناس وترويعهم من الإسلام وإظهاره بمظهر الدين الذي يدعو للقتل وسفك الدماء. وفي مقابل ذلك نلحظ غياباً عربياً وإسلامياً شبه كامل عن هذه المنابر وانقطاعاً تاماً عن أي تواصل معها كما هناك اعتقاد خاطئ بأن الهيمنة الصهيونية على هذه المنابر تجعل من أي محاولة عربية أو إسلامية للولوج إليها محكومة بالفشل. ومما يزيد الشعور بالإحباط كما يقول الأخ **السماك**: الاعتقاد بأن اليمين الديني المتطرف الذي يهيمن على اتخاذ القرار في الإدارة الأمريكية الحالية يمثل الرأي العام الأمريكي ولكن هذا اعتقاد خاطئ، فاليمين المتطرف لا يمثل الأغلبية كما أنه بدأ يثير القلق لدى كثير من النخب والأوساط المعنية بمستقبل أمريكا وهو يتعرض لعمليات انتقاد وتجريح قاسية في الجامعات وحتى في العديد من الصحف السياسية والمجلات الثقافية كما أكدت ذلك نتائج الانتخابات الرئاسية للعام ٢٠٠٨ م.

وأخيرا والأهم من كل ذلك أن هناك جماعات كنسية أمريكية متعاطفة مع القضايا العربية، ليس لأنها قضايا عربية، ولكن لأنها قضايا عادلة. وعلى سبيل المثال فإن الكنيسة المشيخية وهي من الكنائس الإنجيلية الكبرى في الولايات المتحدة وخارجها اتخذت قراراً بسحب كل استثماراتها من إسرائيل وحتى من الشركات المملوكة من إسرائيليين ودعت أتباعها إلى سحب استثماراتهم أيضا. وبررت الكنيسة هذا الموقف الذي يشكل سابقة في تاريخ الحركات الكنسية الأمريكية بأنه رد على ما يتعرض له الفلسطينيون في الأرض المحتلة من انتهاكات لحقوقهم الإنسانية والوطنية، ولا تقتصر أهمية هذا الموقف على أنه سابقة جديدة فقط بل لكونه قد يشكل قدوة لكنائس أخرى عديدة بدأت تدرس اتخاذ مواقف مماثلة. ومن أجل ذلك يتعرض المسئولون في هذه الكنيسة الآن إلى حملات تشهير تقوم بها الأبواق الصهيونية علاوة على سيل عارم من رسائل الاستهجان التي تصلها عبر البريد الإلكتروني، وهنا لا بد من الإشارة إلى أهمية التواصل والتجاوب مع مثل هذه المواقف من المنظمات والهيئات الإسلامية ولو من قبيل مقابلة الإحسان بمثله[1].

١) المقال بعنوان (انطباعات من أمريكا) المنشور بجريدة الأهرام في صفحة (شئون عربية) عدد الأربعاء ٢٠٠٥/٦/١م ص ٩، لمحمد السماك.

(١) من موقع (Encarta) على شبكة الإنترنت، كتاب (African American History) ، ص١.

المسلمون الأوائل في أمريكا الشمالية

حسب المصادر التاريخية الموثوقة فإن عدد الأفارقة الذين تم اصطيادهم، شراؤهم أو خطفهم ومن ثم شحنهم كالدواب عن طريق السفن البخارية إلى جزر الكاريبي والأمريكتين وصل إلى أكثر من ١٢ مليوناً. وحسب تلك المصادر نفسها - وهي مصادر غربية - فإن عدد الذين وصلوا أحياء منهم وتم بيعهم كان حوالي عشرة ملايين إلا أن الجزء الأكبر منهم استقروا في أمريكا الجنوبية وجزر الكاريبي.

وكانت منطقة صيد الرقيق الرئيسية تمتد لمساحة تعادل مساحة الولايات المتحدة الحالية حيث امتدت من المحيط الأطلسي غربا عند مصب نهر السنغال شمالا، حتى خليج غينيا جنوبا، وشرقا حتى بحيرة تشاد وبذلك فقد شملت معظم الدول التي تعرف الآن بأسماء: السنغال - غينيا - توجو - ليبيريا - سيراليون - ساحل العاج - غامبيا - بنين - غانا (ساحل الذهب سابقا) وأجزاء واسعة من نيجيريا والكامرون والكنغو وانجولا وزائير وأفريقيا الوسطى ومالي والنيجر وتشاد وبوركينافاسو (فولتا العليا سابقا)، وفي شرق أفريقيا أجزاء من كينيا وأثيوبيا.

أما أولى الدول الأوروبية التي شاركت في تجارة الرقيق في ثوبها الجديد فكانتا هما اسبانيا والبرتغال وذلك منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي ثم انضمت إليهما بعد ذلك ومنذ أوائل القرن السابع عشر كل من هولندا وانجلترا وفرنسا وبلجيكا بعد أن أصبحت لهذه الدول مصالح ومستعمرات في الأرض الجديدة.

بوابة اللاعودة أو بالأحرى وداعاً أفريقيا
حيث يصبح الخارج منها إلى العالم الجديد مجرد رقم

وكانت الصورة المألوفة هي أن تصل سفن الرقيق الأوروبية إلى سواحل غرب أفريقيا محملة بسلع أهمها الخمور والملابس والأسلحة النارية حيث يتم بيع هذه السلع أو مقايضتها بالرقيق وذلك بوساطة بعض التجار والسماسرة الأوروبيين ليتم تخزين الرقيق في جزيرة قوري المواجهة للعاصمة السنغالية داكار قبل شحنهم إلى (دكك الرقيق) في لندن وباريس والموانئ بالسواحل الشرقية والجنوبية للولايات المتحدة لبيعهم على الراغبين من تجار الرقيق.

ولقد فكرت السنغال التي امتلكت جزيرة قوري بالمقايضة مع بريطانيا، والتي حصلت بدلا عنها على إقليم غامبيا، أن تقيم على هذه الجزيرة تمثالا للعبودية، خصوصاً وأنها تقابل مدينة نيويورك المقام بها تمثال الحرية، واستطاعت فرنسا بنفوذها على السنغال وأد الفكرة لعشرات السنين حتى لا تدان باريس علنا أمام العالم بالمتاجرة في حرية الإنسان وإن ظلت جزيرة قوري بما فيها من عنابر وسلاسل للرقيق شاهداً على ممارسة هولندا وبلجيكا وفرنسا لتجارة الرقيق في أبشع صورها[1].

أما الرقيق من شرق أفريقيا، وإن كانت أعدادهم محدودة نسبيا، فقد كان التصدير لهم يتم من ميناء جيبوتي الذي اكتسب سمعة سيئة نتيجة لذلك. وعموماً فخلال فترة وجيزة أصبح الكثير من سكان أمريكا الشمالية - وبخاصة في الولايات الجنوبية - يملكون رقيقا. وبدأ النخاسة من أهل الجنوب يقومون بحملات مسلحة منظمة إلى القارة السمراء يخطفون الرجال والنساء من خلال المداهمات والغارات المفاجئة على قراهم ومساكنهم. ثم يجلبونهم قسراً إلى المدن والأرياف الأمريكية - وبخاصة في الجنوب - ليبيعونهم في أسواق النخاسة عبيدا.

١) المقال بعنوان (التكتل الاقتصاد الأفريقي) لرضا محمد لاري، جريدة الرياض العدد بتاريخ ٢٠٠٥/٦/٢٢م، ص ٢٢.

جزيرة قوري كما تظهر من على سطح العَبَّارة

وكانت معاملة هؤلاء الأسرى المخطوفين في غاية القسوة والفظاعة. وكان القانون الأمريكي ينص على أن للسيد كل الحق في الإبقاء على رقيقه حيا أو إماتته إذا أراد ذلك. بل صرح هذا القانون بأنه ليس للرقيق روح ولا عقل، وأن حياته محصورة فقط في ذراعيه !

وبموجب هذا القانون لم يكن للرقيق حق الخروج إلى الشوارع وقت شدة الحر إلا بتصريح رسمي. وإذا شوهد أكثر من سبعة أرقاء مجتمعين في مكان واحد كان لكل رجل أبيض الحق في إلقاء القبض عليهم وجلدهم ولو كان خروجهم إلى الشارع بتصريح رسمي.

وكان القانون يجيز للسيد أيضاً بيع رقيقه ورهنه أو إعارته بل والمقامرة عليه فهو في نظر القانون والعرف والمجتمع شيء من سقط المتاع. وفي أواسط العام١٨٦١م انفصلت ١١ ولاية عن الاتحاد بسبب قضية الرق خشية من أن يصدر **أبراهام لنكولن** ـ الذي كان قد انتخب حديثا للرئاسة ـ قانونا بتحريم الرق في كافة ولايات الاتحاد، حيث كان العديد من الجنوبيين يعتقدون أن سلطات الحكومة الأمريكية لا تعلو على حقوق وسلطات الولايات، ورأت تلك الولايات في إزالة الرق تهديداً لبقائها الاقتصادي فشكلت اتحادا كونفدراليا مستقلا عن الولايات الشمالية بل أعلنت عليها الحرب. وفي أبريل من عام١٨٦٥م انتهت الحرب الأهلية بانتصار ولايات الشمال وصدور القرار بتحريم الرق في جميع الولايات كما تم التصديق على التعديل الثالث عشر للدستور وقد سبق ذلك موافقة الكونجرس في١٨٦١م على منح الأفارقة حق الخدمة في الجيش.

كان تاريخ ٢٣ سبتمبر لعام ١٨٦٢م يوما خالدا ومشهودا في التاريخ الأمريكي عندما أصدر **أبراهام لنكولن** ـ رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وقتها ـ إعلان تحرير الرقيق في ولايات الجنوب الأمريكي وفي جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، اعتباراً من بداية العام ١٨٦٣م، وكان ذلك القرار التاريخي الشجاع الذي انتظره الأفارقة أكثر من ثلاثة قرون، واحداً من أهم الأسباب التي أدت إلى اغتيال الرئيس **لنكولن** في عام ١٨٦٥م على يد أعداء الحلم الأمريكي[١].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٨ وقعت الدول الأعضاء في عصبة الأمم اتفاقية تقضي بملاحقة تجارة الرقيق والمعاقبة عليها والعمل على إلغاء نظام الرق بجميع صوره وأشكاله. كان ذلك في عام ١٩٢٦م. وفي ١٩٤٨م أصدرت هيئة الأمم المتحدة (التي حلت محل عصبة الأمم) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي حظر الرق وتجارته وقد وقعت عليه كل دول العالم باستثناء جنوب إفريقيا.

ولكن. إن القوانين والقرارات والمواثيق وحدها لا تعني شيئا ما لم يتم تطبيقها على أرض الواقع فقد حمل إعلان استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا بين ثناياه عبارات وشعارات براقة كما حدد هذا الإعلان المبادئ التي قاتل الوطنيون من أجلها. وفيما يلي مقتطفات منه كما تم نشرها على العالم في الرابع من يوليو عام ١٧٧٦م (عندما يرى شعب ما ـ في مجرى الحوادث البشرية ـ أن الضرورة تحدوه إلى قطع العلاقات السياسية التي تربطه بشعب آخر وإلى أن يحتل مكانه الخاص بين دول العالم والذي تمنحه الحق به قوانين الطبيعة وإله الطبيعة، فإن الاحترام الصحيح لرأي الإنسان يتطلب من هذا الشعب أن يعلن الأسباب التي حملته على هذا الانفصال، هذه الحقائق هي ـ في نظرنا ـ حقائق بديهية في جوهرها. وهي أن جميع الناس يولدون أحرارا ومتساوين في الحقوق. وأن خالقهم منحهم حقوقا ثابتةً منها حق الحياة والحرية والسعي وراء السعادة).

١) هو حلم جورج واشنطن وجيفرسون و**لنكولن** وكنيدي وغيرهم من أنصار الحق والعدل الذين كانوا يمنون النفس بأن تصبح أمريكا المعقل والحارس الأمين لمبادئ الحرية والمساواة والعدل والديمقراطية في العالم.

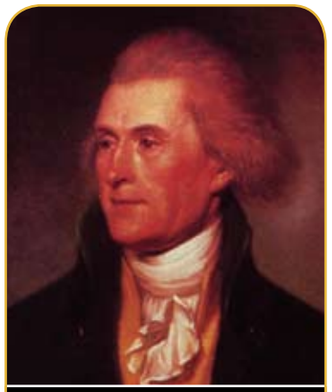
الرئيس الأمريكي الثالث توماس جفرسون الذي يعتبر واضع وثيقة الاستقلال

لكن المجتمع الأمريكي عاش بعد الاستقلال تناقضات واضحة أدت في نهاية الأمر إلى الحرب الأهلية الأمريكية. فالأمريكيون الذين حاربوا إنجلترا وأرادوا أن ينتصر الحق الطبيعي على قانون يخضعهم للتاج البريطاني عادوا بعد الاستقلال فتنكروا لمبادئهم والشعارات التي رفعوها عندما صاغوا دستورهم الخاص الذي قنن الرق وجعله جزءاً من حقوق الملكية الخاصة. فلم يكفهم حذف الفقرة التي تدين النخاسة وتحرمها بل عمدوا إلى إفراغ العبارة المتعلقة بالحرية والمساواة من معناها حيث كان إعلان الاستقلال الذي صاغه توماس جيفرسون[١] يحمل بين طياته نصاً يحرم النخاسة لكن هذا النص تم حذفه إرضاء لولايتي كارولينا الجنوبية وجورجيا. وقد تصور أعداء الرق ـ وعلى رأسهم جيفرسون نفسه ـ أن القبول بهذا التنازل لا يعني شيئا طالما أن العبارات الأولى من الإعلان تنادي بحرية البشر جميعا والمساواة بينهم بغض النظر عن ألوانهم.

وهكذا بدأ الحلم الأمريكي بأن تكون أمريكا الحارس والقائد لعالم تسوده مبادئ الحرية والعدل والمساواة يتبخر شيئا فشيئا. هذا الحلم الذي عبر عنه الرئيس الأمريكي الأسبق **جون كنيدي** بقوله: (الأمريكيون هم الحراس على معاقل الحرية في العالم)[٢].

أما أعداء الحلم الأمريكي فيجيء على رأسهم تاريخياً (جون كالهون) والذي كان من أشد أنصار الإبقاء على الرق. وقد شغل الرجل العديد من المناصب الهامة منها وزير الحرب ثم نائباً لرئيس الولايات المتحدة وأخيرا اختير عضوا بمجلس الشيوخ عن ولاية كارولينا الجنوبية حيث وضع فلسفة خاصة تضمنت رؤيته فيما يتعلق بالحرية ومن أقواله المشهورة: (إنه لخطأ كبير وفادح التأكيد على أن جميع الشعوب سواسية في حقها في الحرية لأن الحرية مكافأة ينبغي أن يستحقها من يبتغيها وليست بركة تسبغ على الناس جميعا بلا تمييز)[٣].

ويقول الكاتب الفرنسي المعروف **كلود جوليان** في كتابه (الحلم والتاريخ): (إن جون كالهون هو تاريخياً على صواب عندما يقرر أن الحرية ليست (هبة تمنح). فانجلترا لم تقدم للولايات المتحدة استقلالها منحة بل انتزعته هذه كفاحاً وغلاباً. وأمريكا البيضاء لا ولم ولن تقدم للسود الحرية والمساواة هبة ومنحة. وهم لا يزالون يقارعون للحصول عليها. وإنه لقتال دام ذاك الذي أشعل الحرائق في الشوارع وفي جميع المدن الأمريكية الكبرى).

وعموما فإن معظم دول العالم تعيش تناقضات كتلك التي عاشتها وتعيشها الولايات المتحدة. تناقضات بين المثل التي تنادي بها وبين تراكمات واقعها الموروث. والولايات المتحدة لا تقف بمفردها في هذا النقص أو الاعوجاج. فقد بذل أناس فيها أقصى ما يمكن في سبيل بقاء ونقاء الحلم الذي كافح لأجله صناع الاستقلال، خاصة وأن هذا الحلم ظهر إلى الوجود قبل استقلال الولايات المتحدة. وإن قضية أمريكا ـ وكما عبر عنها **جورج واشنطن**[٤] ـ تتحد بقضية الإنسانية كلما تشبثت أمريكا بهذا الحلم، لكن أمريكا لا تتمسك كلها بنقائه ذلك أن الغلبة ظلت دائما لمن يسعون لضربه لأنه يتعارض مع مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية وليس الوطنية. ولعله من المفارقات أنه منذ سنوات قليلة مضت وعندما دعي مواطنون أمريكيون في أحد شوارع نيويورك إلى التوقيع على نص بيان أن معظمهم رفض ذلك بغضب واستنكار مع أن

١) الرئيس الثالث للولايات المتحدة (١٨٠١-١٨٠٩م) ويعتبر الواضع الرئيسي لوثيقة إعلان الاستقلال.
٢) من أعمال جون كالاهون الجزء الأول ص ٥.
٣) كتاب (الإمبراطورية الأمريكية) لأديت فراسيه المنشور في باريس عام ١٩٧٣م ص ٤٣.
٤) أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية (١٧٣٩-١٧٩٧م) والقائد العام للقوات الأمريكية خلال حرب الاستقلال والتحرير.

النص الذي عرض عليهم للتوقيع عليه لم يكن في واقع الأمر إلا جزء من نص إعلان الاستقلال الذي بدا لهم محتواه هدّاماً ومناوئاً لسياسة الولايات المتحدة!

وعلى صعيد آخر فقد قاد رئيس أساقفة كانتربري وأسقف يورك في أبريل ٢٠٠٧م المسيرة التي حملت اسم (مسيرة الشاهد)، عبر العاصمة البريطانية إحياء لذكرى مرور ٢٠٠ عام على إلغاء بريطانيا لتجارة الرقيق في ١٨٠٧م وانضم إلى المسيرة د. **روان ويليامز** وأسقف يورك ذو الأصول الأفريقية جون سنتامو وشخصيات أجنبية وزعماء كنائس أخرى، وقال **ويليامز**: أن المسيرة تعبر عن رغبة أتباع الكنيسة الإنجليكانية في إبراء المظالم التاريخية التي ارتكبت باسم الكنيسة، وكانت كنيسة إنجلترا قد قدمت اعتذارا رسميا في ٢٠٠٦م عن دورها في الرق. وقالت الكنيسة إن هذا اليوم ليس فقط لتجديد التوبة أو الاعتذار بل للتوجه والإقرار بأننا كنا جزءاً من هذا التاريخ البشع ولإيقاظ ضمائر الناس إلى ما نحن فيه اليوم والمشكلات التي ما زالت قائمة، وأضافت أن الأساقفة يرغبون في أن يفكر الناس مليا في فظائع تجارة الرقيق عبر الأطلسي واستغلال فرصة مرور قرنين للتعامل مع آثار الاستعباد وبما في ذلك نماذج الاتجار في البشر والقمع حول العالم. وأضاف **ويليامز** قائلاً: (إن العبودية أسهمت في انحدار الأمم الواقعة في براثن الفقر وأنها فرصة الآن لإشراك الذين كان أسلافهم منخرطين في هذا الأمر والذين ما زالوا يشعرون بآثاره، لإخراج الأمر إلى النور وإيضاح ماذا كان يعني هذا الأمر وبعض ما تكلفه). هذا وقد بدأت المسيرة من مقر الحكومة البريطانية مرورا بالبرلمان وعبر جسر لامبيت حتى حديقة كينجتون حيث أجري قداس تذكاري، وكان من بين المشاركين مجموعة بدأت مسيرتها من مسافة ٢٥٠ ميلا شمال لندن في مدينة (هال) حيث مقر الدائرة البرلمانية التي وفد منها **ويليام ويلبرفورس** الذي كان له دور بارز في إلغاء الرق، وقد ساروا مقيدين بالسلاسل وتحت نير يرمز للاستعباد. وقاد عدد من الأساقفة القداس وحملوا إكليلا عليه عدد ٢٧٠٤ وهو عدد السفن التي أبحرت من لندن لنقل رقيق عبر الأطلسي وقام دريكسبل جوميز رئيس أساقفة جزر الهند الغربية بفك سلاسل من جاءوا من (هال) رمزا للتحرير، وقال في حديثه لراديو هيئة الإذاعة البريطانية: (علينا الاعتراف بماضينا إذا أردنا الاعتراف بما فينا وبناء مستقبل، وسوف يسلط هذا الاعتراف الضوء على الامتهان والطرق اللا إنسانية التي تصرف بها أناس في الماضي مما يشكل جزءا من تاريخنا وارثنا سواء أحببنا ذلك أم لا وبالاعتراف بالماضي نقوم بإقرار ما وقع من خطأ ونرسم طريقا إلى الأمام حتى نتجنب حدوث مثل تلك الأفعال في المستقبل).

وعموما فإن العبودية تعتبر أسوأ الانتهاكات لحقوق الإنسان بل أشد أنواع الإساءة والوحشية التي حدثت في تاريخ البشرية حيث يصبح فيها الشخص وما يملكه من قدرات ومواهب ملكا لإنسان آخر يتحكم فيه كيف يشاء. وعلى الرغم من إلغاء الرق منذ ٢٠٠ عام ما تزال هناك العشرات من عصابات المافيا التي تقوم ببيع وشراء الأطفال والنساء ونقلهم من بلد لآخر، وتؤكد تقارير دولية أنه يتم الاتجار سنويا بنحو ٧٠٠ ألف من النساء والفتيات والصبية والأطفال عبر الحدود وبعيدا عن أسرهم وبلدانهم ولعلنا نتذكر هنا قضية الأطفال الذين تم تهريبهم من دارفور إلى فرنسا دون علم ذويهم باعتبارهم أيتام، كما ورد ضمن تقرير صدر عن الأمم المتحدة بمناسبة مرور ٢٠٠ سنة على القضاء على تجارة الرقيق عبر الأطلسي أن نحو ٥,٧ مليون طفل في العالم هم من ضحايا العمل القسري والاسترقاق مما يعني أن عهد الرق لم ينتهي كما أورد ذلك خبراء من المنظمة الدولية حذروا من أن سوق الاتجار بالبشر وتجارة الرقيق في ثوبها العصري الجديد يقدر عائدها السنوي بحوالي ٣٢ مليار دولار، مما دفع وكالات الهيئة الدولية والعديد من الحكومات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية لإطلاق مبادرة عالمية لمكافحة الاتجار بالبشر[١].

١) المقال بعنوان (بعد ٢٠٠ عام على إلغاء الرق: ٣٢ مليار دولار حجم تجارة الرقيق حول العالم) لمحمود بابكر جعفر، جريدة الخرطوم السودانية، ١١ أبريل ٢٠٠٧م.

الباب الثاني

الحركات المناهضة للرق في الولايات المتحدة

تمثال التحرر من العبودية في جزيرة قوري السنغالية

لمحة تاريخية عن معاناة الأمريكيين الأفارقة عبر الحقب والعصور

ورثت حكومة الولايات المتحدة ضمن ما ورثته عن الاستعمار البريطاني مشكلة وجود أعداد كبيرة من الرقيق على أراضيها وقد نوقشت هذه القضية من الناحية القانونية خلال فترة إعداد الدستور الأمريكي إلا أن واضعي الدستور وجدوا أنفسهم مكرهين على الإبقاء على نظام الرق باعتباره شكلا من أشكال الملكية الخاصة التي يجب أن يصونها الدستور. ومع ذلك أصدرت الحكومة في عام ١٨٠٧م قرارا قضى بمنع استيراد الرقيق من الخارج إلا أن عدد الرقيق الموجود أصلا في أمريكا وقتها كان قد أصبح كبيراً لارتفاع معدل المواليد بينهم بصورة واضحة. وبينما أخذت ولايات الشمال تحرر رقيقها وتمنع الاتجار فيهم كانت الحاجة لهم في تزايد مستمر في ولايات الجنوب حيث أصبح الرقيق هم عصب الحياة والاقتصاد المتمثل في زراعة القطن والقمح وقصب السكر والتبغ على مساحات واسعة وفي ظروف مناخية لم يعتد البيض على تحملها. ومع تزايد عدد الرقيق في الجنوب كانت الدعوة في الشمال تتزايد لتحريرهم ورفعهم إلى مستوى المواطن العادي، لكن وابتداء من العام ١٨٣٠م بدأت تظهر في الشمال خاصة منظمات وجماعات معارضة لنظام الرق نذكر منها (جماعة الكويكرز) التي استطاعت أن تحقق للسود العديد من المكاسب والانتصارات باستخدام الوسائل السلمية. وعموما فقد بدأت بمساعدة الرقيق على الفرار تحت جنح الظلام إلى ملاجئ آمنة في الشمال ومنها وإلى كندا حيث عرفت هذه الحركة باسم (الطريق الحديدي السري) وبلغ عدد الذين ساعدتهم على الفرار في أوهايو وحدها حوالي أربعين ألفاً بين عامي ١٨٣٠م و١٨٦٠م. وعموما فقد وصل عدد الجمعيات المناهضة للرق إلى ألفي جمعية في عام ١٨٤٠م بلغ عدد أعضائها حوالي مائتي ألف عضو[١].

قوانين تحرير الرقيق

بدأ تحرير الرقيق على مراحل بدأت بإعلان الرئيس لنكولن في ٢٢ سبتمبر ١٨٦٢م أن جميع الأرقاء في الولايات المتحدة والأراضي الخاضعة لها سيصبحون أحرارا ابتداءً من أول يناير ١٨٦٣م. وبعد هذا التاريخ بدأت بعض الولايات في إصدار قوانين لتحرير الرقيق بواسطة مجالسها التشريعية. وفي ١٨ ديسمبر من عام ١٨٦٥م وافق الكونجرس الأمريكي على التعديل الثالث عشر للدستور الأمريكي الذي قضى بتحريم الرق في جميع الأراضي الأمريكية.

إلا أن هذا التعديل قوبل بمعارضة شديدة من جانب المجالس التشريعية للولايات الجنوبية باستثناء تنسي. ثم توالت بعد ذلك القوانين والتعديلات الدستورية التي جاءت في مجملها لصالح السود ومنها التعديل رقم ١٥ الذي منحهم ولأول مرة حق المشاركة في الانتخابات وذلك في عام ١٨٧٠ م.

وعندما وجد السود الفرصة للمشاركة في الحياة السياسية سيطروا تماماً على المجالس التشريعية بولايات الجنوب حيث ظل يقيم حوالي ٨٠٪ من السود حتى مطلع القرن العشرين وخاصة في لويزيانا (المستعمرة الفرنسية السابقة) ونيو أورليانز وكارولينا الجنوبية والمسيسبي[٢].

لكن بقي السؤال المهم: هل انتهى عهد الرق فعلاً وإلى غير رجعة أم كان على الأمريكيين السود انتظار مائة عام أخرى ليتقدموا خطوة ثانية في طريق الحرية والمساواة؟

١) كتاب (تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن ١٦ حتى القرن٢٠) للدكتور عبد العزيز نوار والدكتور محمود جمال الدين، ص ١١٠.
٢) كتاب (تاريخ الولايات المتحدة من القرن ١٦ حتى القرن٢٠)، ص ١٣٨.

الأفرو أمريكانز من نار العبودية إلى نفق التفرقة العنصرية

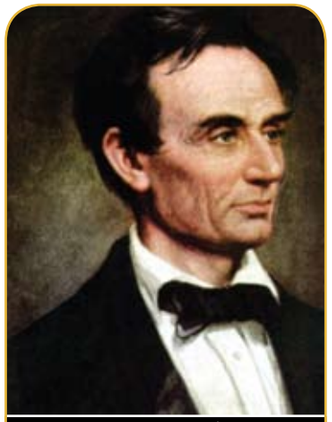
أبراهام لنكولن

قاتل الزنوج في الحرب الأهلية الأمريكية قتال الأبطال جنباً إلى جنب مع القوات الاتحادية الشمالية كما قاتلوا وبنفس الضراوة والحماس قبل نحو مائة عام من أجل إجلاء المستعمر البريطاني. لكن بالنسبة لهذه الحرب بالذات فقد قاتلوا مع القوات الاتحادية الشمالية وهم على يقين من أن القضية مدار الحرب هي قضيتهم الخاصة وأنها ستكون الأخيرة التي يتقرر بعدها نكون أو لا نكون فيما يتعلق بحصولهم على الحرية.

كانوا يمنون النفس بأن شمس الحرية والمساواة لاحت في الأفق وقد استبشروا خيرا بالانتصارات التي تحققت على جبهات القتال. ولكن سرعان ما تبين لهم أنهم يركضون خلف السراب وأنهم خدعوا مرة أخرى في الشعارات التي حاربوا من أجلها كما خدعوا قبل ذلك في إعلان الاستقلال.

وعموماً يمكن القول إن نظام الرق استمر حتى تم حظره رسميا في الأول من يناير عام ١٨٦٣م ليبدأ نظام التمييز العنصري المقنن الذي استمر حتى عام ١٩٦٤م عندما تم حظره رسميا بإعلان قانون الحقوق المدنية للملونين.

ذلك أن التشريعات والتعديلات الدستورية والأنظمة لا تساوي شيئاً إذا لم يتم الالتزام بها وتطبيقها على أرض الواقع في وجود الآليات التي تحول دون التحايل عليها والالتفاف حولها لتصبح ثقافة متأصلة وسلوكا يوميا.

لكن الزيادة المطردة في أعداد السود الأحرار (أي الذين حصلوا على حريتهم سواء بالشراء أو العتق) نتج عنها زيادة القلق في أوساط أعداء الحلم الأمريكي. وكان من إفرازات ذلك إصدار عدد من القوانين التعسفية التي استهدفت السود على وجه الخصوص حتى في بعض الولايات الشمالية التي كانت تناصرهم. ففي أجزاء من ولاية نيو إنجلند، وهي من ولايات الشمال الشرقي، تم منع السود الأحرار من السفر داخل الولاية إلا بتصريح رسمي بل ما كان يسمح للأسود الحر أن يستقبل رقيقا في بيته إلا بإذن. وفي الولايات الجنوبية صدرت قوانين تجيز استرقاق الأسود الحر إذا لم يكن يحمل ما يثبت أنه حر.

ومهما يكن فقد أظهر معظم الزعماء السود بعض الاعتدال فهم لم يدعوا إلى الثورة أو التمرد بل إلى تحسين وضع الرقيق بصورة تدريجية وفي ظل التقيد بالشرعية الدستورية إذ كانوا يدركون جيداً أن أي أعمال عنف على مستوى واسع قد يكون من نتائجها إحراج الأقلية المتعاطفة معهم من البيض بل وربما فقدان هذا التعاطف والدعم المادي والمعنوي الذي يقدمونه لهم، وأيضا عدم الالتفات إليهم والاستماع إلى قضيتهم ومطالبهم العادلة لذلك اختاروا النضال على الصعيد الذي وضح أنه الأصعب ألا وهو احترام الدستور.

وكان من نتائج هذه الأعمال والنداءات أن قامت بعض الولايات باتخاذ تدابير محدودة لتخفيف معاناة الرقيق حيث أصدرت ولاية كارولينا الشمالية قانونا خاصا حدد العمل اليومي للرقيق[١] بخمس عشرة ساعة في الصيف وأربع

١) ولعل القارئ يستغرب إذا علم أنه كانت هناك سوق نخاسة أخرى للرقيق البيض في الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية استمرت حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً. وكان الرقيق البيض في الغالب هم الفقراء الذين تقطعت بهم السبل أو المحكوم عليهم بالإعدام الذين يرضون باستبدال حكم الإعدام بالعمل كرقيق لآجال محددة بدون أجر، وكان الرقيق الأبيض أقل حظاً من رصيفه الأسود من حيث المعاملة والأجر ذلك أن الرقيق الأسود في نظر سيده هو ثروة دائمة يجب المحافظة عليها أما الرقيق الأبيض فهو حالة مؤقتة يراد استغلالها لأقصى حد قبل انقضاء الأجل المحدد.

عشرة ساعة في الشتاء. كذلك صوتت ولاية لويزيانا على قانون يحدد أوقات إطعامهم، أما ولاية جورجيا فقد وضعت عقوبات على من يسيء معاملة الرقيق إلا أن قانون العقوبات ذاته نص على أن الإقدام على تعليم أي رقيق القراءة والكتابة يعتبر جريمة في نظر القانون[١].

كان سعر الرقيق في عام ١٨٦٠م يتراوح بين ١٤٠٠ - ٢٠٠٠ دولار حسب عمره وقوته البدنية وكانت تكلفة طعامه تتراوح بين ٤٠ ـ ٥٠ دولار في العام وفي حالة أن يكون له أولاد فإنهم يصبحون مملوكين للمشتري كقيمة مضافة بلا مقابل على أن يتكفل بإعاشتهم.

ولعل المؤسسين للدولة الأمريكية أرادوا ومنذ البداية أن يتركوا مسألة الرق بدون حسم إرضاءً لبعض الولايات وضمانا لوحدة الجمهورية الأمريكية مع المحافظة على التوازنات القائمة. ومن الأمثلة على المفارقات الغريبة أنه وعند توزيع المقاعد النيابية ومقاعد المجالس التشريعية على الولايات المختلفة ـ حسب عدد السكان ونسبتهم ـ رأى المؤسسون أن يحسب حساب ثلاثة أخماس الرقيق. ويا له من حساب عجيب أن الخمسة من السود اعتبروهم يعادلون ثلاثة مواطنين. أي بعبارة أخرى إن الإنسان الأسود يعادل ٠,٦ الإنسان العادي وحتى هذه النسبة كانت باعتبار ما سيكون في المستقبل.

ومن القصص التي تروى في هذا السياق قضية دريد سكوت الشهيرة. فدريد سكوت رقيق ساقه سيده إلى أرض حرة (أي إحدى الولايات التي يحظر فيها الرق (ثم أراد أن يعيده إلى ولاية ميسوري فقررت المحكمة التي نظرت في دعوى دريد سكوت (عام ١٨٥٧م) أن الأسود لا يحق له الطموح إلى صفة المواطن. ثم أوضح رئيس المحكمة العليا أن الزنوج عند وضع الدستور وإقراره كانوا يعدون كائنات من مرتبة دنيا تنحدر إلى مستوى ليس لهم فيه أي حق يلتزم البيض باحترامه. ثم أضاف أن السود ليسوا معنيين بإعلان الاستقلال الذي أقر مبدأ المساواة بين الناس جميعاً. وهو تأويل صحيح تاريخيا لأن الفقرة التي ورد فيها ذكر الرق انتزعت من النص الذي أعده جيفرسون. فدريد سكوت بالتالي ليس مواطناً في أي ولاية من ولايات الاتحاد، أي ليس مواطناً من مواطني الولايات المتحدة الأمريكية وليس له في الواقع أي حق في اللجوء إلى محكمة فدرالية[٢].

لقد أوضح القاضي **روبرت تيني** ـ رئيس المحكمة العليا ـ وهو يصدر هذا الحكم التاريخي على مئات الآلاف من الرقيق وقتها أن على المحكمة العليا التقيد بأحكام الدستور تقيداً حرفياً فهو الذي يضمن للمواطنين حقوقهم في الملكية والرقيق في واقع الأمر ليسو أكثر من سلعة ملكيتها للمشتري وعليه فإن السلطة التشريعية لا تستطيع حظر الرق في أي منطقة أو ولاية من الولايات المتحدة وإلا كان ذلك انتهاكا لحرمة الدستور !

مشانق الأشجار

لكن بعد قضية دريد سكوت أدرك **جون براون** (١٨٠٠ - ١٨٩٥)، وهو أحد المناضلين السود، أن أسلوب حرب العصابات ليس كافيا فقام في تشرين الأول من عام ١٨٩٥م يرافقه ستة عشر من البيض وخمسة من السود بالهجوم على (هاربرز فيراري) في ولاية فرجينيا، وفي خضم الذهول المسيطر على السكان استطاع الاستيلاء على المدينة وأحكم قبضته على (دار صناعة الأسلحة) وأخذ عددا من السكان كرهائن. وعلى إثر ذلك سارعت الحكومة الفدرالية بإرسال

١) كتاب (الحلم والتاريخ) لكلود جوليان، ص ٢٤٦.
٢) المرجع السابق، ص ١٧٤.

قوة من رجال الحرس الوطني في الولاية وقامت هذه القوة بهجوم معاكس أسفر عن أسر **براون** وبعض رفاقه كما قتل عشرة منهم ولاذ الباقون بالفرار. ثم حاول بعض أنصاره أن يرتبوا له سبيلا للهرب إلا أنه رفض ذلك بشدة وقال قولته المشهورة: **(إن جرائم هذا البلد الآثم لا يمكن أن تغسل إلا بالدم)**

وحكم على **براون**، وكان وقتها شيخا تجاوز التسعين، بالإعدام شنقا ونفذ فيه الحكم. وفى ذلك كتب رالف والدو إيمرسون يقول: **(هذا القديس سيجعل للمشنقة مجدا كمجد المسيح)**!

هكذا وكما قال **أبراهام لنكولن** عندما تنكر له الأصدقاء الشماليون في الكونجرس: **(الأمر فعلا أكبر من أن يبكي لكنه أيضاً أوجع من أن يضحك)**.

فلو كان الرق قائماً فقط على الكسب المادي الذي يجده بعض الناس عندما يسومون أناساً آخرين كما تسام الدواب لكان من الممكن حل المعضلة من خلال المداولات النيابية والتعويضات الكافية. لكن المسألة أعمق من ذلك وأكثر تعقيداً. ذلك أن ممارسة الرق انطوت على ترسيخ مفهوم **(تفوق وسيادة الجنس الأبيض والنظر باحتقار إلى كل من هو أسود)** وهذا هو ما عناه **لنكولن** عندما قال: **(بين الأسود والأبيض فارق يحول وإلى الأبد دون عيشهما على قدم المساواة الاجتماعية والسياسية)**.

وإن كان **لنكولن** لم يؤمن بالمساواة الكاملة إلا أنه كان من دعاة تحرير الرقيق فهو الذي رفع عقيرته فجأة خلال الخطاب الذي ألقاه وهو يستهل فترته الرئاسية الثانية في ٤ مارس ١٨٦٥م ـ قبل حوالي شهر من اغتياله ـ وقد مضى على الحرب الأهلية الدائرة خمس سنوات ليقول: (وإذا ما قدر الله استمرارها (أي الحرب الأهلية). إلى أن يتم الأتيان على الثروة كلها المتراكمة خلال مائتين وخمسين عاما من العمل غير المكافأ عليه والذي أنجزه الإنسان المستعبد. وإلى أن ندفع ثمن كل نقطة دم أراقها السوط بنقطة أخرى يسيلها السيف. إذاً علينا أن نردد ما قيل منذ ثلاثة آلاف سنة: عادلة وصحيحة هي أحكام الرب).

وفي العام ١٨٦٤م، كتب **لنكولن** إلى رئيس تحرير صحيفة (كنتاكي) ألبرت هوجز قائلاً: (من الطبيعي أنني ضد العبودية. إن كانت العبودية ليست خطأ، إذن فليس هناك من شيء خطأ). ومن هنا يتضح جلياً أن الرئيس **لنكولن** كان من أنصار تحرير الرقيق ولكن ليس من دعاة المساواة الكاملة. وهكذا عاش **لنكولن** ومات يلفه الغموض والتناقضات[١].

أما **ويليام غاريسون** (١٨٠٥ ـ ١٨٧٩م) فقد أدرك ومنذ البداية أن نظرية التدرج ليست سوى حيلة ووسيلة لإرجاء الحل إلى أجل غير مسمى. فأنشأ صحيفة (الصحافة الحرة) وهو في الحادية والعشرين من عمره وظل يكتب فيها مطالباً بتحرير فوري وبلا شروط، رافضاً أي تعويض للمالكين البيض لأنه يعني كما قال: **(أن ندفع مالا للص كي يعيد ما سرقه فلنكف عن الكلام عن شراء حرية الرقيق فالعدالة تقتضي تحريرهم)**.

كما أصدر غاريسون صحيفة (المحرر) التي استمر في نشرها حتى تاريخ تحرير الرقيق. وكان عقاب من يلقى عليه القبض وهو متلبس بقراءة هذه الصحيفة في جورج تاون ـ القريبة من واشنطن ـ غرامة قدرها ٢٥ دولارا والسجن شهرا.

١) حسب الموسوعة العربية العالمية (المجلد ٢١، ص ١٦٥) فقد ساعدت الانتصارات العديدة التي حققتها القوات الاتحادية في عام ١٨٦٤م على إعادة انتخاب **لنكولن** لفترة رئاسية ثانية. وأخيرا وفي ١٨٦٥/٤/٩م استسلم القائد لي للقائد جرانت بولاية فرجينيا. وهكذا كسب **لنكولن** الحرب ضد الرق والولايات الجنوبية المتمردة. وفى مساء ١٨٦٥/٤/١٤م وبينما كان **لنكولن** يحضر عرضا لمسرحية (ابن عمنا الأمريكي) بمسرح فورد في واشنطن، قام جون ولكس بول، الممثل المشهور وقتها والمتعاطف مع الجمهوريين، بإطلاق النار من الخلف على رأس **لنكولن** فتوفي المحامى النحيل الطويل **لنكولن** في الخامس عشر من أبريل ١٨٦٥م متأثرا بجراحه.

إن أكثر ما أثار حفيظة غاريسون ما بلغه من وجود مزارع لتربية الرقيق في بعض الولايات وأن بعض هذه المزارع في فرجينيا تربي وتصدر سنويا أكثر من ٤٠,٠٠٠ رقيق إلى الولايات الأخرى وتحقق من وراء ذلك أرباحاً تصل إلى ملايين الدولارات. وقد وصف غاريسون في جريدته من يمارسون هذا العمل باللصوص والقتلة مطالبا بالحكم عليهم بالسجن المؤبد لكن وبدلا عن ذلك أحيل إلى القضاء وحكم عليه بغرامة باهظة لا قبل له بها فقضى سبعة أسابيع في السجن قبل أن يتدخل رجل من أهل المروءة وينقذه.

تمثال آخر للعبودية في العاصمة الكينية نيروبي

الحركات المناهضة للفصل العنصري خلال القرن التاسع عشر

بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية في ١٨٦٥م والتي أسفرت عن انتصار ولايات الشمال الاتحادية ومن ثم إعلان تحرير الرقيق وتعزيز ذلك بالتعديلات على الدستور الأمريكي التي حملت الأرقام ١٣، ١٤ و١٥ التي كانت في مجملها لصالح السود الأمريكيين كما أشرت له سابقاً، تحققت لهم العديد من المكاسب وكان أهمها الحصول على حق التصويت والمشاركة في الحياة السياسية، وإن كان هذا الحق اقتصر في بادئ الأمر على الرجال فقط في معظم الولايات.

وفي العام ١٨٦٨م تم انتخاب (جون مانارد) عضواً في مجلس النواب الأمريكي عن ولاية لويزيانا حيث كان السود يشكلون نسبة ٥٠٪ من السكان، وسجل مانارد اسمه بذلك كأول أمريكي أسود يتم انتخابه بمجلس النواب إلا أن الفرحة لم تكتمل إذ رفض الكونجرس أن يخصص له مقعداً.

لم يكن هذا الرفض مقصوداً به النائب مانارد في شخصه أو بسبب لونه الأسود بل كان هذا الإجراء معمولاً به بالنسبة لجميع النواب المنتخبين في ولايات الجنوب حيث لم يكن مصيرها فيما يتعلق بالعضوية في الكونجرس ومجلس النواب قد تم حسمه بعد. فبعد انتهاء الحرب الأهلية تم تقسيم الجنوب إلى خمس مناطق جعلوا على كل منها حاكماً عسكرياً يتم اختياره بالتعيين[١].

وفى العام ١٨٧٠م تم انتخاب **هيرام ريفلس** من المسيسبي ليكون أول أمريكي أسود يدخل مجلس الشيوخ الأمريكي[٢] كان ذلك بعد أن وافق الكونجرس على قبول عضوية سبع ولايات جنوبية في الاتحاد وهى: أركنساس، كارولينا الشمالية، كارولينا الجنوبية، لويزيانا، جورجيا، ألباما وفلوريدا. أما الولايات الجنوبية الثلاث الأخرى وهي المسيسبى، تكساس وفرجينيا فقد اضطرت لاحقا للرضوخ لشروط الكونجرس وتم قبولها في الاتحاد عام ١٨٧١م [٣].

وعموماً وخلال الفترة التالية للحرب الأهلية، أي الفترة التي عرفت في التاريخ الأمريكي باسم (حقبة إعادة الأعمار)، استطاع عشرون من الأفرو أمريكانز الفوز بمقاعد في مجلس النواب فيما حصل اثنان على عضوية مجلس الشيوخ. وخلال هذه الحقبة أيضاً ظهر نوع من التحالف السياسي بين الجمهوريين والأفرو أمريكانز، واستمر هذا

١) كتاب (The American History) الصادر عن وزارة الإعلام الأمريكية، ص ١٧٢.
٢) موقع (www.encarta.msn). وتحت عنوان (African American History) ، ص١٥.
٣) كتاب (تاريخ الولايات المتحدة من القرن ١٦ حتى القرن٢٠)، ص١٢٨.

التحالف فترة من الزمن مما أدى لتوجه معاكس من البيض وأنصار الرق في الولايات الجنوبية الذين سارعوا إلى تأييد الحزب الديمقراطي الذي أصبحت له الغلبة في معظم هذه الولايات.

إن المكاسب التي بدأت تتحقق للسود الأمريكيين بموجب التشريعات والتعديلات الدستورية التي جاءت في مصلحتهم ما كانت لتمر مرور الكرام في مجتمع ترسخت فيه جذور الرق والعبودية لأكثر من ثلاثة قرون. والغريب أن كثيراً من الأمريكيين لم يكونوا على علم بمأساة السود إلى أن تم نشر كتاب (كوخ العم سام) !

ذلك أن أنصار الرق من أهل الجنوب ساءهم أن الزنوج وبحكم القانون والتعديلات الدستورية أصبحوا يعدون بشراً، فبدأوا يعملون وبشتى الوسائل على إجهاض المكاسب التي تحققت للسود وخاصة بعد سحب آخر فوج من القوات الفدرالية التي كانت ترابط في الجنوب عام ١٨٧٧م حيث كانت هذه القوات هي المسؤولة عن تنفيذ القانون وحماية السود وحفظ النظام.

وبسحب هذه القوات بدأ فصل جديد من مأساة الإنسان الأسود إذ (تفننت) ولايات الجنوب في التحايل على القوانين والعمل على إفراغ التعديلات الدستورية من فحواها بأساليب نظامية فبدأت بإصدار تشريعات خاصة بها، تشريعات لا تناقض التعديل الخامس عشر صراحة أو من حيث الجوهر. فهي لم تمنع السود من حق الاقتراع بوصفهم سوداً لأن في ذلك مخالفة صريحة لنص الدستور. لكنهم وبأساليب شيطانية أبعدوا السود عن صناديق الاقتراع لأسباب أخرى وشروط تعجيزية لا شأن للعرق واللون بها ومن ذلك:

(أ) شرط حيازة المواطن الأسود على شهادة معرفة القراءة والكتابة وإذا استوفى هذا الشرط فإن عليه أن يجتاز اختبار الثقافة العامة والقدرات وقد ظل هذا الشرط مرعياً في ١٩ ولاية ـ منها ست ولايات جنوبية ـ حتى عام ١٨٩٥م.

(ب) دفع الضريبة الانتخابية وهي تتراوح بين دولار واحد إلى ثلاث دولارات مقابل التسجيل في القوائم الانتخابية وظلت هذه الضريبة سارية المفعول (وبخاصة على السود) حتى ألغتها المحكمة العليا في ١٨٩٦م حيث وجدت أنها غير نظامية[١].

وبالنسبة للشرط الأول ـ وعلى سبيل المثال ـ ففي نيويورك كان حملة الشهادة الثانوية معفيين من شرط اجتياز اختبار الثقافة العامة، أما في الجنوب فكان موظفون صغار يقررون أن زنجياً ـ يشغل وظيفة أستاذ جامعي ـ لا يتمتع بالمستوى الثقافي الذي يؤهله للتصويت[٢]!

وقد كان نظام الاختبار والأسئلة غريبين فعلاً، ففي بعض الحالات كان السؤال للأسود أن يقول بسرعة وعلى وجه الدقة عمره بالسنين والشهور والأيام فإذا أخطأ في يوم واحد كان هذا سبباً كافياً لأن يحرم من التصويت. وإذا علمنا أن نسبة الأمية في أوساط السود حتى العام ١٩١٥م كانت بمعدل ٥٠٪ فلنا أن نتخيل ما كان عليه الحال قبل أربعة عقود من ذلك التاريخ.

معنى هذا أن الأوضاع ما لبثت أن انقلبت في الولايات الجنوبية أو بالأحرى عادت إلى أصلها إذ استطاع أعداء الحلم الأمريكي أن (يضحكوا) مرة أخرى على القوانين، وكمثال فقط: كان عدد سكان مدينة توسكنجي (ولاية ألباما٦٧٠٠) نسمة في عام ١٨٥٨م السود منهم٤٨٠٠ (أي حوالي ٧٢٪). ومع ذلك فقد بلغ عدد السود الذين تأهلوا للتسجيل في القوائم الانتخابية للتصويت ٤٢٠ فقط في حين بلغ عدد البيض المسجلين في القوائم لنفس الدائرة ٦٠٠ وكان هذا العدد كافيا لانتخاب مجلس تشريعي جل أعضائه من البيض.

١) كتاب (الحلم والتاريخ) لكلود جوليان، ص ٢٥١.
٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ثم توالت الانتكاسات ففي العام ١٨٨٣م قررت المحكمة العليا أن حق الاقتراع للسود الذي أجازه الكونجرس في ١٨٧٠غير دستوري. كما قررت نفس المحكمة في ١٨٩٦م . وبالتحديد في قضية **بليسي** ضد **فيرجسون** . أن الفصل العنصري عمل مشروع نظامياً[١].

وابتداءً من أوائل التسعينات من القرن التاسع عشر وعندما أصبح الحزب الديمقراطي هو صاحب الكلمة والأغلبية وخاصة في ولايات الجنوب تم منع السود من الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات الأولية الخاصة بهذا الحزب لاختيار مرشحه للرئاسة وذلك بحجة أن الحزب الديمقراطي هو (ناد خاص) لا يخضع للقوانين الفدرالية التي تمنع التمييز العنصري.

ومع زيادة المد للحزب الديمقراطي في الولايات الجنوبية أخذت أحوال السود تزداد سوءاً مما دفع الكثيرين منهم للهجرة إلى الشمال والغرب. وخلال هذه الحقبة أصبح من المألوف تنفيذ أحكام الإعدام بحق السود بدون توجيه اتهامات محددة وبدون محاكمة رسمية. وحسب الإحصاءات الرسمية المسجلة فقد زادت عمليات الإعدام للسود من معدل ٥٠ عملية إعدام سنوياً في أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر إلى نحو ٧٥ في العام خلال الخمس سنوات التالية ثم إلى معدل يزيد عن ١٠٠ عملية إعدام سنوياً خلال التسعينات.

فخلال الفترة ما بين عامي ١٨٩٠م و١٩٠٠م تم إعدام أكثر من ١٢٠٠ من السود الأمريكيين من الرجال والنساء على حد سواء[٢]، وفي العام ١٩٤٤ أصدرت المحكمة العليا قراراً ببطلان التشريعات التي كان يتبعها الحزب الديمقراطي والتي كانت تمنع السود من المشاركة في الانتخابات التمهيدية لاختيار مرشح الحزب لرئاسة الدولة.

أما العام ١٩٤٢م فقد شهد تكوين تنظيم جديد للسود باسم مؤتمر المساواة العرقية (The Congress of Racial Equality) وكان من أهم أهدافه إزالة مظاهر الفصل العنصري في السكن والمواصلات والمرافق العامة بولايات الشمال.

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٨-١٩٤٥م) قامت صحف السود بحملة دعائية واسعة لتحقيق نصر مزدوج على الفاشية في أوروبا والعنصرية في الولايات المتحدة. ولعل مما يجدر ذكره أن حوالي مليون من السود الأمريكيين شاركوا إلى جانب قوات الحلفاء في المعارك التي دارت في أوروبا وآسيا. وكان من جراء ذلك أيضاً أن تضاعف عدد الأمريكيين البيض المتعاطفين مع قضايا الأفرو أمريكانز لما رأوا من حسن بلائهم وفدائيتهم في المعارك التي خاضوها جنباً إلى جنب معهم. وبعد عودتهم إلى أرض الوطن بدا واضحا أن الأمريكيين الأفارقة الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية أصبحوا أكثر تصميماً على نيل حقوقهم المدنية المغتصبة مما دفع الرئيس الأمريكي وقتها **هاري ترومان** إلى إصدار قرار بإنهاء نظام الفصل العنصري في الخدمة العسكرية وذلك في عام ١٩٤٨م.

هذا التطور الإيجابي الذي جاء في مصلحة الأمريكيين ذوى البشرة السوداء جعل المتشددين من أعداء الحلم الأمريكي يتحركون من جديد. فبعد حالة الصدمة والذهول التي انتابتهم في بادئ الأمر سرعان ما بدأوا القيام بعمليات تنم عن عدم الرضا والتحدي مثل إحراق المدارس العامة التي تفتح أبوابها للسود، ومحاربة الأساتذة والإداريين الذين يتجاوبون مع قرار المحكمة العليا فيما يتعلق بالدمج بين السود والبيض في مؤسسات التعليم العام، وإقفال بعض المدارس العامة للحيلولة دون قبول السود فيها، بل ومقاطعة أي مدرسة عامة تنفذ قرارات الدمج بين العرقين الأبيض والأسود.

١) في عام ١٨٩٦م تحدى هومر أدولف بليسي . الذي كان نصف أسود . قانون التمييز في لويزيانا عندما جلس في مقعد بالقطار مخصص للبيض، وخسر بليسي الدعوى وصادقت المحكمة العليا على الحكم وشرعت (المعاملة المنفصلة إنما المتساوية (للسود. وبعد ٥٨ سنة أي عام ١٩٥٤م نقضت المحكمة العليا الحكم في دعوى بارزة من دعاوى الحقوق المدنية عرفت باسم (براون ضد مجلس التعليم في كنساس) حيث قضت المحكمة بأن التمييز في التعليم غير دستوري.

٢) من موقع (encarta) تحت عنوان (African American History)، ص ١٩.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تطور إلى إنشاء مجلس خاص للمواطنين البيض باسم (The White Citizens Council) وقاد هذا المجلس حملةً شعواءَ ارتكزت على إعلان الحرب الاقتصادية ضد كل أسود أو أبيض يقف مع قرار المحكمة الدستورية العليا الخاص بالدمج بين العرقين.

وخلال تلك الحقبة زاد عدد أعضاء جماعة الـ (**كو كلوكس كلان** KKK)[١] بصورة ملحوظة كما كثفوا نشاطهم وصعدوا عملياتهم الإرهابية التي اعتمدت أسلوب التهديد بالقتل وإذا لم يجد ذلك فإنهم كانوا لا يتورعون عن القتل إذا دعت الضرورة. وكمجرد مثال لتوضيح طريقة عمل هذه الجماعة فإنني أقتبس القصة التالية كما جاءت في كتاب الحلم الأمريكي:

(في العام ١٩٥٤ أجر مواطن اسمه **برادن** منزله للسيد **ويد** وزوجته وهما أسودان. وفي اليوم التالي وجدوا الصليب الملتهب وهو شعار جماعة الـ (KKK) مغروساً أمام المنزل وكان هناك من يطلق الرصاص على النوافذ. وبعدها بيوم واحد فقط تم نسف المنزل وتفجيره بشحنة من الديناميت). [٢]

كما حكى **كلود جوليان** [٣]قصة الشاب الأسود **ماك باركر** ٢٣ عاماً الذي تم اختطافه من السجن في ٢٥ أبريل ١٩٥٩ بمدينة بوبلرفيل (المسيسبي) وكان متهما بجريمة اغتصاب لينفذ المختطفون فيه حكم الإعدام شنقاً قبل أن تصدر المحكمة قرارها في القضية. هذه الجريمة البشعة هزت ضمير الشعب الأمريكي واستنكرتها الأغلبية العظمى حتى من البيض أنفسهم ويقول **كلود جوليان**: إن هذه الجريمة بالذات أثارت من الاستنكار والاشمئزاز أكثر مما أثير خلال الفترة التي كانت تسجل فيها عمليات شنق لأكثر من مائة وخمسين أسود في العام سواء بقرارات قضائية أو بفعل من بعض الأفراد والجماعات المتطرفة مثل الـ (KKK).

لقد كان الطريق إلى الحقوق المدنية الكاملة طويلا ووعرا مهدت إليه سلسلة طويلة من الأعمال الصغيرة والكبيرة التي قام بها أفراد ومجموعات ضحوا تضحيات جساماً، وشهدت تلك الحقبة مواطنون أمريكيون عاديون من السود والبيض أيضاً أظهروا شجاعة فائقة وسط أخطار شخصية هائلة. وعلى سبيل المثال فقد استمرت الطالبة **اليزابيث ايكفورد** البالغة من العمر ١٥ ربيعاً استمرت تمشي وسط حشد من الغوغاء يصرخون (أعدموها. اقتلوها (في أول يوم لها بالمدرسة الثانوية المركزية في ليتل روك عام ١٩٥٧م عندما كانت تحاول مع ستة طلاب سود آخرين أن تدخل إلى مدرسة كل طلابها من البيض، فأصدر الرئيس إيزنهاور أمرا تنفيذيا وأرسل قوات فدرالية ومظليين لتمكين الطلاب السود من دخول مدرستهم ضمانا للتمازج العرقي بالمدرسة.

ولقد فوجئت عندما رأيت السيدة **اليزابيث** خلال المقابلة التي أجرتها معها قناة الجزيرة الفضائية في فبراير ٢٠٠٩م وهي ما تزال تحتفظ برباطة جأشها رغم بلوغها العقد السابع من العمر، كما أفادت بأنها ما تزال تذكر ذلك اليوم وكأنه ماثل أمامها الآن.

وكذلك فقد رصد إليوت جاسبين مؤلف كتاب (مدفون في المياه المرة) (Buried In The Bitter Water) العديد من الممارسات المخيفة لبلدات صغيرة في جميع أنحاء الولايات المتحدة والأساليب التي اتبعها البيض لطرد السكان السود منها، وهو أمر يرقى إلى ما يسمى (التطهير العرقي) في العرف السياسي [٤] حيث يكشف التغييرات الديموغرافية التي

١) جمعية سرية أسها بعض البيض المتطرفين وظلت تمارس أعمال القتل والإرهاب بحق السود والعرب والمسلمين.

٢) كتاب الحلم الأمريكي: كلود جوليان، ص ٢٨٤.

٣) صاحب كتاب الحلم الأمريكي رئيس تحرير جريدة)لوموند ديبلوماتيك الفرنسية.

٤) المقال بعنوان بعد ١٠ سنوات من البحث في السجلات والوثائق: جاسبين يرصد بعضا من الممارسات المخيفة ضد السود في أمريكا. جريدة الوطن السعودية، عدد الأربعاء ٢٠٠٧/٤/١٨م، ص ٢٦. وقد حصل جاسبين على عدة جوائز عن كتاباته وهو متخصص في الصحافة الإلكترونية.

تظهر انخفاضا حادا في عدد السكان السود في بعض البلدات وبناء بلدات أخرى بقي جميع سكانها من البيض. ومع أن الناس كانوا يعرفون أن مثل هذه الأحداث وقعت منذ حوالي قرن من الزمان، إلا أن مثل هذه القصص لم تكن من النوع الذي يجرؤ الناس على التحدث عنها علنا، وربما نقلها البيض همسا للأجيال اللاحقة مع إحساس بالزهو والفخر، لكن الوضع بدأ يتغير منذ حوالي عقد من الزمان، وبدأ الصمت الذي كان مفروضا على قضية التطهير العرقي ضد السود في أمريكا يفقد قدسيته، فقد شكلت ولاية أوكلاهوما مثلا لجنة عامة للتحقيق في تدمير حي كامل للأفارقة الأمريكيين في تولسا في أحداث مريعة جرت في ١٩٢١ م. ومنذ عامين نشر العالم الاجتماعي **جيمس لوين** كتابه (بلدات غروب الشمس) الذي فاز بجائزة أدبية وتحدث فيه عن الموجات المنظمة للتطهير العرقي ضد السود أيضا. أما جاسبين فقد تحدث بعمق عن ١٢ حادثة كبيرة من هذه العمليات التي اعتبرها (أسوأ الأسوأ) حيث حكى عن الخطوات بالتفصيل التي سبقت كل حادثة من تلك الحوادث، مقدما وصفا حيا لتجربة الأشخاص الذين جرفتهم أحداث العنف في تلك الفترة.ز ثم ينتقل إلى الوقت الحاضر ليروي كيف تركت تلك الأحداث جروحا عميقة ترفض أن تندمل.

يقول جاسبين: أن السكان السود في قلب وسط أمريكا (الميد ويست) إلى جنوبها ومن جبال نورث كارولاينا إلى حدود تكساس، كانوا يتلقون تهديدا (بأن أرحلوا الآن أو واجهوا الموت). وبالطبع لم تكن تلك التحذيرات تعلن عن كارثة طبيعية محتملة مثل إعصار أو زلزال أو ثورة بركان، لكنها كانت مؤشرا على قرب حدوث كارثة من صنع الإنسان الأبيض ضد الإنسان الأسود. ويمضي إلى القول بأن هذا الوضع استمر حتى العشرينات من القرن العشرين حيث كان البيض يشكلون عصابات مسلحة تعمل على بث الرعب بين السكان السود وتدفعهم إلى النزوح من تلك المناطق. وقامت تلك العصابات بارتكاب جرائم بشعة مثل إحراق بعض السكان السود وهم أحياء والقتل العشوائي وتمكنت من طرد عشرات الآلاف من مساكنهم وأحرقتها، الأمر الذي أوجد مقاطعات كاملة خالية من السود. وكانت عمليات الطرد سريعة جدا وفي بعضها لم يكن الأمر يستغرق أكثر من ٢٤ ساعة للتخلص من أحياء كاملة للسود مما دعا البعض لاعتبار هذا الكتاب تقريرا يرسم وصمة عار على جزء من التاريخ الأمريكي خلال فترة زمنية محددة أعيد خلالها تشكيل الجغرافيا العرقية لبعض مناطق الولايات المتحدة بصورة كاملة.

الباب الثالث

الحركات المنظمة للأفرو أمريكانز في القرن العشرين

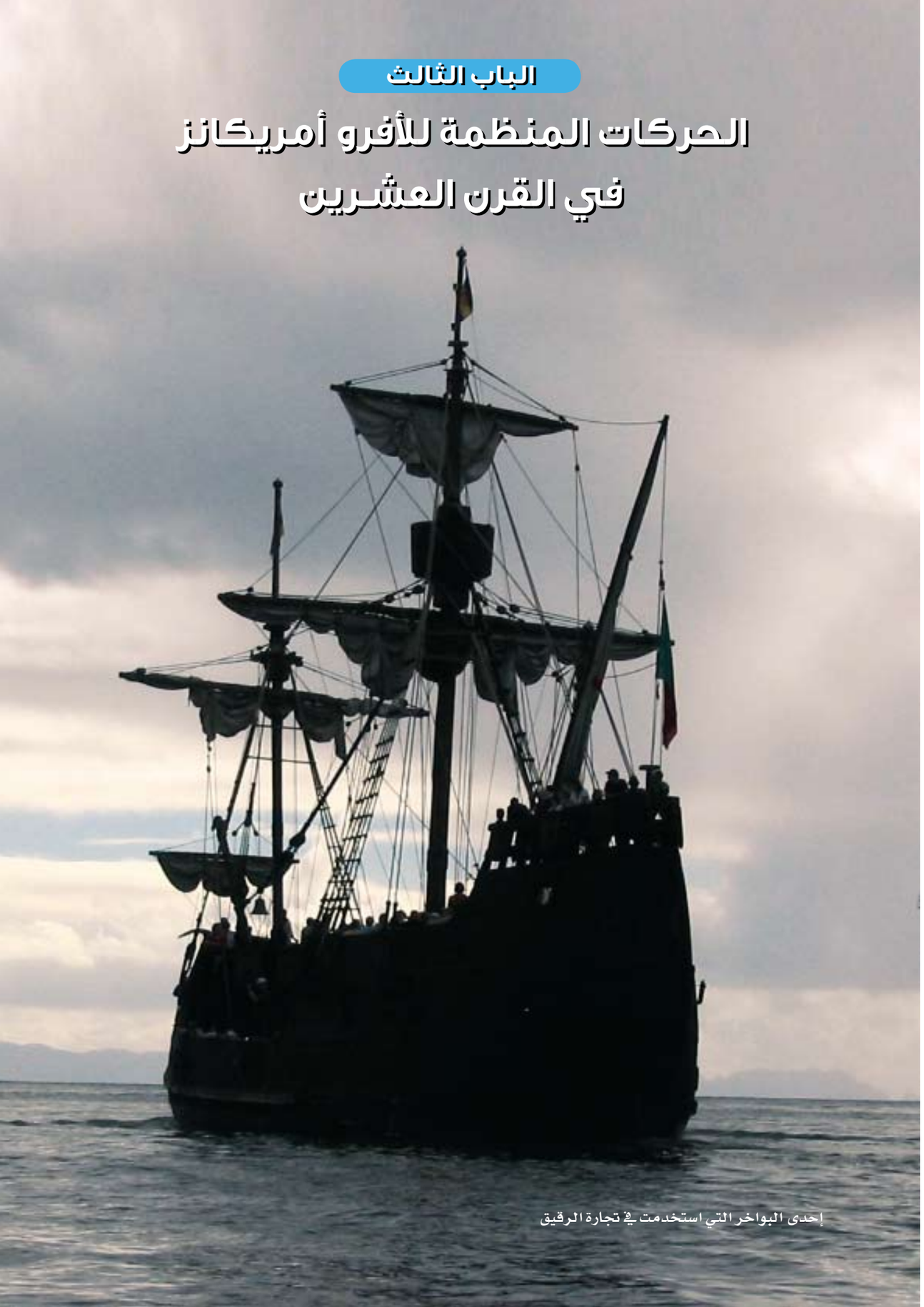

إحدى البواخر التي استخدمت في تجارة الرقيق

لمحة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأفروأمريكانز
خلال العقدين الأولين من القرن العشرين

شهد الثلث الأول من القرن العشرين العديد من التطورات والأحداث الهامة على الصعيد العالمي. وكما هو معروف فقد اندلعت الحرب العالمية الأولى في أواخر يوليو ١٩١٤م بين دول المحور بقيادة ألمانيا ودول التحالف بقيادة بريطانيا (سيدة البحار وقتها). استمرت تلك الحرب زهاء أربع سنوات وراح ضحيتها ما يقارب عشرة ملايين من الأنفس فضلاً عن خسائر مادية لا تعد ولا تحصى خاصة بالنسبة لفرنسا وبلجيكا وألمانيا. والثابت تاريخياً أن الولايات المتحدة بقيت على الحياد في بادئ الأمر إلا أن الألمان ارتكبوا الخطأ الذي دفع الإدارة الأمريكية للتدخل وترجيح الكفة لصالح الحلفاء. كان ذلك عندما بدأت الغواصات الألمانية في إغراق السفن غير الحربية المتجهة من وإلى بريطانيا التي كانت تحت الحصار. هذه الحرب ومن قبلها الحرب الأمريكية الأسبانية في ١٨٩٨م حول قضية تحرير كوبا أظهرتا الولايات المتحدة كقوة عظمى جديدة لها وزنها.

كان الحلفاء بحاجة إلى مدد من القوات حتى يتمكنوا من مقارعة الجيوش الألمانية في الجبهة الغربية فطلبوا من إدارة **ويلسون** إرسال ثلاثة ملايين مقاتل على وجه السرعة وأعلن الرئيس التعبئة العامة حيث تم خلال فترة وجيزة تجنيد حوالي مليوني مقاتل وإرسالهم إلى جبهات القتال في أوروبا فيما عرف تاريخيا باسم (الحملة الأمريكية)[١]. وقد وضح منذ البداية أن التسجيل للراغبين في التجنيد يتم على أساس اللون والتأصيل لمبدأ تفوق الجنس الأبيض، فمن بين ٣٥٠,٠٠٠ رجل أسود سجلوا أسمائهم للتجنيد لم يصرح إلا لحوالي ٤٠,٠٠٠ بالتوجه إلى مناطق العمليات[٢]. وحتى هؤلاء وجدوا أنفسهم عرضة للتمييز في التدريب وفي ميادين القتال فكانت المراكز القيادية والإشرافية كلها من نصيب البيض.

وتمضي الموسوعة إلى القول (لقد أتاحت أوضاع السود الذين لم يسمح لهم بالمشاركة في الحرب الفرصة للمشتغلين بعلم النفس للتحقق من صحة الافتراضات القائلة بأن الرجل الأسود ينتمي إلى سلالة بشرية أقل ذكاء ونضجاً من سلالة الإنسان الأبيض فكانت الأشغال اليدوية والشاقة من نصيب السود الذين بذلوا غاية جهدهم لإثبات ولائهم لوطنهم من ناحية وأنهم ليسو أقل كفاءة من زملائهم البيض من ناحية أخرى).

وكان من أبرز مظاهر التمييز العنصري في أوساط الجيش الأمريكي خلال الحرب العالمية الأولى الحملة الدعائية التي شنتها الحكومة ضد الجنود السود عند وصولهم إلى الأراضي الفرنسية حيث وزعت وثائق سرية حاولت من خلالها التأثير على نظرة السلطات الفرنسية تجاه الجنود السود والتحذير من أعمال العنف المتجذرة في تركيبة الإنسان الأسود، إلا أن السلطات الفرنسية لم تعاملهم من منطلق الجنس أو اللون فكانوا يتنقلون بين المدن الفرنسية دون أي قيود، وربما كانت الحكومة الأمريكية تخشى من أي معاملة إنسانية قد تؤلب السود ضدها إثر عودتهم إلى أمريكا.

أما السود الذين لم يشاركوا في الحرب فقد عصفت بهم الأحداث وانقلبت حياتهم رأساً على عقب فقد شهدت ولايات الجنوب حركة مكثفة لهجرة السود إلى مدن الشمال حيث ازدهرت الصناعات الحربية التي كان الحلفاء بحاجة لها في ميادين القتال. كما أن تراجع معدلات الهجرة الأوروبية إلى أمريكا بسبب ظروف الحرب زاد من حدة النقص في اليد العاملة لكن التفرقة في المعاملة والأجر عادت لتطل من جديد فكان توظيف السود يتم بأقل الأجور.

---

١) الموسوعة العربية العالمية الجزء التاسع ص١٩٦.

٢) كتاب كليفتون مارش: (From Black Muslims To Muslims) ، ص ١٩.

وفيا يتعلق بالنشاط الاقتصادي تقول الإحصاءات الرسمية أن السود في ولايات الجنوب وإلى ما قبل الحرب الكونية الأولى كانوا يمثلون أكثر من ٧٠٪ من مجموع القوى العاملة في مجال الزراعة. ولم يكن من حقهم امتلاك الأراضي الزراعية إلا إذا كانت غير مرغوب فيها أصلا. وعلاوة على ذلك كان على الرجل الأسود أن يحصل على كفيل يضمنه وأن يكون هذا الأسود نفسه مقبولا لدى المجتمع الأبيض في المنطقة التي ينوي امتلاك قطعة أرض فيها. ثم جاء الكساد الكبير وكان الأفرو أمريكانز أكثر فئات المجتمع الأمريكي تأثراً وتضرراً من الأزمة الاقتصادية والكساد الذين عانت منهما الولايات المتحدة في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من القرن العشرين إذ ارتفعت نسبة البطالة في الولايات المتحدة إلى أعلى مستوياتها وزادت معدلات الهجرة الداخلية من ولايات الجنوب ومناطق الزراعة إلى مدن الصناعة والتجارة في الشمال والشرق.

وبينما بدأت الأوضاع تتحسن بعد انتهاء الأزمة الاقتصادية الكبرى إلا أن أوضاع الأفرو أمريكانز لم تزدد إلا سوءاً مما أفقدهم الثقة في أي تحسن ملموس في أوضاعهم، وما يزال هذا التباين موجوداً بصورة أو بأخرى داخل المجتمع الأمريكي حتى أيامنا هذه مما يزيد من صعوبة أية محاولة جادة لإيجاد مخرج أو معادلة متوازنة بين القوى العاملة وطبقات المجتمع الأخرى بصفة عامة. كما كُشف النقاب عن هذا الخلل في توزيع الثروة في كتاب باسم: (America: What's Gone Wrong)

حيث جاء فيه أن أكثر من ٨٠٪ من الثروة في أمريكا يملكها بضعة أفراد ومؤسسات لا يزيد عددها عن أصابع اليدين.

على أن أخطر ما واجه الأفرو أمريكانز عامة من تحديات جديدة بعد الاستعباد والتمييز والاضطهاد كانت عمليات التعقيم القسري (الحرمان من القدرة على الإنجاب) التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من الفقراء من أصحاب البشرة السمراء في أمريكا وذلك عندما اتخذت نظرية الإنجليزي مالتوس[١] التشاؤمية التي أثارت ضجة عظيمة في وقتها واتخذت مبرراً للإبادة الجماعية لكثير من الشعوب الفقيرة ولعلي أستشهد هنا بما ورد في كتاب آلان تشيس الذي جاء بعنوان (تركة مالتوس) اعتراف القاضي الفيدرالي جيرهارد جيل في خضم إحدى جلسات القضية التي ترافعت فيها المحاكم الأمريكية لمصلحة ضحايا التعقيم القسري في العام ١٩٧٤م، حين قال حسبما ورد في الكتاب المذكور: (على مدى السنوات القليلة الماضية قامت الدولة والهيئات والوكالات الفيدرالية بتعقيم ما بين مائة إلى مائة وخمسين ألف شخص سنوياً من متدني الدخل الفقراء).

---

١) توماس روبرت مالتوس ١٧٦٦-١٨٢٣ وهو راهب اقتصادي خرج للعالم بنظرية حملت اسمه فيما بعد، وقال فيها أن الجنس البشري محكوم عليه بالموت جوعاً لأن عدد سكان العالم يزيد بمتوالية هندسية في حين تزيد الموارد الغذائية بمتوالية حسابية، كما قال أن الرجل الذي ليس له من يعيله ولا يستطيع أن يجد له عملاً في المجتمع هو عضو زائد في وليمة الطبيعة وهي تأمره بمغادرة الزمن!.

حركة الحقوق المدنية خلال العقدين الأولين من القرن العشرين

خاض الأمريكيون الأفارقة معارك كثيرة اتخذ معظمها الطابع السلمي وذلك مثل المسيرات الهادرة أو الصامتة والمقاطعة لبعض السلع والمحلات التجارية ومرافق الخدمات العامة وعمليات الاعتصام وتحدي الأنظمة بالجلوس في الأماكن المخصصة للبيض كما أنشأوا العديد من المنظمات والجمعيات والاتحادات التي كان الغرض الأساسي منها الدفاع عن قضاياهم. ولعل أهم هذه الجمعيات هي: الرابطة الوطنية للأمريكيين الأفارقة التي تأسست في ١٨٩٠م وحركة نياجارا (١٩٠٥م) والجمعية الوطنية لتقدم الملونين (١٩٠٨م) ثم الرابطة الوطنية للتحول الحضري في ١٩١٠م. ومعروف أنه وحتى العام ١٩١٠م كان أكثر من ٧٠٪ من السود يسكنون في الولايات الجنوبية لكن وخلال الفترة ما بين ١٩١٠ ـ ١٩٥٠م حدث تغيير دراماتيكي على الخارطة السكانية الأمريكية عندما نزح أكثر من خمسة مليون أمريكي من أصول أفريقية من مزارع الجنوب إلى المدن الصناعية في الشمال. كانت تلك أكبر عملية هجرة داخلية في تاريخ الولايات المتحدة وقد نشطت وبصورة أكثر وضوحاً خلال فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م ـ ١٩١٨م) وكانت هذه الهجرات طلباً لظروف حياتية أفضل وأملاً في الشعور بالأمن ولو في غياب العدل والمساواة، حيث تميز أهل الشمال الأمريكي عامة ومنذ أمد بعيد بأنهم أقل عنصرية وأكثر تسامحاً فيما يتعلق بالمسألة اللونية. إلا أن السود الذين نزحوا إلى الشمال اصطدموا بمنافسة شديدة وغير متكافئة من جانب المهاجرين الأوروبيين. على أن هذا النزوح أدى إلى تحسن ملموس في الظروف المعيشية والنمط الحياتي للكثير من الأسر المهاجرة. وكان من إفرازات الهجرة إلى الشمال أن ظهرت إلى حيز الوجود حركة ثقافية نشطة في نيويورك عام ١٩٢٠م عرفت باسم (نهضة هارلم) (Harlem Renaissance). واستخدم أعضاء هذه الرابطة مختلف أنواع الفنون لإظهار القدرات والمواهب الإبداعية التي يتمتع بها الأفرو أمريكانز الذين أثروا الساحة الفنية من خلال إدخال بعض الآلات والإيقاعات الأفريقية في الموسيقى الغربية. ولعل الأثر الأفريقي في الموسيقى والغناء والرقص يبدو واضحاً جداً على الساحة الفنية في المجتمع الأمريكي حتى اليوم بل أصبحت النكهة واللونية الأفريقية هي السمة الغالبة والمميزة لهذه الفنون، والمتفحص للإنجليزية الأمريكية يلاحظ بوضوح الأثر الأفريقي حيث أصبحت لهجة الأفرو أمريكانز هي الغالبة في كثير من الأحيان[١]. وعلاوة على ذلك ومنذ الخمسينات من القرن الماضي أظهر الأمريكيون السود تفوقاً واضحاً في ضروب الرياضة وخاصة الملاكمة وكرة السلة والمصارعة وألعاب القوى حتى كاد التفوق في هذه الألعاب يصبح وقفاً عليهم.

إلا أن أحدث التقارير الواردة من الولايات المتحدة تشير إلى حركة هجرة عكسية الآن في أوساط السود من مدن الشمال إلى الجنوب وخاصة ولايتي فلوريدا وفلادلفيا حيث فرص العمل الآن أكثر في المناطق الجنوبية بعد أن زال نظام التمييز العنصري إلى حد كبير، وهذه الهجرات الجديدة أصبحت في شكل موجات غيّرت في بعض المدن تركيبتها السكانية، وخير مثال على ذلك مدينة أتلانتا التي أصبح عدد السود فيها يعادل ضعف عدد البيض كما أصبح البيض يفضلون السكن في الضواحي برغم أن أسعار المنازل في الجنوب عامة أرخص كثيراً منها بالوسط والشمال.

---

١) ولعله يحضرني هنا القول المشهور المنسوب للكاتب الساخر برنارد شو حيث قال: (England and America are two countries separated by the same language!) أي أن انجلترا وأمريكا دولتان فرقت بينهما نفس اللغة!).

ماركوس قارفي الشاعر الأمة (١٨٨٧ – ١٩٤٠م)

مقدمة:

ذكرت في الباب الثاني من هذا الكتاب أن الولايات المتحدة واعتباراً من منتصف القرن التاسع عشر بدأت تشهد حركات مقاومة ورفض نشطة اتسمت بالعنف أحياناً وبالسلم أحياناً أخرى، كانت تعبّر عن الرفض لسياسة الفصل العنصري والامتهان لكرامة الإنسان الأسود. إلا أن تلك الحركات في مجملها كانت اجتهادات فردية أما العمل الجماعي المنظم القائم على إستراتيجية واضحة وبرامج محددة لتحقيق أهداف بعينها فلم يبدأ إلا مع حلول القرن العشرين حيث كان المخاض شاقاً وعسيراً. وكان من رواد هذا الاتجاه الحديث ورموزه **ماركوس قارفي** و**نوبل درو علي** اللذين ظهرا على الساحة في نفس التوقيت تقريبا. كانت تلك نقلة هامة وتطوراً طبيعياً لحركة النضال المستمر ضد سياسة الفصل العنصري.

فالحديث إذاً عن حركة الأمريكان السود لا يمكن أن تتكامل حلقاته من دون التعرض لرجل في قامة **ماركوس قارفي** باعتباره واحداً من أبرز شخصيات الثلث الأول من القرن العشرين على مستوى العالم.

ولد **قارفي** في ١٧ أغسطس ١٨٨٧م بسانت آن في جامايكا (المستعمرة البريطانية وقتها) من أبوين أسودين. يقول **إسن أدوم**: أن **قارفي** قام بعدة جولات في دول أمريكا اللاتينية قبل أن يستقر به المقام في لندن عام ١٩١٢م بغرض التعرف على أوضاع الزنوج في الأجزاء الأخرى من الإمبراطورية البريطانية[١]. وفيها عمل مع المؤلف المصري **ديوس محمد علي** الذي كان يشرف على تحرير مطبوعتي (African Times) والـ (Orient Review). وخلال هذه الفترة بدأ اهتمامه ينصب حول أوضاع السود في الولايات المتحدة خاصة بعد قراءته كتاب: (Up From Slavery) (التحرر من العبودية) الذي حكى فيه **بوكر واشنطن** قصة حياته[٢].

وفي صيف ١٩١٤م عاد **قارفي** إلى جامايكا وقد اختمرت في ذهنه فكرة توحيد جميع الشعوب السوداء وأن تكون لهم دولة خاصة بهم وحكومة منهم وفيهم. وهناك بدأ **قارفي** يبشر بمولد عالم جديد لا يكون السود فيه عبيداً مسخرين بل تكون لهم السيادة والقيادة والمساهمة الفاعلة في إثراء الحضارة الإنسانية.

وفي العام ١٩١٥م بدأت علاقة مراسلة بين **قارفي** و**بوكر واشنطن** الذي رحب بالتعاون معه ودعاه لزيارته في نيويورك مبدياً استعداده لمساعدته في جمع التبرعات لفتح مدرسة خاصة للزنوج في جامايكا تكون على غرار معهد تسكنجي الذي يعتبر أول معهد خاص بالسود في الولايات المتحدة[٣].

لكن البدايات في أمريكا جاءت مخيبة للآمال فلدى وصوله إلى حي هارلم بنيويورك في ٢٣ مارس ١٩١٦م علم **قارفي** أن **بوكر واشنطن** أصبح في عداد الموتى فهام على وجهه أياماً لا يكاد يجد ما يسد رمقه. وإن كنا لا نعرف الكثير عن حياة **قارفي** وسنواته الأولى في الولايات المتحدة فإن كل الشواهد تقول أن نجمه بدأ في الظهور سريعاً كخطيب بارع وزعيم واعد امتاز على أقرانه بسحر البيان كما ساعدته موهبته الشعرية وفصاحة اللسان. وقد كتب في ذلك **كيلي ميلر** قائلاً: (حضر **ماركوس قارفي** إلى الولايات المتحدة قبل أقل من عشرة سنوات ولم يكن لديه صديق في هذه البلاد أو

---

١) من كتاب (Black Nationalism: A Search For Identity In America) ، ص ٢٦ – ٣٧.

٢) بوكر واشنطن أحد زعماء الحركة القومية السوداء ومن نشطاء حركة نهضة هارلم التي ازدهرت في العقود الأولى للقرن العشرين. كان من دعاة انفصال السود وتكوين دويلة خاصة بهم داخل الولايات المتحدة كما كان يرى عدم جدوى مشاركة السود في الحياة السياسية، توفي في فبراير ١٩١٦م.

٣) كتاب (Black Nationalism: A Search For Identity In America) ، ص٤٠.

أقارب. ولم تكن لديه حرفة أو صنعة يعيش منها. كان هذا الجامايكي في حوالي الثلاثين من عمره وكان أسود اللون بنسبة ١٠٠٪ ولم يكن قد أكمل تعليمه. وإذا أردت تقييمه من خلال مظهره الخارجي فإنك لا تجد فيه شيئا يميزه عن آلاف السود المهاجرين من جزر الهند الغربية الذين يتوافدون إلى بلادنا زرافات ووحدانا. لكن وخلال بضع سنوات فقط، أصبح هذا الرجل الأسود علما يشار إليه بالبنان. وأصبحت سيرته وكلماته على كل لسان)[١]. فعندما استقر به المقام في هارلم كانت الساحة تعج بالعشرات من الخطباء والزعماء والسياسيين والشعراء الزنوج الذين اتخذوا من أرصفة شارع لينوكس منبرا لهم وجعلوه أشبه بهايد بارك لندن.

كانت حركة نهضة هارلم في ذروتها وكان على رأس فرسانها وقتها **هيوبرت هاريسون** و**فيليب راندولف** و**شاندلر أوين** و**دبليو دومينقو** و**نوبل درو علي**[٢]. وسط هذا الخضم والزخم بدأ نجم **قارفي** يلمع ويظهر أما منافسوه فقد تواروا الواحد تلو الآخر ولم يبق على الساحة إلا قارفي و**درو علي**. بقي **قارفي** لأنه لم يكن مجرد ظاهرة عابرة. لم يكن مجرد شاعر ثائر ومقاتل. لم يكن خطيباً مفوهاً ومشروع قائد عظيم فحسب، بل كان صاحب مدرسة رائدة جديدة وفلسفة مميزة. كانت له رؤى واضحة فيما يتعلق بأوضاع السود وإمكاناتهم ومستقبلهم والدور المنتظر منهم. وكانت فلسفته تقوم على العمل الجماعي المنظم والتخطيط السليم الذي هو أساس كل نجاح. وكان **قارفي** صاحب قضية ورسالة كرس لهما كل وقته وحياته. وفوق هذا وذاك ولأنه كان يتمتع بشخصية قيادية مؤثرة وكانت له عزيمة تقهر المستحيل فقد أصبح الرمز للقوة السوداء القادمة والصوت المجلجل الذي يحمل في طياته الويل والوعيد لأمريكا البيضاء أحيانا. فلا غرو أن كتب عنه كثيرون، ولا عجب أن أغدقوا عليه الألقاب مثل (نبي السود موسى) و(نابليون الأسود)[٣].

أصبح **قارفي** يشق طريقه وسط الجموع بصعوبة بالغة إذا دعوه ليتحدث. وإذا اعتلى المنبر يضطر للوقوف فترة قد تصل أحيانا إلى العشر دقائق ريثما يتوقف الحضور عن الهتاف والتصفيق. وإذا بدأ يتحدث أو يلقي إحدى قصائده النارية الغاضبة خيم على المكان صمت القبور. كانت لديه ملكة سحرية في إجبار الناس على الإصغاء والتزام الصمت والهدوء. والواضح أن كل من جاءوا بعده تأثروا به وحاولوا تقليده في النهج والأسلوب حتى الذين لم يعاصروه أمثال **مالكولم إكس** و**لويس فراخان**[٤].

ماركوس قارفي

وإن لم يكن **قارفي** هو أول من أطلق شعار (العودة إلى أفريقيا) لكنه من القلائل الذين عملوا على وضع هذا الشعار موضع التنفيذ وبصورة لم يسبق لها مثيل. وقد كتب عنه أحدهم يقول: (ولد **قارفي** ليكون زعيما فهو قائد مطبوع وزعيم بالفطرة، وأنت ترى التصميم وقوة الإرادة في كل ذرة من قسمات وجهه. ولعلي أذكر جيداً كلماته الأولى حيث وقف أمام حوالي ٢٥,٠٠٠ أسود تجمعوا في ساحة ماديسون سكوير قاردن ليقول: (أينما ذهبت وسواء كان ذلك في فرنسا أو ألمانيا أو إنجلترا أو أسبانيا كنت ألقى إجابة واحد ة: (ليس لدينا غرف في هذا المكان للزنوج)[٥]!.

١) المقال بعنوان: (Marcus Garvey: Life & Lessons) المنشور على الموقع (File://A:Lifeintr.htm) بشبكة الإنترنت ، ص ٣ من ٢٦.
٢) زعيم زنجي إدّعى أنه مسلم عاصر قارفي ويعتبر من رواد حركتي الحقوق المدنية والقومية السوداء كما سيرد ذلك بشيء من التفصيل لاحقا.
٣) المقال بعنوان: (The Man who Was Almost Made King) من موقع (www.Marcusgarvey.Com/almost.htm).
٤) زعيم الفصيل المنشق عن حركة أمة الإسلام وهو من المخضرمين وقد خصصت له جزء كامل ضمن هذا العمل.
٥) المرجع السابق، ص ١ من ٤.

(إن كل شعب من شعوب الأرض له وطن خاص به. وقد آن الأوان لشعبنا المكون من أربعمائة مليون (أسود) أن يعلن للملأ أن إفريقيا هي الوطن لشعبنا. آن لنا أن نعلن للعموم: أن عهد العبودية والسخرة والرق والاستعمار لشعبنا ووطننا قد ولّى إلى غير رجعة. نحن نطالب بتحرير أفريقيا الآن في هذه اللحظة. وإنني أكاد أرى إثيوبيا وقد رفعت يديها إلى السماء. وأكاد أرى ملائكة السماء وقد رفعت راية الأحمر والأسود والأخضر عالية خفاقة وهي تنادي وتقول: هلموا يا رجال الجنس الأسود. يا رجال إثيوبيا. سيروا من خلفي. إنه قدر هذا الجيل أن يحمل الراية ويحطم الأغلال التي تكبل أفريقيا اليوم وليس غدا. فهل تستطيعون القيام بهذا العمل؟ هلموا لنبدأ رحلة الصعود لنزرع رايتنا بأعلى القمم الأفريقية. وتخيلوا وطننا الحر الجميل الممتد من مضيق جبل طارق حتى رأس الرجاء الصالح، دولة حرة للسود.

(يجب على السود وفي جميع أنحاء العالم أن تكون لهم عقيدة واحدة أساسها الثقة في النفس. وأن تكون لهم قضية واحدة وهدف واحد ومصير واحد. لنصنع دولتنا، الإمبراطورية العرقية التي لا تغرب عنها الشمس. لا تنسوا أبدا قضيتكم وتذكروا دائما أننا نعمل ونخطط لإرساء دعائم مملكة عرقية عظيمة تقوم على مبدأ الحرية للأفارقة في بلادهم وخارجها وأن تكون أفريقيا للأفريقيين)[١].

أسس **قارفي** المنظمة العالمية لتقدم الزنوج في ١٩١٦م واختار لها راية تحمل ألوان الأحمر والأخضر والأصفر والأسود، الأحمر رمزاً للدماء التي سالت كشلال نهر، الأخضر رمزاً للأرض البكر، الأصفر للذهب الذي سرقوه كما قال والأسود رمزاً للشعوب الأفريقية، وفيما بعد تم حذف اللون الأصفر وإن كانت معظم دول القارة الأفريقية ما تزال تعتمد بعض هذه الألوان أو جميعها كشعارات لها.

واختفى **قارفي** عن الأنظار في ١٩٢٧م إثر طرده من الولايات المتحدة بعد أن أمضى فترة في السجن وبقي صدى الصوت المغّني يتردد في كل مكان. وفي منتصف الثمانينات من القرن الماضي أطلق المغني ذائع الصيت **بوب مارلي**[٢] الأغنية المشهورة التي يقول مطلعها: (I Will never forget, no way they sold Marcus for rice)

لا يمكن أن أنسى بحال أنهم باعوا ماركوس مقابل حفنة أرز

١) من المقال بعنوان: (The Fundamentals of African Nationalism) لماركوس قارفي والمنشور في موقع (www.themarcusgarveybbs.com/garvey.html) على الانترنت.
٢) مغني جامايكي يقال أنه انتحر لإدمانه المخدرات وكتب في وصيته أن يدفن في أثيوبيا حيث ما يزال الأثيوبيين يحتفلون بالذكري السنوية لرحيله بل هاجر إلى أثيوبيا عدد كبير من الجامايكيين وما يزالوا مستقرين بها قرب مدينة يقال لها شاشامني.

المنظمة العالمية لتقدم الزنوج

وإن كانت منظمة الـ(Universal Negro Improvement Association) ((UNIA) التي أسسها **قارفي** ليست هي أولى المنظمات الكبرى التي قامت كرد فعل للاضطهاد الذي يلقاه السود في أمريكا إلا أنها تعتبر - وبلا جدال - المنظمة الوحيدة بين المنظمات الكبرى التي لم تتشبه بالإسلام أو تحاول اختطافه. كان الهدف الأساسي لهذه المنظمة كما جاء في ميثاقها هو: (توحيد الأمة السوداء المبعثرة والعمل على تطويرها والنهوض بها لتحتل مكانها اللائق بين الأمم).

وكان من الوسائل التي أعدها لتحقيق الأخوة العالمية وتقوية روح العزة والكبرياء في أوساط الزنوج أن بدأ في إصدار صحيفة ناطقة بلسان الحركة أطلق عليها اسم (عالم الزنوج) (Negro's World) وكانت تطبع بالانجليزية والفرنسية والإسبانية ووصل توزيعها إلى أكثر من مائتي ألف نسخة في اليوم كما استطاعت أن تصل إلى أبصار الزنوج في شتى أنحاء العالم مذكرة إياهم بتاريخ أجدادهم وممجدة لهم الأبطال السود الذين قدموا أرواحهم قرابين رخيصة من أجل الحرية للسود المستضعفين والمضطهدين. مصورة لهم حضارتهم التي سادت العالم في فجر التاريخ حينما لم يكن البيض شيئاً مذكوراً كما قال **قارفي**.

ماركوس قارفي في زيه الرسمي

وفي اليوم الختامي للاجتماع التنظيمي للحركة الذي دام ثلاثين يوماً وحضره أكثر من ثلاثة آلاف وفد من ممثلي الحركة والمتعاطفين معها من مختلف أنحاء العالم، تزينت قاعة الحرية في الشارع رقم ١٣٨ بحي هارلم بالأعلام والزينات. وفي ذلك اليوم أعطى الممثلون الذين جاءوا من أفريقيا وجزر الكاريبي وبرمودا، بالإضافة للمقيمين في الولايات المتحدة، الإجازة النهائية لإعلان حقوق الإنسان الأسود. كان ذلك يوماً مشهوداً في تاريخ الشعوب السوداء. حيث تم إعلان تأسيس جمهورية أفريقيا الجديدة التي أطلق عليها اسم (الولايات الأفريقية المتحدة) كما تم انتخاب **قارفي** بالإجماع كأول رئيس لعموم القارة الأفريقية. وفي مساء نفس اليوم وقف **قارفي** في بزته الأرجوانية المهيبة المزينة بالشارات والنياشين وبدأ يتلو مواد إعلان حقوق الإنسان الأسود والتي وصلت في مجموعها إلى أربع وخمسين مادة.

ولعله من المفارقات أن جاءت المادة الأولى من مواد هذا الإعلان تحمل نفس الكلمات والعبارات التي استهل بها توماس جيفرسون وثيقة إعلان استقلال الولايات المتحدة عن التاج البريطاني والتي جاء فيها: (وحيث أن جميع الناس يولدون أحرارا ومتساوين في الحقوق. الخ).

أما المقدمة للإعلان فقد جاءت على النحو التالي: (نحن ممثلو الشعوب السوداء بمختلف أنحاء العالم بعد التوكل على الرب القوي العادل نعلن للعموم أنه واعتبارا من هذا اليوم فإن جميع الزنوج المنتشرين بكافة أرجاء المعمورة، رجالا ونساء وأطفالا أصبحوا مواطنين أحرارا وأبناءً لأفريقيا، القارة الأم والوطن المفدّى لكل الزنوج)[1].

كما تضمنت وثيقة الإعلان فقرة على قدر من الأهمية تقول:

(ونحن إذ نفعل ذلك نعلن أيضاً أنه لا يجوز لأي زنجي أن يشارك في أي حرب دفاعاً عن مصالح أي شعب آخر بدون الموافقة المسبقة من زعيم الشعوب الزنجية إلا في حالة الدفاع عن النفس أو المصالح القومية. ونحن إذ نعلن ذلك

١) المقال بعنوان: (The Man Who Was Almost Made King) المنشور بموقع (www.marcusgarvey.com yalmost.htm) ، ص ٤.

نؤكد على حق كل زنجي في الحصول على العدل والمساواة أمام جميع المحاكم وفي أي بلد كان. وإذا حرم أي مواطن أسود من هذا الحق بسبب لونه أو عرقه، فإن هذا الحرمان يعد اهانة لعموم الزنوج وعليهم جميعاً أن يهبوا للرد عليها بالمثل أو استنكار مثل هذا التصرف وشجبه كأقل شيء)[1].

ولم ينس قارفي أن يحيي الجموع بقصيدة طويلة حملت اسم: تحية للولايات المتحدة الأفريقية

(A Tribute to the United States of Africa) قال فيها:

(سلام عليك ولايتنا المتحدة الأفريقية الحرة.

سلام على الأرض الأم الأكثر إشراقاً. دولة العدل بأمر الرب.

سلام عليك يا من وحدتها رابطة الإخاء المولودة من رحم الحقيقة. القادرة أينما كنت.

على امتداد أرجائك كيما ترتفع راية الحرية من السواحل الغربية المسالمة للبيبريا الحرة إلى الرأس الصالح الثائر في أقصى الجنوب، راية واحدة نعتز بها ونلتف حولها).

كما كتب قصيدة أخرى بعنوان: قضي أمريكا (America! Halt) **قال فيها:**

أمريكا التي يحكمها الرجل الأبيض

رب السماوات يناديك

لقد استخدمت الإنسان الأسود كأداة

وبرهنت على أن الحب والعقيدة مجرد سراب

عقيدتك المسيحية في مجملها كذبة إذا لم تقومي ببعض التغييرات

لقد أحضرونا هنا لنموت

لكن الرب سيحمينا من أجله هو

هذه دعوة لكي لتضعي الأمور في نصابها الصحيح

ونحن نناشد ضميرك الحي - نحن ندعو للسلام

لا نريد الحرب. لا نطلب منك إلا معالجة الجرح

لقد عملنا طويلاً في عدة مجالات لتنظيف طرقاتك وفلاحة الحقول

شاركنا في حروبك وكنا لك الدروع

لكنك رميت بنا إلى الحضيض

أمريكا ستنهض دولة عظيمة إذا اجتمع فيها الحب والصدق

ما ندعو الولايات له أن تحرر نفسها من الداء القاتل

دعوة الزنوج هي كلمة مقدسة والرب ينتصر للحق العادل

الملائكة تتحدث بالرماح المشتعلة، وهكذا يصنع الإنسان القادر

١) المقال بعنوان: (The Man Who Was Almost Made King) الرجل الذي أوشك أن يتوج ملكاً)، ص٣ من٤.

وبعد الإجراءات التنظيمية التي قام بها ولضمان استمرارية صحيفة عالم الزنوج (World Negro's) اشترى مطبعة أطلق عليها اسم (مطبعة الزنجي العجوز) (Old Negro's Printing Press) كما أسس شركة النجم الأسود للنقل البحري (Black Star Line Steamship Company)، وكان الغرض من إنشاء هذه الشركة إعادة زنوج العالم الجديد إلى أفريقيا وجعل ليبيريا قاعدة ومحطة ترانزيت تستقبل أفواج العائدين من الدنيا الجديدة. ومعروف أن المحاولة الأولى لإعادة السود من أمريكا إلى أفريقيا قام بها **بول كويفي** عام ١٨١٥م عندما أرسل مجموعة من ٣٨ أفريقياً بحرا إلى سواحل أفريقيا الغربية[١]، فيما شهد العام ١٨٦١م ترحيل أول مجموعة من السود من فلادلفيا إلى هاييتي وكان عددهم حوالي ألفين.

وفي العام ١٩٢٣م بدأ تشغيل شركة (النجم الأسود) بعد أن اشترى أربع بواخر عابرة للقارات وكان عدد أعضاء المنظمة قد ارتفع إلى أكثر من مليوني عضو في الولايات المتحدة وخارجها. ثم أرسل **قارفي** بعثة إلى ليبيريا قوامها خمسة عشر فردا من الفنيين، إلا أن الأعمال والمشاريع التجارية لم تحقق النجاح المنتظر بسبب سوء الإدارة وقلة الخبرة وبعض الصعوبات الأخرى.

كان **قارفي** يعرف أنهم لن يتركوه طويلاً في أمريكا وقد ألمح إلى ذلك خلال لقاء جماهيري بالعاصمة الأمريكية واشنطن حيث قال: (القضية بدأت في أمريكا ولكنها لن تنتهي هنا على أية حال).

وخلال الانتخابات الرئاسية التي جرت في الولايات المتحدة عام ١٩٢٤م أصدر **قارفي** قائمة بأسماء المرشحين المعتمدين من الحركة والذين يجوز للأعضاء التصويت لهم. وفيما يتعلق بالانتخابات الرئاسية أظهر تأييداً قوياً ل**كالفن كوليدج** مرشح الحزب الجمهوري لرئاسة الولايات المتحدة.

وفي هذا الخضم وقد بدأت الأزمات تطل برأسها وحاصرته المشكلات المالية وجدت الحكومة الأمريكية الفرصة التي كانت تنتظرها للتدخل والقضاء على **قارفي** وحركته قبل أن يستفحل أمرها، فتم تقديمه للمحاكمة في القضية المشهورة: الولايات المتحدة ضد **ماركوس قارفي**، ووجد نفسه متهما بالنصب والاحتيال وإساءة استخدام البريد الحكومي.

كان كل شيء مرتباً فلم تستغرق المحاكمة وقتا يذكر، وفي الثامن من فبراير ١٩٢٥م تم حجز **قارفي** بسجن أطلانطا في جورجيا، وفي السجن كتب قصيدته المشهورة (مأساة العدل الأبيض) (The Tragedy Of White Justice) كما بعث برسالة إلى أتباعه كتب فيها:

(إذا قدر لي أن أموت بسجن أطلانطا فأعلموا أن ذلك سيكون إيذانا ببداية عملي ورسالتي لأنني سأعيش لأرى اليوم الذي تحطم فيه أفريقيا أغلالها وتحقق مجدها. وإذا مت فاربطوا حول نعشي الراية التي تحمل ألوان الأحمر والأسود والأخضر، ذلك أنني سأنهض في الحياة الأخرى الجديدة. لأقود الملايين السوداء صعوداً إلى القمم ونحن نحمل الألوان التي تعرفونها جيداً. أبحثوا عني في الزوابع والتسونامي في الأعاصير الثائرة. ابحثوا عني في كل مكان حولكم. وبمشيئة الله سوف أحضر وأحضر معي ملايينا لا تعد من العبيد الذين ماتوا في أمريكا وبغرب جبال الانديز، وملايين أخرى من أفريقيا لمؤازرتكم في القتال من أجل الحرية والعدل والكرامة)[٢].

١) كتاب (Black Nationalism) لأسن أدوم ص ١٩. أما بول كويفي فهو بحار أسود من منطقة نيو انجلند الأمريكية وهناك من يقول أنه كان من رجال الأعمال. ويعتقد الكثيرون أنه وبعمله هذا مهد الطريق لتأسيس الجمعية الأمريكية الاستعمارية في ١٩١٦م التي تبنت فكرة إعادة الزنوج إلى أفريقيا.

٢) من كتاب: (Marcus Garvey. Philosophy and Opinions) لايمي جاك قارفي، ص ٢٣.

لكن كوليدج[١] لم ينس الجميل الذي صنعه معه **قارفي** خلال حملته الانتخابية فأصدر في أواخر العام ١٩٢٧م أمرا بالعفو عنه، وفي ديسمبر من نفس العام تم ترحيله إلى بلده الأصلي (جامايكا) باعتباره شخصاً غير مرغوب فيه.

رجع **قارفي** إلى موطنه حزينا ومثقلا بالإحباط وخيبة الأمل. ولعل أكثر ما ساءه وآلمه هو تنكر الأصدقاء وتخلي الصحاب عنه في محنته فلم يجد من يقف إلى جانبه إلا الرئيس الأمريكي كوليدج. أدرك **قارفي** أن المهمة التي انبرى لها دونها عقبات كثيرة وأن الوقت كان ما يزال مبكرا جدا لتحقيق حلم الوحدة الأفريقية. ذلك أن تحرير الشعوب السوداء وحصولها على حقوقها المدنية هما الأولوية التي يجب أن تتحقق قبل التفكير في الوحدة السياسية.

وفي العام ١٩٤٠م توفي **قارفي** قبل أن يحقق حلمه الكبير وكان قد قال وهو في ذروة مجده عام ١٩٢٤م: (أعرف أنني قد لا أعيش لأرى الحلم يصبح حقيقة لكن الكلمات التي أطلقتها من على هذا المنبر (منبر قاعة الحرية في نيويورك) سوف ترددها خلال السنوات القادمة الأجيال التي ستأتي، وسوف يرفرف في يوم ما على الأركان البعيدة المظلمة للقارة السمراء. اللواء الذي يحمل الأحمر والأسود والأخضر، عالياً خفاقاً).

وهكذا مات الرجل الذي ادعى في يوم ما أنه سبق هتلر وموسوليني في فكرة القومية العرقية التي تكون لها السيادة على العالم[٢]. وحاليا فإن الملتزمين من أتباعه يشيرون إليه باسم (قديسنا Our Saint) وهؤلاء لهم نشاط ملموس في حي هارلم وشيكاغو وبعض المدن الأمريكية الأخرى إلا أن المنظمة التي أنشأها أصبحت ضعيفة وممزقة. ثم ظهرت في نيويورك حركة (القومية الأفريقية الرائدة) بزعامة **كارلوس كوكس**، وما يزال أنصار هذه الحركة يقيمون الاحتفالات والقداس إحياء لذكرى **قارفي** في شوارع هارلم ويحاولون جمع المال اللازم لبناء قاعة ضخمة في نيويورك تحمل اسمه.

ولعله مما يجدر بالذكر أن مؤسس هذه الحركة القومية الجديدة ـ والذي أراد أن تكون إمتداداً لل (UNIA) ـ يعتبر من أشد المعارضين لاستخدام كلمة (Negro) في الإشارة للسود ذلك باعتبار أنها تنطوي على إساءة وتحقير لهم. لكن كوك سار على نهج **قارفي** فيما يتعلق بالتعاليم الدينية، وكان **قارفي** قد جعل للمسيحيين السود إلها أسوداً خاصاً بهم ومسيحاً أسوداً وعذراء سوداء وجعل الحركة تحت مظلة رئيس روحي أسود هو **الأب جورج**، كما طلب من أعضاء الحركة التحلي بالأخلاق المسيحية الرفيعة بعيداً عن نفاق كنائس البيض. وسوف نرى في الفصول القادمة من هذا الكتاب أن غالبية الأفرو أمريكانز ما يزالون أسرى لهذه الأفكار ولم يسلم من ذلك حتى كثير من المسلمين الأمريكيين.

وفي السابع عشر من أغسطس ١٩٨٧م خرجت جامايكا عن بكرة أبيها إحياء لذكرى **قارفي** واحتفالا بمرور قرن على ميلاده كما أصبح هذا التاريخ عطلة سنوية رسمية في العديد من الدول الأفريقية ودول الكاريبي.

١) كالفن كوليدج الرئيس الثلاثون للولايات المتحدة ١٩٢٣-١٩٢٩م

٢) معروف أن قارفي كان من المعجبين بهتلر وموسوليني وقد كتب قصيدة: (A Tribute To Hitler And Mussolini) (تعظيم سلام لهتلر وموسليني) ثم عاد وانقلب على موسوليني بالذات وهجاه في عدة قصائد منها قصيدة (The Devil In Mussolini).

حركة المور الاجتماعية (المعبد العلمي للموريين)

حركة المور الاجتماعية (المعبد العلمي للموريين) (The Moorish Science Temple) وأسسها تيموثي درو في نيو آرك (نيوجيرسي) عام ١٩١٣ وهو من مواليد كارولينا الشمالية (١٨٨٦م) ولم يحظ بقدر يذكر من التعليم. عمل كساعيَ بريدٍ في أول حياته قبل أن يستقر في نيو آرك حيث أسس معبده الأول عام ١٩١٣م. وهناك من يقول: أنه جاء أصلاً من مكة المكرمة، ولعل ما يدعم هذا الاعتقاد أن تعاليم تيموثي فيها الكثير من تعاليم طائفتي البُهرا الهندية والإسماعيلية الشيعية وهؤلاء كانت لهم بعض الأوقاف في مكة المكرمة. وهناك من يدعي أيضاً أن العاهل المغربي كلفه بتعليم الزنوج في أمريكا.

اختار لنفسه اسم **نوبل درو علي** وبسبب جاذبيته والشعارات البراقة التي كان ينادي بها التف حوله عدد لا بأس به من الأتباع والمريدين وإن كانوا لا يقارنون بالعددية والألوف التي التفت حول **قارِيف** الذي وصلت حركته إلى قمة ازدهارها مع بداية العشرينات من القرن الماضي. ويعتقد أتباع **درو علي** أن **قارِيف** جاء ليبشر ويهيئ الناس لقدوم زعيمهم[١] الذي لم يكن من أنصار عودة الأمريكان السود إلى أفريقيا بل كان من دعاة القومية السوداء داخل المجتمع الأمريكي. وظل يرفع شعار الإصلاح من الداخل والتغيير الاقتصادي والاجتماعي فأمر أتباعه بتغيير أسمائهم ورموزهم الثقافية أملاً في أن تتغير حظوظهم المالية. وبدأ ينشر بين أتباعه فكرة أن الخلاص الحقيقي لن يتم إلا من خلال معرفة الأمريكان السود للتراث الأفريقي وأن يصبحوا مسلمين. وزعم أن المسيحية هي عقيدة الأوروبيين والإسلام هو دين الشعوب التي تنتمي للقارة السمراء.

وعموماً فقد أسس **درو علي** حركته على مبدأ أن الأمريكان الأفارقة هم في الحقيقة شعب من آسيا أصلا نزحوا إلى شمال أفريقيا بعد الفتوحات الإسلامية، أما عن نسبه فيقول إنه من المور الذين قدم أجدادهم من المغرب. وربما يكون المور الأمريكيون هم أحفاد قبائل الموبايت البائدة التي استوطنت السواحل الشمالية الغربية والجنوبية الغربية لأفريقيا[٢].

وأعلن أن (مراكش) هي وطنهم الموعود لكن لا بأس من أن تكون أمريكا وطناً ثانياً مؤقتاً لهم لحين تحرير مراكش من المستعمرين البيض. ولعل **علي** أراد من إطلاق كلمة (المسلمين) على أعضاء حركته أن يربطهم روحياً وعقائدياً بالشعوب الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

وتحقيقا لذلك كانت البطاقات التعريفية التي طبعها ليحملها الأعضاء للتعريف بشخصياتهم وهويتهم تحمل النجمة والهلال (كرموز إسلامية) وتحدد ملة حاملها بأنه مسلم يطيع شريعة الله ﷻ كما وردت في القرآن الكريم الذي نزل بمكة المكرمة، وأنه يرعى فضائل المحبة والصدق والسلام والحرية[٣].

أما فلسفته والمبادئ العامة التي قامت عليها عقيدته فقد صاغها في كتابه (المقدس) الذي سماه (القرآن) (The Holy Quran) وهو كتاب من ٦٤ صفحة يحتوي على آيات من القرآن الكريم ونصوص من الإنجيل وبعض تعاليم **قارِيف** وأفكاره القومية بالإضافة إلى تأويلات أخرى هي من بنات أفكاره هو.

ومنع غير المنتمين لحركته من قراءة هذا الكتاب الذي يشير صراحة إلى أن **نوبل درو** نبي أمره الله أن يبلغ رسالة الإسلام للشعوب المنحدرة من أصول أفريقية في أمريكا، لذلك فقد جعل العضوية وقفاً على الآسيويين فقط ويعني بذلك السود غير القوقازيين كما يقول **كليفتون مارش**[٤].

---

١) من المقابلة التي أجراها كليفتون مارش مع (جورج بي) أحد وزراء الحركة المورية في أغسطس ١٩٧٦م.

٢) الملاحظ أن كلمة (مور) هذه موجودة ضمن أسماء بعض دول الشمال الأفريقي كموريتانيا والمغرب (موروكو) وأيضاً في اسم جزيرة مورشيوس في الجنوب الشرقي من القارة وفي أسماء بعض سكان أفريقيا جنوب الصحراء كاسم (موري) مثلا وربما كانت المسألة تحتاج لدراسة لمعرفة كنه هذه الكلمة.

٣) كتاب (المسلمون الزنوج في أمريكا) لإريك لنكولن ص ٦٦.

٤) كتاب (From Black Muslims To Muslims) ، ص ٤٤.

الطقوس الدينية والعبادات لحركة المورِيين

نويل درو علي

تعتبر عقيدة **نوبل درو** بصفة عامة مزيجاً من التعاليم الإسلامية والتعاليم المسيحية وتعاليم أخرى ما أنزل الله بها من سلطان. فالمعبد عندهم يقوم مقام المسجد وفي الصلاة يراعون الفصل بين الجنسين ويتجهون شرقاً صوب مكة المكرمة. لكن الصلاة عندهم ثلاثة أوقات في اليوم: عند شروق الشمس وفي منتصف النهار وعند الغروب.

ويعتبر المعبد (The Temple) هو الوحدة الرئيسية ومركز النشاط لحركة المورِيين التي جعلت مقرها الرئيسي في نيو آرك قبل أن ينقلوه إلى شيكاغو حيث وصل عدد الأعضاء إلى ما يقدر بحوالي عشرة آلاف. وأسس **درو علي** معابد أخرى في ديترويت وبطسبرج وفلادلفيا وكنساس سيتي ورتشموند وغيرها من المدن الأمريكية. وكان عدد الأعضاء قبل وفاته في ١٩٢٩م قد وصل إلى أكثر من ثلاثين ألف عضو. أما مصادر الدخل للحركة فكانت تتمثل في اشتراكات الأعضاء والتبرعات والعائدات عن الأعمال التجارية الصغيرة الخاصة بالحركة.

ويولي المورِيون عناية خاصة بملبسهم فالرجال يجب عليهم تغطية الرأس في كل الأوقات بطربوش أحمر مزين بخيوط سوداء ومن حوله العمامة البيضاء مع البنطال والقميص أو البذلة الكاملة. وفيما يتعلق بالنواحي الغذائية فهم نباتيون طعامهم الرئيس هو الخضروات عامة، أما اللحوم بجميع أنواعها وحتى البيض فهي عندهم حرام ماعدا الأسماك. كما نهى **درو** أتباعه عن شرب الخمر والتدخين وفرد الشعر أو صبغته. أما الرياضة وضروب اللهو والرسوم المتحركة والرقص فهي عنده من المكروه الذي يحبذ اجتنابه. ومع التشدد في منع استخدام المرأة والرجل للمساحيق وأدوات التجميل و(المكياج) التي تعتبر عند **درو علي** من المحرمات لكن يجوز للرجل أن يستخدم لحية مستعارة إذا دعت الضرورة وشر البلية ما يضحك كما يقولون!

واختار راية حمراء في وسطها نجمة خضراء خماسية الزوايا كشعار لحركة المورِيين الاجتماعية وإن لم يكن من دعاة الانسلاخ وتكوين دويلة خاصة بالسود داخل الولايات المتحدة. يقول **إريك لنكولن**:

(ومع أن الحركة تعتبر نفسها إسلامية فإننا نراها قد أبقت على الكثير من المظاهر المميزة للمسيحية، فقد بقيت صورة المسيح المصلوب تزين الجدران في المعابد والبيوت. واستمرت الترانيم الكنسية تحتفظ بألحانها بالرغم مما طرأ عليها من تغيير يتفق والروحانية المألوفة لدى الزنوج)[١].

وعليه يمكن القول إجمالا أن ما قام به **درو علي**. وإن كنا نختلف معه في كثير من المفارقات. يعتبر أول محاولة جادة وجريئة لإعادة الأفرو أمريكانز إلى الإسلام. ذلك أن ما قام به يمكن أن يعتبر خطوة هامة نحو الطريق الصحيح الذي تاه عنه الآلاف من أبناء المسلمين بسبب ظروف وتداعيات خارجه عن أيديهم ولا نملك إزاءها إلا أن نجد لهم بعض العذر ونرفع الأكف بالدعاء لهم. وإذا كان أكثر المسلمين الأفرو أمريكانز ما يزالوا يعيشون في جاهلية حتى الآن فإن اللوم لا يقع عليهم وحدهم. وعلينا أن نسأل أنفسنا: ماذا قدمنا لهم نحن؟ وهل وجدوا من يبلغهم رسالة الإسلام الحقيقي كما بينها سيد الأولين والآخرين فنكصوا عنها؟

---

١) نقلا عن (المسلمون الزنوج في أمريكا) تعريب الديراوي، ص ٦٨.

الباب الرابع
أمـة الإسـلام

وفاة **نوبل درو علي**: حسب رواية **كليفتون مارش** فإنه وفي خضم الصراع حول السلطة بين زعماء الحركة خلال حياة **درو علي**، لقي الشيخ **كلود قرين** مصرعه برصاصة أصابته وهو جالس على مكتبه فأردته قتيلاً وذلك في ١٥ مارس ١٩٢٩م. وحيث أن الشيخ **كلود** كان قد نازع **درو علي** الزعامة بل حاول أن ينشق عنه في وقت سابق. وبالرغم من عدم وجود الأخير في شيكاغو لحظة وقوع الجريمة فقد تم إلقاء القبض عليه ووجهت إليه تهمة اغتيال الشيخ **كلود** فأمضى في السجن شهرا وتم الإفراج عنه بكفالة إلا أنه توفي بعد ذلك بأسابيع قليلة وهو في الثالثة والأربعين.

وكما هو الحال بالنسبة لمعظم قادة حركات الأمريكان السود فقد جاءت وفاة **درو علي** أيضاً وهو في ريعان الشباب وأيضا في ظروف غامضة ومحيرة. فهناك من يقول إنه اغتيل أو مات متأثراً بجراح ناتجة عن الضرب والتعذيب من قبل رجال الشرطة أثناء اعتقاله.

وبوفاته ورحيل **ماركوس قارفي** قبله بالإبعاد من الولايات المتحدة إلى جامايكا في ١٩٢٧م أصبحت الساحة خالية تماما ومهيأة لظهور زعماء جدد فكان أن ظهر رجلان حاول كلاهما أن يسد الفراغ أولهما هو **والاس فارد محمد** الذي سيجيء الحديث عنه بالتفصيل لاحقا. أما ثانيهما فهو (**جون قيفنس**) السائق الخاص ل**درو علي** حتى لحظة وفاته.

وقد حكى البعض قصة غريبة مفادها أن هذا الجون أصيب بحالة إغماء فيما كان يقود سيارة سيده بعد وفاته بفترة وجيزة. وعند الكشف عليه وجدوا صورة الهلال والنجمة مرسومتين داخل عينيه فعرفوا على الفور أنه (النبي) **درو علي** الذي تجسد في هيئة سائقه الخاص[1]!.

والذين آمنوا بالسائق (جون) هم الذين يعرفون الآن باسم الموريين الأمريكيين. أما الذين تبعوا **والاس فارد** باعتباره التجسيد الحقيقي ل**نوبل درو علي** فهم الذين يعرفون الآن باسم (جماعة أمة الإسلام).

---

١) من المقابلة التي أجراها كليفتون مارش مع أحد منسوبي حركة الموريين واسمه سام بي في ١٢ نوفمبر ١٩٧٥م كما أورد ذلك في صفحة ٤٩ من كتابه.

لمحة عن الأوضاع قبل بداية حركة أمة الإسلام

وصلنا إلى مشارف القرن العشرين وما تزال قضايا الحرية والمساواة وإنهاء نظام الفصل العنصري المقنن والمستتر محض أحلام تداعب خيالات الأفروأمريكانز، بل أضغاث أحلام. فقد أخذت عمليات البطش والتنكيل والتعذيب أبعاداً جديدة وصارت أكثر وحشية وضراوة. فبعد أن كانت عمليات الإعدام والسحل تتم سراً باستخدام الخيول أصبحت الآن تقام علناً وتدعى لها الجماهير. وحلت السيارات والمركبات مكان الخيول ومشانق الأشجار. يقول **بلال عجيب**[1]: إن عقلية مواطنه الأبيض تفتقت عن طريقة جديدة لزرع الخوف في كيمياء الحليب الذي يرضعه من سيولدون من أبناء الأفرو أمريكانز حيث جعلوا المشاهدة لعمليات الإعدام والسحل إلزامية على السكان القريبين من مناطق العمليات. وكانوا يتعمدون وضع كل حبلى أو مرضعة من النساء السود في الصفوف الأمامية ومعهن الأطفال والشباب ليشاهدوا كيف تتقطع أوصال العصاة والمارقين إرباً وأشلاء يذهب كل منها في اتجاه مع إحدى السيارات أو الشاحنات المستخدمة في عملية السحل. وكأنهم يريدون بذلك زرع الخوف والرعب في جينات من سيولدون من الأفرو أمريكيين وهم أجنة تتخلق في الأرحام.

ولئن كانت قلة منهم قد وجدت بعض العزاء في الشعر والغناء والموسيقى فأصبحت المتنفس وواحدة من الأدوات المهمة للتعبير العلني عن الرفض والتمرد على هذا الواقع المرير. إلا أن الإبداع والنبوغ ومن ثم الشهرة في هذه الفنون لا يكون عادة إلا لأصحاب الموهبة والحظوظ.

ويجيء اندفاع الكثيرين منهم إلى حياة العنف والانحراف أو طريق الرذيلة والجريمة كملاذ أخير تعبيراً عن الإحساس المفرط بالدونية والضياع واللا انتماء. بل وأيضاً اليأس من الحياة، حياة الذل والقهر والاستعباد التي أصبحت قدراً وأمراً واقعاً يصعب الفكاك منه، فالقوة لا تقابل أو تقاوم إلا بقوة مضادة توازيها وتتصدى لها. والقوة تأتي من خلال وحدة الجماهير والتفافها حول قيادة واعية وثوابت متفق عليها من المبادئ والقيم. لكن وكما يقول الدكتور لنكولن: (إن توافر العوامل الاجتماعية الضرورية لا يؤدي تلقائياً إلى ظهور حركة جماهيرية ما لم يوجد الرجل القائد). ويضيف قائلاً: (لذلك نرى أن جميع القادة العظام الذين بدا ظهورهم على مسرح الأحداث ملحاً وضرورياً لم يبرزوا فجأة بل سبقت ظهورهم فترات انتظار كانت غالباً ما تطول)[2]. والواقع أنه وكلما طالت فترة الانتظار جاء الانفجار أكثر قوة وعنفاً، وهو عين ما حدث في هذه الحركات التي اندلعت ضد البيض في أمريكا سواء منها ما ارتبط بالإسلام ـ نقياً أو مشوهاً ـ أو ما ارتبط بغيره. يقول هوفر: (يمكن للحركة الجماهيرية أن تقوى وتزدهر من دون اعتقاد بالله لكنها لا تستطيع ذلك بدون (شيطان(تصب عليه جام غضبها وحقدها)[3].

وحسب اعتقاده فإن جماهير السود وجدت (الشيطان) الذي توجه إليه غضبها ممثلاً في الرجل الأبيض. وأصبح على كل قائد لهم أن يمسك بقوة بهذا الخيط ويحارب هذا (الشيطان) بالصورة التي يراها. فمزرعة البغضاء لا تثمر إلا المزيد من الكراهية والأحقاد والثأرات. وحين يبلغ السيل الزُبا ويجاوز الحزام الطيبين كما يقول العرب في أمثالهم، ينفجر البركان الأسود وتندلع حوادث الشغب والحرائق وتخرج المظاهرات والمسيرات الهادرة تعبيراً عن الشعور بالسخط والرفض. لكنها تقابل بالعنف الشديد، فتسلط عليهم الكلاب البوليسية المدربة تنهش الأجساد ويكون العقاب الجماعي

١) أحد منسوبي حركة أمة الإسلام المخضرمين وصديق عزيز عمل فترة بالفلبين على سبيل الإعارة وقد قدم لي الكثير من المعلومات والوثائق عن حركة أمة الإسلام ومنها صور نادرة وكتب وصحف بالإضافة إلى أشرطة كاسيت بصوته.

٢) كتاب(المسلمون الزنوج في أمريكا) تعريب عمر الديراوي، ص ١٢٧.

٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

هو الرد على أي خطأ من أحد الأفراد. وفي هذا الصدد يورد الدكتور **أبو سليمان** نقلاً عن مصادر لم يسمها ما يلي:

(فيما بين عامي ١٩١٨م و١٩٢١م تعرض ثمانية وعشرون من السود للموت حرقاً. وكان من صور التعذيب المألوفة الشنق والسحل خلف السيارات والضرب والرمي بالرصاص والإغراق في الماء أو السحب خلف الخيول الراكضة حتى الموت)[1].

إنها مأساة حقيقية اختزلها الشهيد **مالكولم إكس** عندما قال: (إن النار التي أضرموها فأحرقت بيت والدي لا تزال تستعر في نفسي).

وهكذا بدأت تتبلور فكرة حركة جديدة إذ توافرت الظروف الاجتماعية الضرورية ولم يبق إلا ظهور القائد، فكان ذلك إيذانا بظهور حركة (أمة الإسلام) التي تعتبر كبرى المنظمات الجماهيرية التي أسسها السود في أمريكا حتى الآن. ولئن كان هناك من يعتبرها الوريث والابن الشرعي للحركة التي أسسها (**قارئ** عام١٩١٦م) فهناك أيضاً من يراها امتدادا لحركة الموريين الأمريكيين التي أسسها **درو علي**، ذلك أن المؤسس الثاني لها كان من بين الأربعة الذين رشحهم **درو علي** لخلافته حسب إحدى الروايات.

وأيا كان الأمر فالثابت أن هناك ثمة تشابه واضح بين الحركات الثلاث في عدد من الأمور والتعاليم ذلك لأنها خرجت من رحم واحد وفي أوقات متقاربة فليس غريباً والحال كذلك أن يوجد بينها بعض التشابه والتناغم. فجميعها تنم عن نعرة عنصرية واضحة وتكشف عن توجهات قومية صارخة تمجد الإنسان الأسود وترفعه إلى درجة الإنسان الكامل، بل وإلى مصاف الآلهة أحيانا ولكن. ومع هذا التشابه في ظروف النشأة والتكوين وبعض الشعارات فقد اختلفت في كثير من الأشياء خاصة ما يتعلق بالمعتقدات والأهداف وأيضاً في الوسائل لتحقيق هذه الأهداف.

ففي خضم خلو الساحة من الزعامات القومية والسياسية والروحية للأفرو أمريكانز في أواخر العشرينات من القرن الماضي وحيث حاولت بعض المنظمات (أمثال الولاية التاسعة والأربعون، حركة السلام الإثيوبية والاتحاد الوطني للإفريقيين) سد الفراغ واستقطاب السود.

في هذا الخضم من الفراغ الروحي الذي تزامن مع الخواء الاقتصادي الناتج عن الكساد والأزمة الاقتصادية التي ضربت كل دول العالم. ووسط حالة اليأس والبؤس التي خيمت على الآلاف بل الملايين من أصحاب البشرة السمراء بالذات في أمريكا. وسط هذه الأجواء المفعمة باليأس والإفلاس ظهر فجأة في ديترويت (متشجان) رجل غريب الأطوار طلق المحيا أنيق الثياب. كأنما انشقت الأرض عنه إذ لا يعرف أحد كيف ومتى بالضبط ظهر ومن أين جاء. وادعى هذا (الغريب) أن اسمه **والاس دي فارد محمد** وأنه جاء من الأراضي المقدسة ليخلص السود في أمريكا من حياة الذل والهوان ويهديهم إلى الإسلام دين آبائهم الأولين.

وهنا لا بد من وقفة قصيرة نحاول من خلالها استكشاف حقيقة وهوية هذا الغريب الذي نسجت حوله الأساطير وتضاربت حوله الأخبار.

١) كتاب (منظمة الأليجا محمد الأمريكية) للدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، ص١٤ والدكتور أبو سليمان محاضر ومفكر إسلامي وعضو هيئة كبار العلماء السعودية.

والاس فارد: الغريب الأسطورة

لا يعرف أحد على وجه الدقة متى وكيف وصل فارد إلى ديترويت ولا من أين جاء فكل ما يقال في هذا الصدد لا يعدو أن يكون محض افتراضات واجتهادات بل بعضها أساطير من نسج الخيال. ذلك أن حياة هذا الغريب وفي جميع مراحلها ما تزال لغزاً غامضاً حير الألباب. والمرجح عندي أن هذا الغموض والضبابية حول أصله ونسبه وشخصيته ونشأته، بل وفيما يتعلق بأطوار حياته المختلفة حتى لحظة اختفائه المفاجئ والغامض أيضاً كانا من العوامل التي ساعدت في نجاحه وانتشار دعوته بين السود انتشار النار في الهشيم. ذلك أن ما فعله خلال أقل من أربع سنوات هو شيء يشبه المعجزات وقصص الخيال. ولعل هذا الغموض وهذه السرية ـ المقصودة على ما يبدو ـ هما ما أضفى عليه تلك الهالة القدسية لدى أتباعه. فأصبح في نظر من كانوا مسيحيين منهم **المسيح عيسى**. أما من عرفوا الإسلام قبله فاعتبروه المهدي المنتظر. كان ذلك قبل أن يتفقوا جميعاً في آخر الأمر على أنه (الرب) الذي حل وتجلّى في شخص فارد (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

ومما يقال عن أصله رواية تدعي أنه من زنوج جامايكا على أن هذه الفرضية تبدو أبعد ما يكون عن الحقيقة فكل من رأوا فارد رأي العين (و بعضهم ما يزال على قيد الحياة) أو من خلال الصور الفوتوغرافية القليلة المنشورة له يؤكدون أنه وبلونه الذي يميل إلى البياض ليس فيه شيء من الدماء الزنجية أو من القسمات والملامح المعروفة للمنحدرين من أصول أفريقية ولو كان كذلك لما آمنوا به وعبدوه فالعقدة اللونية تحول دون ذلك.

وهناك من يقول: أن والده كان مسلماً من بلاد الشام هاجر إلى جزر الكاريبي حيث تزوج واستقر هناك. ويدعي آخرون أنه قرشي الأصل هاجر إلى ديترويت من مكة المكرمة مباشرة. أما أغرب الروايات وأكثرها إثارة فهي ما ذكر على لسان **إليجا محمد**[١] بأن فارد أسر إليه بأنه من الأشراف الهاشميين. كما وجدت هذه الرواية دعما من السيدة كلارا محمد (زوجة **إليجا محمد**) التي نسب إليها قولها أن فارد ألمح في أكثر من مناسبة إلى أنه ينتمي إلى قبيلة قريش العربية[٢].

ولقد أشاعت هذه الروايات خاصة ما جاء على لسان **إليجا** وزوجته هالةً قدسيةً حول فارد لدى أتباعه. ليس ذلك فحسب بل مهدت الطريق للقبول بفكرة (الحلول) التي روج لها وسوّقها **إليجا** فيما بعد لغرض في نفسه كما سيرد ذكره بمزيد من التفصيل لاحقاً.

لكن الحقائق حول (الغريب) بدأت تتكشف لي شيئاً فشيئاً من خلال إفادات وشهادات سماعية. ففي إحدى لقاءاتي مع الإمام **وارث الدين محمد**[٣] بشيكاغو في صيف ١٩٩٥م وتحديدا في تاريخ ١٩٩٥/٦/١٣م سألته عن حقيقة وأصل فارد وإن كان يعرف عنه شيئاً.

ابتسم وقال: (أعرف عنه الكثير وإن كنت لم أره) ثم فوجئت به يسألني (ألا تعرف أنه من بشر والدي بمولدي وهو الذي اختار لي اسم **والاس** تيمنا به؟[٤]. وزادت دهشتي وهو يهمس قائلاً: (أعتقد أن فارد كان من **الأحمدية** أو ربما **البُهرة**[٥] لكنه كان متديناً ولم يكن يرغب في الظهور شخصياً فكان يطلب من وزيره الأول (**إليجا**) دائماً أن يقدمه على أنه المسيح أو المهدي المنتظر).

١) خليفة فارد في قيادة الحركة ويعتبره الكثيرون المؤسس الحقيقي لها.
٢) المرجع السابق، ص ٢٩.
٣) النجل السابع لإليجا محمد الذي خلفه في قيادة الحركة وتوفي في التاسع من رمضان ١٤٢٨هـ (٢٠٠٨/٩/٩م).
٤) لابد من التنويه إلى أن الإمام وارث الدين كان اسمه عند مولده (والاس) وقد ظل يعرف بهذا الاسم فترة طويلة قبل أن يغيره إلى وارث الدين.
٥) الأحمدية هو الاسم الحركي الجديد للقاديانية وهي فئة كافرة بإجماع علماء المسلمين، أسسها الميرزا غلام أحمد في الهند ومقرها حاليا في قرية يقال لها ربوة بباكستان. أما البهرة فهم طائفة من الهنود المسلمين.

مدينة ديترويت كما تبدو من الطائرة

على أن أغرب ما أسر لي به **وارث الدين** هو أن فارد كان يتردد على والده (**إليجا محمد**) في بيته خلال الخمسينات من القرن العشرين بل عرض عليه أن يعلم **وارث الدين** اللغة الأردية ! ولعل هذه الشهادة، إن صحّت، تدعم فرضية أن فارد ينتمي إلى شبه القارة الهندية. وهكذا بدأت الصورة تتضح شيئاً فشيئاً. ويمكن القول عموما أن فارد ينحدر من أب هندي وأم قوقازية بيضاء. ولعله أخذ من أمه لون البشرة الذي يميل إلى البياض فيما أخذ عن والده السحنة والملامح الهندية المعروفة.

وبالنسبة لظهوره، وعلى ذمة **مارتا لي**[١]، فإن فارد ظهر علانية أول ما ظهر بديترويت في الرابع من يوليو من عام ١٩٣٠م[٢]. ويوافقها في ذلك **مصطفى محمد** الذي كتب في مقال بعنوان (A Short Defense of Master Fard Muhammad)

(نحن نؤمن بأن الله (الرب) تجلى في شخص السيد فارد محمد في يوليو١٩٣٠م ونؤمن أيضاً بأنه المسيح الذي طال انتظار المسيحيين له وهو المهدي المنتظر عند المسلمين)[٣]. وعموماً يعتبر فارد المؤسس الأول لجماعة أمة الإسلام بديترويت عام ١٩٣٠م كما جاء ذلك في الموسوعة العربية العالمية حيث نقرأ: أسس الحركة بائع الأقمشة المتجول **والاس فارد** في ديترويت. واعتقد أتباعه أنه قدم إلى الولايات المتحدة من مكة المكرمة ليعتق السود ممن أسماهم (الشياطين البيض) الذين كانوا يسترقونهم)[٤].

وكانت البداية سراً عندما بدأ فارد يحدث زبائنه الذين يثق بهم وأكثرهن من النساء عن مزايا الإسلام وأنه دين الفطرة بل العقيدة الأصلية الأصلح والأنسب للإنسان الأسود. وأن المسيحية هي عقيدة البيض وهي التي دعمت الرق وقننت نظام الفصل العنصري من خلال عدم السماح للسود بممارسة شعائرهم إلا في الكنائس المخصصة لهم.

وفيما يتعلق بطريقته في الدعوة أخبرني **وارث الدين** أن فارد كان يتجول في الأحياء الفقيرة بديترويت فيلتقي السيدات في بيوتهن ويقدم لهن أغطية من الحرير ومعاطف واقية من المطر وبعض القطع الأثرية والتحف. وكان يتقرب إليهن ويحدثهن عن مزايا الإسلام. والواضح أن الطريقة التي اتبعها أتت أُكلها.

هكذا وبحكم طبيعة عمله الذي كان يضطره للتنقل من منزل لآخر وقدرته الفائقة على الإقناع، علاوة على جاذبيته الشخصية، فقد لاقت دعوته هوى في نفوس السود وسرعان ما التفوا حوله. وأصبح عدد أتباعه يزداد يوماً بعد يوم حتى وصل في ديترويت وحدها إلى ما يقارب العشرة آلاف خلال فترة وجيزة جداً[٥]. وأصبح فارد في نظرهم (المنقذ) لذي جاء من الأراضي المقدسة ليساعدهم في العثور على وطن وهوية ودولة تكون لهم خاصة. يقول **بلال**: أن (الغريب) حصر

١) مؤلفة كتاب (The Nation of Islam).
٢) كتاب (The Nation Of Islam)، ص ٣٨.
٣) من موقع (www.geocities.com/doforself 2000) على الإنترنت، ص ١ من ٣.
٤) الموسوعة العربية العالمية المجلد ٢٣، ص ٢٧١.
٥) أطروحة حاتم صاحب للماجستير التي جاءت بعنوان: (The Nation of Islam)، ص ٦٧.

عمله ونشاطه في أحياء السود بديترويت ولعله أول رجل أبيض يطرق بيوت السود في ديترويت لا ليعتقلهم أو يفتش بيوتهم بحثاً عن الممنوعات لكن ليهديهم إلى دين الحق. وهو أمر غريب وقتها أن يأتي رجل أبيض يزور السود في بيوتهم ويعرض عليهم بضاعته بصورة محببة.

وكان يعمد أيضاً لاستيقاف المارة في الشوارع ليتفرجوا على بضاعته ولو من قبيل الفضول وليشتري منه من شاء منهم. وخلال ذلك كان يعرض على الحضور الإسلام. مذكراً السود بوطنهم الأول ودين أجدادهم الحقيقي. مستثيراً رغبتهم في معرفة المزيد وجعلهم يتلهفون لمعرفة تاريخهم وتاريخ وطنهم الذي لا يعرفون عنه إلا النذر اليسير.

يقول لنكولن: إنه لم يمض وقت طويل حتى بدأ هذا (الغريب) يعقد الحلقات في البيوت فتتجمع حوله النساء والشباب وحتى الأطفال ليستمتعوا بأحاديثه)[١]. ويضيف أن هذا (الغريب) كان يستخدم الكتاب المقدس ليعلم الناس دينهم الحقيقي، دين المسلمين في آسيا وإفريقيا [٢]وعن السبب الذي دعاه لاستخدام الإنجيل يقول لنكولن: (كان يلجأ إلى الكتاب المقدس لأنه الكتاب الوحيد الذي يعرفه أتباعه وكان يفسره بكل حذر ويشرحه بما يتناسب مع ما يهدف إليه. وبذلك كان يمهد الطريق لهم لتعلم القرآن الكريم، كتابهم الجديد)[٣]. وهذا تأويل قد يجد بعض القبول في ظل الظروف والملابسات المحيطة وقتها بل ويدل على سعة الأفق والذكاء اللذين تمتع بهما ذاك (الغريب). فقد استطاع أن يجذب كثيرين إلى الإسلام من دون أن يعرفوا أنهم أصبحوا مسلمين. وهنا تتجلى عبقرية الداعية الذي يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة مع الالتزام بآداب الدعوة والحوار والاحترام للآخر ولهذا نجح فارد وكان من أهم العوامل التي ساهمت في نجاحه:

فارد محمد يحمل القرآن الكريم

١. أنه كان وافدا غريباً لكنه متعاطف أشد التعاطف معهم، وكان لون بشرته يميل إلى البياض وهذا مهم جدا للحصول على القبول من السود ولو كان مثلهم لما رفعوه إلى مصاف الآلهة.

٢. الغموض المحيط بشخصيته وأصله جعل الناس ينسجون الأساطير حوله وأكثر الناس يحبون الرجل الأسطورة وينجذبون تلقائياً إلى من يجسد لهم معاني الرجولة والبطولة.

٣. أن فارد كان يتمتع بشخصية جذابة سواء من حيث الشكل والملبس أو من حيث طيب المعشر والقدرة على الإقناع وحلاوة اللسان، هذا فضلاً عن طريقته البسيطة القائمة على الحوار المباشر وإثارة الاهتمام والفضول.

٤. أنه ضرب على الوتر الحساس من خلال تمجيد العرق الأسود وإثارة الكراهية للرجل الأبيض.

٥. خلو الساحة والفراغ الروحي في الوقت الذي ظهر فيه فارد.

٦. اعتماده أسلوب التدرج والتركيز على ما يتفق وعقليات المستهدفين بالدعوة ورغباتهم.

وهكذا تسامع الناس به وشاقهم ما سمعوا منه فتسابقوا للقائه والاستماع إليه وطبقت شهرته الآفاق فلم تعد البيوت تكفي لاستيعاب الأعداد المتزايدة من المهتدين فاستأجروا قاعة كبيرة علها تستوعب هذه الحشود التي شرعت

١) كتاب (المسلمون الزنوج في أمريكا)، ص١٨.
٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.
٣) المرجع السابق، ص ١٩.

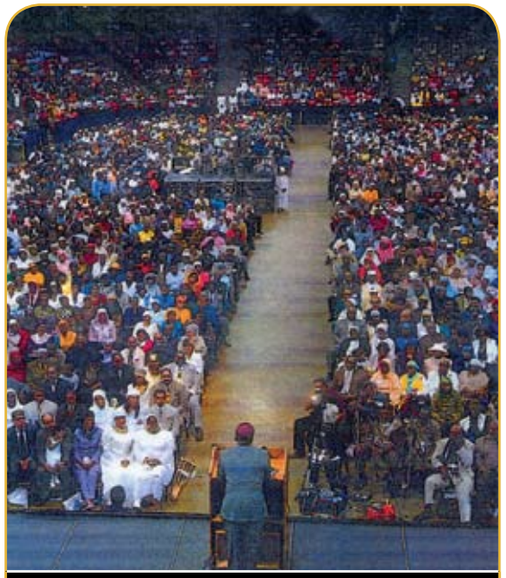
وارث الدين يلقي محاضرة

تدخل في دين الله أفواجا. ولما كان فارد مدركا لأهمية العلم والتعليم فإنه لم يكتف بإعمار مسجد للصلاة والعبادة[١] بل بدأ يعلم الأميين من أتباعه القراءة والكتابة. وقام بتأسيس معاهد تدريب للفتيات المسلمات في أحياء السود بديترويت يتعلمن فيها كل ما تساعد طبيعتهن عليه كالتدبير المنزلي والخياطة ورعاية الأبناء وتربيتهم التربية الإسلامية السليمة والعناية بالأزواج إلى غير ذلك مما يجعلها زوجة صالحة، أُماً راشدةً ومواطنةً مسئولةً لها دور تؤديه في خدمة مجتمعها وأمتها. وأطلق فارد على هذه المعاهد اسم (Muslim Girls Training)، كما قام بتأسيس قوة أمنية شبه عسكرية أطلق عليها اسم (فاكهة الإسلام) ((The Fruit of Islam (FOI)) وجعلها خاصة بالرجال دون النساء وذلك لحماية أعضاء المنظمة وخاصة السيدات والفتيات من أي أذى أو اعتداء.

وكان الاختيار لمنسوبي هذه القوة غير المسلحة يتم على أساس اللياقة البدنية والتمسك بتعاليم الحركة والولاء لزعيمها.

وأذكر بهذه المناسبة أن **وارث الدين** ذكر لي خلال لقاء معه هنا في جدة أن أهم نزعه عند فارد كانت هي عزل السود في مجتمع خاص بهم وأن تكون لهم شخصيتهم المميزة والمستقلة حتى أنه ما كان يسمح لأحد غير أسود بدخول مساجد أتباعه. وكان يريد أن يجعل لهم تاريخهم المستقل لترسيخ مبدأ الشعور بالذات وروح الانتماء والاعتزاز بالنفس والاعتماد عليها من خلال الالتزام بالإسلام قولاً وعملاً للارتقاء بهم. وكان يؤكد على أهمية نظافة الروح والبدن والانضباط والتعاون تحقيقا لمبدأ الأخوة. وكان يردد دائماً أن البيض هم الشياطين ويجب عدم التعاون معهم تحت أي ظرف لذلك لم يحاول أبداً دعوتهم للانضمام إلى حركته. ولم يكتف بذلك بل أعلن عن مكافأة لمن يقتل أربعة من البيض بأنه يضمن له رحلة مجانية إلى مكة المكرمة [٢].

كان ذلك خطأ تكتيكياً فادحاً من رجل كان يرجى منه الكثير إذ (حشر) فارد نفسه بلا مبرر في قضية لا ناقة له فيها ولا جمل. فالتحريض الصريح على قتل الأبرياء من الناس بيضاً كانوا أو سوداً ليس من الإسلام في شيء بل هو من المحرمات والكبائر. وكأنه أراد بذلك التقرب للسود من خلال الحرث في مزرعة الأحقاد، لكنه دفع الثمن غاليا. فقد وضع نفسه في مواجهة مباشرة مع السلطات قبل أن يستعد جيداً لمثل هذه المواجهة غير المتكافئة وتم إلقاء القبض عليه أكثر من مرة بتهمة إثارة الفتنة العنصرية والتحريض على القتل. وبدأت السلطات ترصد نشاطه وتضعه تحت المجهر من خلال عدد من المخبرين والجواسيس كما تم وضع بريده وهاتفه تحت المراقبة.

والواضح أن فارد كان مطلعا على تجارب من سبقوه فبالإضافة إلى الأثر المسيحي الواضح في التعاليم التي كان

١) أنشأ فارد أول مسجد للسود في ديترويت في ١٩٣٢م كما أسس جامعة الإسلام في نفس العام.
٢) أطروحة حاتم صاحب للماجستير (The Nation Of Islam) (أمة الإسلام)، ص٦٨.

يروج لها، وحيث أدرك أن السود في أمريكا وبحكم تكوينهم النفسي والعقلي وخلفياتهم الثقافية يريدون نموذجاً خاصاً مميزاً يقوم بالأساس على النعرة العرقية أو (القومية السوداء) كما يسمونها، فقد رأى أن من المهم إدخال بعض هذه المفاهيم والأفكار ضمن تعاليمه ليزيد من جاذبية ما يدعو له. فالعقيدة والقومية في مجتمع الأمريكيين ذوى الأصول الأفريقية أمران مرتبطان ارتباطاً يصعب الفكاك منه وهذه حقيقة يجب الإقرار بها والتعامل الواعي معها. ولعل هذا هو سبب لجوء فارد في بداية دعوته إلى استخدام الإنجيل بدلاً عن القرآن الكريم. ومن هنا جاء الأثر المسيحي الذي جعل البعض يشيرون إلى الحركة باسم (إرسالية المسلمين الأمريكيين).

يقول **بلال عجيب** أن فارد أو (فراد) كما يسميه اقتبس فكرة (القومية السوداء) والوطن القومي المستقل للسود من **ماركوس قارفي** كما أخذ منه أيضاً مبدأ تمجيد الجنس الأسود عامة واعتباره الأصل والأساس للحياة البشرية وأنه استلهم من **درو علي** فكرة أن البيض هم الشياطين وهم أصل الشر والبلاء[١] أما من **بوكي تي واشنطن**[٢] فاقتبس فكرة إنشاء قوة فاكهة الإسلام ومعاهد التدريب والتأهيل والاهتمام بالنواحي التعليمية. وهكذا لم يمض وقت طويل حتى أصبحت مبادئ الحركة مزيجاً من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وبعض التعاليم المسيحية المأخوذة من العهد القديم مع مختارات من تعاليم **درو علي** و**قارفي** ذات النزعة العنصرية الصارخة.

والملاحظ أيضاً أن فارد أولى اهتماماً خاصاً لمادة الرياضيات والتي حاول استخدامها أيضاً في إثبات وحدانية الخالق عز وجل وفي تفسير العديد من حقائق الكون فقد جعل لكل رقم قيمة ومعنى. وبالطبع فإن هناك بعض الأرقام التي اكتسبت قدسية عند أتباعه وهي الأرقام التي ارتبطت بأحداث هامة في حياة المؤسس فارد ومنها على سبيل المثال الرقم ٢ (إشارة إلى الشهر الذي ولد فيه (فبراير) والرقمان ٤ و٧ (إشارة إلى اليوم الرابع والشهر السابع (يوليو) لأول ظهور له بديترويت) والرقم ٢٦ (إشارة إلى يوم ميلاده) وهكذا.

وفي المسألة رقم ١٣ من تعاليمه المعروفة باسم (غاية الحكمة)، وفي إطار الحث على تعلم مادة الرياضيات جاء أن (الرياضيات هي الإسلام والإسلام هو الرياضيات)[٣]. ومعروف أن فارد سلّم **إليجا** قبيل اختفائه المفاجئ قائمة بأسماء ١٠٤ كتاباً في السيرة النبوية والفقه والعبادات والرياضيات وطلب منه قراءتها بعناية والعمل بما جاء فيها.

وعموما فإن الذين سمعوا عن فارد أو التقوا به بديترويت قبل اختفائه وصل عددهم إلى أكثر من ٢٠,٠٠٠ بعضهم ما يزال على قيد الحياة في وقت إعداد هذه الدراسة[٤].

١) الدرس الأول (Lost Found Muslim Lesson No. 1) كما. وضعه فارد وعلّمه لتلميذه إليجا محمد. موقع (The Nation of Islam. Org/Lost found lesson).

٢) مؤسس معهد تسكنجي والذي يعد أول معهد خاص بالسود في أمريكا، وقد حاول قارفي إنشاء معهد في جامايكا على غراره قبل هجرته إلى أمريكا. ومعروف أن بوكي هذا كان من المنادين بأهمية التدريب المهني والعسكري أيضاً للسود عامة.

٣) من دروس والاس فارد تحت اسم: (غاية الحكمة) (The Supreme Wisdom) إلى تلميذه إليجا محمد كما جاءت في موقع الحركة على الانترنت والذي يحمل اسم (TheNationofIslam.org/supreme wisdom).

٤) يجدر بهذه المناسبة الإشارة إلى أن الأخ بلال عجيب بدأ مشروعا طموحا لاستنطاق حوالي مائة من الرعيل الأول لحركة أمة الإسلام وكهول الأفروأمريكانز وذلك بغرض إعادة كتابة تاريخ الأفروأمريكانز عامة وتنقيته مما لحق به وهو مشروع يستحق الدعم.

رحيل فارد واختفاؤه: القصة غير الكاملة

الحديث عن ظروف وملابسات اختفاء فارد يطول ويتشعب وقد يخرج بنا عن مقاصد هذا البحث ومع ذلك فلابد من وقفة قصيرة نستعرض خلالها بعض الروايات والشائعات التي راجت عقب اختفائه.

فلئن كان هناك إجماع على أن فارد اختفى عن الأنظار في يوم من أيام العام ١٩٣٤م في ظروف دراماتيكية غامضة فإن أحدا لا يستطيع أن يدعي معرفة الحقيقة الكاملة فيما يتعلق بمصير هذا الغريب: أين ذهب؟ كيف توفي ومتى؟ هل اغتيل أم مات موتا طبيعيا؟ أين دفن؟ ومن هي الجهة التي اغتالته إن كانت هناك ثمة جريمة اغتيال؟

فكما ظهر فجأة في الأحياء الفقيرة بديترويت حيث يسكن السود فقد أراد أن يكون اختفاؤه مفاجئا أيضاً بل ومحيرا. وكأنه أراد بذلك أن يكمل حلقات (الحدوتة) التي بدأها ليجعل حياته كلها لغزا تحاك حوله الأساطير فيصبح هو نفسه في آخر الأمر لغزا وأسطورة. وربما قصد بذلك أن ينتحل لنفسه صفة الإمام الغائب المعروفة عند الشيعة وهذا ليس مستبعداً كما تدل على ذلك الأحداث التي أعقبت اختفاءه. وعموما فإن أهم الروايات والشائعات التي تناولت هذا الموضوع هي:

مجموعة من الرعيل الأول لحركة أمة الإسلام

١) في أعقاب اختفاء فارد انطلقت شائعة قوية تتهم **إليجا محمد** بأنه ضحى به وقدمه قربانا للرب لينفرد بزعامة الحركة. ووجدت هذه الإشاعة رواجا وقبولا لدى الكثيرين لاسيما وأن اختفاء فارد جاء في الوقت الذي بدأ فيه نجم **إليجا** يستطع. وربما استند أنصار هذا الرأي إلى انتقاد **إليجا** أو بالأحرى امتعاضه إزاء دعوة فارد لقتل البيض والتي جرّت على الحركة وأعضائها الكثير من المتاعب.

٢) ذهب البعض إلى القول بأن مجموعة من البيض المناوئين لحركة الإسلام في أمريكا اختطفوا فارد ونفذوا فيه حكم الإعدام جزاءاً لفتواه بإهدار دم كل من هو أبيض. ومن المؤيدين لهذه الفرضية الدكتور **عبد الله الصنيع** الذي ذهب إلى القول (عندما رأى أعداء هذه الدعوة أنها بدأت تنتشر بسرعة دبروا لها المكائد لتحطيمها في مهدها فقاموا بإخفاء (محمد فارد) ومحاصرة الدعوة ودس الكثير من الخرافات والشركيات على (**إليجا محمد**) حديث العهد بالإسلام. وهكذا أخذت الدعوة تنحرف تدريجيا عن الإسلام الصحيح. وامتلأت بالخرافات والشركيات حتى أن (**إليجا**) ادّعى لنفسه النبوة وادّعى الربوبية لفارد ولم يبق له ولدعوته من الإسلام إلا اسمه وبعض تعاليمه التي حرّفوها وقد نمت الدعوة في هذا الاتجاه المنحرف مستمدة وقودها من أفرادها ومن أعداء الإسلام [١]).

و سايره في ذلك الأخ **محمد علي يوسف** (رحمه الله) إذ قال: (المرجع عندي أن السبب في اختفاء فارد أو اغتياله بالأحرى يرجع إلى تمسكه بالتعاليم الإسلامية النقية، تلك التعاليم التي لا يغض مضاجع أهل الكفر وأعداء الإسلام ولا يخيفهم شيء مثلها).

٣) هناك من يقول إنه شوهد على ظهر إحدى البواخر المتجهة إلى أوروبا، وإذا ألقينا نظرة سريعة إلى هذه الروايات نجد أنها جميعاً لا تعدو أن تكون محض افتراضات واجتهادات لا يقوم عليها أي دليل.

فالقول بأن البيض المناوئين للحركة هم المسئولون عن خطفه ومن ثم اغتياله فهو، وإن كان جائزا إلا أن مثل هذه

١) مخطوطة كتاب (الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية)، ص ٥.

الجريمة المزعومة إن كانت قد تمت فعلا لانكشف أمرها ولو بعد حين، وسجلات الـ (FBI) التي تم الكشف عنها فيما يتعلق بفارد لا تتضمن أي إشارة لجريمة كهذه أو أنه فارد مات مقتولا. وبالنسبة لرأي الأستاذين الجليلين **الصنيع** و**يوسف**، ومع احترامي له، لكن كل الدلائل تشير إلى أن الانحرافات عن تعاليم الدين القويم بدأت قبل اختفاء فارد.

والقول بأن **إليجا** هو المسؤول عن اختفاء فارد وقتله يبدو مستبعداً عندي بل ويتناقض مع كثير من المعطيات والحقائق التي تكشفت بعد ذلك فالذين عرفوه عن كثب ومنهم كثيرون ما يزالون على قيد الحياة يؤكدون أن الرجل ليس من شيمته الغدر، ناهيك أن يغدر بأستاذه وولي نعمته، بل الرجل الذي اختاره ليكون وزيره الأول وخليفته برغم وجود من هو أكثر منه أهلية وجدارة. وقد أفاض لنكولن في الحديث عن الشائعات التي انطلقت عقب اختفاء فارد حيث كتب: (ثم اختفى فارد عام ١٩٣٤م وسرعان ما أخذ هؤلاء المنافسون في نشر الإشاعات متهمين محمداً (يعني **إليجا**) بأنه أقنع فارد بأن يقدم نفسه كتضحية إنسانية بالجسد وفقا للاعتقاد الشائع بين أتباعه بأن المسلم الذي يضحي بحياته يكون هو مخلّص العالم)[1].

هذا الإدعاء يبدو أيضاً غير منطقي إذ لا يعقل أن يكون فارد بمثل هذا الغباء الذي يجعله يضحي بحياته من أجل تلميذه أو استجابة لنصيحته. وعلاوة على ذلك فإن اختفاء فارد أو حتى وفاته في ذلك التاريخ ما كانا يعنيان انتقال السلطة والزعامة تلقائيا إلى **إليجا** الذي اضطر للهرب هو الآخر خوفا على حياته واختفى ما لا يقل عن سبعة أعوام قبل أن يستتب له الأمر خليفة لفارد. وفي واقع الأمر فقد كان من مصلحته أن يبقى فارد في ديترويت فترة أطول لإكمال عملية اختياره رسميا كنائب أول وخليفة له ولتثبيت دعائم الحركة أكثر. فقد لقي **إليجا** معارضة شديدة من المنافسين والرافضين لزعامته ووصل الأمر ببعضهم إلى درجة تهديده بالقتل. وإن كان قد عبَّر عن عدم الرضا فيما يتعلق بفتوى فارد التي أهدر بموجبها دماء الأمريكيين البيض فالكل يعلم أن **إليجا** ما كان يجرؤ على انتقاد فارد حول هذا الأمر في حياته علنا. كما أن عدم الرضا عن فتوى أصدرها فارد لا يعد دليلا أو سببا كافيا للإقدام على مثل هذه الجريمة البشعة، وفوق هذا وذاك فقد أكد أكثر من مصدر موثوق أن العلاقة بين الرجلين لم تنقطع باختفاء فارد وأن الاتصالات بينهما استمرت ردحا من الزمن بعد اختفاء فارد.

وعن ملابسات اختفاء فارد فقد نسب إلى **إليجا** قوله أن فارد اتجه أولا إلى شيكاغو ثم تنقل بعد ذلك عبر عدة ولايات قبل أن يعود إليها مجددا في فبراير ١٩٣٤م. وعلى أية حال فإن آخر اتصال موثق بين الرجلين كان هو رسالة بعث بها فارد إلى **إليجا** من المكسيك. والمرجح أنها الرسالة المؤرخة في ١٨ ديسمبر ١٩٣٤م التي اطلعت على نسخة منها وهي بخط اليد. ولعل هذه الرسالة تنفي التهمة عن **إليجا** جملة وتفصيلا. أما القول بأنه شوهد على ظهر إحدى البواخر المتجهة إلى أوروبا فلم أجد له ما يسنده وهو أيضاً مستبعد عندي ونفس الشيء ينطبق على ما زعمه البعض من أنه اتجه إلى جامايكا أو هاييتي حيث توجد جماعات من الأحباش الذين اتخذوا **هيلاسلاسي** (إمبراطور إثيوبيا الأسبق) إلها يعبدونه من دون الله، بسبب هطول أمطار غزيرة يوم زيارته لها بعد انقطاع وجفاف داما عدة سنوات كما يقولون.

ما هي الحقيقة إذن حول ملابسات اختفاء هذا الغريب؟

من خلال الروايات والأخبار المتداولة ومجريات الأحداث بعد ذلك، ثم ما توفر لي من معلومات ومستندات يمكن القول وبشيء من اليقين أن فارد عندما أحس بأن حياته ستكون في خطر إذا بقي في ديترويت وأنه وإن استطاع الهرب والاختفاء من رجال الشرطة فهو لا يستطيع أن يضمن النجاة من المتطرفين البيض الذين أصبحوا يتربصون به. وقرائن الأحوال تشير إلى أنه أخفى نفسه خوفا على حياته وربما أيضاً طلباً للمزيد من الشهرة والمجد. والمرجح أنه حزم أمره وآثر الاختفاء عن الأنظار ولو إلى حين. وبالطبع فهو لم يخبر أحدا عن وجهته وموعد رحيله وذلك إمعانا في الحذر وحتى

١) كتاب (المسلمون الزنوج في أمريكا)، ص ٢٢٧.

تكتمل حلقات الأسطورة الغامضة التي أراد أن يكون بطلها. ولعل هذا ما دعا **كليفتون مارش**، صاحب كتاب (From Black Muslims To Muslims) إلى القول بأن الغياب أو الاختفاء المفاجئ **لوالاس فارد** قوَّى في نفوس أتباعه الاعتقاد بأنه (الرب) الذي حل في جسم بشر [1] ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويبدو أنه استقل أحد القطارات وغادر ديترويت من دون أن يشعر به أحد برغم ما يقال من أن هناك من شاهده فعلا يستقل القطار من محطة ديترويت. والمرجح أنه وقبيل رحيله أصدر آخر التوجيهات إلى **إليجا** وسلمه قائمة بأسماء الكتب التي أمره بقراءتها والاستعانة بها وأخبره أنه سيكون على اتصال به وأنه سيتابع نشاطه عن كثب لتوجيهه وتصحيح مساره كلما لزم.

ومن الجائز أيضاً حسب الروايات أنه وإمعانا في التضليل لمن أراد تعقبه عمد إلى التنقل عبر عدة ولايات متنكرا قبل أن يستقر به المقام أخيراً في المكسيك. وهذه الفرضية تدعمها أيضاً الرسالة التي كتبها إلى **إليجا** التي أشار فيها إلى أنه في مكان ما من (غرب أمريكا الشمالية).

هكذا يقول المنطق وما يستشف من الروايات والأخبار المتواترة. ولعل اختيار المكسيك بالذات هو اختيار ذكي لعدة أسباب أهمها: أنه وبلجوئه إليها يكون قد خرج من الولايات المتحدة وابتعد عن دائرة الملاحقة القضائية فيها وفي نفس الوقت يكون في أقرب مكان منها يستطيع من خلاله متابعة التطورات والمستجدات على الساحة بل وإصدار الأوامر والتوجيهات، ومن يدري فربما تتغير الظروف ويتمكن من العودة لإكمال ما بدأه إن أمد الله في العمر وهيأ الظروف والأسباب؟

ولعل هذه الفرضية تتفق وما أخبرني به **وارث الدين** من أن فارد عندما شعر بأن السلطات بدأت ترتاب فيه وتتعقبه سارع بالمغادرة إلى شيكاغو ومنها توجه إلى المكسيك التي أقام فيها فترة. ويضيف **وارث الدين** أن أخباره انقطعت بعد ذلك إلا من رسائل قصيرة أو بطاقات تهنئة كان يبعث بها إلى **إليجا** في بعض المناسبات الهامة. وهذا يتفق أيضاً مع ما جاء في أطروحة **حاتم صاحب** الذي رجح صحة الرسالة من فارد إلى **إليجا** التي وردت الإشارة لها. على أن أكثر ما أدهشني هو ما أسّر لي به **وارث الدين** من اعتقاده بأن فارد حاول إقناع السلطات بأنه يستطيع حماية الكتل السوداء من خطر الانجراف إلى الشيوعية التي كانت في حالة انتشار وقتها. وكانت الإدارة الأمريكية تعمل ألف حساب لذلك لاعتقادها بأن أي وجود للشيوعية داخل أراضيها من شأنه أن يشكل خطرا مباشرا على أمنها القومي خاصة وأن انتشار الشيوعية في أوساط الطبقات المضطهدة والفقيرة أمر وارد جدا. ويضيف **وارث الدين** أن الإدارة الأمريكية باركت نشاط فارد ورغبت في أن يحتضن السود خوفا من انضمامهم للحزب الشيوعي. على أن هذا الاتهام يبدو في غير محله فقد تعرض فارد للسجن والنفي إن لم نقل القتل ولو كان الأمر كذلك لما فعلوا به ما فعلوا.

ومهما يكن فإن الاختفاء الغامض والمفاجئ للزعيم كان ضربة قوية للحركة التي كانت ما تزال في مهدها حيث حاولت بعض الجماعات والأحزاب اختراق أتباعه واجتذابهم إليها مستغلين حالة الفوضى والصراع حول السلطة. وكان من بين الذين سعوا لذلك الحزب الشيوعي الأمريكي والجاليتين اليابانية والإثيوبية وإن كان أيٌّ منهم لم يحقق نجاحا يذكر إلا أنهم تمكنوا من إضعاف الحركة وساعد على تفاقم الوضع الصراع حول السلطة الذي نشب بين **إليجا** وشقيقه الأصغر حيث انقسم الأعضاء إلى فريقين كل منهما يؤيد أحد الشقيقين ويرى أنه الأجدر بالزعامة.

وعموما وباختفاء فارد تكون انطوت المرحلة الأولى من عمر الحركة أي مرحلة وضع القواعد واللبنات لتبدأ بعد ذلك المرحلة الثانية والأهم التي قاد لواءها **إليجا محمد** الذي يعتبر في نظر الكثيرين المؤسس الحقيقي لحركة (أمة الإسلام) في أمريكا وفيما يلي لمحة عن سيرته وحياته.

١) ص ٣ من الكتاب المذكور.

إليجا محمد (١٨٩٧-١٩٧٥م)

ولد **إليجا** بول (وهذا اسمه الحقيقي) بمزرعة مستأجرة في ساندرفيل (جورجيا) في العاشر من أكتوبر ١٨٩٧م كسابع مولود لأسرة فقيرة تعيش حياة الكفاف، فوالده كان يعمل في مجال التبشير كداعية غير متفرغ لقاء أجر زهيد لا يفي بمتطلبات الحياة لأسرة تضم أربعة عشر فردا.

ولقد حدثني **بلال** وأفاض عن معنى أن تكون أسود في الجنوب الأمريكي خلال الفترة حتى بداية النصف الثاني من القرن الماضي. وعن مشاعر الذل والانكسار التي كان يحسها الرجل وهو عائد لأسرته وليس في يده إلا صحيفة ممزقة كان يقرأ فيها الإعلانات عن الوظائف الشاغرة. وكيف أن الواحد منهم ما كان ليجرؤ على النظر في وجه زوجته وأطفاله الجياع. ومنهم من كان لا يدخل بيته إلا متسللا وقد اطمأن إلى أن جميع أفراد الأسرة يغطون في نوم عميق. وكيف أن الكثيرين منهم انزلقوا إلى هاوية الجريمة ومعاقرة الخمر والمخدرات والإدمان هربا من هذا الواقع المرير.

و تمضي الأيام والأعباء تتضاعف على **الأب بول** لتزداد الحياة قسوة وشظفا. فبعد **إليجا** انضم إلى الركب خمسة من الأبناء والبنات ليكتمل العدد اثني عشر طفلا. ويضطر **إليجا** للتوقف عن الدراسة قبل أن يكمل الصف الخامس الابتدائي أملا في مساعدة والده أو بالأحرى تخفيف العبء عنه كما فعل ذلك من سبقه من إخوته. ويبدو أن **الأب بول** آنس في الصغير **إليجا** توقد الذهن والرغبة في مواصلة الدراسة فصار يصطحبه معه أحيانا خلال جولاته التبشيرية وبدأت مدارك الصغير تتفتح وتتبلور، كان عمل **الأب بول** محددا في دعوة السود إلى المسيحية وشرح تعاليمها وتزيينها بالصورة التي تحببها إليهم[١].

والدة إليجا محمد (الأم ماري كما ينادونها)

وفي السابع من مارس١٩١٩م تزوج الشابة **كلارا إيفانس** من **كورديلي** (جورجيا) وهو يكبرها بعامين. ويدخل **إليجا** مرحلة جديدة إذ أصبح رب أسرة يزداد عدد أفرادها عاما بعد عام ولاشيء يلوح في الأفق والآمال تتبدد[٢]. ويجرب العمل في كل الميادين المتوفرة ابتداء من الحقول والمصانع ومرورا بأعمال الطرق فمصانع النسيج ومعامل الطوب. وفي العام١٩٢٣م ينتقل الشاب **إليجا** إلى ديترويت مصطحبا معه زوجته كلارا وطفليه.

والثابت أنه عانى كثيراً خلال سنواته الأولى في ديترويت جراء البطالة وحتى بعد أن حصل على وظيفة عامل في مصانع شفروليه لتجميع السيارات والتي استمر فيها حتى العام١٩٢٩م عندما اضطرت الإدارة لتخفيض العمالة بسبب الأزمة الاقتصادية. وهكذا عاش حياة عادية إلى أن جاء يوم غير مجراها رأسا على عقب.

كان ذلك عندما حضر للاستماع إلى ما يقوله فارد وقد كتبت **مارتا لي** عن ذلك قائلة: (تلك اللحظة كانت لها أهمية عظيمة في تاريخ وتطور الحركة)[٣].

١) لعله من المهم هنا الإشارة إلى أن القساوسة السود ما كان يسمح لهم بالعمل في كنائس البيض أو التعامل معهم، كما كان محظورا عليهم أصلا دخول كنائس البيض حتى ولو للعبادة. وكان من أهم شروط الاختيار للقساوسة والمبشرين السود أن يكون المرشح لهذا العمل من أصحاب البشرة الفاتحة أو التي تميل إلى البياض، ولعل الهدف من وراء ذلك ترسيخ مفهوم تفوق الجنس الأبيض عموما بحيث يصبح من المسلم به أن اللون الأبيض هو في حد ذاته ميزة، وبذلك يرسخ مفهوم أن الرجل الأبيض واقعيا هو السيد (The Master) أو (الرب) بعبارة أخرى.

٢) ورد في كتاب (Black Nationalism) لاسن أدوم (ص ٧٤-٧٥ أن إليجا رزق من كلارا أربعة أولاد وبنتين ثم انضم إليهم في وقت لاحق عدد من الأبناء غير الشرعيين وصل عددهم إلى أكثر من عشرة وقد أصبحوا جميعاً أعضاء في الحركة كما سيجيء ذكره لاحقاً بشيء من التفصيل.

٣) كتاب (The Nation Of Islam) لمارتا لي، ص٢١.

أما **إليجا** فقد كتب عنها قائلاً: (عندما وقفت أمامه صافحته وقلت له إنني أعرف من يكون. فأطرق برأسه حتى كاد يلامس وجهي وقال لي فيما يشبه الهمس: (نعم. أخي). قلت له: أنت من قرأنا في الكتاب المقدس أنه سيأتي في آخر الزمان باسم **المسيح عيسى**. وبعد برهة صمت قال: نعم. أنا من كنتم تبحثون عنه منذ ألفي عام)[١].

وتضيف **مارتا لي**: (كانت تلك اللحظة بالفعل نقطة تحول هامة في تاريخ الحركة ومسارها. فحتى ذلك الوقت لم يكن فارد قد أعلن سواء بصورة مباشرة أو حتى تلميحاً أنه الرب أو المسيح. إلا أن الفكرة التي أسّر بها إليه **إليجا** بول لاقت هوى في نفسه واستهوته تماماً. وسرعان ما التقط القفاز وانتحل لنفسه دوراً جديداً. ففي أول اجتماع بعد تلك الواقعة أعلن أنه **المسيح عيسى** الذي طال انتظاره)[٢].

إليجا محمد يوم عرسه

بعد ذلك ظل **إليجا** يحرص على حضور اجتماعات الحركة بانتظام إلى أن كان يوم في شتاء١٩٣١ م. يقول **إليجا**: أنه آثر البقاء بالمنزل مع أطفاله في ذلك اليوم ليتيح الفرصة لزوجته كلارا لتنال حظها من الاستمتاع بحديث فارد، ويستطرد قائلاً: أن فارد سأل الحضور عنه قائلاً: (هل يعرف أحد منكم شيئاً عن الرجل قصير القامة الذي يسكن في هامت رامك؟ فانبرت كلارا قائلة: نعم سيدي، إنه زوجي). وحسب رواية **إليجا** فإن فارد أمرها أن تخبر زوجها بأنه يأذن له بالبدء في الدعوة للإسلام وأنه سيدعمه.

فرح **إليجا** بهذه البشارة والإجازة فرحاً عظيماً ومن يومها أصبح واحداً من أبرز رجالات فارد وأكثرهم إخلاصاً. واختار له فارد اسم (**إليجا محمد**) بدلاً من اسمه الحقيقي. وعلى الرغم من حقيقة أنه كان ثالث وزير يختاره فارد إلا أنه سرعان ما أصبح صاحب الحظوة عنده بل وساعده الأيمن. وعند اختفاء فارد وفي خضم حالة الذهول التي أصابت أعضاء الحركة والظروف العصيبة التي حلت بها، انبرى **إليجا** لينقذها من المصير المحتوم الذي كان يحيق بها عندما ظن الكثيرون أن الحركة ستلقى نفس مصير حركتي **قارِف** و**درو علي** اللتين انهارتا بعدهما خاصة وأن فارد لم يسعفه الوقت ليكمل بناء أجهزة الحركة أو يضع لها القواعد والأطر والآلية التي تضمن لها الاستمرار. لذلك فقد راهن كثيرون على انهيار الحركة استنادا على حقيقة أنه لا يتوافر لديه الحد الأدنى من المؤهلات والمواصفات للقائد الذي تتطلبه طبيعة المرحلة والذي يستطيع انتشال الحركة والسير بسفينتها إلى بر الأمان.

كلارا محمد زوجة إليجا محمد

لكن **إليجا** استطاع أن يقلب كل الموازين والتوقعات، وكما عرضنا له فإن الحركة وحتى اختفاء مؤسسها كانت حبيسة في منطقة ديترويت وإن كان فارد استطاع أن يجمع حوله بضعة آلاف من سكان المدينة. إلا أن السواد الأعظم من الأمريكيين عموما في المدن والولايات الأخرى لم يكونوا قد سمعوا عنه حتى لحظة اختفائه. ويصف **إليجا** الصعوبات التي واجهها قائلاً: (في خريف

١) المرجع السابق، ص٢٣.

٢) كتاب (The Trumpet Shaw Sound) لبيتر وارسلي، ص ٠ -٩٩١.

١٩٣٤م تبدل معظم أعضاء الحركة وبدأ يظهر عليهم النفاق بل أخذ بعضهم يقوم بأعمال تخريبية وينضم إلى أعداء الحركة. سارت الأمور من سيء إلى أسوأ وبحلول العام١٩٣٥م أضحى من المستحيل بالنسبة لي التعامل معهم. ووضح أن أكثر من ٧٥٪ منهم أصبحوا منافقين فكان لزاماً علي أن أتركهم لأنجو بنفسي فقد استشرى النفاق حتى وصل إلى داخل بيتي وإذا بشقيقي الأصغر الذي يقاسمني سكني يريد الزعامة لنفسه بل تآمر مع وزير مساعد ضدي ثم انضما لأعدائي هنا في ديترويت وبدأوا يخططون للتخلص مني وعندها أمرني الله بالرحيل)[١]. وبالفعل فعندما أحس أن حياته باتت في خطر غادر ديترويت وظل مختفياً سبع سنوات لكنه لم يتوقف عن العمل إذ ظل يدعو بحماس أزكاه اعتقاده الراسخ بأن الألفية السعيدة للسود باتت وشيكة.

إليجا في طريقه إلى السجن بصحبة أحد عناصر الـ FBI في ١٩٤٢م

وادعى **إليجا** أن صوت فارد كان يوجه خطاه خلال تلك الفترة [٢] التي أمضى جزءاً منها متنقلاً بين مختلف الولايات الأمريكية إلا أن **حاتم صاحب** يؤكد أنه أمضى معظم تلك السنوات (١٩٣٤-١٩٤١م) في الدعوة بواشنطن العاصمة تحت اسم مستعار هو **محمد رسول**[٣].

وهذا ما يؤكده أيضاً **إسن أدوم** حيث يقرر أن **إليجا** أقام في واشنطن العاصمة من ١٩٣٥م وحتى ١٩٤١م وأنه قضى الفترة ما بين ١٩٤٢م حتى ١٩٤٦م في السجن. وبعد إطلاق سراحه انتقل إلى شيكاغو التي استقر فيها بصفة مستديمة حتى وفاته في ١٩٧٥م.

وفي أوائل العام ١٩٤٢م ـ وقبل دخوله السجن ـ أسس المقر الرئيسي لحركة أمة الإسلام في شيكاغو. وعلى الرغم من أن عدد أعضاء الحركة في ديترويت وحدها كان قد وصل إلى أكثر من ٨ آلاف عضو على أقل تقدير قبل اختفاء فارد إلا أن الصراعات الداخلية التي أعقبت اختفاؤه أدت إلى تدني العضوية بصورة واضحة.

كانت عملية إرساء الدعائم والبناء أصعب مما كان متوقعاً وتفاقم الأمر أكثر مع اعتقال أكثر من مائة عضو من ناشطي الحركة وقياداتها في ذلك العام (١٩٤٢) بسبب التهرب من الخدمة العسكرية الإلزامية مما أدى إلى انخفاض العضوية مرة أخرى حتى قدرها البعض بأنها تدنت إلى بضع مئات فقط[٤]. ثم جاء الدور على **إليجا** نفسه فتم اعتقاله ومعه أحد عشر من قيادات الحركة بواسطة الـ (FBI) حيث أودعوا السجن بتهمة العصيان والتحريض على الفتنة وعدم الوطنية إذ لم يسلموا أنفسهم لإدارة التجنيد والتدريب. على أنني أميل أكثر لرأي **أديب رشاد** والقائل بأن سبب اعتقاله كان هو إعلانه التعاطف مع اليابان في حربها ضد الولايات المتحدة (خلال الحرب العالمية الثانية) وما أبداه من تعاطف مع قضية اليابانيين الأمريكيين الذين تم إبعادهم وترحيلهم إلى معسكرات الاعتقال التي أقيمت لهم في مناطق معزولة ظلوا فيها لمدة أربع سنوات. فقد ذكر الأمريكي العربي الدكتور **جيمس زغبي** (رئيس المعهد العربي الأمريكي في واشنطن) أن واقعة اعتقال وإبعاد الأمريكيين من أصل ياباني إلى معسكرات الاعتقال التي راح ضحيتها

١) أطروحة حاتم صاحب للماجستير وعنوانها: (The Nation of Islam). ص ٨٠ ولعله من المهم هنا الإشارة إلى أن إليجا عندما يقول (الله) فهو يقصد بذلك (فارد) ولا حول ولا قوة إلا بالله.
٢) المرجع السابق، ص ٩٧.
٣) ص ٨١ من الأطروحة.
٤) كتاب (Islam, Black Nationalism & Slavery) ، ص ١٤٢

إليجا وبيده نسخة لترجمة معاني القرآن الكريم

أكثر من ١٢٠ ألف مواطن أمريكي من أصل ياباني جاءت تنفيذاً للأمر رقم ٩٠٦٦ الصادر من الرئيس **فرانكلين روزفلت** الذي اعتبر أجزاء واسعة في غرب البلاد (مناطق عسكرية تحتاج حماية خاصة(ومنح الجيش الأمريكي سلطة إبعاد (الغرباء الأعداء) من تلك المناطق وذلك رداً على الهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربر الأمريكي. وعموماً وإن كان الدكتور زغبي قد أكد على أن العنصرية كانت هي الدافع الحقيقي وراء هذه الحملة الانتقامية ذلك أن أمريكا كانت وقتها في حالة حرب ضد ألمانيا وإيطاليا واليابان إلا أن الذين تم إرسالهم إلى معسكرات الاعتقال كانوا هم الأمريكان اليابانيين فقط. وعموما فإن معظم الرؤساء الذين تعاقبوا على سدة الرئاسة الأمريكية بعد ذلك حاولوا الاعتذار لأسر الضحايا. وبعد كثير من الضغوط أقر الكونجرس في ١٩٨٨م تشريعاً قرر بموجبه تعويضا بمعدل ٢٠ ألف دولار لكل واحد من الـ ٦٠ ألفا من نزلاء معسكرات الاعتقال الباقين على قيد الحياة وقتها[١].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وإطلاق سراحه شهدت حركة أمة الإسلام مرحلة جديدة من النمو والتطور. وتم شراء أول معبد للحركة في شيكاغو وبدأ **إليجا** ينشر تعاليمه ومنها ما ادّعاه من أنه الرسول المبعوث من فارد[٢]، ثم واصل ما كان فارد يدعو له مع التركيز على ثلاثة محاور هي:

١) حاجة السود للحصول على وطن وإنشاء دولة مستقلة لهم داخل منظومة الولايات المتحدة.
٢) الحصول على هوية مميزة مقبولة للسود الأمريكيين.
٣) تأمين الاستقلال الاقتصادي للسود في دولتهم المستقلة[٣].

١) المقال بعنوان (لطخة سوداء في تاريخ الولايات المتحدة: عرب أمريكا يشاركون في إحياء الذكرى الستين لاعتقال الأمريكيين اليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية) المنشور بجريدة الشرق الأوسط الصادرة بتاريخ ٢٠٠٢/٢/١٨م، ص ١٠.
٢) كتاب: (The Message To The Blackman In America) لإليجا محمد، ص ٨٧.
٣) كتاب: (World Book) وتحت عنوان (The African American Journey) ، ص ١ من ٢ على الموقع (www.worldbook com/fun).

أعمال إليجا محمد وإنجازاته

خلال الفترة ما بين عامي ١٩٣٤م و١٩٤٦م تضاعفت العضوية عدة مرات وأصبح **لإليجا** أتباع في شيكاغو وملواكي وواشنطن العاصمة فضلا عن ديترويت ولوس أنجلس والعديد من المدن الأخرى حيث وصل عدد أعضاء الحركة إلى أكثر من ربع مليون، فيما وصل عدد المعابد إلى خمسين معبداً في العام١٩٥٩م موزعة على ٢٢ ولاية.

وعموماً فقد انتقل **إليجا** وأسرته في أواخر الأربعينات ليسكن في قصر فخم التأثيث يشتمل على ثماني عشرة غرفة بالقسم الراقي من حي هايد بارك في شيكاغو. كما جعل له مكتبا بجامعة الإسلام (شيكاغو) ومكاتب أخرى بالطابقين الثاني والثالث من قصره وعيّن خمس سكرتيرات على الأقل وأربع خادمات لتصريف شئون القصر من نظافة وطهي وخلافه.

وباعتباره القائد والقدوة كان يكتفي بوجبة واحدة فقط في اليوم حسب تعاليم الحركة أما لباسه الرسمي فكان هو البذلة الكاملة السوداء أو الرمادية المقلمة مع ربطة عنق صغيرة (على شكل فراشة) والطربوش الأحمر الذي يميزه عن سائر أعضاء الحركة[١]. وعند الظهور أمام العامة وخلال الاحتفالات والمناسبات الرسمية كانت تحرسه قوة كبيرة من أعضاء الحركة المدربين، وعن نفسه كان يقول: إنه (مصلح اجتماعي وإنه من عامة السود عاش معهم ومثلهم حياة التشرد والبطالة والمعاناة في (جحيم) أمريكا الشمالية وإنه تعرض للاضطهاد على أيدي (الشياطين) في الجنوب ولذلك فهو خير من يفهم ويقدر أوضاعهم).

وعلى صعيد آخر فقد ظل أتباعه يلحون عليه للقيام بجولة يزور خلالها الدول الإسلامية في أفريقيا والشرق الأوسط إلا أنه كان يؤجل السفر متعللا بأن تكلفته فوق طاقة أتباعه. وأخيراً تمت الرحلة ورافقه فيها ولداه **هربرت** و**أكبر** الذي التحق فيما بعد بالأزهر الشريف في مصر حيث بدأت الرحلة في نوفمبر ١٩٥٩م واستمرت حتى يناير ١٩٦٠م وتمت تغطية الجزء الأكبر لمصروفاتها من تبرعات الأعضاء وكانت بمعدل خمسة وعشرين دولارا من كل عضو. وهنا لا بد من التنويه إلى أن كل الدلائل تشير إلى أن أتباعه كانوا متعلقين به أشد التعلق وأخلصوا له حتى أن أحدهم صرح بأن **إليجا** كان يأمرهم بأن يعبدوا الله ﷻ ولا يعبدوه هو!

ولكل ذلك فإن الغياب المفاجئ سواء بالوفاة الطبيعية أو خلافه لزعيم كهذا كان سيترك فراغاً وصدمة لا قبل لأعضاء الحركة بتحملها. وقد أدرك **إليجا** هذه الحقيقة فبدأ يعمل ومنذ وقت مبكر لحسم مسألة الخلافة. فكان أن اختار ولده **وارث الدين** (المولود في ديترويت بتاريخ ٣٠ أكتوبر١٩٣٣م) خليفة له وبدأ يدربه على القيام بهذه المهمة.

والباحث عن تعاليم حركة أمة الإسلام ومبادئها العامة كما أعاد صياغتها **إليجا** يجدها مضمنة في ثلاث كتب هي:

١) الرسالة إلى الرجل الأسود في أمريكا (The Message To The Blackman In America)

٢) غاية الحكمة: الحل لما يعرف بالمشكلة الزنجية (Solution To The So Called Negro's Problem).

٣) التعاليم لحركة أمة الإسلام المفقودة المكتشفة بطريقة رياضية.

وجميع هذه الكتب من تأليف **إليجا** والكتاب الثاني منها يذخر بالكثير من الغموض والتناقضات أما الكتاب الأخير فلا يسمح للبيض بالاطلاع عليه[٢].

يقول إرنست بنز: إن الباحث العادي يجد صعوبة في الاطلاع على هذه الكتب السرية على الرغم من أن المؤسسين للحركة **والاس فارد** و**إليجا محمد** أدخلا العديد من التعاليم المسيحية المأخوذة من الكتاب المقدس (الإنجيل).

ويبرر هذا بأنه ربما يكون راجعاً لخلفيتهما المسيحية ومعرفتهما بالإنجيل أكثر من القرآن الكريم[٣]. ولكن هذا

١) كتاب (Black Nationalism) الذي وردت الإشارة له أكثر من مرة، ص ٧٩.

٢) أطروحة حاتم صاحب للماجستير، ص ١٤٨.

٣) كتاب: (Evolution & Christian Hope) ، ص ٢٣.

القول تعوزه الدقة ذلك أن كل الدلائل تشير إلى أن فارد جاء من العالم الإسلامي وإن كان قد درس الإنجيل وحاول استخدامه إذ رأى ملاءمته للمستهدفين بالدعوة فإن ذلك لا يقوم دليلاً على أن خلفيته كانت مسيحية.

ويعتقد أعضاء الحركة أن **إليجا محمد** هو آخر رسول ل**والاس فارد** وأنه أرسله ليوحد السود الأمريكيين تحت راية الإسلام، وأن السود هم شعب الله المختار وينتمون إلى قبيلة **شاباز** الأفريقية حسب ادعاء اليحيا وأن معاناتهم في الولايات المتحدة ذات مغزى[١].

وفي بعض الكتب السرية للحركة قصص غريبة عن البيض وشرورهم ومن ذلك وعلى سبيل المثال فقط ما كتبه **إليجا** وهو يروي قصة **يعقوب** الذي حكى عنه أنه استطاع بوسائل شيطانية تغيير لون بشرة قومه من الأسود إلى الأبيض وحسب نبوءة **إليجا** فإن فترة سيادة الجنس الأبيض على العالم والمحدد لها ـ حسب النبوءة ـ ستة آلاف سنة قد بدأت تقترب من نهايتها. وأن بداية الانهيار العظيم لدولة البيض ظهرت أولى علاماته في العام ١٩١٤م الذي شهد اندلاع الحرب العالمية الأولى. وكانت تلك العلامة هي بداية النهاية[٢].

لكن وبحسب نبوءة **إليجا** أيضاً فإن على السود أن يصلوا أولاً إلى معرفة أنفسهم حتى يتحقق الانهيار لدولة البيض. بمعنى أن يصبحوا على علم بتاريخهم ومصيرهم، حيث أشار إلى هذه العملية على أنها (البعث) للأمريكيين السود، كما أوضح أن مهمته هي وضع الأسس لحياة جديدة لأفراد شعبه[٣].

وترى **مارتا لي** أن إطلاع السود على تاريخ قبيلة **شاباز** أعطى الحركة قوة دفع لا يستهان بها وأنهم عندما علموا بأنهم الأصل والأساس للحياة وأنه كان لهم مجتمع هو الأكثر تحضراً ومدنية على مستوى العالم فقد أصبحت دعوة البعث لذلك المجتمع الفاضل تجد أذناً صاغية.

هذا الحلم بالانقلاب الألفي الحتمي الذي تنتقل فيه دورة القيادة والسيادة من الجنس الأبيض إلى الأسود جعل أعضاء الحركة يحرصون كل الحرص على الالتزام بتعاليم الدين كما بينها لهم **إليجا** مع الحرص أيضاً على الطهارة والنظافة من الخارج والداخل. واستجابوا أيضاً لأوامره إذ منعهم من تناول العديد من الأطعمة التقليدية التي اعتاد السود على تناولها وخاصة في الولايات الجنوبية واصفا إياها ب (أطعمة العبيد) (Slave Diet). كما نهاهم عن أكل لحم الخنزير ليس باعتباره محرماً في الإسلام فحسب بل لدوافع سياسية أيضا.

العبادات كما صاغها وروج لها إليجا محمد

رأينا كيف مسخ **إليجا** العقيدة الحنيفية وحوّر نسكها وغيرها. فبعد أن نصب فارد إلهاً ونصب نفسه رسولاً له. وبعد أن أفسد العقيدة هوى بفأسه على العبادات مبتدئاً بالصلاة. فهو وإن كان يتفق مع جمهور المسلمين في أن الصلاة فريضة موقوتة وأن الصلوات المكتوبة عددها خمس صلوات في اليوم ويتفق معهم أيضاً في أن يقف المصلي موليا وجهه شطر المسجد الحرام[٤]. إلا أنه يخالفهم في كيفية أداء الصلاة خلافا جذرياً فالصلاة عنده هي:

أولاً: لا تزيد عن رفع اليدين والتوجه شطر المسجد الحرام ثم قراءة الفاتحة أو ما تيسر من الذكر الحكيم. وهناك من جماعته من يقرأ فقط بعض الأدعية وغالباً ما تكون باللغة الإنجليزية وهذا يعني أن الصلاة على الطريقة الإليجية

١) كتاب: (The Nation Of Islam) لمارتا لي ، ص ٢٨.

٢) كتاب (The Message To The Blackman In America) لإليجا محمد، ص ١٤٢.

٣) المرجع السابق، ص ٢٧٨.

٤) كتاب الصلاة في الإسلام (Prayer in Islam) لإليجا محمد، ص (٧). ومما تجدر الإشارة له أن الوصف للصلوات في هذا الكتاب وبيانها لا يكاد يختلف عما هو متفق عليه عند جمهور المسلمين.

ليس فيها ركوع ولا سجود ولا جلوس ويختمونها بالدعاء لمحمد وأتباعه بالنجاح والسداد[١].

ثانياً: إنه في استقباله القبلة يتبع سنة سيدنا **سليمان** عليه السلام. ويدّعي **إليجا** أن **سليمان** كان من الأمة السوداء وهو الذي أرشدهم لأن يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام حين يصلون.

ثالثاً: إن هذه الصلاة يستحضر فيها المصلي النور والحقيقة الإلهية التي ظهرت جلية في شخص **والاس فارد** حسب اعتقادهم.

رابعاً: الكيفية التي تؤدى بها الصلاة على هذا الوجه هي خاصة بالسود دون غيرهم من المسلمين وقد سمح بوضع كراسي داخل المسجد لمن أراد الجلوس من كبار السن والمرضى وغيرهم.

أما الزكاة فهو لم يتعرض لها ويبدو أنه استبدلها بالضريبة أو الإتاوة التي فرضها على أتباعه وهى بمقدار العشر من دخل العضو المسجل في الحركة. وقد ذكر **بلال** في أحد الأشرطة التي سجلها لي أنهم كانوا يدفعون ما يشبه الجزية في حياة **إليجا**. فكل عضو في الحركة كان عليه أن يدفع مبلغا لا يقل عن ثمانية دولارات وثلاثين سنتاً في يوم الجمعة من كل أسبوع. وفي الاحتفال السنوي بيوم المنقذ والذي يصادف السادس والعشرين من فبراير يقدم له كل عضو هدية تتراوح قيمتها بين ١٠٠ إلى ٢٢٥ دولار.

وفيما يختص بالصوم ومع إقراره بأنه فريضة إلا أنه يرى أن هذه الفريضة مرفوعة عن السود إلى أن يخلصوا أنفسهم من الظلام الروحي الذي هو من صنع الرجل الأبيض. على أنه عاد في وقت لاحق وأوجبه على أتباعه على أن يكون صيامهم في شهر ديسمبر من كل عام وليس في رمضان الذي أنزل فيه القرآن. وقد عزا اختياره هذا الشهر بالذات لسببين رئيسيين هما:

أ) أن ديسمبر هو شهر الأعياد والاحتفالات بالكريسماس (١٢/٢٥ من كل عام) والسنة الميلادية الجديدة وهي مناسبات لها أهمية خاصة في حياة الغربيين والمسيحيين عامة حيث يجتمع شمل الأسر ويتبادل الناس الهدايا ويكونوا مهيئين نفسيا وروحيا لتلقي الدعوة والإقبال عليها.

ب) قصر ساعات النهار وبرودة الطقس خلال شهر ديسمبر فيكون الصيام أسهل وفي ذلك (حسب اعتقاده) تدريب وتعويد لأعضاء الحركة على الصيام في رمضان عندما يصبحون مسلمين حقيقيين مستقبلا. وعلاوة على ذلك كان **إليجا** يحث أتباعه على صيام ثلاثة أيام على الأقل في كل شهر والاكتفاء بوجبة واحدة في اليوم بالنسبة للأيام الأخرى كما كان يحثهم على الإكثار من تناول العصيرات الطازجة والخضروات والبقوليات. وفيما يتعلق بالملبس كان ينصح بارتداء الملابس البيضاء مع ضرورة تغطية الرأس عند الخروج من المنزل للرجال والنساء.

وبالنسبة للحج إلى بيت الله الحرام فكما يقول الدكتور **عبد الوهاب أبو سليمان**: فإنه لم يأت تنويه عنه في كتب **إليجا** وتعاليمه وإن كان ذلك لم يمنع عدداً من أتباعه من أداء فريضة الحج بعد وفاته[٢]. فالحج عنده حسب إفادة الأخ **بلال عجيب** فريضة تؤدى على التراخي حيث أفتى بأن العضو لا يجوز له الحج قبل أن يصبح مسلما حقيقيا ويتعلم اللغة العربية.

وأخيرا فإن أهم المناسبات والأعياد الدينية حسب العقيدة الإليجية هي الاحتفال بيوم المنقذ (Savior's Day) في ٢٦ فبراير من كل عام وهو التاريخ المتفق عليه كما ذكرنا لميلاد فارد وما يزال أتباع حركة أمة الإسلام الذين يتزعمهم حالياً **لويس فراخان** يحتفلون بهذه الذكرى كما يشاركون في الاحتفالات الأخرى مع غيرهم من الأمريكيين ما عدا الاحتفال بيوم الشكر (The Thanksgiving Day)[٣].

١) يطلق منسوبو الحركة اسم(السيد محمد) أو (The Honorable Mr. Muhammad) على إليجا أما نجله وخليفته وارث الدين فيشيرون إليه باسم) إمام محمد (وللأهمية فقد لزم التنويه.

٢) كتاب: (منظمة الأليجا محمد الأمريكية) للدكتور أبو سليمان، ص ٩٧، ومع العلم بأن إليجا أدى العمرة في عام ١٩٥٩م كما سترد الإشارة له بمزيد من التفصيل لاحقاً.

٣) آخر يوم خميس في شهر نوفمبر من كل عام وقد جرت العادة على الاحتفال به شكرا لله أن أنعم على المهاجرين الأوائل بالبقاء على قيد الحياة برغم الصعوبات التي واجهتهم وخاصة الظروف الطبيعية.

العقيدة الإليجية في الميزان

المرجح أن **إليجا** كان ملما بتعاليم الإسلام ومبادئه الأساسية وأركانه الصحيحة كما جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة. فكتبه ومقالاته وحتى أحاديثه عبر الإذاعات وخطاباته تشهد بأنه كان على علم بتعاليم الشرع الحنيف[١]. أما من حيث الممارسة الفعلية والتطبيق فالأمر مختلف تماما. يقول المدافعون عنه: أن **إليجا** وجد نفسه منساقا لاستحداث تعديلات وتحريفات في صلب العقيدة إرضاء للمستهدفين بالدعوة وذلك لما رأى ما يعيش فيه قومه من جاهلية وحالة البؤس والضياع التي هم فيها فاختار أن يسلك معهم سبيل التدرج والترغيب لجذبهم.

هكذا يقولون ونختلف معهم إذ لا يمكن لمسلم عاقل أن يقر مثل هذا الطرح مهما كانت الأعذار والمبررات لمخالفته الصريحة لتعاليم الشرع.

لكن من يتعامل مع مثل هذه القضايا الشائكة يتعين عليه التحلي بشيء من المرونة في التعامل مع الوقائع أو الحقائق، والتعاطي معها كما هي وليس كما نريدها أن تكون.

وإن كان ليس لأحد أن يتجرأ على شرع الله سبحانه وتعالى بالتعديل والتبديل أو التأويل إرضاء للناس وأهوائهم. فعلينا أن نعترف بأن هذا هو عين ما حدث بالنسبة لحالة **إليجا** فقد وجد قومه يعبدون الرجل الأبيض ويكرهونه في نفس الوقت. ولو أنه ادعى الإلوهية لما وجد من يصدقه أو يصغي إليه. ولعله وجد أن الحل الأمثل لهذه المعادلة الصعبة يكمن في استخدام لغة الإسلام وشعاراته ومنهجه الوسطي مع تحريف هذه التعاليم بما يتلاءم وعقلية وتركيبة الأفرو أمريكانز التي تشوبها بعض التناقضات والتشوهات بسبب ما تعرضوا له من ظلم واضطهاد وبما يحقق له مصالحه الخاصة وطموحاته الشخصية. ويرى البعض أنه اختار منهج التدرج حيث كانت النقلة المطلوبة في نظره أكبر من طاقة أتباعه ومن أن يمكن تحقيقها دفعة واحدة. ولعله أراد أن تكون فترته مرحلة انتقالية لإعداد الناس وتهيئتهم لقبول تعاليم الإسلام الصحيحة عندما يحين الوقت المناسب فترك هذه المهمة لخليفته أو من يجيء بعده. هذا ما يقوله المدافعون عنه ولست منهم على أية حال ومعاذ الله أن أجد نفسي مع المدافعين عن رجل ادّعى النبوة وراح يحرِّف في العقيدة الحنيفية كيفما شاء ومهما كانت علاقتي بنجله **وارث الدين** رحمه الله.

والمرجح أن **إليجا** أخذ من فارد بعض تعاليم الإسلام الصحيحة لكنه وخلال الفترة التي أمضاها مختفيا ومتنقلا ما بين نيويورك وواشنطن وغيرها من مدن الساحل الشرقي (ما بين١٩٣٤-١٩٤١م) قرأ عشرات الكتب في الفقه والسيرة والتاريخ الإسلامي عامة كما أمره بذلك فارد قبل اختفائه. ولعله وجد ضالته في مكتبة الكونجرس التي تعج بعشرات الآلاف من الكتب والمطبوعات والوثائق[٢] والترجمات للكتب الإسلامية التي لا تخلو من الدس وبعض الأخطاء.

وهناك أيضاً ما يشير إلى أنه ترك الباب مفتوحا لمن أراد من أتباعه أن يتعلم الإسلام على النهج الصحيح طالما أن لديه الرغبة والاستعداد لذلك. ومما يدعم هذه الفرضية استقدامه لأساتذة عرب للعمل بجامعة الإسلام التي تم نقلها إلى شيكاغو. هؤلاء الأساتذة كانوا من مصر والسودان والمغرب وسوريا وفلسطين وقد سمح لهم بتدريس العقيدة الصحيحة واللغة العربية وكانوا يؤدون الصلوات المفروضة جماعة مع طلابهم كما بينها سيد الأولين والآخرين وكان ولده **وارث الدين** أحد طلاب هذه الجامعة كما عين أستاذا خاصا له للإشراف على تعليمه وتثقيفه.

ومما يؤكد على اهتمام **إليجا** بالنواحي الاجتماعية اعتقاده بأن مهمته الأساسية هي إنقاذ السود الأمريكيين من

١) التلخيص لكتاب الصلاة لإليجا محمد الذي نشره في ١٩٥٦م وأيضاً شرحه لمعنى (السلام عليكم في الإسلام) كما قدمه ضمن برنامج إذاعي في العام ١٩٦٨م.

٢) لعله تحضرني بهذه المناسبة ما ذكره الأخ بلال من أن إليجا نصحه بقراءة كتاب في السيرة النبوية العطرة ألفه واشنطن ايرفنج.

حياة الضياع والتشرد التي يعيشون فيها أولا، وأيضاً من الهلاك مع البيض حين تحل ساعة الحساب والعقاب الإلهي الجماعي لأمريكا بسبب تصرفات البيض الأمريكيين حسب اعتقاده. وكان يردد دائما أن الرب لم يؤخر عقابه وبطشه بأمريكا إلا لوجود السود فيها كما كان يقول عن نفسه إنه (رسول الحرية والعدالة والمساواة)[١].

وقد كتب في ذلك قائلاً: (إننا نناضل من أجل الوصول إلى جميع السود وعلى اختلاف طبقاتهم أولئك الذين في الجامعات وأيضاً من هم في السجون)[٢].

ومن هذا المنظور يمكن اعتبار **إليجا** من دعاة الإصلاح الاجتماعي فالاهتمام بالمرأة عامة والأسرة خاصة واضحان جدا في تعاليمه فهو وإن كان قد جعل كل رجل أسود في مقام (الرب) في صورة من الصور لكن مع عدم إمكانية عبادته إذ تحول العقدة اللونية دون ذلك فقد جعل أيضاً كل أنثى سوداء في مرتبة الملاك الطاهر إذا كانت من منسوبي الحركة. ولعل ما يؤكد هذا التكريم وهذه الحفاوة والمكانة للمرأة السوداء في تعاليمه أن جعل تعدد الزوجات مكروها مبررا ذلك بأنه جاء أساسا لإعادة بناء الأسرة السوداء ولم شملها بعد أن عانت طويلا من التفكك والتشرد والشتات، خاصة مع الارتفاع الواضح لنسبة الأمهات بدون زواج والأبناء مجهولي الآباء في مجتمعات الأفرو أمريكانز بصفة عامة.

وعموما فقد عاش **إليجا** حوالي أربعين عاما كزعيم مطلق لحركة أمة الإسلام ولعله أخذ العبرة والعظة من تجارب القادة الآخرين الذين لقوا مصرعهم أو تم القضاء عليهم قبل أن يحققوا ما يريدون.

لكني أود أن أتوقف هنا قليلا عند مغالطة لنكولن للحقائق البديهية حينما يقول: (إن بعض أئمة الفقه سيعتبرون **إليجا** مسلماً منحرفاً، فإن لكل دين منحرفيه. وكل دين شامل لابد وأن يحمل تصوراً شاملا يترك فيه مساحات وتجاوزات كبيرة لتأويل عقيدته بما يلائم الظروف والأحوال)[٣].

وكأنه يريد أن يقول: إن على الإسلام ـ إذا كان ديناً شاملاً بحق ـ أن يتجاوز عن بعض الانحرافات. والواضح أنه يحاول إظهار المسيحية على أنها المثل الأعلى في الحب والإخاء والدعوة لهما. وحبذا لو حذا الإسلام حذوها. وإذا كان في أمريكا وحدها وفى المذهب البروتستانتي فقط خمسون طائفة فما ضير المسلمين أن يضيفوا طائفة واحدة حتى لو اختلفت معهم في الأصول والفروع؟ هكذا تفعل المسيحية وكل الأديان الشمولية حسب مفهوم لنكولن.

والواقع أن **إليجا** وطائفته كان بإمكانهم أن يعتبروا دينهم هذا ديناً جديداً مستقلاً بذاته شأنه في ذلك شأن الإسلام والمسيحية واليهودية مثلاً لكنه لم يفعل ذلك لعلمه أن استحداث عقيدة جديدة لن يكون مقبولا في أمريكا وسوف يترتب عليه عدم الاعتراف بهم وبعقيدتهم بل ربما محاربتهم. يقول لنكولن: (إن الأمريكيين يرفضون بل يقاومون أي منظمة تزعم نفسها ديناً منفصلاً بذاته. ولكنهم لن يستنكفوا أن هذه المنظمة أو تلك تتبع ديناً قائما)[٤]. لماذا إذا هذا الإصرار منهم على الإسلام؟

يحاول **أبو سليمان** الإجابة قائلاً: (الواقع يقول إنهم منطقيون في التمسح بالإسلام والتستر وراءه ولو لمجرد أن يعترف بهم الأمريكيون وذلك لعدة أسباب أهمها:

الأول: أن المسيحية في نظر الغالبية العظمى من السود هي عقيدة الرجل الأبيض (خلق **يعقوب** كما يقول **إليجا** ومن

١) من حديث إليجا الذي بثته إحدى الإذاعات الأمريكية في خريف١٩٦٨م الذي شرح فيه معنى (السلام عليكم) كما نشرت صحيفة (Muhammad Speaks) نص الحديث.
٢) كتاب (المسلمون الزنوج في أمريكا) لاريك لنكولن، ص ١٠٥.
٣) المرجع السابق، ص٢٧٨.
٤) المرجع السابق، ص ٢٦٨.

سار على نهجه) وبذلك فهي لا تليق بالسود الذين خلقهم الله ﷻ واصطفاهم على من سواهم حسب زعمه. واعتقاد **إليجا** أن عقيدة السود هي الإسلام لأنه قديم قدم الله والسود هم أول خلق الله فهم أول المسلمين والإسلام دينهم أصلاً ودين آبائهم وأجدادهم فلن يختاروا المسيحية عليه.

الثاني: أن الإسلام هو دين العدل والمساواة والإخاء بين الناس جميعاً ولا فرق فيه ولا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح وهو الذي يمنح الناس الشعور بالعزة والثقة والكرامة.

الثالث: أن المخطط الذي استخدم (**إليجا**) لهذه الغاية وأعانه عليها رأى أن من مصلحته أن تدعي حركته أنها مسلمة ولا صلة لها بالمسيحية لأنهم يريدون إسلاماً مليئاً بالخرافات. كتلك التي أدخلتها الكنيسة على المسيحية الحقيقية فنفرّت المثقفين عموماً منها. ولأنهم يعلمون أن الإسلام لو ظل نقياً كما أنزل فسوف يكتسح العالم شرقه وغربه الأمر الذي يقض مضاجعهم. لذلك فإن خلق هياكل إسلامية مشبعة بالخرافات قد يؤدي لإيقاف هذا المد المدهش الذي ينتشر به الإسلام على الرغم مما ينفقه المنصّرون من أموال وما يبذلونه من جهود لوقف هذا الزحف المقدس والمد المبارك والله غالب على أمره ولو كره الكافرون. ويختتم **أبو سليمان** تحليله قائلاً: (هذه بعض الدوافع التي حملت حركة **إليجا** لإيجاد ولو ثغرة واحدة تتسلل منها إلى مظلة الإسلام).

أما الدكتور **شرمان جاكسون** ـ الناشط المسلم الأمريكي المعروف وأستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة متشجان الأمريكية ـ فقد أورد في كتابه (الإسلام والأمريكي الأسود: نظرة في الإحياء الثالث) الصادر عن مطابع جامعة أكسفورد الأمريكية (٢٠٠٥م) أن أهم أسباب انتشار الإسلام في أمريكا خاصة في أوساط الأمريكيين الأفارقة وبالتحديد خلال النصف الثاني من القرن العشرين ترجع إلى أن الأمريكيين الأفارقة كانوا يبحثون عن دين أفريقي فوجدوا الإسلام أفريقيا، وكانوا يبحثون عن دين غير أبيض أو غير أوروبي على الأقل فوجدوا الإسلام كذلك، كما بحثوا عن دين له تاريخ في المقاومة فوجدوا الدول الإسلامية المستعمرة تقاوم الغرب وبحثوا عن دين له تاريخ حضاري مستقل عن الحضارة الأوروبية ولم يخيب الإسلام ظنهم في هذا الشرط المهم أيضاً، كما بحثوا عن دين يؤمن بفكرة (الأخوة) بين أبنائه، وهي فكرة منتشرة بين الأفارقة الأمريكيين لأسباب موضوعية ناتجة عن الاضطهاد الذي تعرضوا له فوجدوا الإسلام كذلك. ثم بحثوا عن دين له اهتمام خاص بقضايا العدالة الاجتماعية والمساواة فوجدوا ذلك في الإسلام، وأخيراً بحثوا عن دين بلا هيراركية ومؤسسات دينية هرمية فوجدوا السلطة في الإسلام لا مركزية مما يحقق حلمهم في امتلاك دين خاص بهم. ومع توافر كل هذه الشروط لم يتردد هؤلاء في الإقبال على الإسلام وكانت (العقيدة السوداء) أو القومية السوداء هي المرحلة الأولي في طريق التحول إلى الإسلام أو العودة إليه بالأحرى.

وكما ذكرت في جزء سابق فإن (العقيدة السوداء) أيا كان توجهها، والتي يمكن القول عامة أن **ماركوس قارفي** و**نوبل درو علي** هما المؤسسان لها، هي التي مهدت الطريق لزيادة الإقبال على الإسلام ذلك أن (العقيدة السوداء) تركز في جوهرها على الإيمان بالعدالة الإلهية وإنهاء الاضطهاد والتمييز العنصري. ويرى **جاكسون** أن البيئة الأمريكية ساعدت على ظهور الدين الأسود لأسباب مختلفة من بينها نظام العبودية القاسي الذي أدى إلى انقطاع الأفارقة الأمريكيين عن تراثهم الديني والثقافي الأفريقي، كما أشعر المجتمع الأمريكي الأفارقة الأمريكيين بالحاجة لدين خاص بهم ولإله يحميهم.

ولقد رفض (الدين الأسود) المسيحية والوثنية معا ومال للبحث عن إله ولهذا قامت الحركات التي حاولت أن تسطو على الإسلام أو تتسمى به، بل وأكثر من ذلك انتحلت لنفسها الكثير من شعاراته وحتى بعض رموزه، ومن بين هذه الحركات (أمة الإسلام) وغيرها [١].

١) المقال بعنوان (تفسير جديد لأسباب انتشار الإسلام بين الأفارقة الأمريكيين) جريدة الحياة عدد ٢٨ يناير ٢٠٠٦م.

زيارة إليجا للأراضي المقدسة وأداؤه العمرة

إليجا عائداً من الأراضي المقدسة

تحت الضغط والإلحاح من بعض وزراء الحركة وناشطيها قرر **إليجا** التوجه إلى الأراضي المقدسة لأداء العمرة بعد أن تلقى ما يشبه الضوء الأخضر وكانت الزيارة تأجلت عدة مرات لأسباب مختلفة.

يقول **بلال**: إن **إليجا** ليس بالغباء الذي يجعله يسافر في رحلة مجهولة العواقب قبل أن يتأكد من أنه لن يتعرض لأي اهانة أو إحراج. وعليه رأى أن يوفد مساعده ووزيره الأول وقتها (**مالكولم إكس**) إلى الأراضي المقدسة للاستطلاع ومعرفة رد الفعل من جانب السلطات والعلماء في المملكة، وأيضاً لاستكشاف مدى القبول ونوعية المقابلة والمعاملة التي سيلقاها حال قدومه شخصيا لأداء العمرة[١].

والواضح أن **إليجا** كان قد علم من بعض مصادره الخاصة أنه قد لا يسمح له بدخول الأراضي المقدسة معتمرا بسبب عدم صحة عقيدته مما دعاه للتردد والتخوف. وحسب معلوماتي الخاصة فقد وصل **مالكولم** إلى جدة عن طريق كراتشي في أوائل العام ١٩٥٩م وكانت تلك هي المرة الأولى التي يزور فيها المملكة بعد أن سبقته شهرته إليها. وعلى غير المتوقع فقد وجد الاحترام والتقدير وتمكن من أداء العمرة في سهولة ويسر. ويؤكد **بلال** أن **مالكولم** تلقى دعوة رسمية للبقاء في المملكة لأداء فريضة الحج إلا أنه اعتذر موضحا أنه لا يجوز للوزير أن يؤدى الفريضة قبل قائده وزعيمه الروحي. ولعله قصد بذلك التأكد من أن زعيمه سيجد نفس القبول والمعاملة إذا قرر المجيء لأداء الحج أو العمرة.

ومهما يكن فقد اعتبر **مالكولم** ما لقيه شخصيا بمثابة الضوء الأخضر ل**إليجا** إن أراد الحضور للمملكة حاجا أو معتمرا طالما أنه مسلم موحد. وهكذا وحسب الوثائق التي اطلعت عليها فقد وصل **إليجا** مطار جدة يوم الأربعاء ١٩٥٩/١٢/٢٣م وفي اليوم التالي لوصوله وولديه المرافقين (**أكبر** و**هربرت**) انتقل إلى مكة المكرمة في سيارة وفرتها لهم الجهات المختصة[٢]. وقد كتب **إليجا** بعد عودته مقالا مطولا عن تجربته في الأراضي المقدسة تضمن وصفا دقيقا للإحرام والمناسك وكيف أن المطوف كان يمسك بيده طوال الوقت وكأنه طفل صغير. واختتم مقاله بأن تلك الزيارة للأراضي المقدسة تركت في نفسه أثرا لن ينمحي وإن كان قد ألمح في أكثر من مناسبة بعد ذلك إلى أنه أدى فريضة الحج وليس العمرة وهذا بالطبع غير صحيح.

وعند توقفه في مصر في طريق عودته إلى الولايات المتحدة وجد أيضاً حفاوة وتكريماً كما اعتمدت الحكومة المصرية منحة لولده **أكبر** للدراسة في الأزهر الشريف. وحسب إفادة الأخ **بلال** فقد كلف الرئيس المصري **جمال عبد الناصر** الوزير **أنور السادات** بأن يكون المرافق الشخصي ل**إليجا** طوال فترة إقامته بمصر.

١) من أحد الأشرطة الصوتية التي سجلها لي عجيب بلال خلال زيارته للمملكة في نوفمبر ٢٠٠٦م.

٢) المقال بعنوان (Messenger Elijah Muhammad Pilgrimage To Mecca) المنشور بصحيفة (سلام) في يوليو ١٩٦٠ وجريدة (Muhammad Speaks).

النواحي الاقتصادية والاجتماعية للحركة

جعل **إليجا** مبدأ التحرر الاقتصادي من أولويات الحركة وكان يرى أن هذا التحرر أو الاستقلال الاقتصادي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الوحدة. والواقع يقول إن السود عاشوا عبيداً لأكثر من ثلاثة قرون عانوا فيها من الاضطهاد والاستعباد والقهر والتحقير ما ملأ قلوبهم بالأحقاد التي كان من المفترض أن توحد صفوفهم. فالمصائب يجمعن المصابين كما يقولون لكنهم حتى بعد أن حصلوا على الحرية فإن ذلك لم يغير شيئا. فالتمييز في المعاملة ما يزال يأخذ بتلابيبهم. كما نقل لنكولن عن بعض قادتهم ما معناه (إذا كانت أجسادنا قد تحررت جزئياً فما زالت سيطرة البيض تملك علينا عقولنا).

فضلاً عن أن البيض أنفسهم لا يتوجسون خيفة من شيء مثل توجسهم من أي محاولة لتوحيد السود. ولا ينكر لنكولن هذه الحقيقة حيث يقول: (إن البيض يتملكهم الرعب واليأس حين يسمعون مجرد الحديث عن وحدة السود ويعتبرون ذلك عملاً تخريبياً. ولهذا فهم يوزعون المخبرين في كل زاوية للتجسس على السود وبث الإشاعات بينهم للوقوف في وجه أي محاولة لتحقيق وحدتهم المنشودة)[١]. ويؤكد **إليجا** على ذلك حيث يقول:

إنهم يراقبون هواتفنا ويلاحقوننا ليلتقطوا كل شاردة وواردة ويستخدمون في ذلك آلات تسجيل الصوت وينشرون عيونهم بيننا ويجعلون لنا مصائد كثيرة. وهم لا يتورعون عن سؤال أقاربنا عنا وحثهم على العمل ضدنا وإثارة الفتن والنعرات في صفوفنا)[٢]. ويوافقه في ذلك لنكولن إذ يقول:

(إنه قريب من الواقع وليس فيه كثير من المبالغة. فإن إدارة الاستخبارات المركزية ورجال الشرطة المحلية يخضعون (محمدا) وحركته إلى مراقبة شديدة وتحر صارم سواء في داخل الحركة أو خارجها)[٣].

شارع ومسجد مالكولم إكس في هارلم / نيويورك

ويضيف: (ولاشك أن الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الفدرالية الـ (FBI) يبذلان كل جهد لمعرفة ما تضمره حركة المسلمين السود من أهداف خفية)[٤]. وهكذا وقف البيض المتطرفين لهم بالمرصاد فما استطاعوا أن يتكتلوا في جبهة واحدة عريضة برغم روابط الدم واللون واللغة والتراث والمصير وبرغم ما يجمع بينهم من ظلم وفقر واضطهاد.

لكن وبرغم كل هذه المعوقات استطاعت حركة المسلمين السود في عهد **إليجا** أن تكون لها جبهة اقتصادية شدت إليها الأنظار حيث بدأ الأعضاء الخطوة الأولى لتحقيق هذه الغاية بالتقشف فاقتصروا في طعامهم على الخضار والفواكه وتناول وجبة واحدة في اليوم. واستنكفوا أن يهدروا أموالهم في الزنا والخمر والتدخين والمخدرات. كذلك استطاعت المنظمة أن تمتلك مزارع كبيرة مجهزة بالآلات الحديثة في شتى أنحاء الولايات المتحدة.

وعموماً وحسب المصادر التي وقفت عليها فقد استطاعت المنظمة في حياة **إليجا** شراء أراض زراعية في عدد من

١) كتاب (المسلمون الزنوج في أمريكا)، ص ١٠٦.

٢) المرجع السابق، ص ٢٢٣-٢٣٤.

٣) المرجع السابق، ص ٢٣٤.

٤) المرجع السابق، ص ١٧.

الولايات وبمساحة إجمالية بلغت ١٥,٠٠٠ إيكر بالإضافة إلى آلاف الرؤوس من الماشية والأغنام.

وشملت ممتلكاتها أيضاً طائرة خاصة واحدة، أسطول من الجرارات الزراعية، مستودعات وثلاجات للتخزين البارد، مصرف الضمان والائتمان (The Guarranty Bank and Trust Co.)، مطبعة وصحيفة ناطقة باسم الحركة حملت اسم (Muhammad Speaks)، عدد من المجمعات السكنية ومحلات البيع بالإجمالي والمفرق على امتداد الولايات المتحدة، عدد من المخابز والمطاعم والمقاهي وذلك لعزل السود والحيلولة دون اختلاطهم بالبيض حتى لا يتأثروا بهم وبأخلاقياتهم، وتسمى هذه المطاعم والمقاهي مطاعم ومقاهي (سلام).

لقاء إليجا مع بعض مساعدي مارتن لوثر من القساوسة ويظهر معهم في أقصى اليسار السفير أندرو يونج

وفيما يتعلق بالمعابد والمساجد أنشأت الحركة أكثر من ٧٦ داراً للعبادة في الولايات المتحدة ودول الكاريبي وبعض دول أمريكا الوسطى وأيضاً في غانا وإنجلترا وجزر فيرجن الأمريكية وجميعها كانت تخضع لإدارة وإشراف رئاسة الحركة في شيكاغو. ومن نشاطات المنظمة الأساسية أيضاً التربية والتعليم وتقويم السلوك. فتم إنشاء العديد من المرافق التعليمية التي كان الهدف منها أن يشعر الأسود بأنه (إله لا يختلف عن الله إلا في الدرجة)[١].

ولتحقيق هذه الغاية قاموا بإنشاء العديد من المدارس الابتدائية والثانوية حتى أصبح لهم ما يربو على أربعين مدرسة موزعة في مختلف أنحاء الولايات المتحدة. أما جامعة الإسلام وبعد نقلها إلى شيكاغو فقد خططوا لأن تتسع لعشرة آلاف طالب وطالبة. كما تم بناء مركز ثقافي متعدد الأغراض في شيكاغو أيضاً وهذا المركز يتيح لزائريه فرصة التعرف على ما تقوم به المنظمة من أنشطة وأعمال على الصعيدين الثقافي والتجاري وقد بلغت تكلفته عشرين مليون دولار، وتبلغ المساحة الأرضية له خمسة أفدنه وموقعه جنوبي مدينة شيكاغو. ولم تغفل المنظمة تعليم المرأة والعناية بدورها في المجتمع فأقاموا العديد من المدارس الخاصة بالبنات يتعلمن فيها الخياطة والطهي والعناية بالأطفال وآداب السلوك داخل البيت. وأصبحت طالبات هذه المدارس يسترن رؤوسهن بغطاء أبيض كتب في مقدمته (MGT) وهي ترمز إلى (Muslim Girls Training) أي تدريب الفتيات المسلمات.

كما اهتمت الحركة بالدعوة من خلال وسائل الإعلام والاتصالات حيث بدأت منذ وقت مبكر في التعريف بنشاطاتها وأهدافها من خلال الكتيبات والنشرات قبل أن تبدأ رسميا في إصدار الصحف اليومية والمجلات ولعل أهمها صحيفة (Muhammad Speaks) التي أصبحت واحدة من أكثر الصحف رواجاً حيث وصل عدد مبيعاتها اليومية في أواخر الستينات من القرن الماضي إلى حوالي ٦٠٠,٠٠٠ نسخة[٢]. وعند بداية صدور هذه الصحيفة الناطقة بلسان الحركة كان **مالكولم إكس** هو الذي يشرف عليها، وما تزال هذه الصحيفة مستمرة حتى الآن تحت اسم (The Final Call) أي (النداء الأخير) وإن تحولت ملكيتها وإدارتها للفصيل الذي يقوده الآن **لويس فراخان** والذي يحمل نفس الاسم (أمة الإسلام).

١) كتاب: منظمة الأليجا محمد الأمريكية للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان دار الشروق ١٣٩٩هـ، ص ٥٥.
٢) كتاب (The Nation of Islam) لمارتا لي، ص ٣٩.

مالكولم إكس يلقي كلمة

في مجال الإذاعة:

بدأت المنظمة واعتباراً من العام ١٩٧٢م بث برنامج إذاعي يوم السبت من كل أسبوع ولمدة ساعتين ويتضمن هذا البرنامج الأسبوعي تصريحات وزراء المنظمة التي تتضمن عبارات تمجيد ل**إليجا** وانتقادات للرجل الأبيض.

في مجال الدعوة:

اهتم **إليجا** كثيرا بقضية الدعوة وتوسيع دائرة العضوية باقتناص كل الفرص الممكنة في الدعاية للحركة والدفاع عنها وعرض ما تقوم به على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي سواء من خلال إلقاء المحاضرات في الجامعات والمنتديات أو المقابلات الإذاعية والتلفزيونية. وكان من أبرز الدعاة - بطبيعة الحال - زعيم الحركة. (فأينما وقف **إليجا** خطيبا تجمعت الألوف للاستماع إليه. ولم يحدث أن اجتمع أقل من أربعة آلاف شخص (حين يتكلم **إليجا**). وقد يصل العدد إلى ما بين ثمانية وعشرة آلاف في الأحوال العادية)[١]. وللوصول إلى قلوب الجماهير وكسبهم كأعضاء في الحركة لم يترك **إليجا** ووزراؤه وسيلة أو مناسبة إلا اقتنصوها. فكل أماكن التجمع هي ساحات للدعوة عندهم. وهو يرسل الوزراء المؤهلين للدعوة في مجمعات الطلاب في الكليات والمدارس وحتى داخل جمعيات الشبان المسيحيين وآخرون يجوبون الشوارع والحدائق العامة بل ويتعرضون للخارجين من الكنائس أو الداخلين فيها. ويرتادون السجون والإصلاحيات حيث تم تحقيق نجاحات كبيرة. ويفخر **إليجا** (بأن حركته وحدها هي التي انفردت بالعمل في هذا المجال وحققت ما عجزت عنه جميع الطوائف المسيحية والحركات الاجتماعية مجتمعة في أمريكا)[٢]. ولنا أن نتصور كيف كان ل**إليجا** أن يتفوق على جميع الطوائف المسيحية والحركات الاجتماعية التي تغص بالمتخصصين في مجالات التربية وعلم النفس؟ وكيف يتفوق على الحركات الاجتماعية التي تقوم برامجها على أساس الإصلاح العلمي المبرمج وتحرير النفوس من نوازع الشذوذ الخلقي ودوافع الإجرام! وبالطبع لم يكن له أن ينجح فيما فشل فيه غيره لولا تلك الومضات من نور الإسلام والقبسات من الهدي السماوي التي اندست بين جوانب هيكلها الهجين. وإذا كان هذا ما يتحقق باستخدام الإسلام على الطريقة الإليجية فكيف يكون الحال إذا كانت الدعوة مبنية على الإسلام الصحيح القائم على الكتاب والسنة؟

ويعترف **إريك لنكولن** بهذه الحقيقة إذ يقول: (يعترف علماء النفس والمصلحون بأن الجريمة آخذة في الازدياد ومع ذلك فإن الإنسان الأسود الذي كان غارقاً في الجريمة بدأت أخلاقه تتغير وتتحسن ومهما كان غارقاً في الرذائل والجرائم فيما مضى من عمره فإنه يصبح إنساناً جديداً، فمن يفشل السجان والمصلح الاجتماعي في تقويمه نجد أن الحركة الإسلامية هي التي تتصدى له لتنتشله من الهوة السحيقة التي تردى فيها)[٣].

ويضيف: (إن الجريمة ما هي إلا صمام نجاة من الضغط المتراكم نتيجة السخط وعدم الرضا عن الأوضاع الاجتماعية. ويتفجر هذا التراكم في شكل جرائم يرتكبها الإنسان الساخط على أوضاعه. لكن حين يعود الإنسان المنحرف

١) كتاب (المسلمون الزنوج في أمريكا) للدكتور إريك لنكولن تعريب عمر الديراوي، ص ١٥٨.
٢) المرجع السابق، ص ١٠٢-١٠١.
٣) المرجع السابق، ص ١٠٢.

مالكولم إكس (١٩٢٥ - ١٩٦٥م)
والدكتور مارتن لوثر كنج (١٩٢٩ - ١٩٦٨م)

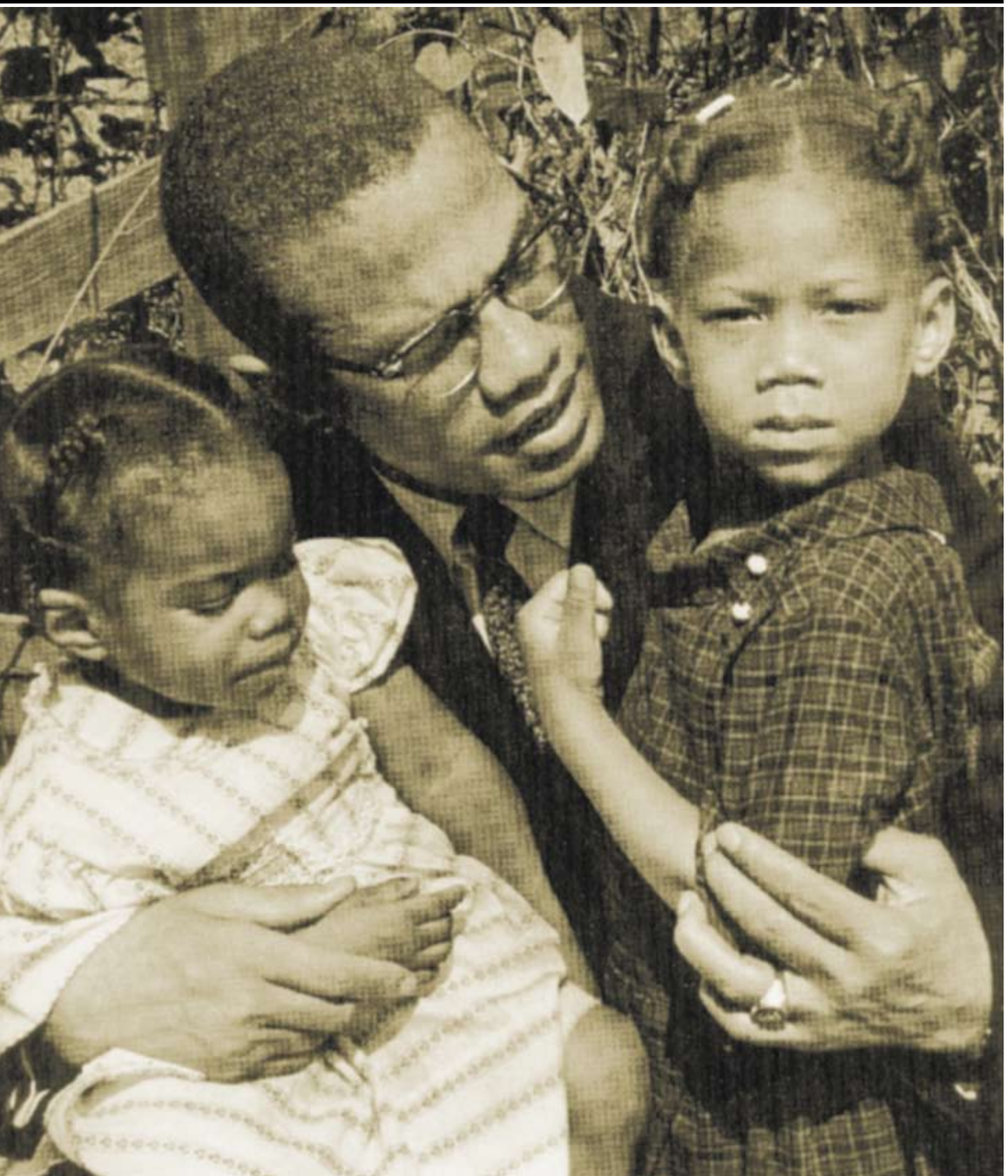

إلى الطريق السوي وينضم إلى حركة جماهيرية فإنها تمتص طاقاته وسخطه وتستغلهما لخيرها وتطورها)[١].

هذا الإدعاء أيضاً مردود عليه. فلو كانت منظمة **إليجا** هي المنظمة الجماهيرية الوحيدة الموجودة على الساحة لقبلنا هذا الرأي على علاته. لكننا نعلم أن الولايات المتحدة كانت وما تزال تعج بالعشرات بل المئات من الهيئات والمنظمات ويكفي أن بها حوالي خمسين طائفة بروتستانتية. وفيها أيضاً جمعيات أخرى للسود نذكر منها وعلى سبيل المثال فقط الجمعية الوطنية لتقدم الملونين التي وصلت عضويتها في العام ١٩٦٠م إلى حوالي ٣٥٠ ألف فرد فلماذا فاقتها حركة **إليجا** وانفردت عنها وعن غيرها بهذه الميزة؟ ولماذا ينضم هؤلاء المسجونون إلى حركة **إليجا** بالذات ولا ينضمون لغيرها من الحركات الجماهيرية بنفس النسبة؟

ومما سبق نرى أن **إليجا** نجح نجاحاً منقطع النظير في تحقيق العديد من أهدافه برغم أن حركته لم يكن لها من الإسلام إلا الاسم وبعض الشذرات لكنها استفادت منه ونهجت منهجاً أخذ شذرات من روح الإسلام وتعاليمه لولا تلك الخرافات والضلالات التي أدخلها فأفسدت الجوهر وضيّعت الناس وأبعدتهم عن الأساس الصحيح وذلك لأغراض شخصية ورغبة في الزعامة والتسلط وركوب موجة التجديد حتى لو كان ذلك على حساب جوهر عقيدة الإسلام.

وعموماً فقد وصلت عضوية الحركة في أوائل السبعينات من القرن العشرين إلى أكثر من مليون عضو ربعهم تقريباً من الأعضاء العاملين والملتزمين. فلا غرو والحال كذلك أن يعتبرها **إريك لنكولن** (أعظم حركات السود نجاحاً على الإطلاق)[٢].

وقد نتج عن هذا النجاح الذي تحقق في مختلف الأصعدة ولاسيما في المجال الاقتصادي أن زاد حماس الأعضاء لتحقيق الانفصال العنصري الكامل الذي هو أسمى مطالبهم، ويتمثل هذا الانفصال في صور شتى منها الامتناع عن الاختلاط مع البيض والابتعاد عن التزاوج معهم حيث أفتى **إليجا** بأن التزاوج مع البيض مآله إلى إضعاف أخلاق الأمة وإضعاف الالتزام بمبادئها. كما يعتقد كثيرون منهم أن التزاوج مع البيض يقلل من درجة (السواد) في ألوانهم. هذا السواد الذي يوحد صفوفهم ويحرضهم للأخذ بثأر أجدادهم من مستعبديهم.

ومع ذلك نقول أن هدف **إليجا** الحقيقي، والذي أخلص له وقطع في تحقيقه شوطاً بعيداً، تمثل في تكتل السود بأي ثمن وتحت أي ظرف وربما كان الدين مجرد وسيلة أو مطية لتحقيق هذا الهدف.

يقول لنكولن: (بالرغم من أن المسلمين الزنوج يضفون على حركتهم طابعاً دينياً إلا أن الأهداف الدينية تأتي في الدرجة الثانية عندهم من حيث الأهمية، ذلك أنها ليست جزءاً أساسياً من أهدافهم إلا حينما تكون واسطة لتقوية مواقعهم ورفع معنويات أتباعهم وتمتين صفوف الحركة تحت شعارات معينة)[٣].

وإذا كان هذا صحيحاً. وطالما أن الدين يأتي عندهم في المرتبة الثانية فلماذا اختاروا الإسلام؟ ولماذا هذا التمسح به والإصرار عليه؟

---

١) كتاب (المسلمون الزنوج في أمريكا)، ص ١٠٣.
٢) كتاب (المسلمون الزنوج في أمريكا)، ص١٢١.
٣) كتاب (المسلمون الزنوج في الولايات المتحدة)، ص٣٧.

طفولته وحياته الأولى

المتتبع لسيرة مالكوم إكس في جميع مراحلها لابد وأن يتملكه الحزن والأسى فقد كانت حياته في مجملها مأساة متصلة لم تتخللها إلا فترة إشراق وجيزة، بضع سنوات فقط فقد امتلأ قلبه بالحقد والكراهية للإنسان الأبيض عموماً وهو مايزال طفلاً يافعاً لم يبلغ السادسة.

ولد **مالكولم** كسابع مولود لأسرة السيد **ليتل** بمدينة أوماها (نبراسكا) في١٩ مايو من عام ١٩٢٥م وعاش ومنذ صغره صنوفاً مختلفة من الممارسات العنصرية من طرد لأسرته من منزلها وإحراق للمنزل الجديد الذي انتقلوا إليه. ثم قتل والده أمام ناظريه وإيداع والدته في مستشفى المجانين، كل ذلك دفعه إلى طريق الجريمة الذي قاده إلى السجن.

كان والده السيد **ليتل** (Little) يعمل قسيساً بأجر زهيد ولعل أهم ما ميزه هو طوله الفارع ٦ أقدام و٤ بوصات، كما كان من أشد المعجبين بالمناضل ماركوس قارفى الجامايكي الأصل الذي عرضنا له في جزء سابق، أما والدته **لويز** فهي من مواليد فرينادا في جزر الكاريبي التي كانت تتبع وقتها للتاج البريطاني[١].

ويذكر **مالكولم** أنه عندما كان في حوالي الرابعة أو الخامسة قامت مجموعة من الشبان البيض المنضوين تحت لواء الـ (KKK) بإضرام النار في الشقة التي كانت تسكن فيها أسرته في غياب والده. ويذكر أن والدته سارعت لاستدعاء رجال الدفاع المدني الذين تلكأوا في الحضور عمدا ـ حسب اعتقاده ـ فعند وصولهم إلى مكان الحريق كانت النيران قد أتت على كل شيء. تلك الحادثة هي التي أشار إليها **مالكولم** بقوله: (إن النار التي أحرقت بيت أبي ما تزال تستعر في داخلي).

وفي العام ١٩٣١م وعندما كان في السادسة من عمره رأى الصغير **مالكولم** مصرع والده أمام عينيه بصورة غاية في القسوة والمأساوية، فبينما كان السيد **ليتل** في طريقه إلى منزله هجمت عليه مجموعة من أعضاء رابطة الفيلق الأسود (The Black Legion) ـ وهي جماعة سرية إرهابية معظم أعضائها من البيض المتطرفين ـ فأشبعوه ضرباً وركلاً وألقوا به على الخط الحديدي وهو موثق اليدين والقدمين ووقفوا يتفرجون ويضحكون حتى أجهز عليه القطار فلفظ أنفاسه الأخيرة. هذه الحادثة تركت أثراً عميقاً في نفس الصغير **مالكولم** الذي كان واقفاً ينتظر عودة أبيه ولم يكن بإمكانه فعل شيء لإنقاذه ومنع هذه الجريمة البشعة التي لم يعرف لها سبباً سوى الحقد والكراهية.

هذا المشهد الدامي ترك في نفسه أثراً لم يستطع أبداً أن ينساه أو يتخلص منه. ومنذ ذلك التاريخ انطبع في ذهنه الإحساس بأنه سيلقى مصرعه هو الآخر بصورة مأساوية مثله مثل الكثيرين من أفراد أسرته وبني جلدته. وكان نتيجة ذلك أن أصبحت الأسرة بلا عائل وحاولت السيدة **لويز** ـ بشتى السبل ـ توفير لقمة العيش لأبنائها الثمانية الذين لم يكن أكبرهم قد بلغ الحلم بعد لكن المسئولية كانت فوق طاقتها.

وتلجأ الأم المفجوعة في زوجها للاتجار في المخدرات وتضطر للاستعانة بابنها **مالكولم** لمساعدتها في هذا العمل ولم يكن وقتها قد بلغ الثامنة بعد. وتمضي فصول المأساة للأسوأ وتتكامل عناصر الضغط على الأسرة المنكوبة من كل الجهات، فمع بداية العام الثالث لاغتيال السيد **ليتل** وقعت **لويز** في قبضة شرطة مكافحة المخدرات. ولعلها حاولت التظاهر بالجنون وربما تكون قد تعرضت لانهيار عصبي حاد بسبب الضغوط الواقعة عليها من جهة وخوفها على الأيتام الثمانية الذين فقدوا الأب وأصبح من المؤكد أن يفقدوا الأم أيضاً من جهة أخرى.

وعموماً فقد قررت المحكمة إحالتها إلى السجن. ثم انتهى الأمر باحتجازها في مستشفى كلامزو للأمراض النفسية والعقلية حيث قضت الستة والعشرين عاماً الأخيرة من حياتها في عزلة تامة عن العالم[٢]، وتفرق شمل الأسرة

١) كتاب (From Black Muslims To Muslims) لكليفتون مارش، ص ٦٨.

٢) كتاب: (The Autobiography of Malcolm X) قصة حياة مالكولم إكس كما أملاها على الكاتب الأفروأمريكي المعروف أليكس هيلي صاحب كتاب الجذور (Roots) الذي تم تصويره كفيلم سينمائي وإن كان البعض أبدوا تحفظات معللين ذلك بأن هيلي لم يكن أمينا في تسجيل إفادات مالكولم.

المنكوبة وتشرد الأبناء وتوزعوا ما بين دور الرعاية الاجتماعية وبعض الأقارب. لكن الصدمات ظلت تلاحق **مالكولم** حتى في مجال الدراسة، فقد استفزه أحد الأساتذة وهو يسأل طلاب الفصل عن تطلعاتهم المستقبلية وعندما جاء دوره أبدى رغبته في الالتحاق بسلك المحاماة إلا أن أستاذه استكثر عليه ـ وهو الزنجي ـ أن يطمح لمثل هذه الوظيفة المحترمة، وألمح له أن الواقعية تحتم عليه ألا يفكر في وظيفة أعلى درجة من النجارة فهي أنسب صنعة لأمثاله.

كان ذلك اليوم هو آخر عهده بالمدرسة، واعتبارا من ذلك التاريخ بدأت الشقة تتسع أكثر فأكثر بينه وبين مجتمع (لانسنج) خاصة وأمريكا البيضاء بصفة عامة. وبعد أن ترك المدرسة وبعد سلسلة من المكاتبات والتوسلات استطاع إقناع شقيقته الكبرى (**إيلا**) بأن تكفله ليعيش معها وزوجها في بوسطن (ماساشوستس).

الانقلاب الأول ورحلة البحث عن الذات

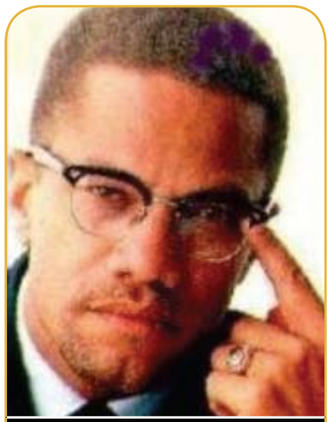
مالكولم إكس

بانتقاله إلى بوسطن بدأت مرحلة جديدة في صراعه مع رحلة الحياة إذ وجد نفسه في خضم حياة وظروف جديدتين. أصبح عليه أن يدخل معترك الحياة وهو ما يزال حدث لم يبلغ الخامسة عشرة، لكن مراجل الغضب كانت تغلي في دواخله حقداً وكراهية لمجتمع البيض الذي اعتبره السبب الرئيس وراء كل ما حل به وبأسرته من مصائب وأهوال، ابتداء بالحرمان من الأبوين وانتهاء باضطراره لترك المدرسة.

وتولدت في نفسه رغبة جامحة في الثأر والانتقام لأبيه وأمه. لإخوته الذين تشردوا في دهاليز حياة الفقر والحرمان من الأبوين بلا ذنب جنوه، ولنفسه. وفي بوسطن لم يجد مهنة شريفة يقتات منها سوى العمل كماسح أحذية في ملهى روزلاند الحكومي فأقبل عليها مضطراً وشيء خير من لاشيء كما يقولون.

لكن هذه المهنة ما كانت لتشبع طموحات الفتى الذي كان يأمل في الالتحاق بسلك المحاماة ليدافع عن قضية الآلاف من بني جلدته الذين سحقهم القهر والظلم الاجتماعي. وفي هذا الملهى تعلم ـ من أصدقاء السوء ـ تعاطي المخدرات والغش في الميسر كما بدأ يرتدي الثياب الضيقة ويصبغ شعره باللون الأحمر. وتدرج **مالكولم** في طريق الجريمة بقوة دفع أزكتها الرغبة العارمة في الثأر والانتقام.

فإلى جانب عمله الرسمي كماسح أحذية دخل عالم الإجرام كمجرم هاو. بدأ بالاتجار في المخدرات والمسكرات وتدرج إلى لعب الميسر والغش فيه وأخيرا عمل كقاطع طريق كلما دعت الضرورة. كانت ساحاته المفضلة لأعمال السطو الليلي منطقتي هارلم والحي اليهودي في بوسطن، وخلال هذه الفترة كان ينظر بعين النفور والكراهية لجميع الأديان وكل ما يتعلق بها.

ولم يطل بقاءه في بوسطن فبعد أقل من عامين وجد فرصة للعمل بوظيفة مساعد طباخ في أحد القطارات التي تعمل بين بوسطن ونيويورك. ولقد أحب **مالكولم** مدينة نيويورك منذ الوهلة الأولى. واستهوته بصفة خاصة حانة (Small's Paradice Bar) في هارلم وتمنى لو تتاح له فرصة العمل في هذا المكان ولم يخب أمله فقد واتته الفرصة للعمل نادلاً في هذه الحانة وذلك في ١٩٤٢م وعمره سبعة عشر عاماً. وأيضا لم يستمر في هذه الحانة طويلاً فسرعان ما تم فصله من الخدمة. وبعد هذه الصدمة الجديدة اتجه إلى حياة الإجرام بكلياته كمجرم متفرغ بل ومحترف هذه المرة. وبدأ يتسلح

بأكثر من مسدس من مختلف العيارات مع تعاطي المخدرات لاكتساب المزيد من الجرأة وروح المغامرة.

أصبح **مالكولم** خطرا على سكان نيويورك الذين كان عددهم يربو على الثمانية ملايين وقتها. وانتحل لنفسه اسماً حركياً هو (Detroit Red) أحمر ديترويت ، إلى أن تم القبض عليه عام ١٩٤٦م وهو في الحادية والعشرين من عمره[١]، وصدر بحقه الحكم بالسجن لمدة عشرة سنوات بعد إدانته في جريمة سطو مسلح بينما حوكمت إثنتان من النساء البيض اشتركتا معه في نفس الجريمة بالسجن مع وقف التنفيذ.

هذا التصرف دعا **مالكولم** للإمعان في كراهية البيض ومحاربة الدين ورجالاته بل وإثارة المشكلات لكل من حوله. وبعد أن أمضى بضعة أسابيع من محكوميته بسجن **شارليستون** تم نقله في فبراير من نفس العام ١٩٤٦م إلى سجن نورفولك حيث أعلن إسلامه.

الانقلاب الثاني

بدأ التحول الثاني الكبير في حياة **مالكولم** وهو في سجن نورفولك عندما بدأ يتعرف على المبادئ التي يدعو إليها **إليجا محمد** وكان قد تعرف على الخطوط الرئيسية لهذه الدعوة من خلال الرسائل التي كانت تصله في السجن من إخوته الذين كانوا قد سبقوه في الانضمام للحركة. وهناك من يقول: أنه انضم للحركة بإيعاز وإيحاء من شقيقه الأكبر **رينالد**.

ففي السجن سمع **مالكولم** عن الإسلام ومزاياه وهفا قلبه إليه. ومن داخل سجنه كتب طلب الانضمام إلى حركة أمة الإسلام حسب الصياغة المطلوبة والمتعارف عليها ووقع على الطلب وأرسله إلى **إليجا**.

وفي أغسطس من عام ١٩٥٢م خرج من السجن بعد أن أمضى ست سنوات من فترة العقوبة المقررة عليه بحصوله على عفو مشروط بتعهد منه بعدم العودة إلى حياة الجريمة. خرج **مالكولم** إنساناً آخر وكان وقتها قد بلغ السابعة والعشرين. إنسان يختلف تماماً عن (أحمر ديترويت) الذي كان يتباهى بصولاته وجولاته في عالم الإجرام على طريقة الصعاليك من شعراء العرب في العصر الجاهلي !

لكنه استفاد من فترة وجوده بالسجن حيث عكف على قراءة كل ما تقع يده عليه ودرس قواعد اللغة الإنجليزية كما تعلم اللاتينية وكان في كل يوم ينقل صفحة كاملة من قاموس اللغة الإنجليزية ويحفظها عن ظهر قلب. وانكب على دراسة كل ما وصل إليه من كتب عن دعوة أمة الإسلام. ثم انتقل من مرحلة القراءة إلى التدريب العملي بإجراء مناظرات داخل السجن مما أكسبه المزيد من الثقة والتمرس في فنون الخطابة من خلال الخطب التي بدأ يلقيها على السجناء السود ودعوته لهم لإتباع حركة أمة الإسلام. بدا **مالكولم** وكأنه يحاول إعداد نفسه للدور المرتقب الذي قرر أن يضطلع به. وفور خروجه من السجن حرص على مقابلة **إليجا** الذي رحب به لما لمس ما يتمتع به من الحماسة والثقافة والذكاء.

وينتقل **مالكولم** إلى ديترويت للإقامة مع شقيقته **ويلفرد**. وفي المعبد رقم (١) الذي كان أول معبد يؤسسه فارد للحركة، حصل على لقب إكس بديلاً لاسم العبودية لأسرته **ليتل** وذلك في إشارة واضحة لضياع الاسم الأفريقي الحقيقي لأسرته. وسرعان ما بدأ **إليجا** يوكل له مهام مختلفة ومسؤوليات كبيرة كما عهد إليه بإنشاء معابد جديدة لجماعة (أمة الإسلام) في مدن كثيرة لتوسيع نطاق الدعوة.

وفي العام التالي لخروجه من السجن تم تعيينه ناطقاً رسمياً أولاً للحركة وممثلاً شخصياً ل**إليجا** وظل يشغل هذا المنصب طوال الإثنى عشر عاماً التي أمضاها في خدمة الحركة. وسرعان ما أصبح واحداً من أشهر وزراء **إليجا**

١) المرجع السابق، ص ٧٠.

وأكثرهم نشاطاً وحماساً بل أصبح منافساً خطيراً ل**إليجا** نفسه سواء من حيث الشعبية أو المرجعية. ولم تقف شهرته وصيته عند حدود الحركة بل تخطت شهرته الآفاق وأصبح معروفاً على مستوى العالم كزعيم مناضل من أجل نصرة الحق والدفاع عن الحقوق المدنية المهضومة للأقلية السوداء في الولايات المتحدة وخارجها.

إسهامات مالكولم في تطور الحركة ونموها

خلال تلك الفترة كان **مالكولم** يعمل بشركة فاروود للأثاثات المنزلية قبل أن ينتقل للعمل بشركة فورد للسيارات. وبعد نهاية دوامه الرسمي كان يخرج إلى الأماكن العامة والحانات والأزقة لاستقطاب أعضاء جدد للحركة وكان يعمل بحماس وإخلاص حتى قيل إنه كان يعمل أحياناً لمدة ١٨ ساعة في اليوم[١].

كان للموهبة التي يتمتع بها في الحوار والمجادلة والقدرة على الإقناع دور كبير في زيادة شعبية (أمة الإسلام) بين السود مما حوّلها إلى حركة جماهيرية واسعة النطاق. وأصبحت معروفة في عموم أمريكا خاصة بعد الحلقات التلفزيونية التي تم عرضها عام ١٩٥٩م.

هكذا وظف **مالكولم** مواهبه المتعددة وشخصيته الجذابة في استقطاب الآلاف من السود إلى الحركة من الشباب والطبقة المستنيرة الذين استهدفهم بصفة خاصة عندما لاحظ أن غالبية أعضاء المنظمة من الكادحين وغير المتعلمين. فبعد بضعة أشهر فقط من انضمامه للحركة تضاعف عدد الأعضاء بصورة واضحة جداً. وحسب تقديراته الشخصية فقد استطاع أن يضاعف عدد الأعضاء في ديترويت وحدها من ٤٠٠٠ إلى ٤٠,٠٠٠ عضو. وقد سر **إليجا** سروراً عظيماً بنشاط هذا الفتى وحماسه فعينه أولاً مساعدا لوزير المعبد رقم (١) في ديترويت ثم وزيراً متفرغاً بالكامل يتقاضى راتبه الشهري ويتم تأمين جميع احتياجاته من تبرعات أعضاء هذا المعبد.

وأخيرا أصبح **مالكولم** رئيساً للوزراء وسفيراً متجولاً للحركة فراح يجوب الولايات وينتقل من مدينة لأخرى بطول الولايات المتحدة وعرضها، يستقطب الأعضاء الجدد ويؤسس المعابد في كل منطقة يصل فيها عدد الأعضاء إلى العدد الكاف لافتتاح معبد وبذلك فقد ساهم مساهمة فعالة في تأسيس معظم معابد الحركة التي وصل عددها إلى أكثر من مائة معبد. فمن ديترويت أرسله **إليجا** شرقاً إلى مدينته القديمة بوسطن لتأسيس المعبد رقم (١١) والإشراف عليه. وفى مارس١٩٥٤م تم نقله إلى فلادلفيا، وخلال الثلاثة أشهر التي قضاها فيها تمكن من افتتاح المعبد رقم (١٢) في مدينة برزرلي لف (Brotherly Love) ومنها تم نقله إلى نيويورك ليشغل وظيفة الوزير للمعبد رقم (٧). عاد **مالكولم** إلى نيويورك إنساناً آخريختلف تماماً عن (Detroit Red) الذي عرفته المدينة قبل بضعة أعوام واحداً من أخطر مجرميها الذين روعوا الآمنين في بيوتهم وفي الطرقات.

وكان له أصدقاء من معتادي الإجرام فيها وبالطبع فقد هالهم التغيير الجذري الذي طرأ عليه إذ عاد إليهم إنسانا مرموقاً ومحترماً. وقبل أن يحل بنيويورك كانت شهرته كخطيب مفوه ومحاضر بارع قد سبقته إلى هناك. وما أن استقر فيها حتى أخذت الجامعات والمنتديات تتسابق في توجيه الدعوات له ليحاضر فيها وأصبحت محاضراته تستقطب الصفوة من المثقفين والمفكرين.

وفي العام ١٩٥٥م أسس **مالكولم** المعبد رقم (١٥) في أطلانطا (جورجيا)، وفي ١٩٥٧م أرسله **إليجا** غرباً لتأسيس

١) كتاب (From Black Muslims To Muslims) لكليفتون مارش، ص ٧١.

أول معبد للحركة بلوس أنجلس. وتمكن من زيادة تأثيره ونفوذه في الحركة عندما أصبح معظم وزرائها من تلاميذه الذين استقطبهم ودربهم ورشحهم للوزارة.

وفى ١٤ يناير ١٩٥٨م تزوج الحسناء فارعة القوام (**بيتي إكس**) التي أنجب منها بناته الأربعة: **عطيلة** (١٩٥٨م)، **قبلة** (١٩٦٠م)، **إليزا** (١٩٦٢م) وأخيرا أميلة (١٩٦٤م)[١]. وفي العام ١٩٥٩م عندما اعتكف **إليجا** في منتجع فونكس (أريزونا) بسبب ظروفه الصحية بعد عودته من الأراضي المقدسة، فقد أوكل مهامه إلى أفراد أسرته والوزراء الذين يثق بهم من قادة الحركة ومن بينهم بالطبع **مالكولم**. وفي نفس ذلك العام تم تعيينه ناطقاً رسمياً للحركة داخل الولايات المتحدة كما سمح له باتخاذ القرارات التي يراها مناسبة لأداء عمله.

في هذا العام بالذات لعبت أجهزة مختلفة دوراً بارزاً في تسليط الأضواء أكثر على حركة أمة الإسلام عامة و**مالكولم إكس** بصفة خاصة. فقد استطاع الصحفي **مايك والاس** وبمساعدة كاتب آخر من الأفرو أمريكانز هو **لويس لوقاي** إقناع قيادة الحركة بالمشاركة في إنتاج فيلم تلفزيوني وثائقي حمل اسم (The Hate That Hate Produced) (الكراهية الناتجة عن كراهية). هذا الفيلم أتاح للآلاف من الأمريكيين - البيض والسود على حد سواء - فرصة التعرف على الحركة ومبادئها والأهداف التي قامت لأجلها وهم في منازلهم.

بروز مالكولم وظهوره منافساً خطيراً لإليجا

هكذا بدأت أجهزة الأعلام تتحدث عن حركة (أمة الإسلام (وتجري المقابلات مع قادتها، ولعل ما ساهم في زيادة شهرة **مالكولم** أكثر تعيينه رئيساً لتحرير الصحيفة الرسمية الناطقة باسم الحركة التي وردت الإشارة لها سابقاً. وابتداءً من العام ١٩٦٠م وضح أن الساحة باتت مهيأة له أكثر للظهور كشخصية مستقلة. فمع الاهتمام المتزايد من أجهزة الإعلام بنشاط المنظمة أصبح **مالكولم** محور الاهتمام من هذه الأجهزة باعتباره الناطق الرسمي بلسان الحركة والشخصية الأكثر جاذبية، كما ساعده أيضاً على خطف الأضواء انشغال **إليجا** بقضية ولده (**وارث الدين**).

مالكولم يحتضن كبرى بنتيه

ففي العام ١٩٦٠م صدر حكم بالسجن لمدة ثلاث سنوات على **وارث الدين** لرفضه أداء الخدمة الوطنية الإلزامية بإحدى المستشفيات وعلى مدى أكثر من عام ظل **إليجا** يسعى لإنقاذ ولده - المرشح لخلافته - من السجن. واستعان في ذلك بعدد من أكفأ المحامين وأنفق أكثر من عشرين ألف دولار إلا أن محاولاته باءت بالفشل. وفي الرابع من نوفمبر ١٩٦١م دخل **وارث الدين** السجن.

كانت أهم تصريحات مالكولم فيما يتعلق بمواقف الحركة :

أ- أن الانفصال عن الولايات المتحدة - وليس الفصل العنصري - هو الذي يحقق للسود المساواة الحقيقية وتكون فيه المصلحة للطرفين.

ب) وبالنسبة للحرب الفيتنامية أعلنت الحركة موقفها المعارض بشدة لمشاركة أمريكا في تلك الحرب وبالتالي لا يجوز

١) ويضيف بلال أن زوجة مالكولم أنجبت بعد اغتياله ببضعة أشهر بنتين (توأم) ليرتفع العدد بذلك إلى ست بنات.

لأي عضو المشاركة فيها بأي شكل من الأشكال.

ج) أن الحركة تقف وبشدة مع الشعوب الأفريقية ونضالها المشروع للتخلص من الاستعمار ومع حق الشعوب في تقرير مصيرها.

هذه الروح الثورية الواضحة جعلته يبدو وكأنه أصبح أمير الثورة العالمية السوداء كما نوه لذلك **كليفتون مارش**[١].

إن النجاحات التي حققها **مالكولم** والشهرة الواسعة التي أصبح يتمتع بها جعلت الكثيرين من وزراء الحركة ورموزها يشعرون بالغيرة والحسد تجاهه بل والخوف على مصالحهم وشعبيتهم وأخذوا يتحينون الفرص للوقيعة بينه و**إليجا**. ولم يفت على الأخير أيضا أن بروز نجم **مالكولم** وبهذه الصورة القوية يشكل تهديداً واضحاً له وتحدياً سافراً لسلطاته كزعيم مطلق. وبدأت الإشاعات تنتشر بأن **مالكولم** يخطط للهيمنة على الحركة وأنه يخالف تعليمات **إليجا** ويسعى لإقامة دولة داخل الدولة بل وإمبراطورية مالية خاصة به على حساب الحركة. وكان من نتائج هذه الشائعات أن بدأ القلق والشك يساوران **إليجا**، وازداد قناعة بأن وجود **مالكولم** في الحركة يشكل تهديداً وتحدياً صريحاً لزعامته الروحية.

مالكولم إكس يتحدث لأجهزة الإعلام

ولقد حاول الأخير من جهته دحض هذه الشائعات وإظهار الولاء والطاعة ل**إليجا** فقرر الامتناع عن الإدلاء بأي تصريحات صحفية والاعتذار عن أي مقابلات مع الصحافيين ومنسوبي أجهزة الإعلام كما توقف عن مخاطبة الحشود الجماهيرية، ووجه الصحف والمجلات إلى نشر صورة **إليجا** بدلاً عن صورته هو عند الكتابة في أي موضوع يتعلق بالحركة. وتأكيداً لكل ذلك نشر تصريحاً واضحاً قال فيه: (إنه من السخف والسذاجة الإدعاء بأنني أقف في منزلة مساوية لمنزلة السيد **إليجا**. إنه لا يوجد رجل على سطح الأرض يمكن أن يكون ندا له وأن كل ما وصلت إليه كان بفضل ما تعلمته منه. فأنا من يمكن أن يستحق لقب (مجرم سابق) ولست خجولاً من ذلك إذ فعلت ما فعلت عندما كنت جزءاً من عالم الرجل الأبيض المسيحي. أما الآن فإنني كمسلم يستحيل أن أقدم على مثل تلك الأعمال الفظيعة التي تقود إلى السجن[٢]).

لكن هذا الاعتذار والاعتراف بالزعامة المطلقة ل**إليجا** لم يجديا شيئاً فبعد أن كان **إليجا** يكتفي بتوجيه الانتقادات والتحذيرات له فقد شرع في تنفيذ سلسلة من القرارات والإجراءات بغرض إقالة **مالكولم** وتنحيته أو بالأحرى التخلص منه ولكن بصورة تدريجية تفادياً لحدوث أي هزة أو ردة فعل عنيفة من أنصاره الذين أصبحوا يشكلون مراكز قوة.

بدأت تلك الإجراءات بتقليص صلاحياته وتجريده من بعض المهام والمسئوليات الإدارية والإشرافية. وفى إطار هذه الحملة التي استهدفت القضاء عليه وتحجيم دوره تولى **هربرت** (أحد أبناء **إليجا محمد**) الإشراف على الصحيفة الناطقة باسم الحركة بديلاً ل**مالكولم**. وأصدر **هربرت** تعليمات مشددة بتقليص الموضوعات المتعلقة ب**مالكولم** والتغطية لأخباره لأدنى حد ممكن[٣].

١) كتاب (From Black Muslims To Muslims) لكليفتون مارش، ص ٧٦.

٢) كتاب: مالكولم إكس (The Playboy Interview) لأليكس هيلى، ص ٤٩.

٣) كتاب (The Autobiography of Malcolm X) ، ص ٢٩٢.

الفجـوة

على الرغم من حقيقة أن بث الفيلم الوثائقي (The Hate that Hate Produced) جاء ببعض الفوائد للحركة من خلال التعريف بها وبمبادئها ورجالاتها إلا أنه تمخض أيضاً عن نتائج سلبية أهمها أنه أثار بلبلة ومخاوف لدى رجل الشارع العادي من الأمريكيين تجاه (أمة الإسلام). وأصبح العامة ينظرون إليها كخطر يهدد تركيبة النسيج الاجتماعي والأمن القومي للدولة. وبالطبع فقد تم تحميل **مالكولم** مسئولية النتائج الضارة التي لحقت بالحركة من جراء عرض هذا الفيلم باعتباره من أعطى الضوء الأخضر وتعاون مع منتجي الفيلم عندما كان **إليجا** معتكفاً في فونكس. ووجد منافسوه الفرصة التي طال انتظارهم لها ليصبوا الزيت على النار بهدف الخلاص النهائي منه.

ومع اقتراب العام ١٩٦٣م من نهاية نصفه الأول اكتشف **مالكولم** ما جعل حماسه للحركة يفتر. فشأنه شأن سائر أعضاء الحركة كان يرى في **إليجا** الرمز والقدوة بالنسبة لجميع الأعضاء وخاصة في النواحي الروحية والأخلاقية، فلم يتمكن من استيعاب الفضيحة التي تكشفت عندما تقدمت إثنتان من السكرتيرات السابقات ل**إليجا** بدعاوى قضائية ضده في ٣ يوليو ١٩٦٣م لرفضه الإعتراف بأبوة أبنائه منهما[١].

ونتيجة لذلك بدأت الفجوة بين الرجلين تتسع أكثر. كانت تلك صدمة قاسية وغير متوقعة لأعضاء الحركة إذ لم يكن أحد منهم ليصدق أن تصدر مثل هذه التصرفات من رمزهم الروحي الذي ادعى النبوة. وكان **مالكولم** أكثر الأعضاء تأثرا بتلك الصدمة ورغب في أن يسأل **إليجا** شخصياً عن حقيقة الأمر لعله يجد عنده تبريراً مقنعاً. لكن وبدلاً من أن يسارع الأخير إلى نفي الخبر وإنكاره فقد فاجأه بأنه فعل ذلك تحقيقاً للنبوءة، وأردف قائلاً:

(أنا داود. فعندما تقرأ أن داود اتخذ له زوجة هي في الأصل لرجل آخر، يجب أن تعلم أن الداؤود المعني هو أنا. وأنت تقرأ عن نوح الذي شرب الخمر ذاك هو أنا. وإذا قرأت عن لوط الذي ضاجع بناته. لقد كان لزاماً عليّ أن أحقق كل هذه النبوءات[٢]). وعلى ما يبدو فقد تقبل **مالكولم** هذا التفسير وإن لم يقتنع به وراح يبحث وينقب في الكتب المقدسة إن كان قد ورد فيها شيء من هذا القبيل، وعلاوة على ذلك رأى أن يقوم بتحرياته الخاصة بمساعدة صديقه **وارث الدين** حيث تم استجواب عدد من سكرتيرات **إليجا** وبعض من عملوا معه.

هذا التصرف من جانب **مالكولم** جاء وبالاً عليه أيضاً فقد استخدمه المتربصون على أنه الدليل القاطع على الخيانة والغدر. وفي ٢٢ نوفمبر من عام ١٩٦٣م وقع حادث الاعتداء الذي راح ضحيته الرئيس الأمريكي وقتها **جون كنيدي**، تلك الجريمة البشعة التي هزت أمريكا وشغلت الرأي العام العالمي ردحاً من الزمن[٣]. وحيث كان **إليجا** يعلم أن العديد من أتباعه ينظرون بإعجاب إلى الرئيس **كنيدي** باعتباره رمزاً من رموز الحلم الأمريكي. فقد وجه وزراءه بعدم الإدلاء بأي تصريح فيما يتعلق بهذا الموضوع، وقد التزم **مالكولم** بهذه التوجيهات في بادئ الأمر لكنه ما لبث أن أدلى بتصريح قال فيه: (إننا جميعاً نعيش الآن في يوم الحساب العظيم. الساعة الأخيرة التي تنبأ الرسل السابقون بأن الرب سيظهر نفسه وقدرته الخارقة فيها وسوف يصدر حكمه القاضي بتدمير هذا العالم المترع بالشرور. وسيقوم على أنقاض حضارة الإنسان الأبيض عالم جديد من الإخاء العالمي القائم على مبادئ الحق والحرية والعدل والمساواة

١) صحيفة (The Chicago Tribune) عدد ١١ يوليو ١٩٨٦م الصفحة الأولى، حيث جاء في الخبر أيضاً أن عدد الأبناء غير الشرعيين لإليجا محمد وصل بذلك إلى خمسة عشر.

٢) كتاب (The Autobiography of Malcolm X) ، ص ٢٩٤.

٣) لعله من المهم هنا الإشارة إلى أنه وغداة تنصيب الرئيس جون كنيدي كأول رئيس إيرلندي كاثوليكي للولايات المتحدة عام ١٩٦٠ م، علق شقيقه روبرت كنيدي قائلاً: بأنه خلال ثلاثين عاماً سيتمكن أمريكي أفريقي أن يفوز ويحتل هذا المنصب، لكن التوقع استغرق خمسين عاماً ليتحقق عندما فاز باراك أوباما في خواتيم عام ٢٠٠٨م.

لحظة ما قبل الاغتيال

والسلام[١]). ثم أردف ذلك بتصريح آخر ألمح فيه إلى أن الرئيس الراحل **جون كنيدي** كان يتاجر بقضية السود وأن اغتياله كان متوقعاً. كان هذا التصريح ـ الذي يشتم منه أن **مالكولم** يحس بالارتياح لاغتيال **كنيدي**ـ هو القشة التي قصمت ظهر البعير والفرصة التي طال انتظار أعدائه لها فصدر القرار بمنعه من التحدث لأجهزة الإعلام ومن أداء مهامه الوزارية لمدة تسعين يوماً مع منع الأعضاء من التعامل معه خلال هذه الفترة.

هذا القرار تم نشره بصورة مقتضبة بصحيفة (Muhammad Speaks) ولم يكن أمام **مالكولم** غير الإذعان فسافر إلى فلوريدا مصطحباً أسرته لقضاء إجازة وفترة استجمام كان بحاجة لهما وخلال الشهر الأول من فترة العقوبة جرت بعض المحاولات والاتصالات بوساطة بعض وزراء الحركة من الحادبين على جمع الشمل وشكلت لجنة مساعي حميدة بغرض تقريب وجهات النظر ومحاولة رأب الصدع إلا أن هذه المحاولات لم تسفر إلا عن توسيع شقة الخلاف بين الرجلين.

وفي يناير من العام١٩٦٤م أصدر **إليجا** القرار المنتظر بعزل **مالكولم** من جميع المناصب وبما في ذلك منصبه كوزير للمعبد رقم (٧) بنيويورك. وبعده بأيام قلائل أصدر قراراً آخر بطرد ابنه وولي عهده المنتظر **وارث الدين** من عضوية الحركة وذلك بسبب علاقته الوثيقة **بمالكولم** كما صرح بذلك وارث خلال المقابلة التي أجراها معه **كليفتون مارش** موضحاً أن سبب طرده من الحركة في تلك المرة يعود لصلته الوثيقة ب**مالكولم** واتهام والده له بأنه كان وراء التغييرات التي طرأت على المعتقدات الدينية له وأنه أفشى إليه أسراراً تتعلق بحياته الخاصة[٢] ومهما يكن فإن تلك لم تكن المرة الأولى التي يطرد فيها **وارث الدين** من الحركة، ولن تكون الأخيرة كما سنرى.

مالكولم إكس وأسطورة الملاكمة العالمي كلاي

في الشهر الثاني لوصوله ولاية فلوريدا تلقى **مالكولم** وأسرته دعوة من **كاسيوس كلاي** لزيارته في معسكره التدريبي بميامي (فلوريدا) حيث كانت الدعوة في وقت كان فيه الشاب **كاسيوس** (وهذا اسمه قبل إسلامه) يتدرب استعدادا لمنازلة بطل العالم للوزن الثقيل في الملاكمة (**سوني لستون**).

وفي الواقع فإن **كاسيوس** كان قد تعرف على **مالكولم** عام ١٩٦٢م عندما قدم برفقة شقيقه **رودلف** من مسقط رأسيهما (لويس فيل) للاستماع إلى **إليجا محمد**، وبعد تلك الزيارة بدأت علاقة صداقة بين **مالكولم** وكلاي واستمرت حتى لحظة اغتيال **مالكولم إكس**. وفي يناير لعام١٩٦٤م وعندما كان كلاي يتدرب استعداداً لمعركته المرتقبة مع بطل العالم للوزن الثقيل **سوني لستون** أتيحت الفرصة له لإلقاء خطاب في احتفال نظمته الحركة، لكن قبل الولوج إلى تلك المباراة التاريخية لابد من وقفة قصيرة للتعرف على **كاسيوس كلاي**.

محمد علي كلاي في ثياب قوة فاكهة الإسلام يخطب في أحد الراليات وإليجا محمد ينصت

١) المرجع السابق، ص ١٢٤.

٢) كتاب (From Black Muslims To Muslims) كليفتون مارش ص ٧٩.

كاسيوس كلاي: ميلاده ونشأته

كلاي من مواليد لويس فيل (كنتاكي) في ١٩٤٢/١/١٧م لعائلة يمكن عدها من الطبقة الوسطى السوداء، فوالده كان خطاطا عمل في مجال كتابة اللافتات والإعلانات أما والدته فكانت تعمل كخادمة ومربية أحيانا في بيوت الأغنياء من البيض. ومنذ صغره عرف **كاسيوس** بخفة دمه وسرعة بديهته وكثرة ثرثرته. ولما كان والده سكيرا يضرب أمه فقد ظل موضوع الأب موضوعا محرجا له. يقول **دافيد ريمنك**: (وهنا ربما كمنت لدى **كاسيوس** حاجة إلى الأب البديل، وفرها له فيما بعد **إليجا محمد** زعيم (أمة الإسلام) الذي ظل كلاي يتعامل معه بامتثال فائق[١]).

لكن الأب درج على رد معظم اخفاقات حياته إلى البيض مخبرا إبنيه بهذا لكنه كان من أشد المعجبين ب**ماركوس قارفي** ومن المؤيدين لمبدأ حق تقرير المصير للسود الأمريكيين رغم كراهيته اللاحقة لحركة أمة الإسلام. وقد ترسخ في ذهن كلاي الإحساس بالعنصرية منذ صغره فكنتاكي ولاية حدودية أو منطقة تماس بين الشمال والجنوب والفصل العنصري كان قائما فيها وعلى أشده، على أن أكثر ما أثر في نفسه كان قضية اغتيال الطفل **إيميت تيل** إبن الأربعة عشر ربيعا عام ١٩٥٥م في مسيسبى. إحدى أشد الولايات عنصرية. وإخلاء سبيل الجناة بعد محاكمة لم تستغرق أكثر من ٦٧ دقيقة[٢].

وبقدر ما كان يتبجح بكونه الأعظم منذ بداياته في عالم الملاكمة فهو يخاف من ركوب الطائرات. فعندما تم اختياره لتمثيل الولايات المتحدة في دورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت بروما عام ١٩٦٠م، احتاج الأمر لأربع ساعات كاملة حتى تمكن رئيس البعثة ومعاونوه من إقناع كلاي باستحالة الوصول إلى روما بالقطار! وعندما وجد نفسه داخل الطائرة بقي طوال زمن الرحلة لابسا الباراشوت (السترة التي تستخدم في حالات الهبوط الاضطراري).

وعند عودته من روما حيث حصل على الميدالية الذهبية للملاكمي الوزن الخفيف من الهواة لقي استقبال الأبطال عند وصوله إلى مسقط رأسه (مدينة لويس فيل)، وعموما فقد بدأ نجمه يبرز وصار بعد كل فوز يزيد شعبيته قليلا إلا أن الكثيرين ظلوا يأخذون عليه أنه يتحدث أكثر بكثير مما يقاتل ولعلهم يشيرون بذلك إلى طريقته غير الكلاسيكية. وعندما تصدر مثل هذه العبارات من بعض البيض المتعصبين فإنه يكون لها مغزى آخر، ذلك أن الملاكم الأسود من وجهة نظرهم يلاكم ولا يتكلم. أي عليه أن يسير على نهج الملاكم **جو لويس** صاحب القول المشهور (مديري يتحدث عني).

والملاكمة تاريخيا لم تكن رياضة الطبقة الغنية أو الوسطى حتى بل هي للفقراء من لاعبي اليانصيب الذين كان عليهم أن يخاطروا بحياتهم وأجسامهم كيما يكسبوا رزقهم. وباستثناء كلاي وحده تقريبا فإن الغالبية العظمى من الملاكمين أمثال **لستون** و**باترسون** و**فريزر** و**فورمان** و**تايسون** ولدوا فقراء وانتموا إلى شريحة (مادون الطبقات). وبعبارة أخرى يمكن القول أن الملاكمة خرجت إلى حيز الوجود في أمريكا من رحم الفقر كما اعترض عليها بعض المتعصبين السود وأيضا على المصارعة بمختلف صورها وأسمائها بحجة أنهما تبددان (الطاقة الثورية للسود). فحين واجه الملاكم الأبيض **جون جفريز** في ١٩١٠م الملاكم الأسود **جاك جونسون** علت الهتافات

كلاي وبطل العالم للوزن الثقيل جو فريزر

١) كتاب (ملك العالم محمد علي وصعود بطل أمريكي) والكتاب في مجمله أشبه بقصيدة حب للأمريكيين السود ولا سيما ملاكميهم.

٢) المقال بعنوان: تجربة محمد علي في سوسيولوجيا الملاكمة والعنصرية في الولايات المتحدة. المنشور في جريدة الحياة، عدد ٢٠٠٠/٧/١٨م للكاتب اللبناني حازم صاغية.

تطالبه بقتل **جونسون** (النيغر). ومع أن **جونسون** فاز على غريمه الأبيض بفارق ضخم من النقاط فقد أثار إعلان فوزه اضطرابات وحوادث شغب لم تشهد الولايات المتحدة مثيلا لها إلا عند اغتيال الدكتور **مارتن لوثر** كينج في ١٩٦٨م، وذلك لمجرد فوز ملاكم أسود على زميل له أبيض.

على أن أبطالا بيضا عديدين ظلوا يتعاقبون على عرش الملاكمة في أمريكا حتى عقد الثلاثينات من القرن العشرين وكانوا يرفضون ملاكمة السود إلى أن حل العام ١٩٣٧ م. ففي ذلك العام فاز الملاكم الأسود **جو لويس** على غريمه الأبيض (**جيم برادوك**)، وهنا أيضا ثارت ثائرة الصحافة وذهب البعض لاتهام السود بالهمجية ووصفوهم بالوحوش. وشاركت في الحملة الصحافة الشمالية علما بأن **جو لويس** وعلى عكس **جونسون** كان يتصف بدماثة الأخلاق كما تطوع للعمل ضمن القوات الأمريكية، وإبان الحرب العالمية الثانية تبرع بالجزء الأكبر من أرباحه لصالح المؤسسة العسكرية.

ومع مطلع الستينات وفي قمة زخم حركة الحقوق المدنية للسود الأمريكيين وبزوغ نجم **مالكولم إكس** و**مارتن لوثر كنج** ظهر **كاسيوس كلاي** وقد وضح ومنذ البداية أنه سيكون سليل المجد عن **جاك جونسون** والوريث الشرعي لـ **جو لويس**. وربما تأتي أهميته من حقيقة أنه (كسر النمطية التي فرضها البيض على الملاكم الأسود) كما يقول الأخ **حازم صاغية**[١]. فالبطلان المتنافسان على عرش الملاكمة وقتها هما **سوني لستون** و**فلويد باترسون** فالأول يمثل الأسود الشرير والكريه والثاني يمثل الأسود الطيب والمدّجن الذي يريد الاندماج بشروط يقبل بها البيض. ف**باترسون** إذا يمثل نموذج وفكر **لوثر كنج**.

والواضح أن كلاي ومنذ بداياته حرص على تحدي هذه النمطية وأن يكون له أسلوبه الخاص بعيداً عن القوالب الجاهزة والنمطية. وفي العام ١٩٦١م عندما عبّر الرئيس الأمريكي **جون كنيدي** عن رغبته في أن يرى منازلة بين البطلين **لستون** و**باترسون**. خاف **لوثر كنج** على بطله ونموذجه العديم العدوانية والميال للتأمل (**باترسون**) من أن ينهزم أمام **لستون** المتورط في عصابات المافيا والمسجون لضلوعه في سرقات مسلحة، فيبدو وكأن الشرير هو النموذج الذي يقدمه السود للعالم.

وكما هو الحال حيث كانت المصارعة بين عبدين في روما القديمة من مصادر اللهو والتسلية فقد التقى **لستون** و**باترسون** في عام ١٩٦١م. واستطاع **لستون** أن يصرع خصمه في دقيقتين وست ثوان لكنه لم يحظ بأي تكريم أو جاه كان يتمنى أن يقوده إلى دنيا أخرى بعيدا عن حياة الجريمة والسجون. فقد عز على أهل الصحافة أيضا أن يفوز **لستون** (الوحش) أو (الغوريللا) كما كانوا يلقبونه وراحوا يكيلون له الشتائم. وكان مما سهل عليهم مهمتهم أن **لستون** كان أميا من الجنوب ولد إبان الكساد الكبير لأب لديه جيش جرار من الأبناء والبنات يصل عددهم إلى خمسة وعشرين!

إذا فالتجربة الكاسيوسية - إن جاز التعبير - تعتبر ثورة في عالم الملاكمة إذ أدخل كلاي أنماطاً جديدة وغيّر معايير الصنعة! أصبحت الملاكمة ضرباً من الفنون وليست معركة بالأيدي حتى الموت. ومعه عاد للملاكمة بريقها وأصبح لها عشاقها ومدمنوها وبدأت حلباتها تجتذب أعدادا وحشودا لا قبل لها بها، هذا بخلاف الملايين الذين باتوا يتلهفون لمتابعة مبارياته من خلال التلفزيون في مختلف أرجاء العالم.

ومنذ العام ١٩٦٠م بدأ كلاي يجد في حركة أمة الإسلام ومنسوبيها بعض ما كان ينشده ويبحث عن اجابه له فقد استهوته دعوتهم السود للاعتزاز بأنفسهم وأعجبته نظاميتهم ونظافتهم وبعدهم عن المسكرات والتدخين. وتأثر بكلامهم عن أهمية أن تكون للسود الأمريكيين هوية خاصة مميزة لهم. ثم علم برفضهم لأسماء السود باعتبارها أسماء

١) المقال المشار إليه سابقا والمنشور بجريدة الحياة. عدد الثلاثاء ١٨ يوليو ٢٠٠٠م.

أعطاها لهم الساده البيض. وسمع انتقاداتهم للمسيحية بوصفها عقيدة الرجل الأبيض الذي أراد بها تخدير السود وإسكاتهم بمحبة زائفة تمنعهم من النضال لتحرير أنفسهم. كما اطلع على حيثيات اختلافهم مع حركة الحقوق المدنية بزعامة **مارتن لوثر** لإعلانه الاستعداد للقبول بإنزال الألم بالسود من أجل أن يقبل البيض بهم. صدّق كلاي كل ما سمعه من **إليجا** وراح يردده بصورة ببغاوية وظل يردد أن اسم (كلاي(هو اسم العبودية الذي أعطي لعائلته وكانت تتباهى به، ف**كاسيوس كلاي** هو في الأصل اسم المزارع الغني الأبيض الذي ورث في القرن التاسع عشر أربعين رقيقا في كنتاكي ثم أعتقهم في وقت لاحق كما أنشأ صحيفة مناهضة للرق أطلق عليها اسم (الأمريكي الحقيقي) وظل ينادي ويطالب بإلغاء نظام الرق حتى تلقى طعنة في صدره، كان كلاي يتباهى بأن ذلك المزارع الشجاع هو جده وقد أخذ اسمه على ما جرت عليه العادة. أما من جهة الأم فكان الدم يشوبه شيء من الاختلاط مما سبب حرجاً للملاكم الشاب وقد رد ذلك إلى أعمال الاغتصاب التي كان ينزلها البيض برقيقهم من الخادمات[١].

لكن علاقة كلاي بحركة أمة الإسلام ـ حتى قبل انضمامه إليها رسميا ـ أصبحت تشكل عائقا وتهديدا لمصالحه وعمله ومستقبله كملاكم محترف. وكان طبيعيا أن يتردد في الإعلان عن تعاطفه مع الحركة والإقرار بعضويته فيها حتى لا تضيق فرص تقدمه للملاكمة في مباراة بطولة العالم للوزن الثقيل. وعموما فقد استطاعت الحركة بوسائلها الخاصة أن توفر له الحماية من المافيا التي كانت تسيطر على تجارة الملاكمة لكنه أنفق عليها الكثير بالمقابل حتى بدأ المقربون يحذرونه من ابتزاز الحركة له.

وفي الواقع فقد كان **إليجا** يكره الملاكمة ويدعو لإبطالها لأنها في رأيه تحقق أهداف البيض بجعل السود يتقاتلون فيما بينهم وظل هذا هو رأيه فيها حتى وقت متأخر عندما بدأ كلاي يحقق البطولات والثروة. ولأن كلاي رجل بسيط وعفوي يثرثر كثيراً ولا يجيد الكذب فقد بدأت أخبار علاقته بحركة أمة الإسلام تتسرب إلى الصحافة. وبرغم أن **إليجا** حرص على عدم إفشاء الأمر إلا أن **مالكولم** كان له رأيٌ آخر.

و أيا كان فقد حرص كلاي على إظهار تقديره العميق للرجل الأول في الحركة **إليجا** عندما عرف أن هناك خلافا بينه و**مالكولم** برغم الصداقة التي جمعته بالأخير والإعجاب المتبادل بينهما. وعندما بدأ العد التنازلي للمباراة الحاسمة مع **لستون** وبات الموعد وشيكا فكر المنظمون في إلغائها بسبب افتضاح انتماء كلاي إلى أمة الإسلام إذ كيف يأتي جنوبيو ميامي ليشاهدوا من يعتبر البيض شياطينا؟ وبالفعل فقد جاء الدخل لتلك المواجهة المهمة شحيح جداً على غير العادة. لكن وابتداء من هذه المباراة استطاع الفتى كلاي أن يغير مفاهيم الملاكمة ـ بل والرياضة عامة ـ وإلى الأبد كما يقول السناتور الأمريكي **بول فندلي** [٢].

١) المقال بعنوان (تجربة محمد على في سوسيولوجيا الملاكمة والعنصرية المنشور بجريدة الحياة العدد ١٣٦٤٢ وتاريخ ٢٠٠/٧/١٨م لحازم صاغية. ومعروف أن استباحة أعراض الخادمات السود كان من الأشياء العادية خلال حقبتي الرق والتمييز العنصري.

٢) من كتاب (Silent No More) لا سكوت بعد الآن، ص ٤٣ والسناتور بول فندلي كما هو معروف من أعضاء الكونجرس الأمريكي المخضرمين إذ حافظ على منصبه طوال ٢٢ عاماً. وهو من النخب المستنيرة التي أنصفت الإسلام.

كلاي وسط ابنتيه مريم وجميلة

إسلام كاسيوس كلاي

وأخيراً جاء اليوم الذي بدأ معه تاريخ جديد لرياضة الملاكمة، إنه الرابع والعشرون من فبراير لعام ١٩٦٤ م، حلبة ميامي وعلى غير العادة لم تمتلىء بالمتفرجين. **كاسيوس كلاي** ابن ال ٢٢ ربيعاً يحاول مداراة خوفه بالثرثرة وبعض المشفقين عليه كانوا قد حاولوا التفاوض مع **لستون** كي لا يقضي عليه.

وقبل أن تبدأ المباراة بلحظات دخل عليه **مالكولم** في غرفة اللبس وتحدث إليه فيما يشبه الموعظة، أراد أن يبث في نفس صديقه الحماس والإصرار ويبعث فيه الثقة بالفوز فهمس إليه قائلاً: (هذه المباراة هي الحقيقة، إنها المعركة بين الصليب والهلال يجب أن تكون على ثقة من أن الله رتب كل هذا لكي لا تخرج من هذه الحلبة إلا وأنت بطل منتصر) [١].

ثم اتجه **مالكولم** وكلاي شرقاً وصليا ركعتين ودعا له **مالكولم** بالفوز قبل أن يودعه ويأخذ مكاناً بين الثمانية آلاف الذين جاءوا لحلبة (Miamy Convention Hall) ليشهدوا المباراة. وجاء **لستون** يمشي مشية الواثق المتبختر، وعندما وقف الرجلان وجها لوجه ظهر الفارق بينهما في البنية الجسمانية واضحاً. بدا **كاسيوس** على ضخامته النسبية أمام **لستون** كطفل صغير، ودق الجرس معلناً بداية النزال وتوالت الجولات، الثانية فالثالثة والرابعة، والناس بين مصدق ومكذب. كلاي يتراقص أمام خصمه برشاقة الإخطبوط ويتلاعب به كيفما شاء. وفي نهاية الجولة السادسة جلس العملاق **لستون** في الركن الخاص به. كان الدم ينزف بغزارة من جرح فوق حاجبه وقد تورمت عيناه، وعندما دق الجرس إيذاناً ببداية الجولة السابعة لم يتمكن من النهوض لاستئناف المباراة. وأعلن الحكم ـ وسط دهشة الجميع ـ انتهاء المباراة بفوز الفتى كلاي. وبعدها مباشرة أعلن كلاي إسلامه رسمياً. وسأله أحد الصحفيين عن علاقته بحركة أمة الإسلام وهل هو عضو فيها؟ فأجاب كلاي بصراحته وعفويته المعهودة: (إنني أؤمن بالله وبالسلام، لا أحاول أن أنتقل إلى مناطق سكن البيض ولا أحاول أن أتزوج من امرأة بيضاء. لقد عُمّدت عندما كنت في الثانية عشرة حيث لم أكن أعرف ما أفعل، أنا لم أعد مسيحياً. ليس على أن أكون ما تريدونني أن أكونه، أنا حر في أن أكون ما أشاء).

هكذا فاز كلاي على ليستون

وقد بدا للصحافيين أن هذا الجواب كاف لتعزيز قناعتهم بعضويته. وبدأت الصحف تنشر صوراً لكلاي مع **مالكولم إكس**، وصوراً ل**مالكولم** وهو يقدم صديقه كلاي إلى بعض أعضاء السلك الدبلوماسي الأفارقة الموجودين في العاصمة الأمريكية. كما استقل الرجلان سيارة مكشوفة طافت بهما شوارع العاصمة الأمريكية وضواحيها وخاصة الأحياء التي يتركز فيها السود.

١) المقابلة الصحفية مع شارون شاباز التي نشرتها (New York City) في عددها بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٧٥م.

التنافس يحتدم بين إليجا ومالكولم حول كلاي

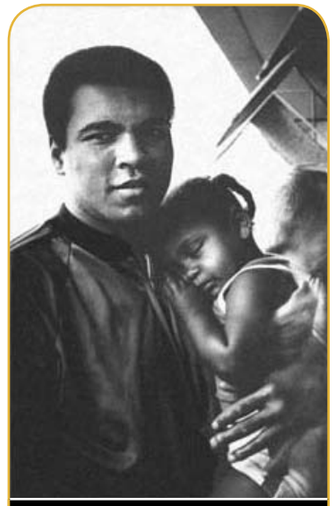
محمد علي يحتضن إحدى بناته ولعلها ليلى

ظهر للملأ وكأن البطل الجديد اختار **مالكولم** للعمل كمستشار ديني له فضلاً عن كونه صديقه الحميم. وفي السادس من مارس ١٩٦٤م حصل كلاي من **إليجا** على اسم **محمد علي** وتنبأ له **مالكولم** أن يصبح شخصية عالمية أسطورية. ووضح أنه وضمن الحرب الدائرة بين **إليجا** و**مالكولم** بدأت تدور معركة أخرى خفية بينهما للفوز ب**محمد علي** وكسب وده. يقول العارفون ببواطن الأمور: لأن **محمد علي** كان قد بدأ يدر مالاً وفيرا ولأنه كان بحاجة إلى الأب أكثر من حاجته للأخ والصديق، ولأن مداركه الثقافية كانت بالغة التردي والفجاجة فقد آثر الانضمام إلى الأصل لا الفرع أي إلى **إليجا** وليس **مالكولم**.

وعندما لقي الأخير مصرعه في فبراير ١٩٦٥م لم يبد **محمد علي** تعاطفا يذكر مصدقاً رواية **إليجا** عن براءته من دم **مالكولم**. على أنه وجد صعوبة كبيرة في التوفيق بين أهله ومدربيه ومديري أعماله البيض من جهة وعضويته في (أمة الإسلام) من جهة أخرى لاسيما وأن تعاليم الحركة تحذره من التعامل مع غير الأعضاء وبصفة خاصة البيض.

وعلى الرغم من حقيقة أن **محمد علي** كان قد تعرف على زوجته الأولى **سونجي روي** عن طريق الحركة فإن إصرارها على ملابسها المتبرجة وسخريتها من (إخوانه) وتشبيهها المتكرر له فيما يتعلق بابتزازهم له كل ذلك عجل بالطلاق ونهاية قصة حب دراماتيكية لم تستمر إلا بضعة أشهر. كذلك فقد توترت علاقته بأهله الذين حذروه بدورهم من (الأمة) ومن ابتزاز **إليجا** له.

وإذا عدنا لمبارياته الأخرى فبعد **لستون** الذي هزمه مرتين فاز الشاب كلاي على أربعة ملاكمين بيض قبل أن يجيء الدور على البطل الأسود **فلويد باترسون**. ولعله من غرائب الأمور أن **باترسون** نصب نفسه (الملاك الذي سينتقم للملاكمة وللمسيحية) وتمادى في استفزاز كلاي وفي رساليته باعتباره حبيب الليبراليين والاندماجيين من البيض والسود عندما صرح بأن وضع بطولة أمريكا في يد عضو من (الأمة) عار على أمريكا بأسرها وعلى المسيحية! فكان أن أنزل به كلاي هزيمة مريرة. وكأن **باترسون** كان يتلذذ بالألم الناتج عن ضربات خصمه الأكثر شباباً وحيوية، على أن كلاي عاد في وقت لاحق وامتدح **باترسون** قائلاً: (من العيب على الحكومة أن تترك **باترسون** في حاجة لأن يلاكم كي يعيش بعد كل تاريخه المجيد).

وكما حدث مع **مالكولم** فقد جرى تغيير جذري في حياة **محمد علي** وطريقة تعامله بعد أن لامست بذرة الإيمان شغاف قلبه فتخلى عن أسلوبه الاستفزازي مع الخصوم في الحلبات وبدأ يتحلى بأخلاق الإسلام. وتنازل أيضا عن غروره المفتعل وما كان يطلق عليه حرب الاستنزاف والأعصاب. أراد كلاي الجديد أن يثبت للعالم أن القوة والفضيلة صنوان وأن البطولة الحقيقية ليست في قهر الضعيف والأقل حيلة لكنها في العفو عند المقدرة. لذلك فلم يكن مستغرباً أن **محمد علي** وبعد إسلامه لم يتفوه بكلمة ذم أو قدح واحدة في حق أحد حتى الذين كانوا من ألد خصومه وأعدائه. وقد كتب في ذلك المراسل الصحفي الرياضي **جون سراكينو** يقول: (خلال سنوات عديدة استغل الكثيرون طيبة **محمد علي** وطبيعته

السمحة السجية، المفطورة على العطاء وحب الخير والبذل في سبيل إسعاد الآخرين، فقد كالوا له الشتائم والاتهامات حتى الذين كانوا وراء تجريده من لقبه وسجنه وهو يعرف جيداً من هم. لكنه مع ذلك لم يتفوه بكلمة واحدة تمسهم بسوء ولو على سبيل الشكوى أو الانتقاد) [١].

و أكد كلاي على كل هذه المباديء والمعاني خلال التصريح الذي أدلى به لمجلة (Playboy) عام ١٩٧٥م عندما قال: (لولا الإسلام الذي هداني الله إليه لكنت شخص آخر وكل ما أريده الآن أن يذكرني الناس والأجيال القادمة على أنني رجل حاول أن يوحد شتات قومه من خلال عقيدة الإسلام).

محمد علي يرفض التجنيد

بعد ثلاثة أشهر من فوزه على **باترسون** وجد كلاي نفسه في مواجهة أخرى مع الإدارة الأمريكية هذه المرة. فعند استدعائه للتجنيد فشل فشلاً ذريعاً في امتحان الذكاء والمعلومات العامة. ولم يقتصر فشله على الإجابات فحسب بل عجز البطل كلاي حتى عن فهم الأسئلة البسيطة الموجهة إليه. وأعادوا إخضاعه لاختبار آخر عله كان يتظاهر بالجهل والغباء هربا من التجنيد. وأخيراً اقتنعوا بأن الأمر صحيح فعلاً وأن البطل لا يتظاهر ولا يكذب لكنه في الواقع غبي بما يكفي لإعفائه!

ومع اشتداد وطيس الحرب في فيتنام وتوسيع دائرة التجنيد في العام ١٩٦٧م وجد كلاي نفسه مطلوباً وعلى ما هو عليه هذه، ويرفض البطل بإصرار تسليم نفسه لإدارة التجنيد. ليتسع نطاق تمرده وتضاف إليه هذه القضية الجديدة. وزاد انقسام الناس حوله ما بين مؤيد ومعارض، ولأشهر عديدة ظل يتلقى سيلاً من المكالمات وكان أكثرها شتائم من بعض المتعصبين الذين وصفوه بعدم الوطنية فيما كان البعض يمتدحه لرفضه مبدأ الحرب وكان من أبرز وأهم المتصلين به خلال تلك الفترة اللورد المشهور **برتراند راسل** الذي شجعه وأثنى على موقفه. ولم يكتف بذلك بل أرسل له برقية يعرب فيها عن مساندته له [٢].

وكان أول رد فعل رسمي على ذلك هو مصادرة جواز سفره. ومنذ ذلك التاريخ أصبح **محمد علي** مناضلاً ضد الحرب كما وسع مداركه ومعلوماته وثقافته العامة وخاصة فيما يتعلق بفيتنام. رفض **محمد علي** التجنيد بإصرار حتى عندما أكد له مسئولون في البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) أن مشاركته ستكون مثل مشاركة الملاكم **جو لويس** في الحرب العالمية الثانية، أي ستقتصر على الترفيه عن الجنود بعيداً عن خطوط النار. لكن ولأن **محمد علي** رجل مبادئ فقد رفض العرض قائلاً: أن الترفيه عن الجنود المقاتلين مثله مثل القتال معهم والاشتراك في جريمة لا يقرها الشرع ولا يرضاها الضمير. وبذلك ضرب مثلاً رائعاً في النبل والشهامة والتمسك بالمبادئ مضحياً بلقبه وحريته والثروة التي كانت ستدرها عليه مبارياته.

ومرة أخرى هب أعداء الحلم الأمريكي ليعلنوا الحرب عليه وكان من بينهم صحافيون وأعضاء بارزون بالكونجرس الأمريكي. لكن أوساطاً جديدة من الشبيبة السوداء والبيضاء على حد سواء أحاطته بحبها وإعجابها وجعلوه أسطورة حية وأيقونة لهم.

---

١) جريدة (USA Today) الصادرة بتاريخ ١٢/١٠/١٩٩٩م، ص ١-٢.

٢) اللورد برتراند راسل (١٩٧٠-١٨٧٢م)، عالم رياضيات وفيلسوف بريطاني من أهم إسهاماته وآثاره تحليل المادة.

على أن الأجهزة الحكومية وخاصة الـ (FBI) راحت تتابعه وتقتفي آثاره فيما التقارير عن حركاته وسكناته تتكدس على طاولة **أدغار هوفر**. وكما هو متوقع فقد تمكنوا منه في النهاية وصدر بحقه الحكم بالسجن خمس سنوات ودفع غرامة مالية مقدارها عشرة آلاف دولار.

وفي العام ١٩٧١م (أي بعد عام ونصف قضاها بالسجن) حصل على البراءة من المحكمة الفدرالية العليا على أن يمنع من الملاكمة للفترة المتبقية من محكوميته وهي ثلاث سنوات ونصف، وهكذا غاب **محمد علي** عن الحلبات حتى عام ١٩٧٤م عندما فاز على **جورج فورمان** في المباراة الشهيرة التي أقيمت في دولة زائير الأفريقية.

وأخيراً وإذا كان **باترسون** فقد ذاكرته فيما لقي **لستون** مصرعه بطريقة يرجح أن يكون للمافيا دور فيها فإن **محمد علي** وإن كان قد استعاد لقبه، وإن ظن أن سرعته تقيه من الضربات، فقد تلقى (لكمات) كثيرة خارج الحلبة. بل لعلها أكثر مما تلقاه داخلها وكان بعضها مما يوصف بأنه ضرب (تحت الحزام)، وانتهى معها مصابا بالباركنسون (الشلل الارتعاشي). وكان أبأس ما في قضيته كما يقول الأخ **حازم صاغية**: (أن **هربرت محمد** أحد أبناء **إليجا** كان أحد العارفين بتقارير الأطباء التي أوصت بضرورة اعتزال كلاي المبكر لظروفه الصحية. إلا أن **هربرت** لم يطلعه عليها).

لقد جردوه من اللقب بقرار جائر من اتحاد نيويورك للملاكمة برغم أن هذا الاتحاد لم يوقف مائتين من الملاكمين الذين تمت إدانتهم في جرائم أكبر ولم يجرد أحدا منهم من لقبه بسبب إدانته. وبعده فقدت الحلبات بريقها وجاذبيتها وتراجعت الملاكمة كرياضة بل أقفلت الكثير من أنديتها أبوابها انتظاراً لظهور بطل جديد يكون في قامة **محمد علي كلاي**.

يقول السناتور **بول فندلي**[١]: (يقف **محمد علي** الآن على رأس قائمة المسلمين الأحياء الأكثر شهرة وشعبية على مستوى العالم أجمع فليس غريباً أن اختارته صحيفة (USA Today) ليكون رياضي القرن).

ويمضى السناتور فندلي أبعد من ذلك ليقول: (أن **محمد علي** يعتبر الآن الأول من بين جميع الأمريكيين الأحياء والأموات من حيث الشهرة العالمية والشعبية كشخصية أسطورية مرموقة ومحبوبة. وأنه والبطل العالمي **كريم عبد الجبار** و**وارث الدين محمد** يعتبرون وجوها مشرقة للإسلام في أمريكا. ونفس الشيء ينطبق على الدكتور **أحمد زويل** و**مصطفى العقاد** و**إبراهيم أبو لغد** و**رشيد الخالدي** والبروفسير **علي المزروعي**).

و حاليا يعيش البطل (الذي التقيته لآخر مرة عند زيارته للمملكة عام ١٩٩٨م) . في شبه عزلة وقد انفض من حوله الناس وابتعد عنه أكثر الأصدقاء وانزوى بعيداً عن الأضواء، مكتفياً بإدارة مؤسسة خيرية إسلامية تحمل اسمه (Muhammad Ali Islamic Foundation). مقرها في شيكاغو الشرقية. وإن كانت هناك من كلمة أخيرة فإن **محمد علي** اهتدى إلى دين الحق وكان على صلة وثيقة بالإمام **وارث الدين** حتى وفاته كما كرس حياته ووقته لأعمال البر من خلال مؤسسته الخيرية التي تهتم أيضا بقضايا الطفولة والسلام، ويقيم حاليا في بيته الريفي الملحق بمزرعته العتيقة في بيرن سبرينقز (متشجان) مع زوجته الرابعة والأخيرة **يولاندا** وولده بالتبني منها **أسعد أمين**[٢].

١) كتاب (لا سكوت بعد الآن) لبول فندلي الذي تغيرت كثير من مفاهيمه عن الإسلام والمسلمين بعد زيارته لليمن للتوسط في إطلاق سراح رهائن أمريكيين.

٢) من موقع Galegroup. Com/free-resources/bhm/bio/ali على شبكة الإنترنت تحت عنوان: Black History Month – Biography ومعروف أن كلاي انفصل عن زوجته الأولى. كما لم يوفق في زواجه الثاني والثالث من عائشة وفيرونيكا بورش وإن كان قد أنجب منهما ثمانية من الأبناء والبنات.

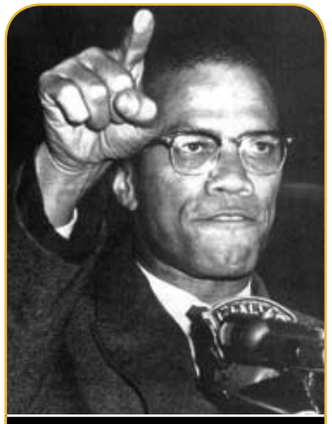
مالكولم إكس

مالكولم إكس يؤسس تنظيماً جديداً

إذا عدنا لما انقطع من حديث عن مالكوم فإنه وبرغم الخدمة العظيمة التي قدمها للحركة عندما أقنع **كاسيوس كلاي** بالانضمام إليها فقد بدأ يحس بأن فترة عقوبته سوف تستمر. وأن علاقته بالحركة وصلت إلى طريق اللا عودة. ففي الثامن من مارس عام ١٩٦٤م أعلن رسميا تخليه عن حركة أمة الإسلام وأنه يعتزم إنشاء تنظيم جديد يقوم على التعاليم الصحيحة للإسلام الحنيف[١]. وبالفعل أنشأ **مالكولم** تنظيمه الجديد الذي أطلق عليه اسم (مؤسسة المسجد الإسلامي The Muslim Mosque Inc). وفي وقت لاحق من نفس العام ١٩٦٤م أنشأ الجناح السياسي لهذا التنظيم وأطلق عليه اسم (منظمة وحدة الأمريكيين الأفارقة) (The Organization of A fro American Unity).

ومع تأسيس هذا التنظيم أدرك أن خلافه مع حركة أمة الإسلام قد دخل مرحلة جديدة وأن قيادة الحركة لن تقف مكتوفة اليدين إزاء هذا التحدي والتهديد الخطير خاصة وأن حوالي خمسين من كبار قياديها سارعوا بالانضمام إلى تنظيمه الجديد. وبدأت تصل إلى مسامعه شائعات عن التدبير لاغتياله بواسطة أحد أتباع **إليجا** المتحمسين وذلك عملاً بالواجب الديني القاضي بدرء الفتن وإظهار فروض الولاء لزعيم الحركة[٢]. ومضى **مالكولم** في تحديه حيث إعلن أن المنظمة الجديدة التي أسسها وجعل مقرها الرئيسي بفندق تيريزا في هارلم هي منظمة غير ربحية ليست دينية ولا طائفية وأن هدفها الأساسي هو توحيد الأمريكيين السود تحت مظلة برنامج تنموي يسعى لتأمين الحقوق المدنية الكاملة لهم وبناء مجتمع فاضل تسوده روح الإخاء والتعاون البناء بين البيض والسود[٣].

وعلى الرغم من أن هذه المنظمة الوليدة وبموجب نظامها الأساسي لم تكن تسمح للبيض بالانضمام إليها إلا أن مؤسسها أظهر رغبة جادة في التعاون مع البيض كما طلب منهم تقديم الدعم المادي والمعنوي لمشروعه والتصدي للعنصرية في مجتمعاتهم العامة والخاصة لتمهيد الطريق لقيام علاقة تقوم على الثقة والاحترام المتبادل بين جميع الطوائف والأعراق.

لكن، وفى الوقت الذي بدأ فيه الوزير المنشق يسعى لترسيخ دعائم تنظيمه الجديد كانت التهديدات له قد بدأت تدخل مرحلة الجدية وزادت حدة التحرشات به وأخذت تشتد. وعموماً فقد رأى أن من المناسب التوجه إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج. وقد كتب **إليكس هيلي** في ذلك يقول: (إن قرار **مالكولم** فيما يتعلق بأداء فريضة الحج في ذلك العام لم يكن من قبيل المصادفة أو الالتزام بتعاليم الشرع فقط ولكن أيضاً بسبب خوفه على حياته إذا بقي في الولايات المتحدة[٤]).

بالطبع فإن تلك الرحلة لم تكن هي الأولى التي يسافر فيها **مالكولم** خارج الولايات المتحدة فقد ذكر **كليفتون مارش** أنه قام قبلها برحلة شملت العديد من أقطار القارة الأفريقية مما ساهم في بلورة شخصيته وزيادة مداركه وإثراء تجربته الأيديولوجية، ولعله يشير بذلك إلى زيارته للأراضي المقدسة في١٩٥٩م لأداء مناسك العمرة التي وردت الإشارة لها سابقا.

١) كتاب: كليفتون مارش الذي وردت عدة إشارات له، ص ٨٠.

٢) كتاب: The Nation of Islam لمارتا لي، ص ٤٢.

٣) كتاب: كليفتون مارش، ص ٨١.

٤) كتاب (The Autobiography of Malcolm X) ، ص ٣١٦.

الانقلاب الثالث والأخير

في أبريل١٩٦٤م بدأ **مالكولم** رحلته إلى الأراضي المقدسة حاجاً وقد اعتبرت تلك الرحلة نقطة تحول هامة جداً في حياته بل وفي حركة انتشار الإسلام في أمريكا عامة. وربما كان الوزير **مالكولم** رأى أن يبدأ سيرته الجديدة بالحج أولاً إلى بيت الله الحرام.

وبمساعدة من البروفسير **محمود الشواربي** (رحمه الله) أستاذ الكيمياء بجامعة القاهرة ـ الذي كان منتدباً وقتها لإدارة المركز الإسلامي في نيويورك ـ استطاع الحصول على تأشيرة الدخول للأراضي المقدسة، كما أعطاه الدكتور **الشواربي** نسخة من كتاب (الرسالة الخالدة الذي كان قد ترجم ونشر لتوه في نيويورك) مع إهداء من مؤلفه الدكتور **عمر عزام** الذي كان قد سمع عن **مالكولم** من خلال متابعته لنشاطه في الصحف. ولم ينس الدكتور **الشواربي** أن يزوده برقم هاتف الدكتور عزام ليتصل به عند وصوله إلى جدة.

وصل **مالكولم** مطار القاهرة حيث لبس ثياب الإحرام وحكى لاليكس هيلي مشاعره في تلك اللحظات قائلاً: (إن كل واحد من آلاف الحجاج الذين كانوا على وشك المغادرة إلى جدة يلبس نفس الثياب. قد تكون ملكاً أو فلاحاً ولا يعرفك أحد. دلوني على بعض الشخصيات الهامة فوجدتها ترتدي نفس لباسي. وبمجرد ارتداء لباس الإحرام بدأنا نردد بين الفينة والأخرى (لبيك اللهم لبيك). وبدأ المطار ينغم بأصوات المحرمين معلنين نيتهم أداء فريضة الحج).

ويستطرد **مالكولم** قائلاً: (كانت طائرات الحجيج تقلع كل بضع دقائق والمطار يعج بالمزيد منهم ومن أقربائهم وأصدقائهم الذين جاءوا لوداعهم. صعدنا الطائرة وكانت مكتظة بالناس من كل جنس ولون. عيون زرقاء وشعور شقراء مع شعري الأحمر المفتول. (كلنا أخوة جمع بيننا الإيمان بالله سبحانه وتعالى (الله الذي ليس كمثله شيء).

هذا الشعور وهذا الإحساس الذي بدأ يشعر به **مالكولم** وهو يلبي مع إخوانه في الطائرة المصرية المتجهة إلى جدة كان بداية الزلزال النفسي الذي واجهه في الأراضي المقدسة، حيث أن تجربته في أمريكا لم تقنعه أن الناس على اختلاف ألوانهم يمكن أن يعبدوا نفس الإله.

وفي مطار القاهرة وإزاء هذا الموقف لم يتمالك **مالكولم** نفسه فوقف يتحدث قائلاً: (أترون دموعي أيها الإخوة والأخوات؟ لم تدمع عيناي منذ أن كنت طفلاً. إنني لا أستطيع أن أتمالك نفسي من ثقل المسئولية الملقاة على عاتقي لكي أوضح للمرة الأولى ما فعلته بنا ديانة الرجل الأبيض التي يسمونها المسيحية)، وما أن انتشر الخبر في الطائرة عن وجود أمريكي مسلم ضمن الحجيج حتى بدأت الوجوه تتجه نحوه تغشاها تحية وابتسامة. وكم كانت فرحة **مالكولم** عندما أقبل عليه قبطان الطائرة المصري ليعبر له عن سعادته بلقاء أمريكي مسلم ودعاه إلى مقصورة قيادة الطائرة.

و يمضي **مالكولم** في حديثه عن تلك اللحظات ليقول: (كانت بشرة مساعد القبطان أكثر سمرة من القبطان. لا أستطيع أن أصف ما غمرني به ذلك من شعور حيث أنني لم أر من قبل شخصاً أسود يقود طائرة نفاثة. كلا الطيارين كانا يبتسمان لي ويعاملانني بنفس الدرجة من الاحترام والتقدير الذي حظيت به منذ غادرت بلدي. في أمريكا ركبت الطائرات، ربما أكثر من أي أسود آخر ولم يحدث أن دعاني أحد إلى مقصورة قيادة الطائرة)[1].

ثم رجع إلى مقعده ليعاود التلبية وعندما حطت الطائرة بمطار جدة في الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة نزل **مالكولم** مع مجموعته ليرى ويسمع آلاف الحجيج يرددون: (لبيك اللهم لبيك). ويشق طريقه وسط الجموع نحو

١) هذا الجزء مأخوذ من مقال نشرته لي مجلة (الجسور) التي تصدر في ولاية ميريلاند الأمريكية في عددها الصادر في أواخر نوفمبر ١٩٩٤م وهو بعنوان (رجلان وسؤال مهم في حركة المسلمين السود في أمريكا).

مكتب الجوازات. وبدأ يشعر بالقلق عندما وقف في الطابور الطويل ينتظر دوره ليقدم جواز سفره للفحص. وبدأ يتساءل: (أنظر ماذا أنا مقدم لهم؟ إنني هنا في قلب العالم الإسلامي، عند المنبع وأنا أقدم لهم جواز سفري الأمريكي الذي يرمز إلى نقيض ما يدعو إليه الإسلام). وقد صدق حدسه إذ لم يقتنع ضابط الجوازات بما قدمه له من مستندات وهي جواز سفره الأمريكي وخطاب الدكتور **الشواربي** وأشار عليه بأن يقابل المحكمة الشرعية التي تنظر في أمر المسلمين الجدد لتقرر إن كان يمكنه الدخول إلى الأراضي المقدسة أم لا.

ولم تجد توسلات رفقائه الحجاج فاضطروا للافتراق عنه وهم يعدونه بأنهم سيدعون له عند كل صلاة. وينظر **مالكولم** إلى قلقهم عليه فيحثهم بأن عليهم ألا يحزنوا لأن الله معه وسيأخذ بيده بمشيئته سبحانه وتعالى. وتحت إلحاح مطوفهم واستعجاله لهم ابتعدوا عنه متجهين إلى مكة المكرمة وهم يلوحون له بأيديهم.

بدأ يفكر. ماذا لو قرروا إرجاعه من حيث آتى؟ سوف يكون ذلك مؤلماً جداً له بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أمنيته بالحج إلى بيت الله الحرام.

وكانت الأيام القليلة التي قضاها في مدينة الحجاج ليس معه أحد يعرفه أو يتمكن من التحدث معه امتحاناً عسيراً له. واكتشف في تلك الأيام كيف أن التعاليم التي لقنها له **إليجا** تتناقض وتعاليم الكتاب والسنة وجمهور المسلمين في أهم ركن من أركان الإسلام ألا وهو الصلاة. وأحس في قراره نفسه بالحرج الشديد كيف لا يعرف ـ وهو الوزير الأول في حركة أمة الإسلام ـ كيفية أداء الصلاة. لكنه بدأ يواجه جهله بتعاليم الدين بشجاعة غير عابئ بالعيون التي كانت ترقبه. بدأ يتدرب على عبادات الركن الثاني من وضوء وقراءة للقرآن وقيام وركوع وسجود وجلوس وتشهد. ولم يتورع وهو من أبرز القادة في بلده والوزير الأول السابق أن يتعلم من شاب صغير السن، لا يستطيع أن يتخاطب معه بلغته، لكنه أوسع منه علماً فيما هو يتعلم منه. وكان أكثر ما شق عليه من أعمال الصلاة وحركاتها الجلوس.

وأخيراً نادى الضابط المسئول مساعداً لأحد المطوفين وطلب منه أن يأخذ **مالكولم** إلى سكن الحجاج بمطار جدة القديم. وحاول **مالكولم** أن يحتج على حجز جوازه من قبل سلطات الجوازات لعلمه أن أول ما يجب أن يراعيه المسافر هو ألا يفترق أبداً عن جواز سفره. إلا أنه لم يجد بداً من الانصياع عندما أفهمه الضابط أن هذا النظام يطّبق على جميع الحجاج القادمين من خارج المملكة. وبينما هو ودليله في طريقهما إلى مبنى الحجاج كان في ذهول مما يراه. كان الوقت قبل الفجر بقليل والجو يشوبه بعض الظلام. الطائرات تقلع وتهبط بانتظام كاسحة بأنوارها الكاشفة مدرجات المطار هبوطاً، أو مضيئة السماء بأنوار أجنحتها وأذيالها إقلاعاً. حجيج من غانا وإندونيسيا واليابان وروسيا يتحركون جيئة وذهابا في المبنى الذي انتقل إليه.

ويصف تلك المشاهد في الرسالة التي بعث بها إلى زوجته من الأراضي المقدسة فيقول: (لا أصدق أن آلات التصوير السينمائي قد صورت مشهداً بشرياً أروع مما كانت تشاهده عيناي. وصلنا المبنى وبدأنا الصعود إلى أعلاه في الدور الرابع مروراً بكل جنس ولون من ألوان البشر. صينيون، أندونيسيون وأفغان. البعض لم يحرموا بعد ومازالوا يرتدون أزيائهم القومية. كان المنظر وكأنه صفحات من (المجلة الجغرافية الوطنية (National Geographic Magazine). هنا الآلاف، عشرات الآلاف من الحجاج الذين قدموا من جميع أنحاء العالم. كتل بشرية من جميع الأجناس والألوان. لكننا نمارس نفس الطقوس ونعيش في جو من الوحدة والإخاء الذين لم أتصور من واقع خبرتي وحياتي في أمريكا إمكانية تحقيقهما بين السود والبيض[1].

١) المقال بعنوان: (A Letter From Mecca) المنشور على الموقع: (members.aol.com/Klove/meccalter.htm)على الإنترنت.

أدخل مساعد المطوف **مالكولم** الغرفة التي سيبقى فيها وكان بها نحو خمسة عشر شخصاً معظمهم رقود على سجاد افترشوه. وبعد أن جلس **مالكولم** في أحد أركان الغرفة أشار عليه دليله بأنه سيريه التأدية الصحيحة للصلاة. فبدأ **مالكولم** ـ والكل ينظر إليه ـ يتعلم قواعد الركوع والسجود والجلوس متشهداً.

وعن تلك اللحظات كتب في رسالته لزوجته يقول: (تصوري إماماً وقائداً في منظمة **إليجا محمد** (أمة الإسلام)، لا يعرف كيفية تأدية الصلاة. ولم يكن بإمكان رسغي قدمي الغربيين أن يؤديا ما أداه المسلمون طوال حياتهم). ولكن لم يكن ذلك ليمنعه ولا نظرات الآخرين إلى منظره الغريب من أن يواصل تمارين أداء الصلاة من ركوع وسجود وجلوس حتى تعلمها بعد أن تورمت رسغاه.

ولكن حقيقة الصراع في نفس **مالكولم** كان بسبب اكتشافه للكثير من الزيف الذي اعتقد أنه من الإسلام، فإذا به يكتشف أن الإسلام والمسلمين منه براء. وكان أول ذلك عبادة الصلاة كما تعلمها من **إليجا**. ويدّعي **إليجا** أن هذه هي هيئة الصلاة الخاصة بمن يعرفون بالزنوج، الذين فقدوا المعرفة بإلههم وأمتهم ويريدون العودة إليهما. لكن أخطر ما في عبادة الصلاة على الطريقة الأليجية هو التوجه إلى **والاس فارد**، الذي يزعم **إليجا** أن الله تجسد فيه (تعالى الله عن ذلك). وأن الصلاة عنده ما هي إلا شكر لفارد وثناء عليه لأنه جعلهم مسلمين عارفين بالله.

لكن وفى غمرة هذه الأحداث لمعت في ذهنه فجأة فكرة تذكر أن **محمود الشواربي** كان قد أعطاه رقماً للاتصال به فلماذا لا يجرب حظه؟

وسرعان ما جاءه الرد جاء إليه **عمر عزام** في سيارة فارهة وفى دقائق معدودة جعلهم يفرجون عنه ويعيدون إليه جواز سفره. أخذتهم السيارة إلى فندق فخم وفى الطريق تجاذبا أطراف الحديث. وعاتبه الدكتور **عمر عزام** لعدم الاتصال بمجرد وصوله إذ كانوا يتوقعون حضوره ولا يعرفون موعد وصوله بالضبط. وفى الفندق وجد **مالكولم** مفاجأة أخرى كانت في انتظاره فقد أخلى له السيد عزام الأب (والد الدكتور عمر) جناحه الخاص ليرتاح فيه. كان السيد عزام الأب يعمل مستشاراً لجلالة **الملك فيصل** (رحمه الله). ولقد تأثر **مالكولم** أيما تأثر بهذا الموقف النبيل. وهذا الكرم الأصيل الذي لم يكن يخطر له ببال وكتب عن ذلك إلى زوجته يقول: (وتصوري يا **بيتي**؛ رجل ممن نعتبره في أمريكا (أبيض). يشغل منصباً دبلوماسياً رفيعاً في الأمم المتحدة. سفير ومن المقربين للملك يتنازل لي عن سكنه ويجعلني أنام في فراشه في جناحه الخاص. وما أن علم **الملك فيصل** بوجودي في جدة حتى أرسل لي في صباح اليوم التالي ولده شخصياً ليبلغني بقرار والده اعتباري ضيفا رسمياً للحكومة السعودية طوال مدة إقامتي في المملكة. وجاء إليَّ رئيس المراسم وأخذني إلى المحكمة المختصة حيث أعطاني فضيلة الشيخ **محمد الحركان** تصريح الدخول لمكة المكرمة وقدم لي كتابين عن الإسلام وضع عليهما ختمه وإهداء منه. ثم دعا لي الشيخ **الحركان** بالتوفيق في الدعوة لدين الحق بأمريكا)[١].

وفي أدب جم ودعه الدكتور **عمر** وهو يقول: (أنت ضيفنا وإذا احتجت لأي خدمة أو مساعدة أرجو ألا تتردد في الاتصال بنا، أنت بحاجة للراحة وقد أمر جلالة **الملك فيصل** بوضع سيارة خاصة مكيفة مع سائق ودليل تحت تصرفك لتتجول في الأراضي المقدسة كما تشاء).

وفي اليوم التالي دعاه عزام الأب لتناول طعام العشاء معه ووعده بتحديد موعد له لمقابلة جلالة **الملك فيصل**. وظل **مالكولم** يربط حركات وأفعال وأقوال المسلمين الذين شاهدهم في جدة وفي مكة بحياته في أمريكا مقارنة وقياساً بتجاربه وحياته في أيام جاهليته في عالم البيض وفي (أمة الإسلام). وخلال رحلته إلى مكة والمشاعر المقدسة مرّ بآلاف

١) من كتاب السيرة الذاتية لمالكولم إكس كما رواها لإليكس هيلي، ص ٣١٠.

الحجيج الذين كانوا يتمتمون بلغات عدة مختلفة ليس بينها الإنجليزية وعاتب نفسه لعدم تمكنه من تعلم عبادة الصلاة باللغة العربية.

وتأكد له أكثر أن الدعوة التي يروج لها **إليجا** باطلة لما رأى الإسلام في صورته الحقيقية وقد وحد الناس على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وبلدانهم. وعقد العزم على نشر الإسلام الحقيقي القائم على إخلاص العبادة لله عز وجل وإفشاء روح المودة والتراحم والإخاء بين المسلمين خلافا لما ينادي به **إليجا** من الدعوة إلى فصل السود ليعيشوا في مجتمع خاص بهم، مجتمع منغلق على نفسه لا يشارك أفراده في النشاط الاقتصادي أو في الحياة السياسية والعامة.

وفي الأراضي المقدسة قام **مالكولم** بتغيير اسمه مرة أخرى واختار لنفسه اسم **الحاج مالك شاباز**. وبعد أداء مناسك الحج أتيحت له فرصة مقابلة **الملك فيصل** (رحمه الله) الذي رحب به واستقبله كما يستقبل الزعماء والرسميين. وبرغم حالة القطيعة والجفاء التي كانت سائدة وقتها بين المملكة ومصر بسبب حرب اليمن، فعندما علم **الملك فيصل** من **مالكولم** أنه يعتزم زيارة القاهرة وبعض العواصم العربية والأفريقية أصدر أوامره بأن تكون زيارة **مالكولم** لمصر على نفقته الخاصة واعتباره ضيفاً له في مصر أيضاً.

وعن تجربته في الحج كتب يقول: (لقد شعرت فعلاً بأننا جميعاً إخوانا برغم اختلاف ألواننا وسحناتنا ومواطننا. الإسلام يجمعنا ويوحد قلوبنا ومشاعرنا. أحس أننا جميعاً سواسية في كل شيء. نؤمن بالله الواحد الذي نزع فكرة التعالي والكبر من نفوس البيض المسلمين، كما نزع طبائع البيض من سلوكهم وضمائرهم)[١].

أما زوجته السيدة **بيتي** فقالت: (سافر زوجي إلى البقاع الطاهرة كمسلم أسود وعاد منها مسلماً فقط إذ تغيرت نظرته لأشياء كثيرة بعد أن التقى بعلماء المسلمين واطلع على عدد من الكتب التي توضح التعاليم الحقيقية للإسلام الحنيف)[٢].

وبعد الفراغ من أداء مناسك الحج بدأ جولته التي شملت بعض الأقطار العربية والأفريقية. بدأها بمصر حيث التقى بالرئيس **جمال عبد الناصر**. ومن القادة والزعماء الأفارقة الذين التقى بهم خلال تلك الجولة: جوليوس نايريري (رئيس تنزانيا)، كوامي نكروما (رئيس غانا)، الدكتور ملتون أبوتي (رئيس الوزراء اليوغندي) و**جومو كنياتا** (رئيس كينيا)[٣]. هذه الجولة زادته قناعة بأن نموذج الإسلام الذي يدعو له **إليجا** يختلف في معظم مفرداته عن إسلام جمهور المسلمين. وأن الإسلام وحده هو الذي بمقدوره إنقاذ أمريكا من الكارثة الاجتماعية والهاوية التي تسير إليها.

وعند رجوعه إلى الولايات المتحدة في أوائل يونيو١٩٦٤م كان قد أصبح مسلماً سنياً وتغيرت نظرته العدائية إلى البيض بصورة واضحة. وفي الولايات المتحدة كانت الخلافات قد بدأت تدب وتتفاقم في أوساط أسرة **إليجا**. وفي ٢١ يونيو ١٩٦٤م أصدر قراراً بطرد حفيده **حسين شريف** من الحركة حيث جاء في حيثيات القرار أن شريف أصبح منافقاً وأنه حاد عن جادة الطريق وخالف التوجيهات الصادرة عن المرشد الديني للحركة (**إليجا محمد**). وبعد أقل من ستة أشهر، وبالتحديد في الأول من يناير١٩٦٥م، أصدر **إليجا** قراراً آخر بطرد ولده **أكبر محمد** من عضوية الحركة. وحسب بعض المصادر التي وقعت عليها فإن طرد **أكبر** كان بسبب ثنائه على **مالكولم** و**وارث الدين** عندما أمره والده بأن يصفهما بالنفاق. ويبدو أن (أكبر) تأثر هو الآخر بما سمعه من **مالكولم** عن رحلته للحج والصورة الحقيقية للإسلام كما شاهدها وعايشها. ولعل ما يدعم هذه الفرضية ما صرح به **أكبر** قبيل مغادرته الولايات المتحدة متوجها إلى مصر

١) المرجع السابق، ص ٣١٨.
٢) المرجع السابق نفس الصفحة.
٣) المرجع السابق ص ٣٢١.

التي قرر الاستقرار فيها بعد طرده حيث وصف الصورة التي يعرضها والده للإسلام بأنها صناعة محلية وأنها لا تمثل الإسلام الحقيقي.

وهكذا نلاحظ أن خروج **مالكولم** من الحركة أحدث فيها شرخاً عميقاً وأدى إلى انقسام خطير داخلها، بل وداخل أسرة زعيم الحركة **إليجا**. فقد نجح **مالكولم** في أن يستميل إليه إثنين من أبناء **إليجا** المؤثرين (**وارث الدين** و**أكبر محمد**). وعلى الجانب الآخر استطاع **إليجا** أن يكسب إليه **فلبرت إكس** (أحد أشقاء **مالكولم**)، الذي بدأ واعتباراً من أبريل ١٩٦٤م في شن حرب كلامية ضد شقيقه **مالكولم**، متهماً إياه بالخيانة والنفاق. ثم زادت حدة هذه الحرب بعد أن تأكد له أن شقيقه **مالكولم** ترك الحركة إلى غير رجعة.

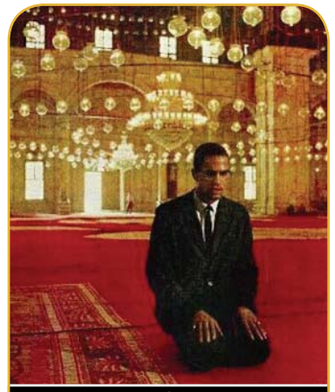
مالكولم في الأزهر الشريف
(صورة من الفيلم السينمائي)

ومهما يكن فإن هذه الخلافات كانت لها نتائج وانعكاسات خطيرة لعل أولها إضعاف الحركة بصورة واضحة. وأصبحت مصداقية **إليجا** وما يدعو له أمام اختبار وتحد كبيرين مما دفعه إلى محاولة إشغال الأعضاء بفكرة قرب حلول الألفية السعيدة للسود الأمريكيين. وأصبحت كتاباته في جريدة الحركة تدور في معظمها حول هذا الموضوع وذلك على سبيل الإشغال للرأي العام داخل الحركة. ومحاولة صرف الأنظار عن حالة الضعف والتمزق التي بدأت تنهش فيها بعد انسحاب **مالكولم** منها. كما لجأ **إليجا** في نهاية كل مقال له إلى حث الأمريكيين السود على ضرورة الإسراع في الانضمام إلى الركب والالتفاف حوله قبل فوات الأوان[1].

أما **مالكولم** فقد بدا وكأنه أصبح على قناعة أكثر من أي وقت مضى بأنه كان على حق في تحليله وتقييمه لحركة أمة الإسلام وفي الإجراءات التي بدأ في اتخاذها لتصحيح المسيرة الخاطئة وذلك بناء على ما توصل له من حقائق استقاها من مصادر موثوقة خلال رحلته لأداء فريضة الحج وما تلاها من زيارات لبعض الدول العربية والأفريقية.

عرف **مالكولم** أن الإسلام الحقيقي لا شأن له باللون والعرق وأن الناس جميعاً أخوة سواسية، كما أدرك أنه كان مخطئاً في تحامله اللا مبرر على البيض عموماً. وبعد عودته إلى الولايات المتحدة كانت شهرته وأسهمه قد ارتفعت بصورة واضحة حتى إن الكثيرين - من السود خاصة - توقعوا له أن يصبح الزعيم الفعلي للحركة القومية السوداء بعد أن حرر نفسه من التبعية ل**إليجا محمد**.

١) لعله من المهم هنا الإشارة إلى أن عدداً من الخبراء الأمريكيين المتخصصين في علوم طبقات الأرض والبراكين حذروا وما زالوا يحذرون من قرب انفجار بركان ديلسون بارك الذي يقع مركزه الأساسي تحت حديقة عامة كبيرة في ولاية أوهايو، والذي يتوقع الخبراء أن يدمر مابين ثلثين إلى ثلاثة أرباع أراضي الولايات المتحدة وبحيث تتحجر كل الكائنات الحية الموجودة علي المنطقة وهذا واحد فقط من ١٧٠ مركز زلازل في الولايات المتحدة.

اغتيال مالكولم إكس

كما رأينا فقد تفاقمت الخلافات بين **إليجا** و**مالكولم** بعد عودة الأخير من الأراضي المقدسة. وارتفعت حرارة المعركة ووصل الأمر إلى حد التراشق بالألفاظ وتبادل الاتهامات والتهديدات من كلا الطرفين ومع ذلك واصل **مالكولم** العمل في تفعيل منظمته الجديدة. وعندما رأى أن نزعته العنصرية للقومية السوداء كأيديولوجية سوف تبعده وتعزله عن العالم الإسلامي بدأ في تغيير هذه الإستراتيجية، وربما رمى من وراء ذلك إلى تدويل قضية الأمريكان السود. وبدأ يصرح في أكثر من مناسبة بأن مأساة السود في أمريكا تشبه إلى حد كبير مأساة الوطنيين السود في جنوب أفريقيا. ومضى في طريق التصعيد عندما أعلنها صريحة أنه سيقدم شكوى رسمية لهيئة الأمم المتحدة ضد الولايات المتحدة (البلد المضيف للهيئة)، لانتهاكها حقوق الإنسان وإنكارها على الأمريكيين السود حقوقهم الدستورية كمواطنين أمريكيين[1].

كان **مالكولم** يؤمل في الحصول على الدعم والمساندة لهذه القضية عند عرضها على الهيئة الدولية من معظم دول العالم الثالث ودول أمريكا اللاتينية بصفة خاصة، وأيضاً من دول عدم الانحياز والصين الشيوعية والاتحاد السوفيتي إلا أن الأقدار لم تمهله ليرى تحقيق هذه الأمنية.

ففي تمام الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٢١ فبراير لعام ١٩٦٥م دخل **مالكولم** قاعة أودوبون في مدينة نيويورك لإلقاء محاضرة. كان الحضور حوالي ٥٠٠ فرد معظمهم من أعضاء تنظيمه الجديد. بادر **مالكولم** بالسلام وقبل أن يبدأ محاضرته، كأنما كان الأمر مرتباً وبدقة متناهية، إذ حدث لغط ومشادة بالصف الثامن. وبسرعة تطور الأمر إلى معركة بالأيدي. تحدث **مالكولم** مطالباً الحضور بالتزام الهدوء. وفجأة وعندما كانت الأنظار جميعها متجهة إلى المقاعد الخلفية حيث كانت تدور المعركة المفتعلة، وقف ثلاثة رجال ممن كانوا يجلسون بالصف الأول مصوبين أسلحتهم نحو **مالكولم** وأطلقوا عليه وابلاً من الأعيرة النارية التي أصابته في رأسه وصدره حتى أن جسمه اندفع بقوة من فوق الكراسي التي كانت موضوعة خلفه. سقط **مالكولم** على أرض المنصة مضرجاً بدمائه وقد مزقت رأسه وصدره ست عشرة رصاصة. كان فمه ما يزال مفتوحاً، وسارع بعض الحضور لإسعافه. وشقت زوجته (**بيتي**) طريقها وسط الجموع وهي تركض، ثم جثت على ركبتيها وهي تتحسس صدره. كانت تبكي وتصرخ: (لقد قتلوه). وبسرعة تم نقله إلى مستشفى فاندربيلت (Vanderbilt Clinic) الذي لا يبعد عن مكان الحادث سوى بضع دقائق. وفي تمام الثالثة من بعد ظهر نفس اليوم تم الإعلان رسمياً عن وفاة الوزير **مالكولم** ولم يبلغ الأربعين من عمره.

كنت وقتها في بداية مرحلة الماجستير بجامعة كورنيل في إثاكا (نيويورك) وقد نزل على الخبر نزول الصاعقة، تألمت أشد الألم لهذا الحدث المفجع الذي راح ضحيته رجل كنا نعوّل عليه الكثير في تصحيح صورة الإسلام في أمريكا وفي التعريف بمبادئ الدين الحنيف كما شاهدها وعايشها حقيقة ملموسة في الأراضي المقدسة والدول العربية والإسلامية التي زارها.

و مهما يكن فقد تم اعتقال ثلاثة شبان من أعضاء حركة أمة الإسلام وهم: **تلمادج هاير** (٢٢عاماً)، **توماس جونسون** (٣٠عاماً) و**نورمان بتلر** (٢٦عاماً)، كمتهمين في جريمة اغتيال **مالكولم** حيث اعترف المتهم الأول (هاير) بأنه هو الذي اشترى الأسلحة المستخدمة في الجريمة وأنه وشريكيه درسا خريطة المكان (مسرح الجريمة) مرتين قبل ارتكابها. كما اعترف هاير بأنه حضر ندوتين ل**مالكولم** - قبل المحاضرة الأخيرة - للتأكد من أنه لا يتم تفتيش الحضور قبل دخولهم القاعة. كان **مالكولم** قد أصدر أمراً بإلغاء تفتيش الراغبين في حضور ندواته ومحاضراته معللا ذلك بأن

١) كتاب (From Black Muslims To Muslims) لكليفتون مارش، ص ٨٣.

التفتيش يذكره بحركة أمة الإسلام وما يفعله **إليجا** شخصياً تجاه الراغبين في زيارته أو الاستماع إليه. وأضاف: (إذا لم أجد الأمان وأنا بين أهلي وعشيرتي فأين أجده؟).

كانت اعترافات هاير واضحة وصريحة كما أضاف أنه حضر حفلة موسيقية راقصة بنفس القاعة في نفس الشهر وكان هدفه من ذلك استكشاف وتحديد أفضل المنافذ التي ستساعده على الهرب بعد ارتكاب الجريمة، إلا أنه رفض الإفصاح عن اسمي شريكيه.

وبالنسبة للشخصين الآخرين الذين تم إلقاء القبض عليهما فقد كان ذلك اعتماداً على أوصاف الجناة كما قدمها بعض شهود العيان والسيرة غير الحميدة لكليهما. أما هاير فقد تم إلقاء القبض عليه في مسرح الجريمة بعد إصابته بطلق ناري في ساقه. وخلال التحقيقات معه تبين أن هاير ينتمي إلى حركة أمة الإسلام وهو عضو مسجل بالمعبد رقم ٧ في نيويورك الذي أسسه **مالكولم**، إلا أنه أنكر تماما أن يكون نفذ جريمته بإيعاز من **إليجا** بل ورفض بإصرار الإفصاح عن هوية وأسماء من اشتركوا معه في الجريمة. ومع ذلك فقد سرت إشاعات أشارت بأصابع الاتهام إلى مكتب التحقيقات الفدرالية الأمريكي الـ (FBI) حيث استند دعاة هذا الاتهام إلى أن الحكومة الأمريكية - وليس أمة الإسلام - هي المستفيد الأول من حادث اغتيال **مالكولم** كون هذا الاغتيال يريح الحكومة ويعفيها من الشعور بالحرج ومن مشقة الدفاع عن نفسها في مسألة انتهاكها لحقوق الأمريكيين السود أمام الهيئة الدولية. كما ذهب البعض إلى توجيه الاتهام إلى الوزير **لويس فراخان** بدعوى أن **مالكولم** كان يقف حجر عثرة في طريقه إلى زعامة الحركة وباغتياله سوف يخلو له الجو. ولعل ما دعم هذا الإدعاء أن إحدى بنات **مالكولم** حاولت في وقت لاحق الاعتداء على **فراخان** باعتباره المسئول عن اغتيال والدها. كما ذكر لي ذلك **لويس فراخان** خلال مقابلة معه حيث ألمح إلى أن إحدى بنات **مالكولم** حاولت إقناع أحد زملائها في الدراسة باغتياله مقابل مبلغ معلوم انتقاماً لوالدها وأن هذا الزميل أبلغ الجهات المختصة بالأمر ومن ثم تم استدعاء المحرّضة وبدأ التحقيق معها إلا أن **فراخان** (حسب روايته لي) عفا عنها إكراماً لذكرى والدها الذي هو أستاذه والرجل الذي كان له الفضل بعد الله ﷻ في انضمامه إلى الحركة. ويضيف **فراخان** أنه تقدم للسيدة **بيتي** (أرملة مالكولم) باعتذار رسمي خلال حفل عشاء في ١٩٩٥م وأنها قبلت اعتذاره، وبسؤاله عن سبب الاعتذار أشار **فراخان** إلى أن بعض خطاباته وانتقاداته لـ**مالكولم** بعد خروجه من الحركة ربما تكون قد أثارت في نفوس البعض من الأعضاء المتحمسين الرغبة في تصفية **مالكولم** وهذا هو المرجح عندي حيث لم تعد **لفراخان** مصلحة في اغتيال **مالكولم** بعد خروجه من الحركة وتأسيسه لتنظيم آخر وبذلك لم يعد حجر عثرة في طريق وصول **فراخان** للزعامة إن أراد ذلك.

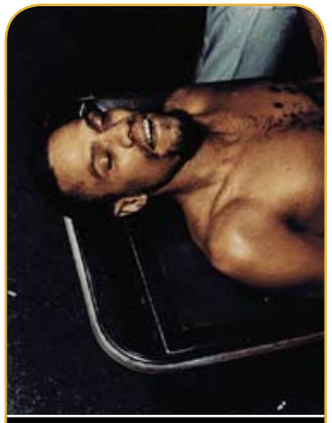
مالكولم في المشرحة

وعموماً فقد أدلى الإمام **وارث الدين** بتصريحات عقب الحادث نفى فيها وجود أي علاقة بين حركة أمة الإسلام واغتيال **مالكولم** وأعرب عن اعتقاده بأن الجريمة خطط لها أشخاص من خارج الحركة وأنهم استخدموا أفراداً مأجورين من أعضاء أمة الإسلام بهدف تضليل العدالة وتوجيه أصابع الاتهام إلى الحركة[1].

ومهما يكن من أمر وبرغم عدم كفاية الأدلة ضد المتهمين الآخرين فقد أصدرت المحكمة قرارها بالسجن مدى

١) من المقابلة الصحفية التي أجراها كليفتون مارش مع الإمام وارث الدين محمد.

الحياة للمتهمين الثلاثة وعلى أن يقضى كل منهم عقوبته في سجن منفرد، وهكذا تم طي ملف القضية. لكن وبعد عدة أعوام وتحديداً في خريف العام ١٩٨١م حدثت مفاجأة لم تكن في الحسبان، فبعد أكثر من خمسة عشر عاماً من الحياة في السجن اعترف هاير لأحد المرشدين الدينيين العاملين في السجون واسمه **نور الدين فايز**، أنه أدلى بمعلومات كاذبة وأن بتلر و**جونسون** بريئان من التهمة المنسوبة إليهما بالاشتراك معه في اغتيال **مالكولم إكس**. وكانت المفاجأة الأخرى أن كشف هاير أسماء وأوصاف وعناوين أربعة أفراد آخرين جميعهم من أعضاء حركة أمة الإسلام ادعى أنهم هم الذين اشتركوا معه في عملية التصفية الجسدية لـ**مالكولم**، وأضاف أنهم ما يزالون على قيد الحياة ويقيمون في نيو جيرسي.

وبناء على هذه المعلومات حاول ممثل الدفاع (كنستلر) إعادة فتح ملف القضية وتبرئة ساحة موكليه بتلر و**جونسون** إلا أن المدعي العام الأمريكي رفض هذا الطلب بحجة أن شهادة وأقوال هاير الجديدة لا تعتبر أسباباً كافية للشروع في محاكمة جديدة وإعادة فتح الملف الخاص بقضية قال القضاء كلمته فيها بعد استكمال جميع جوانبها القانونية قبل خمسة عشر عاماً. ومهما يكن وأيا كانت دوافع الجريمة ومن كان وراءها فقد رأى كثيرون أن **مالكولم** وقع في أخطاء فادحة أدت في النهاية إلى أن تتم عملية اغتياله بكل سهولة. ويذهب **بلال** إلى أن مكتب التحقيقات الفدرالي كان يعرف الجناة الحقيقيين لكنه تستر عليهم لأسباب غير معلومة لديه.

كان **مالكولم** يعرف جيداً أنه وعدد من وزراء (أمة الإسلام) يخضعون للرصد والمراقبة من أجهزة الاستخبارات المركزية باعتبارهم عناصر تمثل خطراً يهدد الأمن القومي ومع ذلك وبرغم التهديدات التي تلقاها والشائعات التي انطلقت عن التدبير لاغتياله إلا أنه لم يحاول الأخذ بأسباب الحيطة والحذر، فقد ألغى نظام التفتيش للداخلين عليه بل رفض أن يحمل سلاحاً للدفاع عن نفسه كما رفض استخدام حراس شخصيين (Bodyguards) وأيضاً السماح لرجال الأمن بتوفير الحماية له وكان يردد دائماً عبارة (الله حافظ).

لكن قصة **مالكولم** لا تنتهي مفاجآتها وإثارتها عند هذا الحد، ففي السجن اهتدى المحكومون الثلاثة الذين تمت إدانتهم باغتياله إلى الإسلام الصحيح وأصبحوا مسلمين سنيين. فانتحل هاير (الوحيد من بين المتهمين الذي اعترف بارتكاب الجريمة) اسم مجاهد عبد الحليم، أما **نورمان بتلر** و**توماس جونسون** فقد اختار أولهما اسم (محمد عبد العزيز) بينما اختار الثاني لنفسه اسم (خليل إسلام). هذان الرجلان قضى كلاهما ما بين ٢٥ - ٢٨ عاما بالسجن لجريمة لم يرتكباها ولم يشتركا فيها أصلا وهما الآن من أتباع الإمام **وارث الدين**. أما الأربعة الآخرون الذين شاركوا هاير فعلياً في الجريمة فقد قضى منهما اثنان وبقي إثنان هما الآن من أتباع الإمام **وارث الدين** أيضا بعد أن عرفا الإسلام الصحيح.

وفي العام ١٩٩٢م صدر عن مؤسسة السينما في هوليود الفيلم عن حياة **مالكولم** الذي وردت فيه ولأول مرة في تاريخ السينما الأمريكية لقطات من الحج وصورة لـ**مالكولم** وهو يقرأ سورة الفاتحة في أحد مساجد القاهرة. وإن كان هناك ما يؤخذ على الفيلم فهو الجنوح للإثارة والتركيز على الجوانب المظلمة في حياة **مالكولم** خلال مرحلتي الطفولة والشباب المبكر قبل أن يهتدي إلى الإسلام الصحيح.

وانطفأت شمعة أخرى

كما هو متوقع فقد التزم القائمون على حركة أمة الإسلام الصمت حيال عملية التصفية الجسدية لـ**مالكولم إكس**. أما الصحيفة الناطقة باسم الحركة فقد أوردت الخبر بصورة مقتضبة[١].

ومهما يكن فإن اغتيال **مالكولم** كان وبكل المقاييس خسارة فادحة للإسلام والمسلمين في القارة الأمريكية بل ولحركة المد الإسلامي في الغرب عامة، إذ أُجهضت حركة التصحيح في مهدها وعادت الأبواق المنحرفة المأجورة تنعق من جديد. فلا يستطيع إلا مكابر أن ينكر إسهامات **مالكولم** في حركة التغيير الفكري لكثير من مفاهيم ومعتقدات حركة أمة الإسلام كما سنرى ذلك في الجزء التالي.

وعن التغيير الجذري الذي طرأ على فكر **مالكولم** كتب **أكبر محمد** قائلاً: (كان **مالكولم** يؤمن بنظرية التطور الطبيعي للحركة، وبعد أن رأى أوضاع المسلمين في الشرق رجع إلى الولايات المتحدة وهو يحمل تصوراً واضحاً للنموذج الذي يجب أن يكون عليه وضع الجالية كصورة مصغرة للمجتمع الإسلامي القائم على هدي من الكتاب والسنة والمبني على الإخاء والمساواة والتراحم)[٢].

لكن تلك الجريمة التي أنهت حياة **مالكولم** ماكانت لتمر مرور الكرام وكان من الممكن أن تؤدي إلى نشوب حرب طويلة المدى بين السنيين السود من أنصاره من جهة وأتباع **إليجا** من جهة أخرى، إلا أن تعزيز الإجراءات الأمنية والقوات المكلفة بحراسة سكن **إليجا** في شيكاغو ووضع (جامعة الإسلام) وصحيفة (Muhammad Speaks) تحت الحراسة المشددة من قبل جهازي فاكهة الإسلام[٣] وشرطة شيكاغو كان لها أثر واضح في تخفيف حدة التوتر وردة الفعل.

ومع ذلك قام أفراد من أنصار **مالكولم** بتحريض من الـ (FBI) على ما يبدو بعمليات انتقامية حيث قام بعضهم في اليوم التالي لاغتياله بإلقاء قنبلة على المعبد رقم ٧ التابع لحركة أمة الإسلام في هارلم (نيويورك). ومعروف أن **مالكولم** كان يشغل منصب الوزير لهذا المعبد حتى آخر أيامه في الحركة. وبعدها بيوم واحد قامت مجموعة من مؤيديه بإضرام النار في معبد سان فرانسيسكو. هذا التحريض من الأجهزة الحكومية كان يرمي إلى إثارة الفتنة بين المسلمين. وعموما فإن هذه الأحداث دقت ناقوس الخطر وكانت بمثابة التحذير من أن حوادث عنف أخرى من الممكن أن تندلع في أي لحظة.

بعد ذلك بأيام قلائل، وبالتحديد في تاريخ ٢٦ فبراير ١٩٦٥م أقامت الحركة احتفالها السنوي بذكرى يوم المنقذ أو ما يعرف باسم الـ (Savior's Day). وفي كلمته خلال ذلك الاحتفال أرجع **إليجا** السبب في اغتيال **مالكولم** إلى خروجه عن أمة الإسلام كما أدلى بتصريح قال فيه: (نحن لم نكن نريد اغتيال **مالكولم** ولم نحاول ذلك. إن غباءه وجهله وتصريحاته الحمقاء هي التي ساقته إلى حتفه)[٤].

وقد لقي **إليجا** دعماً لم يكن متوقعاً عندما رفض شقيقا **مالكولم** (**ويلفرد** و**فلبرت**) حضور مراسم تشييع جثمانه التي جرت خلال نفس الاحتفال وذلك تعبيراً عن استيائهما واستنكارهما لما قام به شقيقهما، كما جددا الولاء لـ**إليجا** وحركة أمة الإسلام بغض النظر عن تورطها في اغتيال **مالكولم** أو براءتها من دمه.

تلك الاحتفالات شهدت أيضاً عودة **وارث الدين محمد** الذي جاء إلى والده معتذراً فحصل على العفو منه ليتم

١) كتاب (The Nation of Islam) لمارتا لي، ص ٤٤.
٢) كتاب (From Black Muslims to Muslims) والمقابلة مع الدكتور أكبر محمد أحد أبناء إليجا بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٧م.
٣) جهاز الأمن الخاص بحركة أمة الإسلام وإن كان أفراده غير مصرح لهم بحمل السلاح إلا نهم تلقوا تدريبات عالية.
٤) كتاب: (From Black Muslims To Muslims) لكليفتون مارش، ص ٩٠.

قبوله مجدداً في الحركة. إلا أن شهر العسل الجديد بين **وارث الدين** وحركة أمة الإسلام لم يدم طويلاً إذ سرعان ما تم طرده ثانية في نفس العام ١٩٦٥م [١] الذي شهد عودته.

وعن سبب طرده يقول **وارث الدين**: إنه تعرض للطرد من الحركة أربع مرات وكان الطرد والعزل في جميع الحالات لنفس السبب وهو رفضه إضفاء صفة الربوبية على **والاس فارد**[٢].

أرملة مالكولم إكس وبناتها الستة

وهكذا وباغتيال **مالكولم** تكون حركة المسلمين السود فقدت واحداً من أبرز رموزها وقياداتها، ورجلاً كان يعول عليه الكثير في تصحيح المسار والأفكار والمفاهيم الخاطئة عن الإسلام التي ظلت الحركة تروج لها منذ قيامها وحتى ذلك الوقت. فقد كان **مالكولم** في نظر كثير من المؤرخين أهم مسلم أمريكي ظهر حتى الآن، وأنه لولا اعتناقه الإسلام الصحيح بعد أداء فريضة الحج لم يكن الإسلام لينتشر بين الأمريكيين بهذا الشكل الواسع والسريع. ولقد جاء اغتياله كالصدمة الكهربائية المروعة التي لم تتمكن حركة المسلمين السود من امتصاصها إلا بعد عدة سنين.

وما يزال هناك بصيص أمل في **لويس فراخان** الذي تتوفر فيه مواصفات الشخصية القيادية، كما أثبتت الأحداث أنه الأقدر على الساحة الآن في لم شمل المسلمين الأمريكيين ذوي الأصول الأفريقية وتوحيد كلمتهم.

وبالنسبة لأرملته **بيتي** فقد كانت الصدمة قاسية وأليمة إذ مضى **مالكولم** إلى لقاء ربه وترك لها أربع بنات أكبرهن لم تتجاوز السابعة وفي بطنها توأم. كانت **بيتي** في حوالي الخامسة والعشرين وقتها ولم يكن أمامها خيارات تذكر، فالعودة إلى حركة أمة الإسلام في ظل قيادة **إليجا** غير ممكنة. والسير في طريق **مالكولم** بعد رحيله أو حتى محاولة إكمال ما بدأه غير ممكنة أيضا بعد أن أصبحت أرملة وأم لستة أطفال مما جعلها تقرر التفرغ لتربية أطفالها والابتعاد عن الحركة وكل ما يمكن أن يساعد في إثارة تلك الذكريات المؤلمة. وكان من بين القلائل الذين وقفوا إلى جوارها خلال تلك المحنة **سمو الأمير محمد الفيصل** الذي أبلغها أنه مستعد لتأمين مصاريف التعليم لبناتها حتى يتخرجن. واختارت لهن أفضل المدارس الخاصة (غير الإسلامية) وواصلت هي دراستها العليا حتى حصلت على شهادة الدكتوراه وانخرطت في سلك التدريس بالجامعات حتى وصلت إلى منصب نائب الرئيس لجامعة بروكلين[٣].

١) المقال بعنوان: (Louis Farrakhan and the Nation of Islam) للدكتور روبرت سميث، من الموقع: (www.breakaway.org/noi) علي الإنترنت.
٢) معروف أن إليجا كان قد أطلق على مولوده الرابع اسم (والاس محمد) وذلك تيمناً بالمؤسس الأول للحركة (والاس فارد محمد) ثم اختار والاس الابن لنفسه في وقت متأخر اسم (وارث الدين محمد بدلاً عن (والاس محمد).
٣) من التسجيلات الصوتية للأخ بلال التي تضمنت إجاباته وشهادته فيما يتعلق ببعض النقاط المهمة.

الدكتور مارتن لوثر كنج (١٩٢٩ - ١٩٦٨م) صفحة سوداء أخرى في تاريخ أمريكا

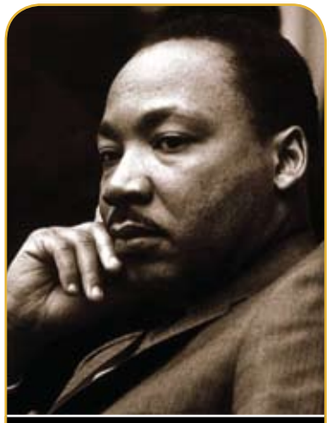
الدكتور لوثر كنج

إن من يبحث ويؤرخ للحركات الإسلامية بأمريكا في عقد الستينات من القرن العشرين أو لتاريخ الأفرو أمريكانز عامة لا يستطيع أن يغفل رجلاً بقامة لوثر لمجرد اختلافنا معه في العقيدة والفكر. وقد كتب الأخ **شريف صالح** عن **مارتن لوثر** يقول[١]: (في لحظة فارقة في تاريخ أمريكا ظهر **مارتن لوثر كنج** حفيد العبيد كأنه فارس أتى من الأساطير القديمة ليحمل أحزان الآخرين على كتفيه، يجوب شوارع أمريكا شارعاً شارعاً، من ولاية إلى ولاية كأنه في حلم طويل).

كان **كنج** يدرك - رغم حصوله على الدكتوراه من جامعة بوسطن - أنه مواطن من الدرجة الثانية طالما أنه (زنجي). ففي الخامسة من عمره تلقى الدرس الأول حين تجنب صديقاه الأبيضان اللعب معه بسبب لونه الأسود. وحين اشتغل في إجازته الصيفية في أحد المصانع اكتشف أنه يتقاضى أجراً أقل من نظيره الأبيض عن نفس العمل. يوماً بعد يوم تتأكد له حقيقة أنه (أسود) وأن عليه الانتباه الدائم حتى لا تلحقه إهانة البيض.

قالت أمه تشجعه: (أنت لست أقل من غيرك). كانت كلماتها صادقة لكنها لا تغير من مرارة الواقع شيئاً.

وعموماً فقد أتم **كنج** دراسته بكلية مورهاوس للزنوج ثم غادر إلى الشمال لاستكمال دراسته بمدرسة كرازور. كان المناخ في الشمال أقل عدائية للزنوج، وكان بإمكانه بعد أن تزوج طالبة زنجية تدرس في الكونسرفتوار أن يحيا هناك حياة (مأمونة) لكنه فضل العودة إلى الوطن في الجنوب. كان لوثر يرى أن الهروب إلى الشمال خيانة وليست خلاصاً كما يتصور بعض رفاقه.

وفي يونيو١٩٥٥م تسلم لوثر عمله بإحدى كنائس السود في مدينة مونتجمري، وفي مساء أول أيام أكتوبر من نفس العام كانت الحائكة **روزا باركس** عائدة من وردية عمل. كانت منهكة وكان الأوتوبيس مكتظاً بالركاب، فأمر السائق الأبيض روزا وثلاثة ركاب من الزنوج بالقيام والتنازل عن مقاعدهم للبيض. امتثل الرجال وامتنعت روزا[٢] فتم اعتقالها بتهمة خرق نظام المدينة فكأن ذلك الحادث العارض كان الشرارة التي أشعلت نار الكفاح. فعلى الفور برزت فكرة المقاطعة وتم اختيار الشاب **لوثر كنج** رئيساً للجنة فكان عليه أن يجّهز خطابه السياسي الأول الذي سيلقيه أمام الطباخين وعمال النظافة من الزنوج في كنيسة مغمورة خاصة بالسود.

روزا باركس ومارتن لوثر

وجاء صوته قوياً ومؤثراً وهو يقول: (اليوم نجتمع هنا مساء لكي نقول لمن استخف بنا طويلاً إننا تعبنا، تعبنا من العنصرية، تعبنا من قسوة الظلم).

عام كامل والمقاطعة مستمرة والحافلات العامة شبه خالية من الركاب،

١) المقال بعنوان (اغتيال خطيب الحرية) المنشور بجريدة الجزيرة السعودية - العدد رقم ١٠٧٩٥، الصادرة بتاريخ الجمعة ٦ صفر ١٤٢٣هـ - الموافق ١٩ أبريل ٢٠٠٢م، ص ١٧.

٢) روزا باركس التي دخلت التاريخ بسبب تصرف عفوي بسيط، توفيت في رمضان ١٤٢٦هـ وتم دفنها في مقابر الرؤساء الأمريكيين كما حضر مراسم تشييع جثمانها الرئيس الأمريكي بوش الابن وكبار رجالات الدولة وبعض الرؤساء السابقين.

وقنبلة لن تكون الأخيرة ألقيت على منزل الدكتور الشاب. وأخيراً صدر قرار حق الركوب للسود في أواخر العام ١٩٦٥م.

اعتبر **كنج** هذا النجاح خطوة في مشوار الألف ميل وقرر أن يشهر سلاح العصيان المدني، أن يقاوم القوانين الجائرة وينتزع ذل العبودية من النفوس. فشن غارة الحرية الثانية في برمنجهام. كان زنوج تلك المدينة يعيشون تحت وطأة القهر والعنف والخوف والصمت. جاء **كنج** يقود المسيرة ويغني للحرية. فاعتقلته الشرطة مع المئات من أتباعه. ولم تكن شاحنات الشرطة كافية فاستعانوا باتوبيسات المدارس لنقل المعتقلين. وانفجرت وحشية الشرطة في التصدي للمسيرات السلمية وبثت وسائل الإعلام صوراً دموية مرعبة لمناظر القتلى والجرحى. ويضطر الرئيس **كنيدي** إزاء الوضع الحرج إلى إصدار أمر بمرابطة ثلاثة آلاف جندي وتعبئة الحرس الوطني. أصيبت برمنجهام بالشلل التام. ومرة أخرى ألقيت قنبلة على منزل **كنج** وقنبلة أخرى على منزل شقيقه. ودعا **كنيدي** زعماء الزنوج للقائه في البيت الأبيض. قال الزعماء للرئيس أنهم لم يصبحوا أحراراً رغم مرور مائة عام على تحرير العبيد طالما أن الهراوات والكلاب البوليسية وخراطيم مياه الإطفاء تطاردهم وتسد طريقهم. ثم كانت مسيرة واشنطن الرهيبة. ربع مليون مواطن أسود وأبيض زحفوا في ١٩٦٣/٨/٢٨م في مهابة وتمهل إلى نصب **جورج واشنطن**. كان لوثر آخر المتحدثين. فوقف يقول ضمن خطابه الذي اشتهر باسم (عندي حلم) (I have a Dream): (أحلم بهذا اليوم الذي يستطيع فيه أحفاد العبيد السابقين وأحفاد السادة القدماء أن يجلسوا على مائدة الأخوة، في التلال الحمراء لجورجيا. أحلم بذلك اليوم الذي سيعيش فيه أطفالي الأربعة في بلاد لن يقيمّوا فيها باللون أو البشرة ولكن بقدراتهم).

كان الحلم رائعاً لكن الواقع ظل مريراً كما هو. فبعد أقل من أسبوعين من مسيرة واشنطن تم تفجير إحدى المدارس الزنجية. وجرى اغتيال ستة أطفال وأربع فتيات في حوادث متفرقة ضد الزنوج. جنائز دفن جماهيرية مهابة للقتلى، ولوثر يحث الرئيس **كنيدي** على التدخل وإصدار الإعلان الثاني لإلغاء أشكال التمييز العنصري. وجاءت استجابة **كنيدي** ضعيفة وخجولة. وفي تطور مأساوي لحالة الغليان اغتيل الرئيس **كنيدي** نفسه (الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة) في ٢٢ نوفمبر عام١٩٦٣م.

مارتن لوثر مع مالكولم إكس

كان عاماً مفعماً بالعنف وملطخاً بالدماء بدأ باغتيال مدينة كاملة وكان على الرئيس الجديد **جونسون** أن يضمد الجراح. فسارع بالتوقيع على وثيقة إنهاء التمييز العنصري بحضور زعماء الزنوج عام ١٩٦٤م. كان هذا التوقيع مفاجأة وكان الدكتور **كنج** على رأس الحاضرين له وقد كرمه الرئيس **جونسون** بإهدائه أحد الأقلام التي تم التوقيع بها. ثم كانت المفاجأة الثانية هي فوز الدكتور **لوثر كنج** ابن الخامسة والثلاثين عاماً وقتها بجائزة نوبل للسلام.

وبعد أيام قلائل من الحصول على هذه الجائزة استأنف في مطلع العام١٩٦٥م غارات الحرية فنادى رفاقه قائلاً: (أيها الأخوة هلموا ارتدوا أحذية السير، ولنبدأ المسيرة من أجل الحرية)

وهذه المرة كان الكفاح من أجل الحصول على الحقوق الانتخابية للزنوج وخاصة سكان مدينة سيلما. ومرة أخرى كان الموت وحمامات الدم وعنف الشرطة وتهشيم أضلاع المتظاهرين. وفشلت محاولاته في تنظيم مسيرة سلمية، فوقف يقول لجماهيره بصوته الواثق الوقور: (أعلم أنكم اليوم تسألونني: كم من الوقت سيستمر ذلك؟ أريد أن أقول لكم اليوم، مهما كانت اللحظة صعبة، فإن ذلك لن يستمر طويلاً لأن الحقيقة لابد أن تنتصر. كم من الوقت سيستمر ذلك؟ أقول

وقتاً قصيراً. لأنه لن يستطيع أحد أن يزيف الحياة إلى الأبد).

ويمضي **شريف صالح** إلى القول: (كان هذا العام نذير شؤم رغم توقيع **جونسون**[1] على وثيقة الحقوق الانتخابية التي دفع الزنوج ثمناً غالياً لها في سيلما، حيث أسفرت المحصلة الأولى للصدامات عن سقوط ثلاثين قتيلا وعشرات المصابين وأربعة آلاف معتقل).

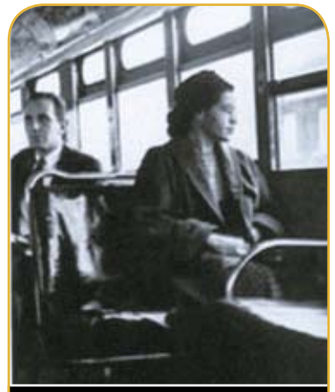
روزا جالسة في الحافلة
حيث كان يمنع جلوس السود

وفي هذا العام دفعت الولايات المتحدة بأكثر من مائة ألف من شبابها للقتال في فيتنام. وتصادم زنوج مدينة (يوتس) مع الشرطة فاحترقت المدينة بنيران الفتنة العرقية، وأزهقت بنادق الشرطة أرواح ٣٤ زنجياً. فأضرمت الحرائق في ١٥٠ حياً سكنياً، واعتقل الآلاف وهبط إلى المدينة ١٤ ألفاً من أفراد الحرس الوطني والمظليين. واضطر **جونسون** للتدخل ثانية. فقام بتشكيل لجنة من الحكماء قدرت الخسائر بأربعين مليوناً من الدولارات. وحذرت من مغبة استمرار الشرخ الذي يهدد بقاء المجتمع الأمريكي ككل.

لكن برغم التحذيرات تحولت البلاد على مدار عامين كاملين لساحة حرب وحقل ألغام للانفجارات العنصرية، وكانت أعنفها تلك التي وقعت في ألباما وتكساس والمسيسيبي وشيكاغو وديترويت وغيرها. وطلب **جونسون** من زعماء الزنوج إصدار بيان مشترك يرفض عنف الشوارع ويندد به. وانقسم الزعماء الزنوج فيما بينهم، بعضهم دعا إلى مساندة الرئيس **جونسون** والبعض الآخر إلى العنف الدموي واستخدام القوة. وكان من بين هؤلاء الأخيرين **ستوكلي كارمايكل** الذي قال قولته المشهورة: (إن حلمي الوحيد هو أن أعيش حتى أرى اليوم الذي تنهار فيه أمريكا).

روزا في مخفر الشرطة

هذه الهموم والأحزان التي حملها لوثر على كاهله جعلته يبدو كهلاً قبل الأوان وهو بعد في السادسة والثلاثين وبدا مرتبكا من الداخل. فالعنف الطائفي خرج من القمقم كالمارد ولم يعد لأحد سيطرة عليه. ورفاق الكفاح تحولوا إلى خصوم يعيبون عليه نهجه السلمي وتسامحه الزائد إزاء خصوم تحكمهم عقلية الكاوبوي ولا يعرفون منطقاً غير لغة العنف والقوة. والوطن مشدود بكل طاقته إلى حرب خارجية لا معنى لها خاصة في ظل العنف العرقي والانهيار الداخلي. كان عليه أن يضع جسده وروحه مثل قنطرة معلقة في الهواء لرأب الصدع بين الرفاق. ظل يردد (داخل الوطن يجب أن نتعلم كيف نعيش كأشقاء أو سنهلك جميعاً). وراح يُعلّم الزنوج ألا يفقدوا الثقة في الأشقاء البيض رغم كل ما حدث ويحدث. وسرعان ما اكتشف أن الجرح غائر وعميق. وبدا له أن الأمة تقترب من موتها الروحي. فأعلن موقفه الحاسم من كل ما يجري قائلاً: (ها نحن نشاهد لمرات عديدة على شاشات التلفاز كيف يقتل الشباب الأبيض والأسود. وكيف يموتون جميعاً من أجل الوطن الذي لا يستطيع أن يضعهم في مدرسة واحدة معاً).

---

١) معظم الأفروأمريكانز يعتبرون جونسون أفضل رئيس في تاريخ الولايات المتحدة حتى الآن وأنه كان الأقرب دائماً إليهم.

الوالي الذي تحدى رئيس الجمهورية الأمريكية

ولعله من المهم هنا الإشارة إلى أن حاكم ولاية ألباما (إحدى ولايات الجنوب وتعتبر من أكبر معاقل العنصرية) يعد من القلائل الذين دخلوا التاريخ واشتهروا على مستوى العالم أجمع بسبب مواقفه المتشددة بل المتطرفة ضد حركة الحقوق المدنية للسود الأمريكيين، حيث كان يجاهر بكراهيته المفرطة للسود ويؤكد في جميع خطاباته وفي كل مناسبة أنه مع الفصل العنصري بين البيض والسود، وأن هذا الفصل يجب أن يستمر للأبد. وحتى بعد إجازة قانون الحقوق المدنية للسود عام ١٩٦٤م أعلن أن هذا القانون لا يعنيه في ولايته، وأنه لن يلتزم به بل تمادى أكثر من ذلك في التحدي ورفع راية العصيان للحكومة المركزية عندما أعلن أنه لن يسمح بدخول أربع طلاب زنوج لجامعة ألباما (التي تم قبولهم بها) إلا على جثته كما قال، بل وقف شخصياً أمام مدخل الجامعة ليمنع دخولهم مما اضطر الحكومة المركزية تحت إدارة الرئيس **كنيدي** للتدخل وإرسال فرقة مظلات وقوة عسكرية ضخمة لتمكين الطلاب الزنوج الأربعة من دخول جامعتهم، وقد وقف حاكم الولاية جوج **والاس** متحدياً هذه القوة رافضاً التزحزح من مكانه إلا بعد أن اتضح له جدية الأمر، وأن هذه القوة المرسلة من قبل الرئيس **كنيدي** لديها تعليمات باستخدام القوة معه إذا لم يتراجع عن موقفه.

هذا الرجل شهدت ولايته كحاكم لولاية ألباما (١٩٦٢- ١٩٧٤م) أبشع حوادث البطش والتنكيل من شرطة الولاية بالمتظاهرين السود من طلاب المدارس والعمال في بيرمنجهام وسيلما ومونتجمري وغيرها، ولعل أهم الأحداث التي شهدتها الولاية خلال فترة حكمه هي:

١- حادثة منع الطلاب الزنوج الأربعة من دخول جامعة ألباما التي تم قبولهم بها.

٢- عمليات البطش الوحشية التي قامت بها قوات شرطة بيرمنجهام ضمن المسيرة السلمية التي نظمها وقادها الدكتور **مارتن لوثر كنج** في أعقاب إعلانه العصيان المدني واعتقاله مع المئات من أتباعه ليزج بهم في السجون في أوائل العام ١٩٦٣م.

٣- إلقاء قنبلة على كنيسة للسود راح ضحيتها أربع فتيات ثم اغتيال ستة أطفال سود في حادثة إلقاء قنبلة على مدرسة ابتدائية خاصة بالسود وقد حامت شبهات حول علاقة **جورج والاس** بهذه التفجيرات.

لوثر يتلقى أحد الأقلام التي تم التوقيع بها على قانون الحقوق المدنية
هدية من الرئيس الأمريكي جونسون

٤- هناك من يعتبر **جورج والاس** من أكبر المحرضين ضد الراهب الدكتور **لوثر كنج** من خلال اتهامه له بالعمالة لروسيا وأنه ينتمي للحزب الشيوعي وهناك من يرى أن هذا الاتهام هو السبب المباشر لاغتياله كما سنرى ضمن اعترافات القس دينتون لاحقا.

ولعل الغريب أن **جورج والاس** الذي يعتبر واحداً من أكثر الجمهوريين عنصرية، اعتقد أن باستطاعته أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة بل سعى لذلك وعندما لم ينجح في الحصول على ترشيح الحزب حاول إجراء تعديل دستوري يمكنه من البقاء حاكماً لولاية ألباما لفترة ثالثة ولما فشل في ذلك أيضا هداه تفكيره للاستعانة بزوجته لترشح نفسها حاكماً للولاية ليواصل حكمه للولاية من خلالها، إلا أن حلمه لم يتحقق إذ وافتها المنية خلال حملتها الانتخابية بسبب إصابتها بالسرطان ثم تدهورت أحوال **جورج والاس** نفسه وأصبح غير قادر على الحركة على قدميه بسبب إصابته

بطلق ناري وأمضى بقية حياته مقعداً، وقد ظهر، في الفيلم الذي صور جوانب من حياته، في أخريات أيامه نادماً على ما فعله بل ذهب إلى إحدى كنائس السود وهو على كرسي متحرك وطلب من الحضور في مشهد مؤثر أن يصفحوا عنه على ما ارتكبه في حقهم.

وإذا عُدنا لقانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤م (هذا القانون الذي غيّر وجه الحياة في أمريكا) فتكمن أهميته وفعاليته في شموليته. جاء القانون في ٢٧ صفحة وتضمن ١١ بابا، وسعى إلى إزالة آخر معاقل التمييز. وقد غطى ذلك القانون: الاقتراع والمرافق والمدارس العامة، وأنشأ لجنة حقوق مدنية لتشرف على تطبيق القوانين المدنية الأمريكية، وعالج مسائل مثل المساعدات الحكومية الأمريكية، والاستخدام وضمن حقوق المحاكمة العادلة للسود بواسطة هيئة محلفين.

مع التوقيع على هذا القانون أصبح التمييز في التسهيلات العمومية أمراً مخالفاً للقانون كما لم يعد ممكناً تخصيص أمكنة منفصلة لهم داخل تلك المرافق. ولم يعد من الممكن منع الأطفال السود وأهلهم من دخول المسابح والحدائق العامة حيث أصبح القانون يضمن لهم المساواة في الدخول والمعاملة في المرافق العمومية. كما نص بند خاص فيه على السماح لحكومة الولايات المتحدة بتقديم العون الفني والمالي لكافة المدارس التي تباشر عملية الدمج بين الأعراق ومنع التمييز.

إن نجاح السود وغيرهم اليوم يكاد يجعل من الصعب علينا أن نتذكر مدى اختلاف أمريكا منذ ٤٠ سنة وكم كانت الأمور صعبة فيها بالنسبة للسود،وكم تقدموا خلال العقود الأربعة الماضية كما أوضح ذلك هينكي حيث يقول: (من السهل علينا اليوم أن ننسى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت عام ١٩٦٤ مجتمعاً يمارس التمييز العنصري، وأن الشخص الأسود كان يحرم بانتظام من الخدمات الأساسية) [١] ويضيف **وليام روبنسون** عميد كلية كولمبيا للحقوق في واشنطن الذي كان يرأس سابقاً لجنة المحامين للحقوق المدنية طوال أكثر من عقدين من الزمن كما عمل لحساب لجنة الطلاب لتنسيق اللا عنف، وهي واحدة من أهم مجموعات الحقوق المدنية خلال الستينيات قائلاً: (إن مشكلات التمييز والظلم العنصري في مجتمعنا هي جزء من إرث يعود إلى عشرات السنين ولا يزال هناك تمييز أساسي بين المواطنين في مجتمعنا) [٢].

لم يكن باستطاعة السود أن يجربوا الملابس في محلات بيعها خلال الخمسينيات، ولم يكن السود والبيض يجلسون بجانب بعضهم على مقاعد المسارح خاصة في الجنوب. ولم يكن باستطاعة السود أن يستخدموا نفس التسهيلات المتاحة للبيض، لم يكن بإمكانهم أن يأكلوا في المطاعم أو ينزلوا في الفنادق. ولم يكن يتاح للمغنيين والفنانين السود أن ينزلوا في نفس الفنادق التي يؤدون أعمالهم فيها، وكانت حنفيات الشرب منفصلة ومكتوب عليها (للبيض فقط) أو (للملونين فقط)، وكذلك كانت غرف الاستراحات.

وفيما يلي رصد سريع لبعض الأحداث الهامة خلال تلك الفترة:

- **١٩٦٣م:** حدثت مسيرة (الزحف الكبير) أو بالأحرى (مسيرة الحرية) في ٢٨ آب ولقد جاء الناس من كل أنحاء أمريكا واتجهوا إلى واشنطن ليقفوا أمام تمثال **أبراهام لنكولن** ويقولوا له أن الزنوج الأمريكيين لم يحصلوا على حريتهم حتى الآن بعد مرور مائة عام و٢٤٠ يوما على توقيعه إعلان تحرير الرقيق. واستقبل الرئيس **كنيدي** زعماء الحركة وتبنى مطالبهم كما وقف إلى جانبه أخوه **روبرت** وزوجته جاكلين.

١) المقال بعنوان (القانون الذي غيّر أمة)، ص٢.
٢) المرجع السابق ص٣.

مسيرة الزحف الكبير

- **١٩٦٥م:** انفجار الحي الزنجي في لوس أنجلوس (حي واطس) ذلك الانفجار الذي هز الولايات المتحدة كلها.
- **١٩٦٦م:** ظهرت حركة (الفهود السود) في أوكلاند بكاليفورنيا التي أسسها طلاب الجامعة لمقاومة الشرطة وقمعها لهم، وسرعان ما أصبح لها ٣٣ فرعاً في مختلف الولايات كما تعرض قادتها لاغتيالات طالت أكثر من ٣٠ منهم.
- **مايو ١٩٦٣م:** تظاهر ٩٠٠ تلميذ أسود في برمنجهام (ألباما) فتم إيقافهم ونقلهم إلى السجن في حافلات المدرسة، وكان لوثر من بين عدة زعماء سجنوا في برمنجهام في أوائل العام ١٩٦٣م. وعندما انتقدته مجموعة من رجال الدين البيض على العنف في المدينة، راح يستخدم ورق التواليت وحواشي الصحف وأي قصاصات أوراق يحصل عليها ليكتب رسائل مفعمة بالعاطفة إلى زملائه ويهربها من السجن. وكان من كتاباته (أعتقد أنه يسهل على من لم تلسعهم أبدا إبر التمييز أن يقولوا رويدكم، تمهلوا، لكن عندما ترون الرعاع الأشرار يعدمون آباءكم وأمهاتكم ويغرقون أخواتكم وإخوانكم، وعندما تشاهدون رجال الشرطة الذين أكل الحقد والكراهية صدورهم يشتمون ويرفسون ويضربون، لا بل حتى يقتلون إخوتكم من السود. وعندما تواجهون الإذلال يومياً بقراءة لافتات (للبيض فقط) أو (للسود فقط) وعندما يصبح اسمك (زنجي) أو (عبد) أو (وصيف) واسم أبيك (ولد) أو (صبي) مهما كانت سنه، وعندما لا يخاطب أحد أمك أو زوجتك بلقب (سيدتي)، وعندما تعيش ليلا ونهارا في كابوس أنك (زنجي)، ملتزماً دائماً الحذر ولا تعرف ما الذي سيحل بك لاحقا، وتخاف في داخلك وتحقد خارجيا، وعندما تحارب دائما شعورا يخامرك في داخلك بأنك (لا شيء). عندها ستفهمون لماذا يصعب علينا الانتظار).

يصف **فارمر** المدير السابق لكونجرس المساواة العرقية ما حدث قائلاً: (بعد مظاهرات بيرمنجهام شاهد ملايين الأمريكيين أهوال التعصب الأعمى. شاهدوا كلاب رئيس شرطة بيرمنهجهام **بول كونور** تنقض على أطفال المدارس فتمزق الثياب واللحم رأوا خراطيم سيارات الإطفاء المضغوطة ضغطا شديدا توجه إلى جموع المتظاهرين، والنساء المرتديات للتنانير يتدحرجن في الشوارع من قوة ضغط المياه، شاهدوا رجال الشرطة يضربون الناس بالهراوات جلس الأمريكيون في صالاتهم وشرفاتهم يشاهدون هذه المذابح عيانا أو عبر أجهزة التلفاز، أظهرت استطلاعات الرأي أن الميزان يميل لصالحنا) [١].

- **١٩٦٧م:** حدثت ٨٨ (فتنة عنصرية) استخدمت فيها فرقة مظلات عسكرية أمريكية لتهدئة الأوضاع في ديترويت وبيرمنجهام (ألباما) التي جعلها حاكمها **جورج والاس** محرقة للسود.
- **١٩٦٩-١٩٧٠م:** شملت عمليات السود ١٩٠ مدينة واستخدمت في قمعها الدبابات وطائرات الهليكوبتر والسيارات المصفحة، وكانت أكثرها ضراوة ووحشية المصادمات التي وقعت في سيلما وبيرمنجهام.
- **١٩٦٨م:** حاول الرئيس **ليندون جونسون** تهدئة الموقف المتفجر في المدن الأمريكية فأعلن تخصيص خمسة مليارات

١) المقال بعنوان (القانون الذي غير أمة) بقلم جاني ثورونتون هينكي، ص٤.

دولار من أجل توفير السكن للعائلات الفقيرة، ووافق مجلس الشيوخ بتاريخ ١١ آذار- مارس ١٩٦٨ على ملحق قانون الحقوق المدنية إلا أن العديد من القرارات الخاصة بتخفيف البطالة والعوز والتمييز ضد السود بقيت دون تنفيذ، وأقدمت جهات متصلة بمكتب التحقيقات الفدرالي (مباحث أمن الدولة أو الـ FBI) على تنفيذ خطة (كوانتلبرو) المعادية للسود. بدأت الخطة باغتيال **كنج** بعد قيامه بقيادة تظاهرات شعبية الأمر الذي أدى إلى نشوب الاضطرابات والعنف في أكثر من ١٢٠ مدينة. وقد تبين فيما بعد من وثائق أمريكية رسمية أن مباحث الدولة حاولت تشويه سمعة قادة السود بل شاركت في التخلص من كنغ و**مالكولم إكس** و**ألفريد هامبثون** بغية منع ظهور قائد جماهيري يستطيع تعبئة السود وقيادتهم في نضالهم من أجل حقوقهم المشروعة. وبعد مقتل **كنج** ركزت المباحث جهودها في محاربة حزب الفهود السوداء وقتلت العديد من قادته واستنزفت آخرين بقضايا ملفقة وشردت الباقين. ومع مجيء الرئيس **نيكسون** إلى سدة الرئاسة (١٩٦٨-١٩٧٤م) كسبت السياسة العنصرية ضد السود نصيرا جديدا في البيت الأبيض[١].

- **١٩٧٢م:** ارتفع عدد أعضاء الكونغرس من السود إلى ١٦ عضواً وازداد عدد رؤساء البلديات منهم وتم التقارب بين القوة السوداء وحركة الحقوق المدنية، وأفرزت التطورات قيادات جديدة بعد أن شتت مكتب التحقيقات الفدرالية شمل القيادات القديمة كالخلية السوداء (أعضاء الكونجرس السود) ورؤساء البلديات السود أمثال القس **رالف أبرناتي** و**جيسي جاكسون** و**جوليان بوند** وغيرهم[٢].

وإذا عدنا للوراء قليلاً وعلى المستوى السياسي (الرسمي) فقد خسر لوثر الكثير بمعارضته الشديدة لحرب فيتنام. وبدت المبادئ السياسية المعتدلة) التي كافح من أجلها عشر سنوات متصلة) هزيلة وبعيدة المنال في واقع دموي عنيف يفتقد إلى أبسط قواعد العقل والحق والمنطق. ووضح له يوما بعد يوم أن ما ظل يدافع عنه لا يمكن أن يتحقق. ومع ذلك حرص لوثر على إظهار التفاؤل في خطبه، واستمر يجوب البلاد من أولها إلى آخرها يدعو ويروج لحلمه النبيل وكانت آخر مسيراته في مدينة ممفيس للتضامن مع عمال النظافة من أجل رفع مرتباتهم.

وانضم عشرات المراهقين والصبية إلى المسيرة السلمية فأفسدوها بأعمالهم الطائشة، وأعلن لوثر بأسى واضح أنه لا يحتمل العنف الطائش، ولو كان يعلم بأن عنفا سيحدث لألغى المسيرة. ثم غادر المدينة لعدة أيام وعاد في الثالث من أبريل لاستكمال المهمة. وقف يقول: (ها أنا قد وصلت إلى ممفيس. لقد قيل أنهم يريدون قتلي. ماذا في ذلك؟ لا أعرف ما الذي يمكن أن يحدث).

وبالفعل كان ما حدث شيئا مذهلا خاصة بعد أن كادت الحرب العنصرية أن تهدأ وتضع أوزارها في العديد من الولايات. كان لوثر معتاداً أن يقيم في أحياء وفنادق الزنوج. وفي اليوم التالي لوصوله وبينما كان يخرج من غرفته - رقم ٨٦ - بفندق لوراين، انطلق عيار ناري واجتاحت رصاصة غدر عنقه فاستلقى على ظهره كأنه يستريح من مشوار طويل، وفاضت روحه الطاهرة. فر القاتل الأبيض ويدعى **جيمس راي** قبل أن تلحق به غضبة الزنوج. كان الغضب أعمى والاحتجاج عارماً. طقطقت كاميرات التصوير واندفع ملايين المحبين للشوارع تعبيراً عن الغضب والاستنكار، وشمت البعض في الرجل الذي كان يأمرهم بأن يديروا خدهم الأيسر للبيض فكان جزاؤه أن قتلوه. خمسة أيام كاملة ما بين لحظة الاغتيال ومواراة الجثمان الثرى عاشت الولايات كلها كارثة حداد رهيبة وأصيب البيت الأبيض بالهلع من ردة

١) كتاب (قضية الزنوج الأمريكيين والتمييز العنصري) للدكتور صالح زهر الدين - الناشر المركز الثقافي اللبناني، ص٦٤.
٢) المقال بعنوان (القانون الذي غير أمة) بقلم جاني ثورونتون هينكي.

الفعل المحتملة. وبدا للزنوج أن الوطن يشبه زوجة أب شريرة. سارع **جونسون** لإعلان الحداد الوطني واستدعاء القوات النظامية والاحتياطية إلى العاصمة ونصبت المدافع حول الكونجرس. انفجرت الحرائق والفوضى وأعمدة الدخان في الشوارع وأحياء الزنوج الفقيرة. مائة مدينة أمريكية شاركت في أعنف قصيدة رثاء بينما كان جسد **مارتن لوثر** (بشير اللا عنف) مسجى يشهد على أن ما ناضل من أجله طيلة العمر لم يتحقق بعد. وصل الجثمان إلى مسقط رأسه بأطلانطا في جنازة مهيبة بحضور **جاكلين كنيدي**، أرملة الرئيس الراحل **جون كنيدي**، وشقيقه **روبرت** ومرشحي الرئاسة **رتشارد نيكسون** و**روكفلر** و**ماكارثي**. ووسط الصمت المهيب أدار شقيق لوثر جهاز تسجيل سجل فيه الراحل ما يشبه الوصية. وأطرق الناس وأجهشوا بالبكاء وهم يسمعون صوته الحزين يقول: (من وقت لآخر أفكر في موتي وفى جنازتي. وأنا أسأل نفسي من حين لآخر: ما الذي أريد أن يقال عندئذ. وإني أريد الآن أن أترك لكم كلمتي. لو أن شخصاً ما منكم كان بجانبي وقت لقائي ساعتي الأخيرة فليعلم أني لا أريد جنازات طويلة. ولو وجدتم من يريد أن يتكلم فوق تابوتي فقولوا له ألا يطيل. قولوا له ألا يذكر بأني حصلت على جائزة نوبل للسلام، فهذا غير مهم. قولوا له ألا يذكر أنني حصلت على ثلاثمائة أو أربعمائة وسام فهذا غير مهم. أريد أن يتذكر شخص ما في ذلك اليوم أن **مارتن لوثر** حاول أن يكرس حياته لخدمة الآخرين).

الدكتور مارتن لوثر كنج

كان خطابه الأخير مؤثراً وكأنه يرثي به نفسه في حضور الآلاف من المحلقين بالجسد المسجى في نظرة وداع أخيرة جرياً على التقليد الغربي. طوال ثلاثمائة وخمسين عاماً من التاريخ الحزين لزنوج أمريكا لم يحتف بوداع زنجي بهذه المهابة. والجميع يقرأ في صمت بليغ ما أوصى بكتابته على شاهد قبره: (ها أنا حر أخيراً، الحمد لله القدير، ها أنا حر أخيراً).

ولقد كنت أيضا شاهدا على تلك الواقعة وعشت لحظاتها الأليمة وأنا أتساءل في حزن أليم (لماذا يقتل الأحرار في هذا البلد الكبير دون ذنب جنوه وهم في عز شبابهم؟؟ لماذا. ومن أجل ماذا؟؟؟).

وهكذا مضى رسول السلام ولما يبلغ التاسعة والثلاثين. مضى **مارتن لوثر** وطوي ملف قضيته حوالي ثلاثة وثلاثين عاماً إلى أن جاء يوم السادس من أبريل عام٢٠٠٢م، عندما نشرت صحيفة نيويورك تايمز اعترافات لقس بروتستانتي صرح فيها بأن والده الذي توفي منذ بضع سنوات هو الذي قتل **مارتن لوثر** منذ ٣٤ عاما وليس **جيمس إيرل راي**!

وأضاف القس **رونالد دينتون ويلسون** (٦١ عاماً) الذي يعيش في فلوريدا أن والده كان الفاعل الرئيسي حيث كان زعيماً لمجموعة من ثلاثة أشخاص قتلت بالرصاص رمز النضال للسود المسالمين في الستينات[١].

وأكد دينتون أن والده **هنري كلاي ويلسون** الذي توفي سنة١٩٩٠م كان في مدينة ممفيس بولاية تنيسي في الرابع من أبريل ١٩٦٨م عندما قتل **مارتن لوثر**. وأوضح أن الأمر لم يكن يتعلق بنزعة عنصرية بل كان والده يعتقد أن الدكتور لوثر على صلة بالشيوعيين فأراد تخليص البلاد منه. وكان يردد أن هذا واجب وطني يجب القيام به وأن عليه أن ينقذ البلاد. إلا أن دينتون- وحسب الصحيفة- لم يقدم أدلة تعزز ادعاءاته التي لقيت في المقابل اهتماماً من مكتب التحقيقات

١) المقال بجريدة الخرطوم- عدد ٧ أبريل ٢٠٠٢م نقلاً عن نيويورك تايمز.

الفدرالي الذي لم يكن قد أنهى بعد تحقيقه في هذه القضية.

وقد أطلع مقاول السباكة **هنري كلاي** ابنه على خطته قبل عام من تنفيذها. وقال الابن: إنه حضر أيضاً اجتماعات مع الشريكين الآخرين واعترف بأن **جيمس راي** كان من معارف والده وأنه راح ضحية مؤامرة. وكان راي اعترف بذنبه في اغتيال **مارتن لوثر** قبل أن يتراجع عن أقواله. وعموما فقد حكم عليه بالسجن ٩٩ عاماً وتوفي بسجنه نتيجة إصابته بمرض في الكبد عام ١٩٩٨م.

وفي إطار دفاعه عن نفسه أوضح القس دينتون أنه قرر عدم إبلاغ السلطات بما يعلمه لأنه أقسم لوالده على عدم البوح، ولأنه لم يشأ أيضاً فضح والده موضحاً أنه بعد وفاة والده أراد التحرر من هذا الحمل الثقيل لاسيما وأن جميع الأشخاص المتورطين أصبحوا في عداد الموتى !

ومهما يكن فإنه وفي أعقاب اغتيال الراهب الثائر اندلعت ثورة زنجية شملت ١٥٣ مدينة أمريكية استمرت أسبوعاً كاملاً واستخدمت الحكومة أكثر من ١٠٠ ألف شرطي وتم اعتقال ٢٧ ألف شخص فيما قتل ٤٣ وجرح حوالي ٤ آلاف آخرين. ولقد أجبرت هذه الموجة المشرعين الأمريكيين على تبني قانون الحقوق المدنية الملحق في العام ١٩٦٨م الذي ألغى التمييز العنصري في البيع والشراء وإيجار المساكن.

يقول الكاتب **إريك جي ساندكويست** مؤلف كتاب (حلم كنغ): (جاء **مارتن لوثر كنغ** في عصر الأخبار التليفزيونية، وأدرك مع الرئيس **كنيدي** الأهمية السياسية للإعلام، واستفاد من ذلك إلى أقصى درجة، ذلك لأن قوة الحلم تحتاج لقوة صور التليفزيون مثل كلاب شرطة ألباما وهي تهاجم تظاهرات الحقوق المدنية السلمية ؛ لكي تهز مشاعر الرأي العام وخاصة الذين يقفون خلف هذه التظاهرات)[١].

١) المقال بعنوان (مسيرة الحلم الأسود) جريدة الشرق الأوسط، المنتدى الثقافي، الخميس ٢٠٠٩/١٢/٢م، ص ١٦.

الباب السادس

الإمام وارث الدين محمد

(١٩٣٣ - ٢٠٠٨م)

الإمام وارث الدين محمد (١٩٣٣- ٢٠٠٨م)

ولد **وارث الدين** وهو الابن الرابع **لإليجا محمد** بديترويت (متشجان) في٣٠ أكتوبر ١٩٣٣م، وحيث صدق توقع فارد ل**إليجا** بأنه سيرزق ولدا يكون له شأن فقد اختار له والده اسم **والاس محمد** تيمناً بالمؤسس **والاس فارد**[١]. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بجامعة الإسلام [٢] قبل أن يلتحق بكلية ويلسون ولوب الإعدادية في شيكاغو أيضا ثم أمضى أربع سنوات في دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية تحت إشراف الأستاذ **جميل دياب** بجامعة الإسلام في شيكاغو إلا أنه لم يحصل على درجة جامعية. وفي العام ١٩٦٧م أدى **وارث الدين** فريضة الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة لأول مرة كما أدى العمرة مرتين خلال عقد السبعينات.

كان أول منصب رسمي يشغله **وارث الدين** في حركة أمة الإسلام هو منصب الوزير (أو الأمير) لمعبد فلادلفيا حيث احتفظ بهذا المنصب لمدة ثلاث سنوات فقط من١٩٥٨م وحتى١٩٦١م، وفي العام١٩٦٢م تعرض للطرد من الحركة وفقد بذلك منصبه كوزير إلى أن حصل على العفو في ١٩٦٥م كما ورد سابقاً إلا أنه تعرض للطرد مرة ثانية في نفس العام ١٩٦٥م. وخلال فترة العزل والتجريد من المناصب الرسمية لم يكن مسموحاً له الاتصال أو التعامل أو حتى التحدث مع أي فرد من أفراد الأسرة (أسرة **إليجا**).

كانت تلك واحدة من أقسى الفترات والتجارب التي عاشها في حياته لكن **وارث الدين** لم يركن لليأس والاستسلام فقد اشترى محلاً لبيع الكتب والمجلات، وأنشأ رابطة لطلاب العلم والمعرفة أطلق عليها اسم (جمعية الرفعة The Upliftment Society).

وفي العام ١٩٦٩م عاد وارث عضواً عاملاً بالحركة لكنه لم يستعد منصبه الوزاري إلا في العام ١٩٧٤م عندما تم تعيينه وزيراً لمعبد الحركة في شيكاغو كما أعطيت له كامل الحرية في التصرف والدعوة بالصورة التي يراها مناسبة.

وفي عقد السبعينات واصلت حركة أمة الإسلام ازدهارها برغم الإخفاقات والانتكاسات التي حلت بها في أعقاب انفصال **مالكولم إكس** واستشهاده. وبرغم الصراعات الداخلية والانقسام في الأسرة الحاكمة والتدهور المستمر في صحة **إليجا**. فخلال هذا العقد ارتفع عدد أعضاء الحركة إلى حوالي المليون، العاملون منهم أكثر من ٢٥٠,٠٠٠ عضو[٣].

لقد ظل **وارث الدين** وعلى مدى أكثر من ١٤ عاماً على خلاف فكري مع والده إلى أن اقتنع **إليجا** في وقت متأخر جداً بأن النموذج الذي يدعو له **وارث الدين** هو النهج الصحيح للإسلام. وقد استمر **وارث الدين** يدعو ويروج له بعزيمة ومثابرة تستحقان الإعجاب فعلاً، غير عابيء بما لقيه من المشاق والعزل والطرد والمقاطعة حتى من أقرب الأقربين.

وفي ٢٩ يناير ١٩٧٥م تم إدخال **إليجا** مستشفى الرحمة بشيكاغو (Chicago Mercy Hospital) لإجراء بعض الفحوصات الطبية. وفي الثامن من فبراير من نفس العام تعرض لنوبة قلبية حادة استدعت الإسراع بنقله إلى المستشفى حيث تم إدخاله غرفة العناية المركزة، وفي الثامنة وعشرة دقائق من صباح يوم ٢٥ فبراير ١٩٧٥م أعلن طبيبه الخاص (الدكتور **تشارلز ويليام**) وفاة **إليجا محمد**[٤].

نزل هذا الخبر على أتباعه كالصاعقة إذ كان كثيرون منهم يظنون أن (نبيهم) **إليجا** لن يموت كأي بشر عادي.

١) كتاب (From Black Muslims to Muslims) ـ كليفتون مارش، ص ٩١.

٢) معروف أن كلمة (جامعة) في بعض دول الأقليات الإسلامية وحتى في عدد من الدول الإسلامية ـ وخاصة في منطقة جنوب قارة آسيا، كبنغلادش وباكستان ـ تطلق على أية مؤسسة تعليمية حتى ولو كانت للمرحلة الابتدائية فقط.

٣) كتاب (From Black Muslims to Muslims) لكليفتون مارش، ص ٩٠.

٤) قد تكون وفاة إليجا الحقيقية حدثت قبل هذا اليوم لكنهم أخفوها لتهيئة الأجواء من ناحية ولكي ترتبط عند العامة باليوم المقدس عندهم وهو ٢٦ فبراير من ناحية أخري وهذا اجتهاد والله أعلم بحقيقة الأمر.

أفراد الأسرة والمشيعيون يلقون النظرة الأخيرة على جثمان إليجا محمد ويظهر وارث الدين وأشقاؤه إيمانويل وأكبر وهربرت (جابر) وولده سلطان

وفي ٢٦ فبراير ١٩٧٥م وخلال الاحتفال السنوي بذكرى يوم المنقذ أعلن السكرتير الوطني لحركة أمة الإسلام ـ السيد **عباس رسول** ـ أمام حشد قوامه حوالي ٢٠,٠٠٠ من أعضاء الحركة وأصدقائها أعلن رسمياً اختيار وتنصيب **وارث الدين محمد** زعيماً للحركة خلفاً لوالده كما تمت مراسم تشييع جثمان **إليجا** إلى مثواه الأخير. ولعله من غرائب الصدف أن **مالكولم إكس** تم اغتياله بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٦٥م ليتم تشييع جثمانه خلال الاحتفال السنوي للحركة في ٢٦ فبراير ١٩٦٥م. بعدها وبعشرة سنوات بالضبط يتم تشييع **إليجا** أيضا ضمن فعاليات احتفالات الحركة بنفس المناسبة وفي نفس الموقع.

ومعروف أن **وارث الدين** كان هو الابن الوحيد ل**إليجا** الذي كان ميلاده خلال فترة زعامة **والاس فارد** للحركة وإن لم يكن هو أكبر الأبناء سناً كما ذكرنا. يقول **وارث الدين**: (تم اختياري لأنهم كانوا يبحثون عن شخص ارتبطت ولادته ببشارة ومعجزة كما هو الحال بالنسبة للسيد المسيح عليه السلام). وبوفاة **إليجا** وجد **وارث الدين** الحرية الكاملة والفرصة التي طال انتظاره لها لإعادة صياغة وتشكيل الحركة والسير بها على النهج الإسلامي القويم.

كريم عبدالجبار

وجاء فجر جديد

في السادس والعشرين من شهر شباط (فبراير١٩٧٥م) انتهى ليل طويل دامس أناخ بظلامه أكثر من أربعين عاماً وطلع فجر جديد، سرعان ما نشر النور وبسط أشعته النورانية البيضاء ليضيء حبات القلوب يتلألأ في تلك الجباه ليعيد ارتباطها بالسماء بعدما أخلدت إلى الأرض ردحاً تنتظر منها النور ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[١]. انتهى ذلك الليل الطويل الحالك السواد في ذلك اليوم وأسدل الستار على نهاية المسرحية التي قام بدور البطولة فيها **إليجا محمد** الذي قبض على زمام المنظمة بيد من حديد وأدارها بحنكة وتجبر بل وقف بالمرصاد لكل من أراد أن ينافسه الزعامة أو يشاطره النبوة المزيفة أو يعيد الحركة إلى حظيرة الحنيفية السمحاء. كان زعيماً بكل ما تحمل الكلمة من معنى وكان قائداً على أرفع مستوى وديكتاتورا (مغلفاً) لا يقل ديكتاتورية عن أي طاغية عرفه التاريخ.

وهناك من يؤكد أنه قتل (فارد) ثم ألّهه ليخفي معالم الجريمة، وأوعز بقتل **مالكولم إكس** لكنه عفا على معالم ثبوت التهمة برغم وضوحها. قتل من شاء من أعضاء جمعية المسلمين (السنيين) الذين حاولوا ـ بطريق أو بآخر ـ أن يعرّوه للعالم ويظهروا حقيقته أمام الناس. وقذف في قلوبهم الرعب حتى أن **كريم عبد الجبار** نجم كرة السلة المعروف في وقت من الأوقات ألغى كل ارتباطاته ومبارياته في كرة السلة التي كان من أبرز نجومها وآثر أن يبقى في داره خوفاً على حياته لأنه كان من

١) سورة النور: ٤٠.

(الحنيفيين).

كان **إليجا** زعيماً ظالما جبارا لكنها الزعامة التي تجر إلى الوراء ولا تدفع للأمام. كان قائدا فذا كأندر ما يكون القادة لكنها قيادة لا تسوق إلى منابع النور بل (تجر) إلى غياهب الظلام. وكان ناجحاً في معظم خطواته لكنه نجاح إبليس في الضلالة والإغواء.

نعم، فبعد لأي من الزمان ويأس تنفس صبح ذلك اليوم الأغر في تاريخ الحركة بل في تاريخ الدعوة في العصر الحديث. ظهرت الشمس وكأنما اختارت مطلعاً لها جبين **وارث الدين** الذي خلف والده **إليجا** بول في زعامة هذه الحركة الشديدة البأس العتيدة المكانة التي اكتمل لها كل شيء ولم تكن تفتقر إلا لمن يأخذ بيدها إلى مشارف النور. النور الذي يجذب بصرها وأنظارها إلى السماء بدلاً عن هذا الظلام الذي (يكبكب) وجهها إلى الأرض. وكانت ثمة سلسلة من الخوارق بداية من أمر الخلافة أولاً وقبل كل شيء. فلم يكن الطريق إليها ممهدا أمام **وارث الدين** بل كان مبطنا بالألغام والمتفجرات فهو:

أولا: قد انشق عن والده وأعلن انسحابه من المنظمة واعتنق الإسلام الصحيح الذي كان والده يطمس معالمه ويشوه وجهه. وهو لم يعد إلى حظيرة المنظمة إلا قبل خمسة أشهر فقط من وفاة والده. هذا فضلاً عن أنه الولد الرابع لـ**إليجا** وهناك من إخوته من هو أكبر منه سناً وأحق بالخلافة من وجهة نظر العرف وللعرف وزنه وأحكامه كما يقولون.

ثانياً: كانت إدارة هذه المنظمة مما يسيل له اللعاب إذ كانت القيمة الإجمالية لأصول الحركة وممتلكاتها عند وفاة **إليجا** تقدر بأكثر من خمسة وسبعين مليوناً من الدولارات الأمريكية. وكان عدد أعضائها يربو على المليون موزعين في جميع الولايات والأقاليم بالقارة الأمريكية.

وعن وزنها الاقتصادي فحدث ولا حرج، فهي تملك مزارع واسعة ومصانع للألبان ومخازن للحبوب ومزارع للدواجن التي تنتج ما يقدر بأربعين ألف بيضة في اليوم إلى غير ذلك مما يضفي على منصب الزعامة لها مزيداً من البريق والجاذبية حتى لمن لا ينتمون إلى الأسرة الأليجية بصلة الدم أو الرحم.

وكما ذكرت في صفحات سابقة فقد حملت أم **وارث الدين** به في حياة **والاس فارد** المؤسس الأول للحركة وكتب فارد على باب منزل **إليجا** كلمة **والاس** (Wallace) كبشارة بأن الأم الحبلى ستضع مولوداً ذكراً. وسوف يسمّى على اسمه **والاس** بل إن فارد أخبر **إليجا** أن ابنه - الذي كان لا يزال جنينا في بطن أمه - سيخلفه في قيادة المنظمة بعد موته. وكان لهذه البشارة وتحقيقها أثر كبير في تذليل العقبات أمام **وارث الدين** ليعتلي عرش المنظمة بعد وفاة أبيه.

وبسبب بشارة فارد هذه فقد أولاه أبوه عناية خاصة وربّاه تربية تؤهله لأن يكون الخليفة من بعده. يقول **وارث الدين**: (بسبب تلك الكلمات المقدسة - يعنى نبوءة فارد - وهذا ينطبق على كل أبناء الزعماء الروحيين الذين اختيروا ليلعبوا أدوارا هامة ويتحملوا مسئوليات كبيرة، ليس لأنهم ارتبطوا بولادة مقدسة، لكن لأنهم وجدوا أشخاصاً أكفاء يهتمون بتربيتهم وتطورهم الديني والروحي بصفة خاصة).

وارث الدين ضيفاً على الشيخ كفتارو - يرحمه الله -

وخلال حياة **إليجا** كان **وارث الدين** هو المرجع دائماً لكل من أشكلت عليه مسألة أو احتاج لفتوى خاصة وأن الاتصال المباشر بوالده لم يكن سهلا. ولعله مما يجدر بالذكر أيضا أن والده اهتم بتعليمه اللغة العربية والقرآن الكريم بعد أن أكمل تعليمه حتى المرحلة الثانوية بالمدارس التابعة للمنظمة[١]. ثم أرسله إلى سوريا في أواخر الخمسينات لتلقي المزيد من العلوم الشرعية على يد الشيخ **أحمد كفتارو** مفتي سوريا (رحمه الله) ومؤسس مجمّع أبي النور في دمشق.

ولعل مما سهّل على **وارث الدين** تخطي عقبات الخلافة أن والده كان قد عينه وزيراً لمعبد شيكاغو وهو المنصب الذي ظل **إليجا** يشغله بنفسه. هذا التعيين في حد ذاته حمل دلالة واضحة على أنه ترشيح وإعداد له للخلافة. وإن كان **إليجا** لم يعلن أو يصرّح علنا بتنصيب **وارث الدين** خليفة له فقد كان الدافع لذلك الخوف عليه من التعرض للاغتيال.

وكان من حسن الطالع بالنسبة لوراث الدين أن الخلافة وبحسب أنظمة الحركة محسومة ومحصورة في أبناء **إليجا محمد** دون غيرهم من أقطاب الحركة ووزرائها، وليس بين أبناء **إليجا** من يضارع **وارث الدين** علماً وثقافة أو حنكة وخبرة. ومعروف أيضاً أن وارث كان هو المرجع بالنسبة للأعضاء في حالات غياب **إليجا** ومرضه أو سفره.

يقول عنه أحد إخوته واسمه(ثاتيل) في مقال له نشر بإحدى الصحف: (إننا ننظر إلى **والاس** على أنه متفوق في معلوماته على بقية الوزراء وأنه الأصلح للأخذ بيد أفراد المنظمة إلى ما هو أعمق في تعاليم **إليجا محمد**)[٢]. ولكل هذه الأسباب مجتمعة استطاع **وارث الدين** أن يصبح خليفة لوالده وأن تمر عملية تخليفه بسلام حتى أن **لويس فراخان** - الرجل الثاني في الحركة وقتها - أيد تنصيب **وارث الدين** زعيما روحيا للحركة في أول الأمر ولم يبد اعتراضا عليه.

وارث الدين مع الشيخ أحمد كفتارو مفتي عموم الديار السورية سابقاً خلال احتفال رسمي في دمشق

ولاشك أن اختيار **وارث الدين** للقيادة كان فاتحة خير وبداية عهد جديد إذ اعترف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بإسلامية المنظمة التي يتزعمها الأمر الذي كان مستحيلا في حالة انتخاب خليفة آخر يختار السير بها على خطى **إليجا** المخالفة للإسلام تمام المخالفة.

لقد استفاد **وارث الدين** من الفترة التي أمضاها بالسجن[٣]. حيث ذكر أنه كان يعمل - خلال فترة وجوده بالسجن - على التزود بالعلوم والثقافة الإسلامية مع الاهتمام بصفة خاصة بدراسة القرآن الكريم. ومما قوى إيمانه بالقرآن الكريم دراسته أيضا للكتاب المقدس. ومن خلال المقارنة ما بين القرآن الكريم والإنجيل تبين له الفارق الضخم بين هذين الكتابين وبضدها تتميز الأشياء.

يقول **وارث الدين**: (كنت أدرس وأبحث في أشياء كنت أعلم أنها مخالفة لما كان يتعلمه الأتباع عن **إليجا**. وبسبب تباين وجهات النظر في العديد من المسائل الجوهرية في العقيدة الإسلامية تعرضت للطرد من الحركة والعزل من المناصب القيادية والوزارية ثلاث أو أربع مرات)[٤].

---

١) كتاب (منظمة الأليجا محمد الأمريكية) للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، ص ١٤٧.

٢) المرجع السابق، ص١٥٠.

٣) كما ورد في جزء سابق فقد دخل وارث الدين السجن بسبب رفضه أداء الخدمة الوطنية الإلزامية عندما طلب منه التوجه للعمل بإحدى المستشفيات.

٤) كتاب (From Black Muslims To Muslims) ، ص ١١٣- ١١٤.

ولينصرن الله من نصره:

نعم لقد حدثت المعجزة ونصر الله عبده **وارث الدين** فتم اختياره خليفة لوالده بطريقة تلقائية كذبت كل التوقعات وأدهشت العقول فكيف يمكن لمنظمة عنصرية أن تغير قيادتها دون أن تقع أحداث شغب وأعمال عنف؟ وهل يمكن لرأسمال يقدر بحوالي ثمانين مليوناً من الدولارات أن ينتقل إلى يد أخرى بمثل هذه السهولة لو لم تكن هذه اليد محل الثقة الكاملة والاحترام؟

هل؟. وهل؟.

لكنه حدث لأن الله ﷻ أراد ذلك: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[١].

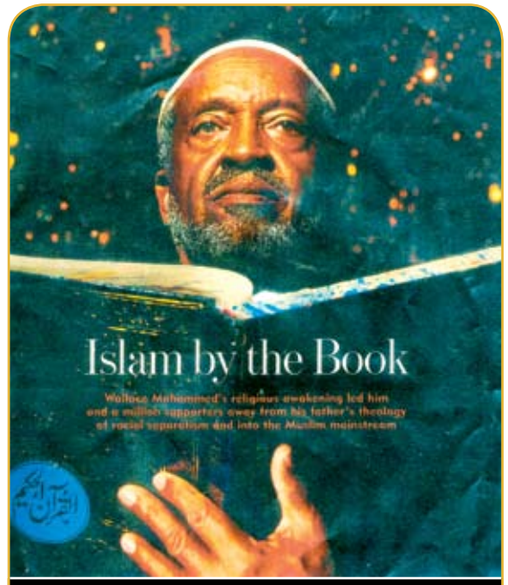

الإمام وارث الدين محمد

صحيح أن تلك كانت معجزة. معجزة بالمعنى اللغوي. لا الاصطلاحي، لكنها أول الغيث وكان لابد من معجزة بل ربما معجزات أخرى حتى تتكامل الثورة التصحيحية.

فحين انتخب **وارث الدين** كان في وضع لا يحسد عليه، لأن الخليفة ينبغي أن يسير. ولو في الجملة أو حتى لبعض الوقت. على خطوات من سبقه فهل كان الإمام **وارث الدين** يستطيع السير على خطى ونهج والده؟

لقد خلّف **إليجا** تركة مثقلة من المبادئ والتعاليم والأيديولوجيات المتضاربة، كما ترك أيضا وراءه كماً من الخرافات والتحريفات. خرافات ظل يتعهدها ويرعاها ويغذيها على مدى ما يزيد على أربعين عاماً حتى نمت وترعرعت واستفحلت فأصبحت كأنها جزء لا يتجزأ من تركيبة كل عضو في المنظمة ومن حياته. والإمام **وارث الدين** على العكس من ذلك وعلى طول الخط حيث بدأت مشكلته العقائدية مع والده منذ وقت مبكر. وبقي بعيدا عن والده برغم ما كان يربط بينهما من حب ثم عاد إليه بجسمه فقط، قبيل وفاته بخمسة أشهر.

كانت عودته. كما يقول المقربون منه. بأمل القيام بعملية إصلاح من الداخل عندما تأكد له أن الإصلاح من الخارج أمر مستحيل كما ثبت ذلك من خلال التجربة التي قادها صديقه ورفيق دربه **مالكولم إكس**.

يقول (B.M.Gans) وزميله (W. I. Lowe) عن اغتيال **مالكولم**: (إنها النهاية المحتومة لكل من تسول له نفسه أن يشكل تهديدا لسلطة **إليجا** الروحية). فكان من الحكمة والعقل أن ينضم **وارث الدين** إلى حظيرة والده وإلا فلا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى. وهاهو الآن وبعد خمسة أشهر فقط من عودته إلى والده يجد بين يديه التركة المثقلة التي طالما تمنى أن يلقي عليها بثقله كله فيجعلها قاعاً صفصفاً كأن لم تغن بالأمس، لكن أنّى له ذلك وهو لم يرشح لخلافة ولم يتم انتخابه إلا على أساس أنه أقدر القادة وأعظمهم كفاءة في الحفاظ على مبادئ والده والدفاع عن موروثات الحركة والعمل على نشرها؟ ألم يقل أخوه **ثاتيل** إن **وارث الدين** متفوق في معلوماته على بقية الوزراء وإنه الأقدر على الأخذ بيد أفراد المنظمة إلى ما هو أعمق في تعاليم **إليجا محمد**[٢]. إذا فالمطلوب والمتوقع من أي خليفة أن يسير على نفس الخطى

---

١) سورة يس: ٨٢.

٢) كتاب (منظمة الأليجا محمد الأمريكية) للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، ص ١٤٠.١٤١.

التي سار عليها **إليجا**. بل المطلوب منه أكثر من ذلك أن يعمقها ويعمل على نشرها.

فماذا يفعل **وارث الدين** والحال كذلك؟

إنه يعلم تمام العلم أن خطى والده كانت خطى شيطانية وأن تعاليمه كانت تعاليم ضالة. وهو يريد أن يخطو الخطى الربانية على هدي من السيرة النبوية الشريفة. لكن كيف يعمق تعاليم والده وقد كانت باطلا؟ وكيف يعمل على نشرها وهو يعلم أنها تدعو للضلال والظلام؟ ولعمري فقد وجد الإمام **وارث الدين** نفسه في موقف لا يحسد عليه لولا أن أيده الله ﷻ ﴿والله يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾[١].

ومما زاد الطين بلة أن وارث أخذ على نفسه عهداً أمام الأعضاء بالسير على نهج والده وعلى هدي من تعاليمه فما العمل وهو الذي قال: (إن عملي الحقيقي داخل المنظمة ومسئولياتي وواجباتي هي ما كانت قبل ذلك، وقبل مجيئي إلى هذا المنصب. وأن البرامج والسياسة التي سأسير عليها ستكون كما كانت أيام **إليجا** الذي غاب عنا جسداً لا روحاً. الخ)[٢].

صحيح أنه أبدى بعض التحفظ ولكن تحفظاته لم تكن تعني أنه سيذهب إلى النقيض من رسالة والده. فأنت تراه في هذا التحفظ أخذ بالشمال ما أعطى باليمين. ذلك أن (الله) عند هؤلاء تعني (فارد) (تعالى الله عن ذلك). وقوله (كما كان **إليجا**) يزيد الأتباع طمأنينة فمهما وجهه الله. المتمثل في فارد (في اعتقادهم) فإنه لن يخرجه عن الخط الذي رسمه. ذلك لأن الله. أيا كان مدلول هذه الكلمة في ذهن السامع. لا يناقض نفسه. فالديانة (الإليجية) ستظل في جوهرها كما هي. وما يوجه فارد إليه الخليفة، لن يكون إلا (رتوشاً) ثانوية لا تناقض الأصل مهما كانت لها من الأهمية. فهو يقول: (وإذا كانت هناك ضرورة للتغيير، فإنه سيكون كما لو حدث على يد **إليجا**) وهذا يدل على أن التغيير لن يمس الجوهر. وما دام الجوهر مصوناً فإن التغيير في حدود (السطح والقشور) والتمسك بالجوهر يجعل التغيير أمراً ثانوياً حتى لو كان ضرورياً.

ويمضي **وارث الدين** خطوة أخرى في شرح التغييرات التي قد تدعو إليها الضرورة دون خروج عن الخط الذي رسمه والده. واستمع إليه وهو يقول: (إن الإرشاد سيكون مثل الذي أعطاه والدي. إن تلك الإرشادات والتوجيهات مأخوذة من الكتب المقدسة التي وهب فيها والدي معرفة نادرة، واستطاع شرحها بطريقة صحيحة وهي جاءته بعون خاص من (الله) وسيكون هذا في الحاضر كما كان في الماضي[٣]).

و إذا كان **وارث الدين** قال هذا الكلام فعلا فالمرجح أنه يقصد شيئا مختلفاً كل الاختلاف عما فهمه السامعون من أتباعه فهو ملزم بإتباع والده نصا وروحا بدليل ما ألزم به نفسه، مما فهمه السامعون وما ينتظرونه من أي خليفة يحل محل **إليجا**.

وعلى فرض أن وارث وجد عصا سحرية تجعله يصرح برسالة جديدة تناقض رسالة والده وتقتلعها من الجذور، فكيف يمكن أن يتفهمها ويستسيغها أتباع والده؟ خذ مثلا عقيدة الحلول فإن **إليجا** لم يأت لأتباعه فيها بشيء لا تستسيغه عقولهم أو تمجه أذواقهم بل جاءهم بأمر معروف لديهم من حيث المبدأ كما هو مفهوم على نحو ما عندهم إذ كانوا يعتقدون أن الله ﷻ حل في جسد **عيسى** عليه السلام واستساغت عقولهم هذا الأمر مع مرور الأيام واطمأنت إليه. فلم يجد **إليجا** مشقة في أن يفهمهم أن إلها ما حل في جسد فارد. فأصبح فارد هو (الله) (تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا) ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾[٤].

---

١) سورة آل عمران: ١٣.

٢) كتاب منظمة الإليجا محمد الأمريكية للدكتور أبو سليمان، ص١٥٣.

٣) كتاب منظمة الأليجا محمد الأمريكية للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، ص ١٥٣.

٤) سورة النساء: ٨٨.

فموضوع حلول (إلههم المزعوم) في شخص (فارد) ليس في قبوله صعوبة ولا أمام فهمه اعتراض من قبل السود وخاصة أصحاب الخلفية المسيحية. بل مما يزيد قبوله عندهم أن الإله هنا ليس من البيض الأوروبيين بل رجل أسمر البشرة جاء ليخلصهم مما عانوه من الإله الأبيض. ولقد ظل **إليجا** يرسخ هذه المعتقدات في أذهانهم على مدى ما يقرب من نصف قرن من الزمان فكيف يستطيع وارث أن يقتلعها بين عشية وضحاها؟ بل كيف يفعل ذلك وهو لم يختر خليفة إلا لتعهدها ورعايتها والدعوة إليها؟ كيف يفعل ذلك وأقواله كلها في ـ ظاهرها على الأقل ـ لا تدل إلا على أنه **إليجا** نفسه لكن في شخص خليفته. وأن التغيير على فرض حدوثه (فسيكون كما لو حدث على يد **إليجا** وبنفس الطريقة التي كان سيتم بها لو كان **إليجا** حيا. ذلك أن أعضاء الحركة كانوا يؤمنون بأن **إليجا** غاب عنهم جسماً لا روحاً)[١].

ولعل الغريب ـ أو المعجز ـ أنه تجاوز تلك العقبة وعمل بما لم يستطع أن يصرّح به ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٢]، لكن كيف حدثت المعجزة؟

المعادلة الصعبة

كان الإمام **وارث الدين** يحب والديه حباً جماً ولاشك أن تسفيه آراء والده ونسفها من الجذور أمر يتعارض مع هذا الحب. لكن حبه لوالده لم يمنعه من أن ينشق عليه في حياته وأن ينتقد منهجه بل ومسلكه علانية في صحيفة (American Chicago) ولكن.

هل يستطيع ذلك وهو زعيم للحركة؟ الواقع يقول أنه لا يستطيع لأنه إن فعل فإن أسرة **إليجا** كلها ستهب في وجهه ومنافسوه خارج الأسرة من المنتفعين من المنظمة في عهد والده سيشنون عليه حرباً لا قبل له بها. وسوف يعزلونه عن الزعامة التي أراد أن يتخذها مطية لتصحيح الأوضاع والمعتقدات، والسير بالمنظمة على صراط الله العزيز الحميد.

إذن فما هو الحل؟

يبدو أنه وبعد تفكير رأى أن الحل هو أن يقف ويعلن أن والده كان محقاً فيما ذهب إليه حيث اقتضت متطلبات (المرحلة) ذلك. حيث كان والده يعد المنظمة إلى مرحلة نهائية تستقيم عندها الأمور، والدليل على ذلك أنه كان يخاطب أتباعه بلغة فيها كثير من الغموض والرمزية ليفهموا منها ما يتناسب وطبيعة المرحلة التي هم فيها. كما قد يفهمون منها غير ما فهموه أو النقيض له في المرحلة التي تليها.

إن (فارد) ـ فيما يتذرع به وارث ـ هو صاحب هذه الخطة المرحلية ويقول وارث في شرحه للخطة المرحلية:

(عندما تجد أشخاصاً أمواتاً فإنك لا تأتيهم بالأشياء الروحية. إنك تستطيع أن تعلم الأشياء الروحية لمجتمع دبت فيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية لكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك مع مجتمع لم يكن هو نفسه على الأرض. فهؤلاء يجب أن تعلمهم عن الأرض أولا)[٣].

لكن **إليجا** زعم أنه رسول الله وأن الله هو فارد الذي حل فيه الإله. وهذا كلام واضح لا لبس أو رمزية فيه. وفي نفس الوقت هي قواعد ثابتة لا تتأثر بمرحلية أيا كانت هذه المرحلة. فكيف ذلل هذه المشكلة لتتسق ومفهوم المرحلة التي يعنيها؟

يقول وارث: أن والده أحاط هذه الأقوال الصريحة بما يجعلنا نفهمها على أنها رمزية في الوقت المناسب فهو وفي الأيام الأولى كان يسمي نفسه وزيراً بالضبط كما أسمي أنا نفسي الآن كبير الوزراء أو رئيسهم.

١) كتاب منظمة الأليجا محمد الأمريكية للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، ص ١٥٣.
٢) سورة الصافات: (١٧١-١٧٣).
٣) كتاب (منظمة الأليجا محمد الأمريكية) للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، ص ١٨٩.

الإمام وارث الدين محمد

لكن ومما لاشك فيه أن (الوزارة) شيء و(النبوة) شيء آخر هذا فضلا عن أن **إليجا** وفي عدة مناسبات كان يكرر أنه ليس نبياً بل هو كساعي البريد الذي يوصل الخطابات للناس.

ويمضي وارث إلى الإيضاح أكثر فيقول: أن والده كان فقيهاً في الإنجيل لأنه كان قسيساً، والإنجيل يسمّي (الواعظ) أو المرشد مبعوثاً أو رسولاً (Messenger) بالمعنى العادي. ويضيف أن كل ما كان يعنيه والده هو أن رجلاً ـ يقصد فارد ـ أخبره بطريقة حل المشكلات التي يعاني منها السود وتركه ليبلغها لهم. وكان من الطبيعي أن يفهم كل ذلك على غير ما نفهمه الآن لأن المرحلة السابقة كانت تقتضي ذلك.

إذا فالصورة التي رسمها **إليجا** ـ في نظر **وارث الدين** هي صورة غامضة. ولابد أن تكون غامضة لأنها مرحلية كما يرى الدكتور أبو سليمان. إن فارد لا يمكن أن يكون الإله الذي حل في جسمه وصورته. وأن الله لا يمكن أن يخبر أي مخلوق بأنه لن يحتاج إليه. إننا دائماً بحاجة إلى الله وأستبعد جداً أن يصدر مثل هذا الكلام عن فارد. لأنه كان مسلماً يؤمن بالقرآن كما تشير لذلك صورة أخذت له وهو يحمل القرآن الكريم بيديه في تقوى وخشوع وتواضع)[١].

وعليه فقد كان على أعضاء المنظمة وغيرهم أن يعوا جيداً هذه المرحلية، وأن يدركوا أنهم على أعتاب مرحلة جديدة. الله فيها واحد أحد، وأنه لا يحل في جسم بشر، وأن فارد كان من البشر الهداة المهتدين، وأن خاتم الأنبياء والمرسلين هو سيدنا محمد ﷺ، وأن **إليجا** لم يكن نبياً ولم يتلق وحياً. والأنسب أن نقول أنه ـ شأنه شأن أي مرشد من أتباع الرسل ـ مجرد داعية لا يمكن أن يتلقى وحيا. وأنه استخدم الرمزية والمفردات ذات المعاني المزدوجة التي فهمت في عهده على نحو يتناسب وظروف المرحلة التي كانت تقتضي ذلك. وينبغي أن تفهم على النحو الذي قصد إليه **إليجا** وإن لم يصرّح به، ولو صرّح بذلك من أول الأمر لفشلت الخطة.

هل هذه التبريرات معقولة وسليمة أو أنها غير منطقية وغير مقبولة؟ الإجابة على هذا السؤال تطول وتتشعب لكن المهم أنها كانت مقنعة بالنسبة لأعضاء المنظمة. ولم يقف **وارث الدين** عند هذا التبرير فيما يخص موضوع العقيدة بل تصدى لمعالجة جوانب أخرى بعضها يصعب تبريره ومن ذلك مثلا تلك النعرة العنصرية الصريحة التي جاء بها **إليجا** والتي تجعل السود هم الأصل للبشر والعنصر المتفوق وهي نعرة تخالف تعاليم الشريعة الإسلامية مخالفة صريحة ولا يمكن قبولها.

وهذا وحده كان تحدياً قاسياً بالنسبة لوارث لأن والده استخدم هذه النعرة العنصرية لجمع السود حوله وهو عندما استخدم الدين كأداة لم يستخدمه إلا على أساس عنصري وكان يعرف أنه سيلاقي هوى في نفوس الأمريكيين الأفارقة. يقول **إريك هوفر**: وهذا أيضا رأي بعض المفكرين غير المؤمنين بوجود الخالق عز وجل: (يمكن للحركة الجماهيرية أن تقوى وتزدهر من دون الاعتقاد في الرب لكنها لا تستطيع ذلك دون أن تجد (شيطاناً) تصب عليه جام غضبها وحقدها). وقد نجح **إليجا** نجاحاً منقطع النظير في تحويل جام غضب الجماهير السوداء إلى هذا (الشيطان) الأبيض في نظره. فإذا ساويت بين هذا (الشيطان) الذي اجتمع السود على كراهيته وبغضه. و(الملاك) الذي هو الجنس الأسود في نظر **إليجا** انقطع ذلك الحبل المتين الذي يربط الجماهير ويوحد صفوفها ويحدد اتجاهاتها.

١) كتاب منظمة الأليجا محمد الأمريكية للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، ص١٥٥.

و الأدهى أن **إليجا** اعتبر مجرد اختلاط السود بالبيض لعنة للحركة وكان يسمّي مجرد الاختلاط (أفيون المجتمع الزنجي)[١]. هذا عن مجرد الاختلاط فكيف بالمساواة؟

على أن **وارث الدين** لجأ إلى التدرج وما تتطلبه من رمزية ليبرر هذا الموقف فنجده يقول في ذلك: (أن **إليجا** حين وصف الرجل الأبيض بأنه (شيطان) لم يكن يعني إلا عقليته. والعقلية من حيث هي ليست أمراً مقصوراً على الرجل الأبيض، فأي عقلية مريضة ينطبق على صاحبها الوصف بأنه (شيطان) سواء كان صاحبها من الجنس الأبيض أو من الجنس الأسود)[٢].

و يتساءل لنكولن قائلاً: إذا كان البيض يرون في هذا القول تحقيرا لهم فما هي نظرتهم هم إلى السود؟ وإذا كان من حق (البيض) أن يؤمنوا بدونية السود أليس من حق (السود) أيضا أن يؤمنوا بدونية البيض؟

وقد أعلنها **إريك لنكولن** صريحة عندما قال: (كثير من الأمريكيين البيض كانوا يندهشون حين يعلموا أن الزنوج يحبون ويكرهون، يقبلون ويرفضون ويحسون بجميع المشاعر الإنسانية والطبيعية التي يحس بها البشر العاديون، وكثيرون منهم يستغربون أيضا أن يكون للسود دماء حمراء !).

وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح نظرة البيض العنصرية تجاه السود.

يقول لنكولن: (اعتقل شاب زنجي في ولاية كارولينا الشمالية عام ١٩٥٧م بتهمة التحقير لأنه نظر إلى امرأة بيضاء). ويضيف قائلاً: (في عام ١٩٥٨م أقيم استعراض لطلاب إحدى المدارس العليا في جورجيا وكانت تتقدم الاستعراض جوقة[موسيقية، فتجمع كثير من السكان لمشاهدتها غير أن منظمي الاستعراض قرروا إيقافه عندما لاحظوا أن بعض الزنوج كانوا يتفرجون على الاستعراض)[٣].

ويمضي لنكولن إلى القول: (إن القائد أو الباحث الاجتماعي أو الفنان الزنجي يظل دائما يصوغ وجهة نظره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من خلال مشكلة الزنوج في أمريكا. وهو لن يجد له مكانا في المجتمع إذا حاول أن يكتب أو يبدع باعتباره عضوا مساويا للآخرين. ومعنى ذلك أن عباقرة الزنوج يظلون محبوسين داخل سياج المشكلة اللونية لأنهم دون نظرائهم البيض من حيث العرق والمكانة حتى لو تفوق بعضهم على عباقرة البيض)[٤].

هذه مجرد أمثلة فقط غيض من فيض. أوليس من الطبيعي أن يكون هناك رد فعل مواز ومشابه في القوة والدرجة؟ فكما تدين تدان، ومعروف أيضاً أن **إليجا** ظل ولعدة سنين يطالب حكومة الولايات المتحدة بإعطاء (أمة الإسلام) عدداً من الولايات لإقامة دولة مستقلة للسود طالما أنها لا تريد إعطاءهم حق المواطنة. وحيث أن سريان نظام التمييز العنصري فيما يتعلق بالتوظيف، التعليم والإسكان كان يحرم السود عامة من حق المشاركة الكاملة والمساهمة الفعالة في بناء المجتمع وترسيخ دعائمه، فقد رأى **إليجا** أنه لا معنى في ظل مثل هذه الظروف لمشاركة السود المسلمين في الانتخابات أو التقدم للالتحاق بالعمل في الخدمة المدنية أو العسكرية أي بعبارة أخرى في مؤسسات المجتمع المدني.

وعندما تولى **وارث الدين** مقاليد الأمور، وحيث رأى أن المطالبة بإقامة دولة مستقلة للسود داخل منظومة الولايات المتحدة الأمريكية لن تجد أذناً صاغية فقد شرع في تنفيذ ما بدا له كأفضل الخيارات المتاحة وهو عرض النموذج للإسلام الذي يحظى برضا الدولة والمجتمع عامة. ومن ثم العمل على تحسين هذا الأنموذج والصورة للإسلام في أمريكا لتصبح مقبولة أيضاً عند جمهور المسلمين.

١) كتاب المسلمون الزنوج في أمريكا - تأليف لنكولن، تعريب عمر الديراوي، ص١٢٩.
٢) المرجع السابق، ص١٥٩.
٣) المرجع السابق، ص٩٤.
٤) مخطوطة كتاب (الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية) للدكتور عبد الله الصنيع، ص١.

وتحقيقاً لذلك بدأ يشجع أتباعه على احترام الأنظمة الولائية والفدرالية والمشاركة في الحياة السياسية معللا هذه التغييرات في النهج العام للحركة بقوله: (حيث أننا مواطنون أمريكيون فنحن ملزمون بالدفاع عن الولايات المتحدة ولكن إذا كان أي فرد منكم يرى أن من الخطأ أن يذهب إلى ميادين القتال دفاعاً عن هذا البلد فهذا شأن بينه وربه)[١].

الأعمال الإصلاحية للإمام وارث الدين محمد

هكذا بدأ **وارث الدين** في وضع اللبنات الأولى لنقل أكبر وأقوى وأخطر حركة للمسلمين ذوي الأصول الإفريقية في التاريخ المعاصر للولايات المتحدة من النهج العنصري المبني على الانحياز الكامل للجنس الأسود وصورة مشوهة للعقيدة الإسلامية السمحاء إلى اعتماد النهج الإسلامي الرباني القائم على الكتاب والسنة والمساواة بين الناس بغض النظر عن ألوانهم وجنسياتهم.

ولقد عبرّ **وارث الدين** عن هذا التغيير قائلاً: (وكان لزاماً عليّ تغيير المعتقدات الفكرية بما يضمن لها القبول في أمريكا لأن هذه هي نوعية التفكير التي يجب أن أحض أعضاء تنظيمنا عليها)[٢].

إن المهمة التي انبرى **وارث الدين** للقيام بها لم تكن أبداً بالمهمة السهلة اليسيرة. كان عليه أن يزيل ويغسل من أذهان القاعدة التي يقودها أفكاراً ومعتقدات - ما أنزل الله بها من سلطان - لكنها ترسخت وتأصلت طوال أكثر من أربعين عاماً حتى أصبحت عندهم حقائق مسلمة وواقعاً معاشاً.

كان معظم أعضاء الحركة - إن لم نقل جلهم - ينظرون إلى فارد على أنه الرب من خلال الاعتقاد في نظرية الحلول. وكانت الطبقة المستنيرة نسبياً منهم ترى فيه أنه **المسيح عيسى** عليه السلام أو المهدي المنتظر. أما **إليجا** فهو عندهم الرسول بل وخاتم الرسل، أرسله فارد ليبلغ ويشرح بل ويكمل الرسالة !، فكان من الإجراءات التي اتخذها **وارث الدين**: التأكيد على أن فارد ومهما بلغ من الحكمة والعلم فهو بشر، وأن **إليجا** هو الزعيم الروحي الذي استطاع أن يوحد المسلمين ذوي الأصول الإفريقية تحت مظلة حركة أمة الإسلام إلا أن التعاليم التي كان يدعو لها لا تتفق مع جوهر الإسلام أو حتى مع المسيحية.

١- التأكيد على أن **مالكولم إكس** يعد واحداً من أبرز رموز الحركة وأنه يستحق الاحترام والتقدير على إسهاماته في تصحيح المسار العقائدي والفكري.
٢- الحرص على فصل الأعمال التجارية الخاصة بالحركة عن النواحي الدينية والروحية.
٣- الكف عن المطالبة بإقامة دولة للسود داخل الولايات المتحدة.
٤- الدعوة للالتزام بالدستور الأمريكي واحترام الأنظمة الأمريكية.
٥- الشروع في أسلمة الأفكار والمعتقدات وتنقيتها مما شابها من انحرافات وذلك بما يتفق وتعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء.

وكان من التغييرات التي أجراها **وارث الدين** أيضاً التأكيد على ربط الأمريكيين الأفارقة بالقارة الأم (أفريقيا) وإطلاق صفة **البلاليين** (نسبة إلى سيدنا بلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ) على أعضاء التنظيم. وفي ذلك يقول وارث أن اختيار هذا الاسم له مدلول لأن **بلال** كان مسلماً وفي نفس الوقت كان أفريقياً[٣] أسود، بل كان من أعظم المسلمين.

وفى عام ١٩٧٨م قاد **وارث الدين** فوجا مكونا من ٣٠٠ أمريكي مسلم إلى مكة المكرمة بدعوة من رابطة العالم

١) من إحدى الخطابات العامة لوارث الدين محمد.
٢) مخطوطة كتاب (الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية) للدكتور عبدالله الصنيع، ص٩٢.
٣) مجلة (Bilalian News) - عدد ٢٤ أكتوبر ١٩٧٦م، ص ٣١ التي بدأ صدورها في ١٩٧٥/١١/١م.

الإسلامي، لتأدية فريضة الحج لأول مرة في تاريخ الحركة، كما غيّر اسم الصحيفة الرسمية للحركة إلى (الصحيفة البلالية) لأن المعني بـ (Muhammad) كان هو والده **إليجا** وليس سيدنا محمد ﷺ، ولو كان اسم الصحيفة يشير إلى الحبيب المصطفى لما غيره.

وتخليداً لذكرى **مالكولم** ووفاء للصداقة التي ربطت بينهما أمر وارث في العام ١٩٧٦م بإطلاق اسم (مسجد **مالكولم إكس**) على المعبد الذي كان يعرف باسم المعبد رقم٧. وفيما يتعلق بالصلاة فإن أهم الإجراءات التصحيحية التي أمر بها **وارث الدين** تشديده فيما يتعلق بخلع الأحذية ووضعها خارج المسجد وإخراج الكراسي والمقاعد من داخل المساجد وفرش السجاد أو الموكيت بدلاً عنها مع الفصل بين الجنسين. وبعد أن كان العرف السائد في مساجد الحركة حتى ذلك الوقت جلوس النساء على المقاعد في الصفوف الأمامية، لكن بعد الأوامر والتعليمات المشددة من **وارث الدين** أصبحت الصفوف الأمامية مخصصة فقط للرجال ثم يجيء من خلفهم الصبيان فالنساء ثم البنات في مؤخرة الصفوف.

كذلك وجّه بتغيير ديكورات المباني وإطلاق اسم (مسجد) بدلاً عن معبد (Temple) على دور العبادة الخاصة بالحركة. كما وجه بإزالة الكتابات والشعارات المناوئة للولايات المتحدة من الجدران واستبدالها ببعض اللوحات التي تظهر فيها الآيات القرآنية باللغة العربية وعلى صعيد آخر فقد أبدى اهتماماً أكثر بالمرأة وحرص على إعطائها فرصاً متساوية في مجال العمل بل وفي بعض الأحيان وضع نساء في وظائف قيادية مع وجود عدد من الرجال في نفس الإدارة. وفيما يتعلق بالملبس سمح للمرأة بارتداء السراويل الطويلة أما تغطية الرأس فقد رأى أنها ليست واجبة إلا للصلاة وفي المناسبات الدينية[1].

ومعروف أن أعضاء الحركة وخاصة الزعماء والوزراء (الأئمة) كانوا ملزمين بارتداء زي موحد يتمثل في البذلة البيضاء أو السوداء مع ربطة العنق الفراشية الشكل والتي يكون لونها في الغالب أحمر. وبمجيء **وارث الدين** إلى الزعامة سمح للأعضاء بارتداء ما يشاءون بشرط أن يكون نظيفاً لا يتعارض مع أحكام الشرع أو يسيء إلى العقيدة.

وفيما يتعلق بالأعمال التجارية الخاصة بالحركة، وبعد أن قام **وارث الدين** بفصلها عن الأعمال الدينية، وجه أيضاً بتسديد ديون طويلة الأجل والتزامات ضريبية وصلت قيمتها الإجمالية إلى أكثر من ستة ملايين من الدولارات كما أمر بالتخلص من الأعمال ذات الربحية المتدنية.

لقد استفادت الحركة كثيراً من جراء الإجراءات التصحيحية التي قام بها وارث ولو كان سار بالمنظمة على الخطى التي رسمها والده لكان نأى بها وعزلها عن العالم الإسلامي. وقد بدأت ثمار تلك الإجراءات تظهر منذ وقت مبكر فعند زيارة الرئيس المصري الراحل **أنور السادات** إلى واشنطن العاصمة في ٢٦ أكتوبر من عام ١٩٧٥م، وبعد انتهاء اجتماعاته الرسمية مع الرئيس الأمريكي الأسبق **جيرالد فورد** غادر واشنطن إلى شيكاغو حيث عقد اجتماعاً مغلقاً مع الإمام **وارث الدين** بجناحه الخاص في فندق دراك (Drake Hotel) وكان من نتائج ذلك الاجتماع اعتماد الحكومة المصرية إثنتي عشرة منحة دراسية للطلاب المسلمين الذين يرشحهم وارث للدراسة الجامعية في مصر.

وعلاوة عليه فإن التعديلات في المعتقدات جعلت الحركة أيضاً أكثر قبولاً لدى الإدارة الأمريكية. ففي فبراير من العام ١٩٧٩م قدمت وزارة التجارة الأمريكية مبلغ ٢٢مليون دولار للحركة التي غيّر **وارث الدين** اسمها إلى (WCIW) الجماعة الإسلامية العالمية في الغرب وكان ذلك أكبر مبلغ تقدمه وكالة حكومية لمنظمة الأمريكيين الأفارقة.

إلا أن هذه الإجراءات التصحيحية التي قاد حركتها **وارث الدين** لقيت معارضة شديدة من أعداء الحق والنور

١) المرجع السابق، ص ٩٦.

وارث الدين يستمع وفراخان يتحدث

داخل الحركة وكان من أبرز القياديين الذين اعترضوا على هذه الإجراءات الوزير **لويس فراخان** ـ الناطق الرسمي الدولي للحركة ـ والذي أعلن انسحابه رسمياً من التنظيم الجديد الذي يتزعمه **وارث الدين** في ديسمبر من العام ١٩٧٧م. كما لم يسلم وارث أيضاً من النقد حيث اتهمه البعض بالعمالة وأنه صنيعة المكتب الفدرالي الذي خطط لاغتيال وتصفية المنافسين الخطرين أمثال **مالكولم إكس** ليخلو الجو له لخلافة والده.

والواضح أن أصحاب هذا الاتهام لم ترق لهم بعض الإجراءات التي قام بها وارث ومنها على سبيل المثال تغيير راية أمة الإسلام والتي كانت تحمل شعار الهلال الإسلامي والنجمة واستبدالها بالراية الأمريكية كشعار للحركة. وأيضاً تنازله عن المطالبة باقتطاع أرض وإقامة دولة مستقلة للأمريكيين السود عليها، ودعوته أعضاء الحركة لاحترام الدستور الأمريكي والالتزام بالأنظمة الأمريكية مع الحرص على تقديم نموذج إسلامي مقبول للرأي العام الأمريكي وجمهور المسلمين في الدول الإسلامية خاصة[1].

وحيث أنني أعرف **وارث الدين** معرفة شخصية من خلال لقاءاتنا في عدد من المناسبات كما التقيت به بشيكاغو في ١٣/٦/١٩٩٥م خلال زيارة قمت بها إلى الولايات المتحدة. واستناداً إلى أحاديثي معه والمناقشات المستفيضة التي دارت بيننا في مختلف القضايا والموضوعات فإنني أختلف بشدة مع أصحاب هذا الرأي وذلك:

أولا: لأن اختيار **وارث الدين** لخلافة والده تم في الأصل بإيحاء من مؤسس الحركة **والاس فارد** وذلك قبل ولادته. وبرغم أن وارث ظل لفترات طويلة على خلاف فكري مع والده فقد حرص الأب على تنفيذ وصية فارد وكان معروفاً لدى معظم أعضاء الحركة ـ وبما فيهم **لويس فراخان** و**مالكولم إكس** ـ أن وارث هو الخليفة المنتظر لوالده ولم نسمع عن خلاف نشب بين الرجلين سواء فيما يتعلق بالزعامة أو الخلافة أو غيره، بل على العكس فقد كانا صديقين حميمين. كما تعرض وارث للطرد من الحركة غير مرة بسبب علاقته الوثيقة بـ**مالكولم إكس**، فليس معقولاً والأمر كذلك أن يكون له دور أو مصلحة في اغتيال **مالكولم**.

ثانيا: لقد كان **وارث الدين** على وفاق كامل مع **مالكولم** في الرؤى والمعتقدات والأهداف. وعندما واتته الفرصة لقيادة مسيرة الحركة بدأ على الفور القيام بالإجراءات والتغييرات التي رأى أنها ضرورية لتصحيح المسار وكأنه أراد أن يكمل المسيرة التي بدأها **مالكولم** كما ظل حتى وفاته يحتفظ بعلاقة مميزة مع أسرة **مالكولم** التي انتقلت إلى لوس أنجلوس.

ومن خلال أحاديثي وحواراتي مع **وارث الدين** (رحمه الله) لمست لديه رغبة صادقة وجادة في تصحيح المعتقدات الخاطئة التي ترسخت في أذهان الأعضاء عن الإسلام. كما أعرب لي عن حرصه البالغ على تعزيز علاقات التواصل والتعاون بين الحركة والمنظمات والهيئات الطوعية في العالمين العربي والإسلامي مع اهتمامه بربط أتباعه أكثر بقضايا الأمة من خلال تكثيف برامج الدعوة والتوعية بصفة خاصة وقيادتهم إلى طريق الهداية والنور من خلال تعريفهم بالتعاليم الصحيحة للدين الحنيف.

١) المقال بعنوان (A Time for Martyrs) وقت للشهداء ـ لجمال الدين الحيدر من موقع (www.ummah.net/albayan) ،ص: ١.

الإصلاحات في مجال العقيدة والمفاهيم

تحقيقاً لمبدأ المساواة ترك **وارث الدين** باب العضوية مفتوحاً لمن أراد الدخول في الحركة وبما في ذلك البيض وهذا أمر كان أقبح من الكفر في عهد والده. صحيح أن **إليجا** سمح للبيض في عام ١٩٦٠م بحضور اجتماعاته العامة لكن ذلك لم يكن يعني السماح لهم بالانضمام إلى الحركة كما لم يكن إشارة على تغيير رأيه فيهم. والمرجح أن قصده من ذلك كان أن يرى البيض عن كثب قوة المنظمة وحجم عضويتها ولو من باب استعراض القوة.

وبطبيعة الحال فقد صحب كل ذلك العودة بأركان الإسلام إلى وضعها الصحيح. ولعل الغريب أن كل ذلك تم خلال ست سنوات فقط وهي فترة تعتبر بكل المعايير قياسية. ففي عام ١٩٧٥م، العام الذي تولى فيه **وارث الدين** مقاليد الزعامة، جعل الصوم في شهر رمضان المعظم بدلاً عن ديسمبر كما أراده **إليجا**. وفي نفس ذلك العام أعاد الصلوات المكتوبة والنوافل إلى هيئتها المعروفة لدى جمهور المسلمين. وفي الاحتفال بيوم المنقذ الذي أقيم في ٢٦ فبراير من سنة ١٩٧٦م شوهد عدد من البيض الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام وبعضوية الحركة ضمن الحاضرين للاحتفال.

وارث الدين في البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) وفي الخلف يظهر محمد علي كلاي

معنى ذلك أن **وارث الدين** أراد وفور تسلمه أمر قيادة المنظمة أن يضعها على النهج الإسلامي الصحيح حتى أن المحافل الإسلامية في مختلف أنحاء العالم اعترفت بها الأمر الذي لم يكن ليتم في حياة والده حين كانت المنظمة (إسلامية) بالاسم فقط.

لكن وبرغم هذه الإجراءات التصحيحية بقيت بعض الممارسات الخاطئة المترسبة عن الأثر المسيحي والحقبة الإليجية ومنها بث المقطوعات الموسيقية والأدعية الدينية عبر أجهزة التسجيل ومكبرات الصوت داخل المساجد[١]، كما بقي أيضا الاحتفال بالذكرى السنوية ليوم المنقذ في ٢٦ فبراير من كل عام.

لكن هناك مسائل يثيرها بعض الناس - الذين ربما كانوا من خصومه - وهي مسائل لابد من التعرض لها وجميعها تتعلق بوضع المرأة، يقول لنكولن: (لقد كان للرجال على النساء درجة في عهد **إليجا**. أما في عهد **وارث الدين** فقد اختلف الوضع واحتلت المرأة أرفع المناصب الإدارية وأصبح الرجل في كثير من المواقع يعمل تحت إمرتها)[٢]

ويرى لنكولن أن الأساس الذي يفترض أن يكون **وارث الدين** قد بنى عليه هذا الموقف هو: (دراسته لوضع المرأة في العهود الأولى للإسلام حيث كانت المرأة تتساوى مع الرجل وعليه فلا يجوز لأحد ولا معنى لأن تعامل معاملة تختلف عن معاملة الرجل)[٣].

ولا شك أن مثل هذا الكلام فيه كثير من الخلط وإلباس الحق بالباطل، فالإسلام ساوى بين الرجل والمرأة لكنه أعطى الرجال القوامة. والدرجة التي جعلها الله للرجل على المرأة نشأت من وظيفة الرجل لا من طبيعته. ذلك أن الذكورة شيء والرجولة شيء آخر. ومقابل كل واجب هناك حق. فأصبح من حق الرجل - بحكم أنه الذي يتحمل مسئولية الإنفاق والسعي

١) كتاب (From Black Muslims To Muslims) ، ص ٩٥، كما لاحظت أيضاً بعض هذه الممارسات خلال زيارتي مسجد أمة الإسلام في شيكاغو عندما صليت بهم.

٢) كتاب: (المسلمون الزنوج في أمريكا) - ترجمة الديراوي ، ص ٢١٨.

٣) كتاب: (المسلمون الزنوج في أمريكا) تأليف لنكولن، ترجمة وتعريب الديراوي، ص ٩٦.

الإمام وارث الدين محمد يلقي محاضرة

في طلب الرزق - أن يكون له على المرأة درجة. ولو عكس الإسلام الوضع مثلاً، فأوجب على المرأة الإنفاق لكان لها على الرجل درجة.

أنا لا أريد هنا أن أنتقد آراء **وارث الدين** أو أنتقص منها فقد اجتمعت به عدة مرات وتناقشنا في عدة موضوعات فوجدته رجلاً معتدلاً يميل إلى الحق ويقبل النقد والحوار، وهو من أكثر الناس صراحة في حديثه وفي التعبير عن آرائه.

اجتماعاتي مع الإمام وارث الدين

اجتمعت بالأخ **وارث الدين** (رحمه الله) في عدة مناسبات وعدة أمكنة سواء هنا في المملكة أو في الولايات المتحدة. وفي كل مرة كنت أحس أكثر فأكثر بصدق الرجل وإخلاصه ووضوحه. ولعل قدرته على التحدث باللغة العربية هي التي سهلت له الطريق ليتزود بالثقافة الإسلامية من مصادرها الأصلية مما قرّبه إلى حظيرة الإسلام وقرّب الإسلام إلى قلبه وعقله أكثر.

وفي كل لقاء معه كنت أجده صافي الذهن واضح الأهداف غير مندفع وغير متهور، فيه كثير من التواضع مع عزة النفس وتفادي الحديث عن الماديات، كما أعجبني فيه ثباته على مبادئه ورجاحة عقله وحكمته. فقد تحاورت معه كثيراً وفي شتى الموضوعات وتكوّن لدي انطباع إيجابي عنه. إنه رجل يتصف بالحصافة والرزانة وسعة الأفق والثقافة. وأكثر ما يعجب فيه أيضا أنه مسلم مخلص، يجاهد في صمت وكبرياء في سبيل تصحيح الكثير من المفاهيم. وكأنه يريد أن يقول: (إنني أتحمل مسئولية ما قام به أبي من إفساد للعقيدة وتحريفها، وقد عقدت العزم على التكفير عن تلك الخطيئة). وقد لقي كثيراً من العقبات والتحديات، وللأسف فإنه لم يجد دعماً يذكر من الهيئات والمنظمات الإسلامية حتى وفاته في رمضان ١٤٢٩هـ[١].

هذا يعني أن **وارث الدين** اختار مبدأ التدرج في مكافحة الانحرافات المختلفة بغية الوصول إلى الهدف الأسمى. وخلال أحاديثي معه لمست تطابقاً في كثير من وجهات النظر والرؤى. ثم لقيت مجموعات من أتباع والده، بعضهم من الذين انصرفوا عنه وأعلنوا عدم الولاء له. والبعض الآخر مازالوا يراقبون تصرفاته في حذر. وربما توجسوا خيفة في بعض الأحيان. وعرفت منه أنه يسعى إلى تثبيتهم واحتوائهم في جدية وإخلاص، يريد أن يأخذ بأيديهم تدريجياً نحو تصحيح المفاهيم وممارسة الشعائر الإسلامية على هدي من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، كما ألقيت خطبة في أحد مساجدهم وصليت بهم الجمعة وكانت مناقشاتي معهم صريحة ومثمرة وكانت تساؤلاتهم واضحة وصريحة أيضاً.

و حدثني وارث عن همومهم وآمالهم وأن أكثر ما يؤلمهم أن فينا من يصدر فتاوى جزافية بكفرهم وخروجهم عن الملة السمحاء، وهم يعترفون بوجود بعض الانحرافات ولكنهم يرون أن لا ذنب لهم فيها طالما أنهم أخذوا هذه التعاليم المنحرفة من **إليجا** مباشرة ولم يقل لهم أحد يوما أنهم على خطأ. ولهذا فهم يستغربون أن يقابلوا بمثل هذه الجفوة من المسلمين في المشرق وفي الدول العربية خاصة في وقت يعانون فيه من الظلم والقسوة والاغتراب وهم في بلدهم وبين أهليهم، وذلك بسبب التفرقة التي يلاقونها من المجتمع الأمريكي الذي يرفض أن يعتبرهم جزءاً منه ويرفض الاعتراف لهم بهوية خاصة.

وشرح لي وارث (رحمه الله) أن الناس في المشرق وخاصة في منطقة الجزيرة العربية وامتداداتها الجغرافية لا يجدون

١) للأسف فإن خبر انتقال وارث الدين إلى رحمة الله لم يجد التغطية الإعلامية اللائقة مما يؤكد تقصيرنا في حقه حتى بعد وفاته، في حين أن أحد المواقع الشيعية نشر قصائد رثاء له كما علمت من بعض الأخوة وهذا يطرح أكثر من سؤال.

صعوبة في فهم الغيبيات وقبول فكرة الرب الذي لا يُرى وذلك بحكم التربية والنشأة في المنطقة التي خصها الله ﷻ لتكون مهبطاً للوحي وموئلاً لكل العقائد السماوية ومقرا لجميع الأنبياء والمرسلين. وأن علينا أن نتفهم ونجد العذر للآخرين وخاصة ذوي الخلفية المسيحية وفي الغرب عامة، حيث تطغى الحياة المادية وحيث تهيمن على العقول النظريات العلمية التي لا تؤمن إلا بالحقيقة التي يمكن قياسها وتجربتها، أي المادي المحسوس الذي يمكن إخضاعه للدراسة والقياس والتجريب. وهنا تكمن أهم الاختلافات في العقلية بين الغربيين عامة والشرقيين وخاصة المسلمين.

ولقد أحسست بأن علينا واجباً كبيراً تجاه هؤلاء الأخوة وهذا الواجب يملي علينا الاقتراب والتواصل معهم أكثر، والفهم منهم ومساعدتهم على فهم الإسلام. الإسلام الصحيح الذي لا فرق فيه بين أبيض وأسود إلا بالتقوى. وهذا لا يتحقق إلا إذا نظرنا إليهم كإخوة. إخوة في الله وفي العقيدة والمصير. ولا يكفي بالطبع أن نتفقدهم في بعض المناسبات ثم ننساهم أو أن نتفرج عليهم من على البعد. ومن هنا تجيء أهمية تحرك المؤسسات والهيئات الإسلامية وأيضاً الحكومات والأفراد. كما هناك دور **أكبر** ينتظر من العرب الأمريكيين المسلمين بصفة خاصة ومن أعضاء الجاليتين العربية والإسلامية بأمريكا تجاه هؤلاء الإخوة.

إن معظم المسلمين الذين يعيشون كأقليات في مختلف أنحاء العالم يتعرضون لكثير من المخاطر والتحديات ولعل أولها وأهمها خطر الذوبان في المجتمعات اللا دينية التي يعيشون فيها وفقدان الهوية والارتباط بقضايا الأمة. وما لم نتواصل معهم ونساعدهم في تأهيل الدعاة والعلماء ونتعرف على قضاياهم وهمومهم والمفاهيم التي قامت عليها معتقداتهم المنحرفة – بحسن نية في الغالب – فسوف تضيع هذه الجاليات خاصة وأن نسبة الانحراف الأخلاقي في أوساط أبنائهم باتت مرتفعة بصورة ملحوظة مع الجهل بأبسط تعاليم الدين الحنيف. والعلماء والفقهاء إذا لم يقوموا بهذا الواجب فإنهم يكونون قد قصروا وتحملوا وزر كل من انحرف. فالعلماء هم ورثة الأنبياء وهذا شرف عظيم، لكن بقدر عظم هذا الشرف يكون عظم الثمن ذلك أن سلعة الله غالية.

ولعله من الإنصاف أن نقول إجمالاً بأن **وارث الدين** نجح في وضع منظمته على الصراط السوي، صراط الله الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو أما موقفه من المرأة فهو لا يعدو أن يكون رأي شخصي أو اجتهاد منه يحتمل الصواب كما يحتمل الخطأ وهو لا يقلل من قيمة ما حققه الرجل فقد حاول أن يسدد ويقارب ويتدرج في حركته التصحيحية. ويكفيه أن التاريخ سجّل له أنه استطاع وخلال أقل من عقد من الزمان أن يعيد إلى حظيرة الإيمان ما لا يقل عن مائتي ألف شخص، وهذا لعمري شرف وإنجاز لم يسبقه إليه أحد، بل لعله أول من قاد أكبر حركة تغيير فكري وعقائدي في التاريخ المعاصر.

ولكن هل تم له ما أراد في سهولة ويسر أم أنه لقي ما لقي من الصعوبات والعراقيل؟

ردود الفعل

من الطبيعي أن تحدث مثل هذه الثورة العارمة التي قام بها **وارث الدين** ردود فعل عارمة مثلها فلكل فعل كما يقولون رد فعل مضاد أو فعل معاكس، ولكن هناك عوامل هيأها الله ﷻ لتخفيف ردود الفعل هذه واختصارها في أضيق الحدود. ومن تلك العوامل الحياة الأرستقراطية والترف الذين كان يعيشهما **إليجا** ووزراؤه والمقربون منه تاركين عامة الأتباع في فقر وضياع. فقد كان **إليجا** يعيش في قصر كبير أقيم في أغلى جزء من منطقة هايد بارك بشيكاغو[1]. لكن **وارث الدين** - وعلى العكس من والده - اتخذ له مسكناً متواضعاً يعيش فيه هو وأطفاله الخمسة وأخلى قصر والده

١) آلت ملكية القصر والمسجد فيما بعد للوزير لويس فراخان كما تأكدت من ذلك عند زيارتي له في يونيو ١٩٩٥م.

الذي تشغل مساحته مربعاً كاملاً (An Enline Block) ليصبح مسجداً يحمل اسم والده تؤدى فيه الصلوات وتقام فيه الشعائر الدينية على النهج الإسلامي الصحيح علاوة على تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية، مع تقديم معلومات عن القارة الأفريقية التي تعتبر الموطن الأصلي لأعضاء حركته.

ومنها أنه رفع العبء والتكليف عن كل من بلغ الرشد من الأعضاء فيما يتعلق بالخدمة الإلزامية حيث كان **إليجا** ألزم كل عضو بالغ ببيع خمسمائة نسخة من صحيفة (Muhammad Speaks) مقابل ٤٥ دولاراً يسلمها لمكتب الحركة كل أسبوع. ومعنى ذلك أنه كان لزاماً على كل عضو في المنظمة أن يقوم بوظيفتين الأولى هي عمله العادي الذي يوفر له ولأسرته لقمة العيش الكريم والثانية هي العمل كبائع للصحيفة الرسمية لتحقيق دخل للحركة، مما يعني أيضاً التضحية ببعض الواجبات الأسرية من خلال تخصيص الجزء الأكبر من أوقات الفراغ في العمل لصالح المنظمة وقد لقي إلغاء هذا التكليف ارتياحا كبيرا وسط الأعضاء.

ومنها أيضا أنه أزال نظام الطبقات المصطنع الذي كان سائداً أيام والده إذ كان أفراد الجيش السري الذي يحمل اسم فاكهة الإسلام يتمتعون بمزايا لا يتمتع بها الأعضاء الآخرون، وكانت لهم الدرجة الأولى في المجتمع وكانت هناك الدرجة الثانية وهي التي كان يشتكي منها السود بسبب عنصرية البيض، لكنها عادت إليهم في شكل جديد ومن بني جلدتهم في هذه المرة فما خرجوا من وضعية المواطن من الدرجة الثانية بعد، حتى أصبحوا في قبضة درجة ثانية أخرى. وقد أطبقت عليهم هذه الدرجة من ناحيتين بعد أن كانت من ناحية واحدة. وعندما ألغى **وارث الدين** هذا (الحرس السري) تنفس الأعضاء - الذين يكونون السواد الأعظم - تنفسوا الصعداء وكان هذا مما شجع على بقائهم تحت مظلة الحركة.

ولقد كانت للنظام العام أيام **إليجا** صرامة وإن لم يحسوا بوطأتها في عهده، فلا شك أنهم أدركوها من خلال الوضع الجديد في عهد **وارث الدين** فقد كانت الصرامة في كل شيء في عهد **إليجا** حتى في الملبس. حيث كان لزاما على الأعضاء أن يرتدوا زياً خاصاً موحداً حتى جاء وارث فجعلهم يلبسون ما يشاءون دون قيد أو شرط إلا قيداً أو شرطاً وضعه الإسلام.

وحتى النساء وجدن في عهد **وارث الدين** ما جعلهن يستقبلن هذا العهد بالرضا والارتياح والقبول. ذلك أنه جعلهن في مرتبة اعتبرها مساوية لمرتبة الرجال. وأصبحت النساء يتقلدن المناصب الإدارية على قدم المساواة مع الرجال، بل أصبح من الممكن أن يعمل عدد من الرجال تحت إشراف امرأة طالما أنها أكثر كفاءة وأهلية وخبرة.

المهم - على كل حال - أن هناك جوانب كثيرة خففت من حدة ردود الفعل التي كانت ستحدث حتى من أفراد لم يكونوا من المنتفعين من العهد الأليجي البائد. ومما لا شك فيه أن عدداً من الأعضاء انسحبوا من المنظمة إلا أن هذا العدد حتى ولو كان كبيراً نسبياً فإنه لم يؤثر كثيرا. ذلك أن الإمام **وارث الدين** فتح الباب على مصراعيه أمام المثقفين للانضمام إلى المنظمة بعد أن كان الباب موصدا أمامهم، فبرغم ترحيب **إليجا** بهم إلا أن سياسته الانفصالية والعنصرية كانت تحول دونهم والانضمام إلى المنظمة.

كان المثقفون أصحاب البشرة السمراء يرون أن الانفصال لا يمكن أن يتحقق أو يكون مقبولا لدى أي إدارة أمريكية. كما أن العنصرية بالصورة التي حدد معالمها **إليجا** لا تستسيغها عقولهم. فالعبارات مثل: (البيض الشياطين، البيض ليسوا من خلق الله، البيض هم خلق **يعقوب**)، قد تجد لها صدى في نفوس الجهلاء والسذج من الأمريكيين الأفارقة، أما المثقفين منهم ومن غيرهم فإنهم يضحكون منها. وكنتيجة لما قام به **وارث الدين** زاد عدد المثقفين أصحاب البشرة السمراء في الحركة بصورة ملحوظة كما دخل أيضاً عدد من البيض في حين لم يكن مسموحاً لهم أن ينضموا إلى عضوية

مسجد مالكولم إكس
ومدرسة كلارا محمد في نيويورك

المنظمة أيام **إليجا** فساعد ذلك أيضا في تحقيق قدر من التعددية اللونية وبعض التوازن الذي كان مفقوداً.

على أن أخطر رد فعل واجه **وارث الدين** كان هو انفصال **لويس فراخان** عن المنظمة في العام ١٩٧٧م، أي بعد مرور حوالي عامين على تولي **وارث الدين** مقاليد الزعامة. وبانشقاقه وإعلانه عودة (أمة الإسلام) إلى حيز الوجود كان من الطبيعي والمتوقع أن يسحب معه عدداً من أعضاء المنظمة وخاصة من أنصار الحلم الأمريكي الأسود الذين لم تعجبهم الإجراءات التصحيحية التي قام بها **وارث الدين**. ومن الذين يريدون صورة مميزة للإسلام (على الطريقة الإليجية) تكون خاصة بالأمريكيين السود مهما كانت هذه الصورة مشوهة ومحرفة ومرفوضة من جمهور المسلمين. وتصف صحيفة (The Chicago Reporter) انفصال **فراخان** بأنه كان ضربة مريرة وموجعة[١]، فقد كان **فراخان** من أقطاب المنظمة ومن أبرز رجالاتها ووزرائها في عهد **إليجا**. ولعله كان الرجل الثالث بعد **وارث الدين** و**مالكولم إكس**، ثم صعد إلى المركز الثاني بعد استشهاد الأخير. كما شغل منصب الناطق الرسمي باسم الحركة لفترة امتدت حوالي عشرة سنوات.

وعندما أعلن **فراخان** عن إحياء منظمة **إليجا محمد** وأنه سوف يسير بها على نهجه، التف حوله عدد من السود بلغ نحوا من عشرة آلاف في أول الأمر. وبدأت الأجواء تتوتر بل تتكهرب بين أنصار الفريقين خاصة وأن **فراخان** استطاع وخلال فترة وجيزة أن يكسب إليه معظم أفراد أسرة **إليجا** من أبنائه وبناته الشرعيين وغير الشرعيين باستثناء الإمام **وارث الدين** بالطبع وشقيقه **أكبر محمد** الذي اتخذ موقف المتفرج والرافض للفصيلين معاً[٢].

وعلى أية حال فإن أتباع **وارث الدين** ما عاد لهم تنظيم واحد يجمعهم حتى قبل وفاته في رمضان ١٤٢٩هـ وهو بالطبع لم يختار خليفة له أو يوحي بذلك، وهذا راجع لزهده في القيادة والسلطة ورغبته في أن يترك أتباعه يندمجون في المجتمع الأمريكي كتطور طبيعي للحركة مع الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية. ولقد سعيت وحاولت بمختلف الوسائل معرفة الأوضاع بعد وفاته ومن هو القائد الجديد الذي حل محله وما هي توجهاته وخططه، أو حتى معرفة الشخصيات البارزة الآن وفرصها، إلا أن المعلومات التي توصلت إليها تشير إلى أنه لا توجد حالياً قيادة معروفة أو متفق عليها للحركة، بل لا توجد جماعة منظمة أصلاً ككيان حيث كان وارث قد عمد ومنذ فترة على تفكيك الهياكل والمجالس والإدارات تاركاً لكل مسجد أن يختار أعضاؤه إماما يكون هو المرشد الديني والروحي والمرجع لهم، وأن يعمل كل مسجد باستقلالية شبه كاملة، وما عاد أتباع **وارث الدين** يجتمعون إلا في المناسبات الدينية والعامة فقط.

أما **لويس فراخان** فقد تقلص نشاطه هو الآخر بصورة واضحة وربما يكون ذلك بسبب ظروفه الصحية كما سيرد ذلك بالتفصيل في الصفحات التالية وما عاد له ظهور من خلال أجهزة الإعلام أو تصريحات مثيرة للجدل كما كان في السابق إلا خلال فترات متباعدة نسبياً.

---

١) العدد رقم ١٢ الصادر في ديسمبر ١٩٨٦م.

٢) وبالنسبة للسيدة كلارا محمد (زوجة إليجا) فقد لحقت بالرفيق الأعلى في عام ١٩٧٣م أي قبل وفاة زوجها بعامين.

الباب السابع

لويس فراخان..
المفني (الساحر) ١٩٣٣م

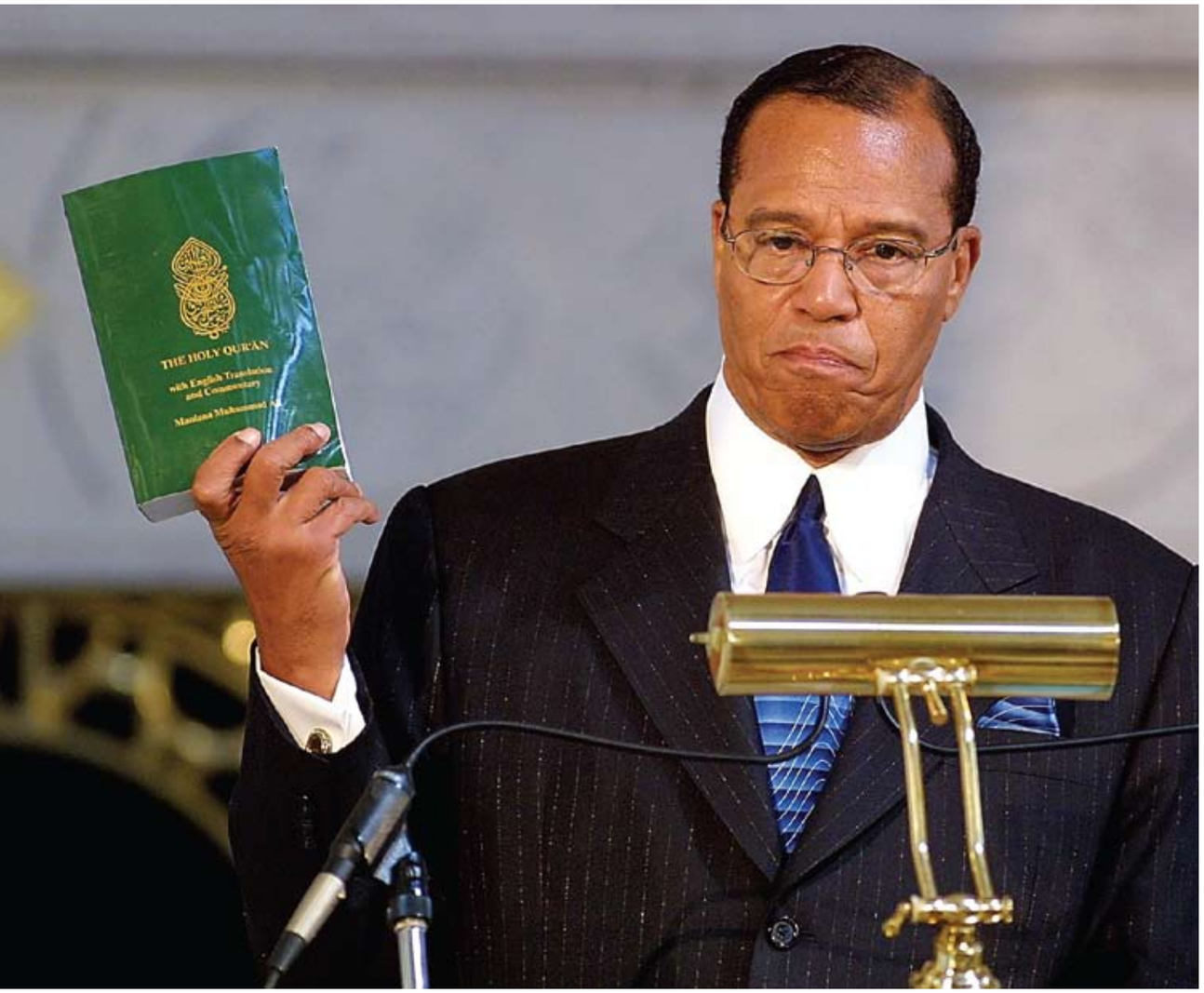

مولده ونشأته

ولد **لويس يوقين والكوت** (وهذا اسمه الحقيقي) في ١١ مايو ١٩٣٣م بمدينة روكس بيري (بوسطن) في ولاية ماساشوستس الأمريكية[١]. وجاءت ولادته بعد طلاق أمه ببضعة أشهر. أما والده **بير سيفال كلارك** فهو جامايكي أسمر البشرة كان يعمل سائقاً لسيارة أجرة.

وقد اهتمت والدته بتربيته هو وشقيقه الأكبر **ألفن** وكرّست حياتها لرعايتهما كأفضل ما يكون حتى يقال أنها انخرطت في أكثر من مهنة في وقت واحد لتوفر لقمة العيش الكريم لولديها، فعملت كخادمة وطاهية وخياطة[٢]، كما حرصت على إشراكهما في المناقشات والمجلات الثقافية وذلك منذ وقت مبكر في حياتهما. وعندما لمست أن ابنها **لويس** له ميول نحو الموسيقى اشترت له آلة كمان وذلك قبل أن يبلغ السادسة[٣].

وظهر نبوغه المبكر في مجال الموسيقى وأصبح معروفاً على مستوى الولايات المتحدة عندما فاز - وهو في الرابعة عشرة - بجائزة (تيد ماك) لأفضل موسيقي من الهواة. وكان أيضاً من أوائل السود الذين ظهروا ولفتوا الأنظار على خشبة المسرح فيما يعرف بالفنون الاستعراضية.

وعند تخرجه من المدرسة الثانوية وهو في السادسة عشرة حصل **لويس** أيضاً على جائزة عن براعته في سباق الحواجز وكانت الجائزة عبارة عن منحة مجانية للدراسة في كلية (ونستون سالم لتدريب المعلمين) بكارولينا الشمالية حيث أبدى تفوقاً واضحاً في اللغة الإنجليزية. وفي السنة الثانية من دراسته بهذه الكلية، وبالتحديد في سبتمبر ١٩٥٣م تزوج صديقة طفولته (بتسي). وبعدها بفترة وجيزة ترك الكلية وقرر أن يتفرغ لإظهار مواهبه الفنية في مجالات الغناء والموسيقى وكتابة الأغاني والمسرحيات. وسرعان ما بدأ يلفت الأنظار في بوسطن كفنان شامل لم يطرق باباً من أبواب الفن إلا وبهر الناس فيه وأبدع حتى أطلقوا عليه لقب الساحر (The Charmer) وبالنسبة لحياته الأسرية فقد رزق **فراخان** وبتسي تسعة من الأبناء والبنات وذلك قبل أن يتعرض لمرض سرطان البروستاتا في العام ١٩٩٩م. كان من المتوقع جداً ل**لويس** يوقين أن يصبح واحدا من أعظم وأشهر نجوم الغناء والموسيقي في أمريكا الشمالية بل ربما كان سينافس **ألفس بريسلي** و**بوب مارلي** في الشعبية والشهرة لو قدر له الاستمرار في المجال الفني ولكن.

انضمام فراخان إلى (أمة الإسلام)

كان شهر فبراير من العام ١٩٥٥م يحمل في طياته ما جعل حياة المغني الساحر تنقلب رأساً على عقب، فخلال فترة وجوده في شيكاغو لأداء دور رئيس في مسرحية (Calypso Follies) (حماقات المغني كالبسو) تعرض الفنان الشاب لحملة من النقد العنيف بسبب الدور الذي أداه في تلك العروض. وشاءت الأقدار أن يحضر فعاليات احتفالات (أمة الإسلام) بذكرى يوم المنقذ والتي أُقيمت في ذلك العام بالمعبد رقم ١٢ بشيكاغو. وكانت المنظمة قد اشترت هذا المبنى منذ فترة وجيزة ورأى **إليجا** أن يكون الاحتفال السنوي لذلك العام فيه كافتتاح وتدشين له.

وفيما كان **لويس** جالساً في شرفة خاصة يتابع فقرات الاحتفال باهتمام. وعندما بدأ **إليجا محمد** يتحدث قال **لويس** والكوت لأحد الجالسين بقربه ولعله **مالكولم إكس**: (هذا الرجل لا يجيد لغة الخطابة)[٤]، وكان يشير بذلك إلى

١) المقال بعنوان: (Farrakhan and The Nation of Islam) من الموقع (www.answering-islam.org/nol) ، ص ٦ من ١٤ لإيريك بيمنت.
٢) المقال بعنوان (لويس فراخان) لجاي روجرز، ص ١ من ٢ على الانترنت.
٣) المقال بعنوان: (Bio Sketch Of The Honorable Louis Farrakhan) من الموقع (www.answering-islam.org/no/noi.html) على الإنترنت، ص ١.
٤) المقال بعنوان: (Bio Sketch Of The Honorable Minister Louis Farrakhan) ، ص ١-٣.

اللغة (الركيكة) التي كان يتحدث بها **إليجا**. وسرعان ما رفع الأخير عقيرته فجأة واتجه ببصره إلى الشرفة حيث يجلس المغني **لويس والكوت** وخاطبه مباشرة قائلاً: (لا تلق بالاً للأسلوب الذي أعبرّ به والطريقة التي أتحدث بها. ركّز فقط على ما أقوله. ثم خذه وضعه بالطريقة اللغوية السليمة والجميلة التي تجيدها وتعرفها).

(Don't pay attention to how I say it. Pay attention to what I say.
then take it and put it into that fine language that you know)[١]

ومع ذلك فهناك أكثر من مصدر يؤكد أن **لويس** كان من طلائع المثقفين والصفوة من المتعلمين الذين استطاع **مالكولم إكس** أن يستقطبهم للحركة. وأنه (أي **مالكولم**) هو الذي دعاه لحضور ذلك الاحتفال بعد أن حدثه كثيراً عن مزايا الإسلام. وعن **إليجا محمد** وأمة الإسلام، وهذا ما أكده لي **فراخان** شخصياً خلال لقائي به بمنزله في شيكاغو.

وعلى الرغم من حقيقة أن الموسيقى كانت عشقه الأول فبعد مرور ثلاثة أشهر فقط على انضمامه للحركة جاء إليه **مالكولم** بأمر خطير إذ أبلغه (أن **إليجا** يأمرك وكل عضو في الحركة. وخاصة الأعضاء في مسجد نيويورك. باعتزال كل ما له علاقة بالغناء والموسيقى، وأن من لا يريد الالتزام بهذا الأمر فعليه أن يخرج من الحركة).

كان الأمر واضحاً وصريحاً إذ خيّر **إليجا** الأعضاء بين أمرين: اعتزال الموسيقى أو التخلي عن المنظمة. وكنتيجة لذلك فإن الغالبية العظمى من الموسيقيين تركوا المنظمة أما **لويس والكوت** فقد كان واحدا من القلائل الذين آثروا اعتزال العمل الفني نهائياً والبقاء في حظيرة المنظمة، بل اختار لنفسه اسم **لويس إكس** (Louis X) [٢] وتعهد بأن يكرس حياته لخدمة تعاليم **إليجا محمد**. لكن وقبل أن يعتزل الفن نهائياً استثمر **لويس** المهلة التي أعطيت له، وهي ثلاثين يوماً، بتكثيف عروضه في محاولة لإظهار كل ما لديه من مواهب. وفي الليلة الأخيرة من المهلة رغب **لويس** في إخراج كل ما في جعبته ولم يكن يعلم أن بين الحضور لحفله الوداعي هذا أحد كبار المنتجين. وبعد نهاية العرض مباشرة توجه هذا المنتج إلى **لويس** في غرفة تغيير الملابس وقدم إليه عرضاً مغرياً للعمل معه. أخذ **لويس** العقد وتوجه إلى سكنه وهو يحلم بالثراء الذي يوشك أن يحل عليه من جراء هذه الصفقة التي جاءت في غير وقتها.

يقول **لويس**: أنه رأى في منامه تلك الليلة بابين متجاورين وبأعلى الباب الأول قرأ كلمة (النجاح)، وبداخل هذا الباب كان يرى بوضوح كنوزاً من الذهب والأحجار الكريمة التي كان بريقها يخطف الأبصار. أما الباب الثاني فقد كتب بأعلاه (الإسلام) وكانت تتدلى منه ستارة سوداء لم يستطع أن يرى ما وراءها. لكن عندما تجاوز الستارة وجد نفسه يسير في طريق للنجاح لكنه مليء بالأشواك والعقبات. ويقول **لويس** أنه وبلا تردد اختار باب (الإسلام)[٣].

ولدى عودته إلى بوسطن - تنفيذا للطلب من **مالكولم إكس** - أظهر **لويس إكس** (**فراخان**) أنه أحد جنود الحركة الأكثر إخلاصاً وذكاء وانضباطاً. وحيث أنه كان من طلائع المثقفين السود الذين انضموا إلى الحركة وكان شخصية مشهورة وقتها مما جعل انضمامه للحركة يعد نصراً وكسباً كبيرين، فقد وجد التقدير اللائق وتدرج بسرعة في الهرم الوظيفي للحركة، وسرعان ما تم تعيينه قائداً للجيش السري (فاكهة الإسلام) ووزيراً لمعبد بوسطن. وبعد اغتيال **مالكولم إكس** تم تكليف **لويس والكوت** (**فراخان**) بإعادة بناء وتنظيم (معبد هارلم). وكانت آخر وظيفة يشغلها قبل وفاة **إليجا** في عام ١٩٧٥م هي الناطق الرسمي والممثل القومي للحركة في الولايات المتحدة.

١) المرجع السابق: ص ١-٣.
٢) حرف الـ (X) كما هو الحال في أسماء العشرات من السود الأمريكيين يقصد منه الإشارة على ضياع شجرة العائلة والجذور وأيضاً هو تعبير عن الرفض للاسم الخاص بالجد والذي كان من اختيار البيض وكان يرمز للعبودية، وربما كان بالنسبة للويس بالذات تعبيراً بالعرفان أيضا لمالكولم إكس.
٣) كتاب: (Muslim Communities In North America) لايفون يزبك حداد وجين سميث. الصادر عن (State University of New York Press) ، ص ٢٣-٢٤.

لويس فراخان ووارث الدين محمد

وارث الدين وفراخان في لحظة صفاء

لا يختلف اثنان حول حقيقة أن **فراخان** يمتلك موهبة خطابية فذة ومقدرة هائلة على الإقناع والتأثير. وهو رجل يجبرك على احترامه برغم الاختلاف في وجهات النظر حيث ساعدته في هذا النبوغ نشأته الأولى كما رأينا إذ حرصت والدته على تدريبه ليكون خطيباً مفوهاً ومحاوراً من الطراز الأول عندما شجعته ـ وهو ما يزال حدثاً يافعاً ـ على المشاركة في المناقشات والمناظرات كما ساعدته في ذلك مواهبه المتعددة وخاصة في مجالات الشعر والموسيقى والتمثيل. وإذا جلست إليه تحس أنك فعلاً أمام رجل غير عادي. فهو صاحب شخصية جذابة آسرة أو ما يعرف بالشخصية الجماهيرية أو الكارزماتيكية (Charismatic Personality).

وقد يقول البعض: أنه مراوغ مغرور يحب الزعامة والظهور ذلك لما لاحظوا عليه من أنه يتحدث عن نفسه كثيراً وبثقة مفرطة لكنني – وقد اجتمعت به مرات عديدة– لا أراه كذلك بل أعتبره امتداداً لجيل العمالقة والعظماء من رموز الحركة القومية أصحاب البشرة السمراء في الولايات المتحدة أمثال **قارفي** و**مالكولم إكس** و**لوثر كنج**، بل ربما يضعه البعض في مصاف الجنرال **كولن باول** والسيدة رايس والرئيس **أوباما** وغيرهم من الشخصيات التي نحتت طريقها للنجاح بطموحها وقوة عزيمتها في الجيل المعاصر.

ومهما يكن، فعندما توفي **إليجا** كان **فراخان** هو الرجل الثاني في الحركة بعد **وارث الدين**، ومع ذلك توقع بعض المراقبين أن يتم تعيينه خليفة لـ**إليجا** باعتباره الأصلح والأنسب لقيادة الحركة. لكنه حسم الأمر عندما أعلن يمين الطاعة والولاء لوارث **الدين** باعتبار أن خلافة وارث لوالده هي مشيئة المؤسس فارد، وأن **وارث الدين** تم تدريبه وتهيئته ليكون خليفة لوالده. وعلى ذلك فقد بايعه **فراخان** زعيماً للحركة، لكنه سرعان ما بدأ يشعر بالإحباط والامتعاض إذ كان أول قرار يصدره وارث فيما يتعلق به هو نقله من مسجد هارلم للعمل بمسجد صغير في الجزء الغربي من شيكاغو. ليس ذلك فحسب بل وجد نفسه مضطراً للعمل تحت إشراف إمام من تلاميذه وكان حتى وقت قريب من مرؤوسيه.

ولم يكتف وارث بذلك بل أرسله في جولة خارجية إلى دول الكاريبي وبعض الدول الأفريقية لإلقاء محاضرات والتعريف بالحركة، واعتبر **فراخان** أن الغرض الرئيس وراء تكليفه بهذه المهمة هو إبعاده (مؤقتاً) عن مسرح الأحداث حتى ينصرف **وارث الدين** إلى (تفكيك) الحركة وإجراء التغييرات والإصلاحات التي يريدها. من هنا بدأت الخلافات تدب بين الرجلين. وبدأ **فراخان** يدلي بتصريحات تنطوي على انتقادات صريحة لتصرفات **وارث الدين**، ومن ذلك قوله (أن **إليجا محمد** لم يكن يريد لنا أبداً أن نتبع ما يسمى بالإسلام السنّي)[١].

وفي ٨ نوفمبر من عام ١٩٧٧م وأمام حشد جماهيري كبير أعلن رسمياً عزمه على إعادة تأسيس حركة أمة الإسلام وأنه سيسير بها على الخُطى والتعاليم التي أرساها **إليجا محمد**[٢].

وفي تبريره لموقفه وانقلابه على زعيمه أعلن **فراخان** أن **وارث الدين** خان الأمانة بل أصبح مجرد دمية أو أداة في يد أمريكا البيضاء. وأنه يشبه يام (أو كنعان كما يسميه أهل الكتاب) ابن سيدنا نوح عليه السلام الذي شق عصا الطاعة على

١) المقابلة الصحفية التي أجراها كارلوس رسيل المحرر بصحيفة (Chicago Daily Defender) في عددها الصادر بتاريخ ١١ فبراير ١٩٧٨م.
٢) الصحيفة المشار إليها أعلاه. عدد ٣ ديسمبر ١٩٧٧م.

والده فأخذه الطوفان[١].

رأى **فراخان** أن **وارث الدين** قدم تنازلات كبيرة فيما يتعلق بمبادئ ناضل من أجلها السود عامة والمسلمون خاصة طوال عدة قرون ومنها:

أ) التنازل عن مبدأ المطالبة باستقطاع رقعة أرض وجعلها وطناً مستقلاً للسود.

ب) التنازل عن مبدأ تعظيم الإنسان الأسود وتفوقه وأنه الأصل، وسماحه للبيض بالانضمام لعضوية الحركة وهذا يعني، كما هو واضح، أن **فراخان** يرفض مبدأ المساواة بين البيض والسود.

ج) استبدال النظرة العدائية لأمريكا البيضاء بالإعلان أن المسلمين أصحاب البشرة السمراء هم جزء لا يتجزأ من منظومة المجتمع الأمريكي وأن ولاءهم أولاً وأخيراً لأمريكا.

د) إدعاء **وارث الدين** أن الدستور الأمريكي هو في الأساس وثيقة قرآنية وأن معظم فقراته مأخوذة من المبادئ التي أرساها سيدنا محمد ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان[٢]، حيث رأى **فراخان** أن هذا الإدعاء فيه أيضاً تعظيم لأمريكا البيضاء لا يخلو من النفاق السياسي والروح الانهزامية بل الاستسلامية.

فراخان يمارس هوايته المفضلة بعد اعتزاله الموسيقى وإلى جواره ولده مصطفى (أحد حراسه الشخصيين)

هـ) تغيير **وارث الدين** شعار الحركة الذي اختاره لها **إليجا محمد** والمتمثل في الراية الحمراء وبداخلها هلال ونجمة أبيضان واستبداله بالعلم الأمريكي. هذا الإجراء وجد الاستهجان أيضاً من **فراخان** الذي بدأ يصرح بأن **وارث الدين** يرمي إلى أمركة الحركة وليس أسلمتها.

أما الخطوة الأخيرة في عملية التغيير والإصلاح التي قاد لواءها **وارث الدين** والمتمثلة في إعلانه حل حركة أمة الإسلام واستبدالها أولاً بالجماعة العالمية للإسلام في الغرب (The World Community of Al-Islam In The West)، ثم استبدال هذا الاسم بعد فترة قصيرة بـ (The American Muslim Mission) أي البعثة الإسلامية الأمريكية.

هذا الإجراء الأخير اعتبره **فراخان** (ردة) بل و(تفكيكاً) متعمداً لأوصال الحركة وأنه دفع كثيرين من أعضائها إلى الانصراف عنها والعودة مجدداً لحياة الضياع والتسكع في الطرقات. وعليه فعندما أعلن عزمه إعادة الحياة إلى أمة الإسلام والولوج بها إلى آفاق أرحب، وجد مناصرة ودعماً قويين من الكثيرين. وتنادى إليه العشرات بل المئات من أعضاء المنظمة الذين كانوا تحت إمرة **وارث الدين** وخاصة من أنصار الحلم الأمريكي الأسود الذين لم تعجبهم الإجراءات التصحيحية التي قام بها **وارث الدين**، وأيضاً أصحاب المصالح وغيرهم من الراغبين في بقاء الصورة (المشوهة) للإسلام الخاصة بالأمريكيين السود، أو بعبارة أصح (الإسلام على الطريقة الإليجية) مهما كانت هذه الصورة محرفة ومشوهة ومزيفة.

وبصرف النظر عن مواقف كلا الفريقين واختلافهما في الأيديولوجيات فإنني على قناعة تامة بأن هناك أرضية

١) كتاب (Muslim Communities In North America) لايفون حداد وجين سميث، ص ٢٣ والبروفسيرة إيفون حداد أمريكية من أصل لبناني. وهي مسيحية تعمل أستاذة للتاريخ بجامعة ماساشوستس لكنها من الأصوات الحرة التي تدافع عن الإسلام والمسلمين في كل محفل ومنبر.
٢) كتاب (The African American Image) للسيد شريف، ص ١١٨.

مشتركة تجمع بين الرجلين وهي الإخلاص في العمل لمصلحة الإسلام والمسلمين في أمريكا كل من منظوره الخاص.

وإذا كان **وارث الدين** يمثل جانب الحكمة والعقلانية والمرونة مع الزهد الواضح في السلطة ومتاع الحياة الدنيا والمال. **فلويس فراخان**، برغم الجدل الكثير المثار حوله، هو شخصية قيادية جماهيرية لها وزنها حتى على المستوى العالمي. ولعله الوحيد بين القادة السود الموجودين على الساحة حالياً الذي بمقدوره حشد الملايين السوداء وتحريكها بإشارة منه وما مسيرة المليون رجل الشهيرة التي نظمها في أكتوبر من عام ١٩٩٥م ببعيدة عن الأذهان.

ومن هنا يتضح أن **فراخان** أصبح يمثل رقماً مهماً وعاملاً حاسماً في أي مسألة تتعلق بأوضاع المسلمين الأمريكيين ذوي الأصول الأفريقية ومستقبلهم، وأيضا في إسماع صوت المسلمين الأمريكيين الأفارقة ونقل نبضهم مباشرة أو عبر أجهزة الإعلام إلى مراكز صناعة القرار وإلى المجتمع الأمريكي عامة. وعليه طالما أنه - وبرغم المآخذ والتحفظات عليه - قد أصبح رقماً مهماً على خارطة المشهد السياسي في أمريكا فإنه لا يجوز أن نضعه خارج حساباتنا لمجرد أننا نختلف معه في النهج والأسلوب وبعض التفاصيل لاسيما الآن بعد رحيل **وارث الدين** وخلو الساحة من الشخصيات القيادية.

إن علينا أن نتذكر أنه ليست هناك ظاهرة اجتماعية أو حتى طبيعية لا تخضع في حركتها للجدلية فهناك دائماً جانب سلبي وجانب إيجابي يتحاوران ويتفاعلان وليست ظاهرة **فراخان** استثناء عن ذلك أو حالة شاذة. وعلينا دائماً أن نفرد مساحة أكبر للحوار والتعاون المشترك معه لبناء قاعدة صلبة تكون وعاء لتكوين وتفريخ القيادات الواعية والرشيدة في مناخ إسلامي معافى مع العمل المستمر لتأصيل الهوية الإسلامية ورفع المستوى العلمي والتقني لشبابنا وتحصينهم ضد أي غزو.

حركة أمة الإسلام في ثوبها الجديد

عندما أعلن **لويس فراخان** عن إحياء حركة أمة الإسلام تحت قيادته وحيث كان يعلم أن لا مرجعية شرعية تخوله تولي الزعامة والسلطة، فقد رأى أن الواجب يحتم عليه أن يسوق ذريعة أو فرية يبرر بها ما أقدم عليه فكان أن أعلن أولاً أنه الخليفة والوريث الشرعي لـ**إليجا محمد** باعتباره الابن الروحي له. وكانت قد انطلقت شائعة قوية فور الإعلان عن وفاة **إليجا** بأنه لم يمت واستشهد أصحاب هذا الادعاء بما صرح به أحد أحفاده عندما نقلوا إليه خبر الوفاة حيث قال: (نحن معشر المؤمنين لا نصدّق مثل هذا الكلام أو نقبل به حتى نرى جثمانه)[١].

كان هذا هو الخيط الذي التقطه **فراخان** وبدأ ينسج حوله ويعزف عليه بمهارة فائقة إذ راح يروّج لقضية أن **وارث الدين** تنكر للمبادئ التي قامت عليها الحركة والتي أوصلته إلى زعامتها. ولعله من نافلة القول التذكير بأن **والاس فارد** قدم نفسه في أول الأمر على أنه نبي مبعوث للأمة السوداء خاصة. وبعد رحيله (أو بالأحرى اختفائِهِ المفاجئ)، وعندما تولى تلميذه وربيبه **إليجا محمد** الزعامة حدث تحول خطير في ثيولوجيا الحركة كما رأينا فأصبح فارد هو الرب وبات خليفته هو رسوله.

إذا فقد وجد سابقة يستند عليها، ووجد أن ثمة من تساورهم الشكوك حول وفاة **إليجا** بول، والأهم من كل ذلك أن **وارث الدين** - كما وضح - أظهر زهداً في السلطة والزعامة فلم لا يجرب حظه وقد واتته الفرصة؟ أعلن **فراخان** أن **إليجا** ليس رسولاً لفارد بل هو **المسيح عيسى** الذي يترقبه المسيحيون وهو أيضاً المهدي الذي ينتظره المسلمون.

وأما عن دوره هو فادعى أنه رسول **إليجا**، وزعم أن **إليجا** - وإن غاب جسداً - فهو موجود بروحه في مكان ما من هذا

١) كتاب (Muslim communities In North America) لايفون حداد وجين سميث، ص٢٢٠.

العالم. وأن قوة الرب موجودة في أمريكا وبالتحديد بحوزته هو (أي بحوزة **فراخان**)[١].

ويدعي **فراخان** أيضاً أن **إليجا** عندما اختاره لأداء المهمة الصعبة المتمثلة في إعادة بناء معبدي بوسطن وهارلم كان يرمي من ذلك إلى تهيئته وإعداده للمهمة الأصعب التي لن يكون هناك من هو أجدر منه للقيام بها بعد رحيله. هذه المهمة الأصعب والتي توقع **إليجا** أن الحركة ستحتاجها هي إعادة البناء لقواعد الحركة وتنظيمها.

وفي هذا السياق يقول:

(إن عملية البناء لمسجد نيويورك وإعادة البناء لمسجد هارلم كانتا بمثابة الإعداد لي. الآن وقد مضى **إليجا** وتولى ابنه الزعامة حدث انحراف كامل في مفاهيم الحركة. وأصبح الناس في حالة من الجهل والخواء الروحي والغضب لأن كل ما ناضلوا وضحوا من أجله ضاع سدى. وهنا يجيء دوري كمنقذ ليس لإعادة بناء المساجد بل لإكمال الرسالة)[٢].

ويضيف **فراخان** أنه، بعد الخطاب الذي ألقاه **إليجا** أمام حشد جماهيري قوامه حوالي ٤٠,٠٠٠ من أعضاء الحركة في راندلز أيلاند (Randall's Island) في سبتمبر ١٩٧٤م، التفت إليه وقد علا الحزن وجهه وقال: (أخشى أن يجيء يوم تذهب فيه إلى المعبد فلا تجد أحداً غيرك)[٣].

على أن أغرب ما صرح به **فراخان** فيما يتعلق بدوره ووضعيته ادعاؤه أنه أسري به في اليوم السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٨٥م فيما كان نائماً!

هكذا أصبح **فراخان** الآمر الناهي والزعيم غير المنازع للفصيل المنشق. أما **وارث الدين** فقد آثر التفرغ لأعمال الدعوة وهداية أتباعه إلى التعاليم الصحيحة للدين الحنيف.

ومهما يكن، فقد احتفظ **فراخان** بالقالب الرئيس لتعاليم الحركة ومعتقداتها المتمحورة حول نظرة عنصرية ضيقة تقوم على تعظيم الإنسان الأسود كما غيّر اسم الصحيفة الناطقة باسم الحركة إلى (The Final Call) أي النداء الأخير، وقد ظلت هذه الصحيفة ولعشرات السنين تدعو للحاق بالركب والانضمام إلى **فراخان** قبل حدوث الطوفان العظيم الذي سيغرق العالم. وكانت تصلني نسخا منها بانتظام حتى أواخر الثمانينات من القرن الماضي.

وفي الجانب الآخر ظلت صحيفة **البلاليين** (الصحيفة الناطقة باسم الجناح الأم الذي يقوده **وارث الدين**) تخصص معظم صفحاتها للدعوة لدين الحق وشرح التعاليم الإسلامية الصحيحة إلى أن توقفت عن الصدور في أوائل التسعينات.

١) المرجع السابق، ص ٢٣-٢٤.
٢) المقابلة الصحفية مع لويس فراخان بتاريخ ١١ مايو ١٩٨٩م.
٣) كتاب: (Muslim communities In North America)، ص٢٧.

الصراع بين فراخان ووارث حول الزعامة والسلطة

فراخان وعمدة العاصمة واشنطن السابق ماريان باري (يسار) وريفرن آل شابتن (يمين)، وفي الخلف أحد أبنائه

هكذا وبعد مرور حوالي ثلاثة أعوام على وفاة **إليجا** انقسمت حركته إلى فريقين أو فصيلين: فصيل بقي مع ابنه وخليفته الشرعي الإمام **وارث الدين** وفصيل آخر آثر الانضمام إلى الوزير المنشق **لويس فراخان** الذي أعلن نفسه زعيماً لحركة أمة الإسلام. وبالنسبة للفصيل الأول وهو الأكبر من حيث العددية فإن كل الدلائل تشير إلى أن **وارث الدين** (رحمه الله) سار بأتباعه بجدية وخطى حثيثة في طريق العودة إلى الإسلام الصحيح وربطهم أكثر فأكثر بدول المنبع كما بذل جهوداً مقدرة لأن يصبح أتباعه جزءاً فاعلاً من أمة الإسلام الحقيقية وقوة مضافة لقوة المجتمع الإسلامي العالمي. وفي نفس الوقت يمكن القول أن **وارث الدين** استطاع أن يقطع شوطاً لا بأس به في عملية إدماج أتباعه في منظومة المجتمع الأمريكي مع العمل الجاد للاحتفاظ بالهوية المميزة لهم كمسلمين سنيين والقيام بواجب الدعوة ونشر التعاليم الصحيحة للإسلام في أوساطهم، بل حاول - من خلال إمكانات محدودة - تثقيف المسلمين وغير المسلمين من المواطنين الأمريكيين وتعريفهم بمزايا الدين الحنيف وتعاليمه ومواقفه من مختلف القضايا المطروحة على الساحة. وهو بذلك يكون قد حقق ثورة تصحيحية (على الأقل في الجانب الديني) تعتبر الأكبر من نوعها وحجمها في التاريخ الحديث.

أما الفصيل الثاني الذي تزعمه الوزير **فراخان** فإن مبادئه وتعاليمه وتوجهاته كانت حتى عهد قريب هي ما يمكن أن نطلق عليه النقيض لما يدعو له **وارث الدين**. هذا الفصيل وإن كان هو الأصغر من حيث الحجم والعددية إلا أنه أصبح الأكثر بروزاً والأعلى صوتا بسبب ما يملكه من وسائل وعدة وعتاد، وبسبب الظهور المكثف لزعيمه (**فراخان**) من خلال وسائل الإعلام العامة والخاصة وما يجده من دعم من جهات داخلية وخارجية. فالوزير **فراخان** لم يكتف بتجريد **وارث الدين** من دعم ومساندة السواد الأعظم من أفراد أسرته الكبيرة فحسب بل استطاع وبأساليب شيطانية أن يفوز بنصيب الأسد من أصول الحركة وممتلكاتها العقارية من عمائر ومساجد وبما في ذلك القصر الكبير الذي كان يسكنه **إليجا** في (هايد بارك) شيكاغو. وقد حصل على معظم ما حصل عليه بوسائل قانونية، وذلك سواء بالشراء المباشر أو عن طريق استصدار أحكام قضائية من المحاكم العاملة بموجب أنظمة ولاية الينوي وغيرها.

هكذا وبالحسابات المادية يمكن القول أن **فراخان** استطاع أن يصبح الشخصية الأكثر بروزاً والصوت الأقوى ليس بسبب أنه الأحق بالخلافة أو بسبب من مرجعية شرعية لكن لما يتمتع به من دهاء ومواهب وطموح ولأنه الوحيد - على ما يبدو - الذي يستطيع أن يجسد بالصوت والصورة نبض الملايين من المستضعفين الذين سحقهم الجوع والفقر والمرض وغيرها من أمراض الجهل والعنصرية.

وأخيراً وإزاء هذا الوضع فإن الباحث المسلم يجد نفسه في صراع داخلي. صراع ما بين الحرص على الوفاء بمتطلبات أمانة المهنة وأساسيات البحث العلمي وأصوله من حيث الالتزام بالحياد الموضوعي والمهنية وبين الجهر بما يمليه الواجب الشرعي الذي يجب أن تكون له الأولوية واليد العليا. فرأيت أن استخدم منهجاً توفيقياً وسطا وربما كان

مرّد ذلك قناعتي الشخصية بأن التوفيقية هي لغة هذا العصر، وعليه فإن النموذج الذي يقوده ويدعو إليه الإمام **وارث الدين** هو اتجاه يستحق كل الدعم والتشجيع، أما النموذج الآخر الذي يتبناه **فراخان** فهو نموذج يحتاج إلى التقويم والتصحيح وليس إلى التشريح والتجريح. وبحكم معرفتي الوثيقة بالرجلين فإذا كان وارث يتصف بالمرونة والانفتاح مع الميل للزهد والعقلانية والتروي. فإن **فراخان** - وبرغم ما يؤخذ عليه من تطرف في بعض القضايا - إلا أنه يمثل رقما لا يجوز إغفاله وهو أيضاً ممن يؤمنون بلغة الحوار وقبول النقد والتوجيه متى كانا صادرين عن قلب مخلص. ولقد راهنت منذ زمن ومازلت أراهن على إمكانية رجوعه في نهاية المطاف إلى النهج الصحيح والطريق القويم.

ولعل أكثر ما يدعوني لهذه النظرة المتفائلة اتفاق الزعيمين في عام ١٩٨٣م وإصدارهما لبيان مشترك حثا فيه أتباعهما على نبذ الخلافات والصراعات. وأيضاً الاجتماع الذي عقد بين الزعيمين في أكتوبر عام ١٩٨٦م كما أكد **وارث الدين** نبأ هذا الاجتماع في بيان نشرته جريدة (**البلاليين**) - الجريدة الناطقة باسم فصيله - قال فيه:

(لقد أعلن السيد **فراخان** عن رغبته في أن يسير بأتباعه على نهج الكتاب والسنة المطهرة وهذا يفتح الطريق أمامنا للسير قدماً في هذا الاتجاه).

كما أدلى **فراخان** بتصريح مماثل في نفس ذلك التاريخ وأردفه بآخر في يناير من عام ٢٠٠٠م أعلن فيه أنه يضع يده في يد **وارث الدين** للعمل سوياً لخدمة الإسلام والمسلمين الأمريكيين على هدي من الكتاب والسنة.

ولعل ما أكد صدقه في اعتزامه أتباع الإسلام الصحيح أمور بعضها شكلي لكن لها دلالتها العميقة. ومن ذلك مثلاً تأييده ودعمه للقس **جسي جاكسون** في حملته الانتخابية لرئاسة الولايات المتحدة في العام ١٩٨٨م، ومعروف أن **جاكسون** يحظى بتأييد غالبية المسلمين الأمريكيين باعتباره الأقرب منهم ومن قضاياهم وهمومهم. وهذا الدعم والتأييد يتناقض - كما نلاحظ - مع تعاليم **إليجا** الداعية لمقاطعة الانتخابات وعدم المشاركة بأي شكل من الأشكال في الحياة السياسية وذلك عملاً بمبدأ أن السود يجب أن يكون لهم وطنهم الخاص ودولتهم المستقلة، والمشاركة في الحياة السياسية الأمريكية تعني عنده الإقرار بمبدأ أن السود جزء من المجتمع الأمريكي والدولة الأمريكية البيضاء وهذا ما يرفضه رفضاً قاطعاً.

وبدأ **فراخان** أيضاً يعزف على وتر يدل على بعض التسامح فيما يتعلق بمعاملة البيض كما ظهر ذلك جلياً خلال الكلمة التي ألقاها في نيويورك أمام نحو ثلاثين ألف شخص في سبتمبر من عام ١٩٩٢م. وفي المسائل الجوهرية أقر **فراخان** بنقل موعد الصيام المفروض من شهر ديسمبر - كما أمر بذلك **إليجا** - إلى شهر رمضان المعظم امتثالاً للأمر الرباني. وغيرَّ أيضاً هيئة الصلاة الإليجية إلى الهيئة المتعارف عليها عند جمهور المسلمين كما صادر المصاحف المحّرفة ودعا أتباعه إلى استخدام المصحف العثماني المعروف نصاً أو الترجمة لمعانيه.

ولكن. بقيت بعض الإشكاليات التي تدل على أنه ما يزال مرتبطاً ببعض تعاليم وفلسفات **إليجا**. فالجريدة الناطقة باسمه واسم حركته (The Final Call) ما تزال تنشر بعض الأفكار الضالة الموروثة من عهد **إليجا**[1]. وقد ألمحنا له إلى هذا الموضوع خلال اجتماع معه هنا بالمملكة في ١٩٩٠م بحضور معالي الأخ الدكتور **عبد الله عمر نصيف** وعدد من الإخوة وأبدى تفهماً له ووعد بالتحقيق في الموضوع لدى عودته إلى الولايات المتحدة، وعموماً ولأنني مقتنع بأن **فراخان** لا يؤمن بمثل هذه الضلالات حتى لو تم نشرها في الصحيفة الرسمية لحركته فقد حرصت على زيارته والالتقاء به ومناقشته.

---

١) النشرة الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي (بدون تاريخ) تحت عنوان (مرئيات حول ما نشرته جريدة الدعوة الناطقة بلسان منظمة أمة الإسلام، ص ٧.

اجتماعاتي مع لويس فراخان ومعاونيه

بعد سلسلة الاجتماعات التي عقدت معه في المملكة عام١٩٩٠م وبحضور مجموعة من الشيوخ والعلماء الأفاضل ونخبة من المهتمين بأمر الدعوة. ومن خلال المناقشات المستفيضة التي دارت بيننا في جو من الصراحة والاحترام المتبادل. أعلن **فراخان** أنه يتبرأ من كل ما نُسب وينسب إليه مما يتعارض مع الإسلام شريعة وعقيدة ومنهاجاً. وبحمد الله فقد تم تسجيل كل ذلك في شريط وهو موجود معنا.

وقد بدا لنا أن **فراخان** يميل إلى أسلوب التدرج البطيء في الإصلاحات بعكس الإمام وارث، كما داخلني إحساس قوي بأنه سيجيء اليوم الذي تختفي فيه هذه (الضلالات) التي تنشر ما بين الحين والآخر في جريدته (النداء الأخير) على الرغم من عدم علمه بها أحياناً.

وكنت قد اجتمعت في وقت سابق ببعض مساعديه ومنهم ولده النقيب **مصطفى فراخان**، **ليونارد** و**جبريل محمد** وذلك في صيف١٩٨٧م بولاية كنساس. وأحسب أن أهم النقاط التي أثارها هي أنه على استعداد لسماع أي نقد أو توجيه كما أعرب عن استعداده للحوار الموضوعي الهادف مع أي مجموعة من المسلمين بعيداً عن الديماجوجية والمناقشات البيزنطية.

وعن رأيه في **وارث الدين** أوضح أنه يحترمه ويقدره وأن ما يجمعهما هو وحدة الهدف مع اختلاف الوسائل. وكنت ألاحظ أنه يتحدث دائماً بشيء من التعميم مع التركيز على الدور الكبير الذي يمكن أن يلعبه المسلمون أصحاب البشرة السمراء في أمريكا فيما يتعلق بنصرة القضايا العربية والإسلامية. يقول **فراخان** بثقة: أن قوتهم تنمو وتزداد يوماً بعد يوم وسوف يجبرون المجتمع الأمريكي على احترامهم طالما أنهم يحترمون القانون والنظام العام. ويؤكد أيضاً أنهم سيبرزون ضمن صناع القرار وربما يصبحون هم صناع القرار في أمريكا في يوم ما. ولعله مما يلفت الانتباه ذلك الحماس الذي يتحدث به مع الثقة في النفس والتفاؤل بأن المستقبل سيكون للكتلة السوداء طال الزمان أم قصر لأنهم طلاب حق وأصحاب رسالة وقضية[١].

ويؤكد **فراخان** أن الناس في الشرق فهموهم بصورة خاطئة، وحاول أن يشرح لنا فكرة **إليجا** وأنه لم يدع أنه رسول يوحى إليه من الله، لكنه مرسل أو ناقل لرسالة. والواضح أن خلفية **فراخان** المسيحية أثرت كثيراً على فهمه لمعنى النبوة والرسالة. ولكن الرجل يحاول ولابد من مساعدته في الوصول إلى معرفة التعاليم الصحيحة للدين الحنيف. ولقد ذكر لي في معرض حديثه أن جماعته يعتقدون أن **إليجا** كانت لديه قدرات خارقة أو كرامات، ولولا ذلك ما حقق كل ما حققه نظرا لمحدودية تعليمه، من هنا جاء الخلط بين أنه رسول أو زعيم أو مصلح. ويتضح من كل ذلك أن الرجل متأثر بالفلسفة الكنسية في هذا المجال. ولكن **فراخان** بدا في جميع أطوار المناقشات التي دارت بيننا كإنسان ميال للانفتاح، راغب في الصلاح والإصلاح. ولابد من أن نفتح عقولنا وقلوبنا له ونعمل على جذبه أكثر نحو العقيدة الصافية. ويجب ألا ننسى أنه رجل سياسة له طموحاته الشخصية فيما يتعلق بالزعامة والقيادة. وهنا تبرز أهمية الحكمة في الدعوة وبناء جسور الثقة والاحترام المتبادل حتى نحقق الأهداف التي نسعى إليها جميعاً بالنسبة لقضية المسلمين ذوي البشرة السمراء في أمريكا وصناعة الغد المشرق لهم ولأجيالهم القادمة.

وبهذه المناسبة فقد أوضح لي مساعده **ليونارد** خلال اجتماع خاص معه أن هدفهم الأساسي هو تطوير مجتمع

١) من المتوقع أن تصل نسبة السود في أمريكا خلال الخمسين سنة القادمة إلى أكثر من ٥٠٪ إذا سارت معدلات نمو السكان والهجرات لأمريكا بنفس المعدلات الحالية كما وردت هذه الفكرة في أكثر من عمل سينمائي وتلفزيوني.

المسلمين ذوي الأصول الأفريقية في أمريكا والأخذ بيدهم لكي يلحقوا بركب المدنية ويصبحوا أقدر على ممارسة حقوقهم وكسب مهارات تؤهلهم ليعيشوا حياة كريمة. وذكر أنهم ضحية للمجتمع الأمريكي الرأسمالي وأن لديهم قوة شرائية تصل إلى نحو ٢٥٠ بليون دولار وأن هذا المبلغ لو تم استغلاله بالصورة الصحيحة فسوف يساعد في تحقيق كثير من الأهداف. ويردد **ليونارد** دائماً أن الأمريكيين السود يمكن أن يصبحوا قوة هائلة ومؤثرة على مجريات الأحداث في القارة الأمريكية بل ربما في السياسة الخارجية الأمريكية أيضاً إذا توحدوا ووجدوا التوجيه الصحيح والقيادة الحكيمة.

ومن ناحية أخرى أعرب **فراخان** عن أسفه لضياع العديد من الفرص التعليمية على أبناءهم المسلمين السود بسبب عدم حصولهم على الدرجات المطلوبة أو عدم توفر الحد الأدنى المطلوب من المعرفة باللغات والعلوم ولأسباب أخرى مادية واجتماعية.

وكان **فراخان** يشكو في حديثه دائماً من أن الإعلام الغربي شوّه وما يزال يشوّه صورتهم للمسلمين عامة وفى العالم العربي بصفة خاصة. وهو يردد دائما (نحن في حاجة إليكم لتأخذوا بأيدينا وإذا رأيتم فينا اعوجاجاً فقومونا) كما يعترف أنهم وبسبب المآسي الكثيرة التي عاشوها والاضطهاد والظلم الاجتماعي الذي تعرضوا له دخلوا في نفق مظلم ووقعوا في أخطاء كبيرة. ويقول إنهم بحاجة إلى مساعدتنا لا لأن نظلمهم نحن أيضاً، وأنهم ينتظرون منا الكثير الذي يساهم في إزالة الغشاوة وتنقية الصورة المعروفة لديهم عن الإسلام المتسمة بكثير من الضبابية وبعض المفاهيم الدخيلة. ويأمل أن يتفهم الناس هنا وهناك الصورة الحقيقية والوضع الفعلي الذي يعيشون فيه وبالتالي استنباط الوسائل المناسبة للتعامل معهم ومع الواقع الذي يعيشون فيه، وذلك لا يتأتى حسب رأيه إلا بالمزيد من التواصل والحوار المتحضر المسئول.

وأكد أنهم في أمريكا وقعوا في (ورطة) بين اليهود من ناحية والمسيحيين من ناحية أخرى إضافة إلى عدم فهم المسلمين في الشرق لهم والشك فيهم وفي إسلامهم. وذكر أن أمريكا باتت تخشى من زيادة أعدادهم وزيادة نسلهم في وقت أخذت فيه أعداد الأمريكيين البيض في التناقص بسبب برامج تنظيم الأسرة وتحديد النسل وأيضاً بسبب الظروف المعيشية علاوة على ارتفاع عدد ضحايا الحروب الخارجية في أفغانستان والعراق وغيرهما.

ولقد حرصت على متابعة الاتصال به بعد عودتي وبعثت مجموعة من الإخوة للقائه وأشاروا إلى أنه متمسك بالأفكار التي طرحها وتحدث بها إلينا. فيما أبدى البعض شيئاً من التحفظ بسبب كتاباته وخطاباته التي يحاول من خلالها ترسيخ بعض المفاهيم التي تقوم عليها العقيدة الإليجية.

غير أني أعتقد بأن الرجل يمكن اجتذابه وأن لديه الرغبة الجادة في العودة إلى طريق الحق ولابد من إعانته على نفسه وفي التوجه نحو الأهداف الخيرة التي ننشدها جميعاً ونرجوها. ولأننا من خلاله نستطيع الوصول لهداية الآلاف من الحيارى والتائهين، وإنه لمن المؤسف حقاً أن نظل في موقف المراقب والمتفرج ونحن نراوح مكاننا. وفي يقيني أنه آن الأوان للقيام بخطوات فاعلة، جادة ومسئولة لإنقاذ هؤلاء الإخوة في العقيدة من الجهل والضلال.

وعليه فقد كان قراري بالسفر إلى الولايات المتحدة للتعرف أولاً على ما استجد من تطورات ومعطيات. ثم الالتقاء بزعماء الحركة وقياداتها وفي مقدمتهم بالطبع الإمام **وارث الدين محمد** والوزير **لويس فراخان**.

اجتماعات شيكاغو:

في يوم الاثنين ١٩٩٥/٦/١٢م التقيت بالسيد **فراخان** في منزله. كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة عصراً عندما دخلت ومرافقي الأخ الدكتور **عابد الله غازي** والأخ **مصباح رفاعي** [١] إلى القصر الكبير. وبقينا في ضيافة الوزير **فراخان** وأسرته حتى السابعة مساء. بدأ الاجتماع على مائدة الغداء بعد أن رحب بنا **فراخان** ترحيبا حارا، وعرفنا بالحضور وهم: مساعده الأول **ليونارد** وسكرتيرته **صفية** وثلاثة آخرون من كبار معاونيه. ثم سأل عن الأحوال في المملكة العربية السعودية.

وبدأ بالحديث عن عقيدته قائلاً: (أنا رجل أؤمن بالله ﷻ وبالرسول ﷺ، وبالقرآن الكريم. وأشكر للعرب أنهم حفظوا لنا القرآن طيلة هذه السنين).

بعد ذلك شرح لنا ما يقوم به من جهود في سبيل تحسين أوضاع المسلمين ذوي الأصول الأفريقية في أمريكا، بل وجميع السود الذين يحتاجون إلى مساعدة. وعن فلسفته في هذا المجال أوضح أنه ممن يؤمنون بأن تكون المساعدات للشعوب الأفريقية في شكل مساعدات بنيوية وهو لا يرى فائدة تذكر من وراء المساعدات المالية التي تقدم للدول فيساء استخدامها وتكون مصدر ثراء لفئات بعينها هي الطبقة الحاكمة والمقربين. وفي نفس الوقت هو لا يؤيد تقديم مساعدات مالية للفقراء والمعدمين لأن في ذلك مدعاة لتشجيعهم على البقاء في دائرة الفقر والتسول بل والاعتماد على الغير بدلاً عن الاعتماد على أنفسهم.

ثم تحدث عن أهمية العلم والتعليم باعتبارهما قدراً على كل الشعوب المعاصرة، موضحاً أن الذي لا يتطور ولا يتعاصر يخرج من دائرة المشاركة ويقع إلى الأبد في أسر التبعية والتخلف والفقر.

وتأمينا على ذلك أكدت له على ضرورة إعطاء الأولوية القصوى للتعليم بشقيه العصري والديني، الأكاديمي والمهني. وللإعلام المرئي والمسموع والمقروء، لإحداث التغيير المنشود والتنمية المستدامة. ومع التأكيد على أهمية الاستثمار في رأس المال البشري بوصفه رأس المال الحقيقي، الدائم والمتجدد. وضرورة تعهده بالرعاية والتأهيل والتدريب وإعادة التدريب. والتعليم يجب أن يقوم على خطط واستراتيجيات شاملة متكاملة تهدف للنهوض والرقي بعقلية الإنسان المسلم إلى مصاف التقدم. وإنتاج العقلية المرنة المتفتحة والمنتجة بل والمبدعة، كبديل للعقلية الانهزامية الاستهلاكية المتحجرة والمنغلقة.

ثم تحدث بألم عن الجرائم التي ارتكبها وما يزال يرتكبها المستعمرون الأوروبيون بحق الشعوب الأفريقية، وألمح إلى أنه يعتزم دعوة السود في جميع أنحاء الولايات المتحدة للقيام بتظاهرة أو مسيرة سلمية في أكتوبر القادم (١٩٩٥م) تحت شعار (يوم التكفير والمصالحة).

وعرج بالحديث إلى تفشي الحروب والمجاعات وانتشار مرض الإيدز على وجه الخصوص وتوطنه في العديد من الدول الأفريقية، وأكد على أهمية التصدي لهذا الداء العضال من خلال برامج وخطط علمية مدروسة كما أعرب لي عرضاً عن عميق تقديره وامتنانه لاهتمامي بقضية الأمريكان السود وقضايا الشعوب الإفريقية عامة. وتمنى أن تترجم كتاباتنا عنهم إلى الإنجليزية حتى يتمكنوا من قراءتها.

بعد ذلك انتقل بالحديث إلى موضوع تأخر العرب وكيف أثر على العالم الإسلامي ككل لأن الله ﷻ لعلمه ما لدى العرب من قدرات وفصاحة بيان – خصهم واصطفاهم لحمل مشاعل النور والهداية ونشر رسالة الإسلام الخالدة

---

١) مصباح رفاعي صحفي من نيجيريا التقيت به صدفة في مكتب الدكتور عابد الله غازي المدير التنفيذي لمؤسسة اقرأ الثقافية العالمية في شيكاغو، ورغب في مرافقتي لزيارة فراخان والتعرف عليه عن كثب.

في كافة أنحاء المعمورة، كما اختار النبي الأمي ﷺ منهم. وأضاف أنه خلال جولته الأخيرة في بعض الدول الأفريقية لاحظ شعورا متنامياً بالكراهية والنفور لدى الأفارقة السود تجاه العرب. وأن هناك جهات أوروبية تغذي هذه الكراهية وذلك من خلال بث الأكاذيب ونشر بعض الصور القديمة التي يظهر فيها أفارقة مقيدون بالسلاسل وتجار من العرب يسومونهم كما تسام الدواب. ويقول **فراخان**: أن المغرضين يحاولون بشتى السبل إقناع الأفارقة بأن هذه الصور والأوضاع ما تزال قائمة في بعض الدول العربية كالسودان وموريتانيا وغيرها.

وأوضح أنه يتفهم الدوافع الخفية لهذه الحملة المغرضة لتشويه صورة العرب وزرع بذور الفتنة والوقيعة بين العرب والأفارقة. لكنه وفي نفس الوقت يأمل في أن يتخلى كثير من العرب المسلمين عن النظرة الاستعلائية التي ينظرون بها إلى غيرهم من المسلمين، وأن يتحلوا بروح الإسلام وأخلاقه الحقيقية حيث لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. كما دعا للتخلي عن فكرة أن العرب وحدهم هم حماة العقيدة وحراسها. مشيرا إلى حقيقة أن العرب المسلمين لا يمثلون الآن أكثر من ٢٠٪ من مجموع مسلمي العالم. وأن عدد المسلمين في بعض الدول غير الإسلامية كالهند والصين يفوق مجموع سكان العالم العربي بأكمله مسلمين وغير مسلمين ناهيك عن اندونيسيا التي يصل عدد المسلمين فيها إلى ما يعادل مجموع العرب المسلمين في جميع أنحاء العالم.

ثم تحدث عن مجهوداته في مجال طباعة القرآن الكريم ونشره وتوزيعه، وعن مساعيه لجمع الأمريكيين المسلمين ذوي الأصول الأفريقية مشيرا إلى أنهم بدأوا منذ فترة يؤدون صلاة الجمعة جماعة وفي وقتها. على أنني لاحظت أنهم وفي بعض مساجدهم مازالوا يقرأون في صلواتهم ترجمات لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية كما هو الحال بالنسبة للخطبة التي تكون عادة بالإنجليزية. وقد نبهناه إلى أن الترجمات لمعاني القرآن الكريم لا تعتبر قرآناً ولا تجوز القراءة والصلاة بها أما خطبة الجمعة فلا بأس من أن تكون بالإنجليزية طالما كانت هناك ضرورة وقد أبدى تفهما لذلك واعتذر بأنه من الصعب عليهم أن يجدوا إماماً يحفظ القرآن الكريم بلغته العربية لكل مسجد.

وخلال حديثه في هذا الموضوع أكد على أهمية ربط المسجد بقضايا المجتمع، فالمسجد عنده لا يمكن أن يؤدي دوره كاملاً ما لم تلحق به مدرسة نظامية وهذا ما يفعله إذ جعل لكل مسجد مدرسة ملحقة به، وتحمل مدارسه اسم (مدارس الأخت كلارا محمد)، تخليداً لذكرى زوجة المؤسس الثاني للحركة **إليجا محمد**. وأضاف أنه أطلق على أحد المساجد التابعة لحركته اسم (مسجد السيدة مريم) لاجتذاب المسيحيين ولفت انتباههم لما يكنه الإسلام والمسلمون من تقدير للسيدة العذراء وسيدنا **عيسى** عليه السلام.

وأضاف أنه خلال أحاديثه إلى أي تجمع للمسيحيين يحرص على أن يبدأ حديثه بتوضيح مفهوم المسيح في الإسلام وأنه - أي المسيح - رسول بعثه الله ﷻ لهداية الناس، وليبشرهم بقدوم رسول منه اسمه أحمد. ثم عرج بالحديث إلى مشروعهم الجديد المتمثل في عزمهم شراء محطة للبث التلفزيوني واستخدامها في أغراض الدعوة إلى الله ﷻ، ويبرر ذلك قائلاً: أن الصورة والكلمة المسموعة أصبحتا لغة العصر والمصدر الرئيسي للثقافة ونقل خطابنا الديني والحضاري والسياسي إلى الآخر وإننا نعيش في وقت نحن أحوج ما نكون فيه لإعادة اكتشاف أنفسنا وفهم بعضنا البعض، وأنه ينبغي علينا دائماً أن نسعى لتحديث أدواتنا ووسائلنا وبرامجنا بما يتماشى وروح العصر.

وشدد في حديثه على أهمية النزول لمستوى فهم الناس وتلمس احتياجاتهم والتعرف على مستوى وعيهم وعقلياتهم. وأن علينا أن نحاول الولوج إلى عمق المقاصد الشرعية بدلاً عن هذه النظرة السطحية التي لا تؤدي إلا لتسطيح الفكر وتغييب الوعي فتجعل الناس يتمسكون بالقشور ويهتمون بالقضايا الانصرافية ومن ثم ينصرفون عن جوهر الدين.

وأكد أيضاً على أهمية التحدث إلى الناس باللغة التي يفهمونها وفي الموضوعات الحية، القريبة من عقولهم وتفكيرهم وذات الصلة بحياتهم اليومية ليسهل اجتذابهم لدين الحق والفطرة الذي ما حاج أحداً إلا غلبه.

وشدد على أهمية الاستفادة القصوى من كافة الإمكانيات والوسائل المتاحة وبما في ذلك ضرورة الاقتناء والاستخدام لأحدث ما وصلت إليه التقنية من منتجات وخاصة في مجال أجهزة الاتصال ووسائل الإعلام.

وفيما يتعلق باعتراضنا على وضع الكراسي داخل المساجد أوضح أنهم وضعوها اضطرارا وهي أساساً للراغبين في التعرف على الإسلام ومبادئه من الزوار الأمريكيين. وللمهتدين الجدد من حديثي العهد بالإسلام الذين يجدون مشقة في الجلوس على الأرض بسبب عدم التعود على ذلك. وأردف قائلاً وهو يضحك: (إنكم لا تستطيعون أن تتخيلوا مدى معاناتنا والمشقة التي يلقاها الإنسان الغربي إذ يضطر للجلوس على الأرض[1] خاصة إذا حاول أن يتعود على ذلك في الكبر).

وحول موضوع السجون في الولايات المتحدة ونزلائها أشار إلى أن السجون الأمريكية تضم بين جدرانها في ذلك الوقت (يونيو١٩٩٥م) أكثر من مليون أمريكي أسود وأن الباب مفتوح على مصراعيه لانضمام ملايين أخرى إليهم ما لم نسارع بعمل شيء لإزالة الأسباب التي تؤدي بالناس إلى طريق الانحراف والجريمة والسجن. كما نوه لانتشار بعض الأمراض الاجتماعية الأخرى والنقمة على المجتمع الأبيض لعدم تكافؤ فرص التعليم والعمل، وما نتج عن كل ذلك من تردٍّ للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومع غياب التعليم والتأهيل وانعدام الوازع الديني والأخلاقي ودور الأسرة، وفي ظل هذا الخواء الروحي يكون الانزلاق إلى هاوية الجريمة هو السبيل أو المخرج الوحيد المتاح لعشرات الآلاف من الأفرو أمريكانز. ويضيف أن الإدارة الأمريكية لا يضيرها في شيء أن تضع جميع السود الأمريكيين خلف قضبان السجون طالما أنهم في نظرها مذنبين بالميلاد وبحكم لون البشرة. وأكثر من ذلك أن السجون في أمريكا أصبحت صناعة مربحة كما يقول **فراخان**. وأكد على أهمية هذه القضية الاجتماعية التي تحتاج للبحث والدراسة الميدانية مع السعي لتحسين الظروف الحياتية للمسلمين السود عامة. وبالنسبة للمسجونين منهم فلا بد من العمل على استحداث برامج تأهيلية وتثقيفية ودعوية لهم بما يساعدهم على أن يبدأوا حياة جديدة بعد الخروج من السجن بعيداً عن عالم الرذيلة والإجرام.

وقد حدثته بهذه المناسبة عن تجربتنا وتعاوننا مع إدارات السجون في المملكة المتحدة التي حققت نتائج طيبة في مجال توعية وتثقيف وإعادة تأهيل أعداد كبيرة من نزلاء السجون البريطانية من المسلمين وغيرهم. كما التقت وجهات نظرنا حول أهمية التحرك العاقل والفعال لإنقاذ هؤلاء الإخوة بما يعيد لهم الأمل والثقة في أنفسهم أولا وفى الآخرين لاسيما وأن كثيرين منهم وصلوا إلى ما يشبه مرحلة اليأس أو الطريق المسدود وهم في سن الشباب.

ثم عرج بالحديث إلى موقفه النبيل تجاه إحدى بنات **مالكولم إكس** (ولم يشأ أن يسميها) حيث ذكر أن قاتلاً محترفاً (مأجوراً) من الأمريكان البيض أدلى باعترافات قضائية نسب فيها إلى إبنة **مالكولم** أنها حاولت إغراءه ليقتل **فراخان** (انتقاماً لأبيها حسب فهمها). وأنه (أي **فراخان**) تنازل عن حقه بل ودافع عن المتهمة مما أدى لإسقاط الدعوى، ويقول: أنه فعل ذلك بدافع من الوفاء والتقدير للرجل الذي كان له الفضل في هدايته إلى دين الحق.

وفي ختام المقابلة دعا إلى ضرورة تعاون الجميع داخل الولايات المتحدة وخارجها لمساعدة المسلمين الأمريكيين ذوي الأصول الأفريقية وتحسين أوضاعهم المعيشية والثقافية والاجتماعية كي ينهضوا بدورهم المنتظر. وأضاف أن العرب والمسلمين يخطئون كثيراً إذ يعولون على إمكانية إحداث تغيير إيجابي من الخارج في الموقف الأمريكي من القضايا

١) كان من المخالفات الواضحة التي لاحظتها أيضاً في بعض مساجد الأمريكيين ذوي الأصول الأفريقية أن النساء يصلين ويجلسن جنبا إلى جنب مع الرجال أو بدون حاجز يفصلهن.

العربية والإسلامية. ذلك أن هناك ثوابت في السياسة الخارجية الأمريكية ترسخت عبر الحقب والعصور. وهذه الثوابت لا يمكن تعديلها إلا بالعمل الدءوب من الداخل لأن الولايات المتحدة هي دولة تحكمها الأنظمة والمؤسسات وليس الأفراد. والتغيير من الداخل يستوجب في نظره أن تتوحد الفصائل الإسلامية في الداخل أولاً في مواقفها وآرائها وأهدافها ليكون تأثيرها على التفكير والمواقف والقرارات الأمريكية أكبر وأقوى وأعمق وبما يتناسب وحجمها وثقلها. ويرى أن مستقبل الإسلام واعد ويبشر بخير كثير لوجود تربة خصبة له في أمريكا بشرط الالتزام بالعمل الهادئ المستنير والالتزام بالأنظمة والقوانين واعتماد أسلوب الحوار الحضاري الواعي والمسئول لتأكيد حقيقة أن الإسلام ليس مجرد مبادئ وقيم وتعاليم نظرية فحسب، ولا هو دين يدعو إلى العنف والقتل العشوائي، بل هو التزام وعمل صالح بناء لخير الإنسانية جمعاء. وهو قمة الحضارة والرقي والمدنية وفيه الحل لكثير من المعضلات والأمراض التي تعاني منها البشرية الآن بسبب الانصراف عن التعاليم السماوية.

واختتم حديثه قائلاً: (إننا نحب أن نسمع منكم عن أخطائنا حتى نصححها إن كانت لنا أخطاء. وكلما اقتربنا من بعضنا أكثر، انقشعت الغشاوة وتبددت غيوم انعدام الثقة وبذلك نستطيع المضي في طريق التعاون والتلاحم أكثر، خصوصاً وأننا منفتحون لأصدقائنا الذين نثق فيهم وفي نواياهم. ونحن على استعداد تام للتعاون مع كل راغب في الإصلاح والسير معنا قدماً نحو روح الإسلام وجوهره وتعاليمه السماوية، وعلينا أن نتذكر دائماً أن لكل عصر ظروفه ومتطلباته ورجاله كما علينا أن نطور طرقنا وأساليبنا وأدواتنا وذلك في إطار تعاليم العقيدة الإسلامية السمحاء ثم العض بالنواجذ على كل ما من شأنه أن يمهد لتوحيد الصفوف ونبذ كل ما يقود إلى الفرقة والشتات).

بعد ذلك قمنا بزيارة للمدرسة التي يشرف عليها **فراخان** وهي مدرسة جميلة بجوار مسجد السيدة مريم الذي كان في الأصل كنيسة تم شراؤها وتحويلها إلى مسجد في عهد **إليجا** وبعد وفاته تم عرض المسجد للبيع في مزاد علني واشتراه **فراخان** وأبقى عليه مسجداً تقام فيه الصلوات. والمسجد نظيف ومرتب ويضم قاعة كبيرة للمحاضرات والدروس الدينية وبها كراسي. وفي أسفل المبنى الجزء المخصص للصلاة الذي يشتمل أيضاً على عدد كبير من الكراسي والمقاعد كما أشرت له سابقاً.

ومما سبق يتضح أن الرجل يقوم بدور كبير فهو يخدم المسلمين وغير المسلمين من السود في أمريكا. وجماعته يلتزمون بالنظافة والنظام ويتعاملون بصورة حضارية. ويهتم **فراخان** أيضاً بتربية النشء ولديه قناعات شخصية واضحة معظمها ولله الحمد يتفق وتعاليم الدين الحنيف. وأمامي والدكتور **عابد الله غازي** والأخ **مصباح** وعدد من الأخوة الجالسين قال: (أنا أؤمن بالله الواحد الأحد، وأشهد بأن محمدا هو رسول الله ﷺ. وأؤمن بأن القرآن هو كتاب من عند الله ﷻ).

كل هذه الأمور شهد بها أمامنا، وأنا لا أنكر أن **فراخان** له بعض المخالفات وبعض الممارسات والأفكار التي نختلف معه فيها، لكن هناك أيضاً حقائق هامة لا بد من الاعتراف بها والوقوف عندها. ومنها أن الرجل له إيجابياته وعلينا فهم أن **فراخان** له طموحاته الشخصية كقائد وسياسي وكمصلح اجتماعي، وأننا مهما اختلفنا معه يجب ألا ننسى له مزاياه الكثيرة وعلينا أن نعينه، وألا نبدأ في التعامل معه من نقاط الخلاف فالخلافات التي بيننا معه هي في الواقع أخف وأقل من خلافاتنا مع بعض الجماعات الأخرى التي تدعي أنها إسلامية (كالقاديانية والبهائية وغيرها) والإسلام منها براء.

فالمطلوب إذا أن نبدأ من نقاط الاتفاق والالتقاء ثم نحاول وبالتدرج تصحيح ما لا يتفق مع تعاليم الدين الحنيف بعيداً عن التجريم والتكفير. وبذلك يمكن الاستفادة من الجهود الكبيرة التي يبذلها في سبيل خدمة الجالية الإسلامية والمسلمين ذوي الأصول الأفريقية في أمريكا، وبحيث تكون جهودنا دعماً وتكملة وإضافة لجهوده، وصولاً إلى النموذج

الأفضل الذي نسعى جميعاً لأن نجعله حقيقة معاشة.

وعلى الذين يشككون في إسلام **فراخان** ويتوجسون خيفة منه أن يتذكروا أن الرجل دخل الإسلام من طريق خاطئ وشائك ومشوش. فانطبعت في عقليته كثير من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام من تعاليم **إليجا** وخاصة فيما يتعلق بفكرة ومفهوم (الربوبية) و(الرسالة)، وأود أن أنبّه أيضا إلى أنه من الخطورة بمكان تركه على وضعه الحالي دون بذل الجهد لاستقطابه وتقريبه من تعاليم الدين الصحيح، وربطه أكثر بالعالم الإسلامي والأمة الإسلامية الحقيقية.

وبهذه المناسبة فقد ذكر لي الأخ **وارث الدين** خلال اجتماعي به في اليوم التالي لاجتماعي ب**فراخان** في (١٩٩٥/٦/١٣م) أن أتباع **فراخان** بدأوا يرجعون تدريجياً إلى الإسلام الصحيح وهو (أي **فراخان**) يعرف ذلك ولا يبدي اعتراضاً عليه. وأن **فراخان** نفسه بدأ يكتشف ويستوعب كثيراً من الحقائق التي عرفها من بعض العقلاء. وأضاف وارث أن هناك رجلاً اسمه الدكتور **نعيم** له علاقة وثيقة بالسيد **فراخان** وهو يحاول أن يرده إلى الإسلام الصحيح، وإن كان البعض يعتقد بأن الدكتور **نعيم** هذا ينتمي إلى **الأحمدية الأحمدية** وعلينا أيضاً أن نتنبه لهذا الأمر.

ومن ناحية أخرى فقد علمت من الأخ **عمر عبد السلام**[١] أن **فراخان** استقدم مؤخراً أستاذاً من نيجيريا اسمه الشيخ تجاني وهو يقوم بتعليم أتباعه اللغة العربية وكل هذه تطورات إيجابية تستحق الدعم والتشجيع.

وفي ختام الزيارة أهداني **فراخان** مجموعة من كتبه التي توضح تعاليم أمة الإسلام ومواقفه وآراءه الشخصية ثم ودعني وهو يقول أتمنى أن تترجم هذه الكتب إلى العربية ليقرأها الناس في العالم العربي وبعد ذلك تعالوا نتحاور ولتحكموا لنا أو علينا.

مسيرة المليون رجل أسود

التحضيرات الأولية:

عندما أخبرني **فراخان** في يونيو ١٩٩٥م عن عزمه تنظيم هذه المسيرة لم يدر بخلدي أنه كان جاد فعلاً ولم أتوقع في الواقع أن تحقق النجاح الذي حققته. وحتى عندما بدأ يعد العدة لوضع قراره موضع التنفيذ فقد شكك كثير من المعلقين والمتتبعين للشأن الأمريكي في قدرته حتى على حشد خمسين ألفا من السود في العاصمة الأمريكية في يوم واحد وذلك اعتماداً على الاعتقاد بأن **فراخان** . وعلى أحسن الفروض والتقديرات . لن يتمكن حتى من حشد أعضاء حركته الملتزمين والذين لا يزيد عددهم أصلاً عن الخمسين ألفاً.

مسيرة المليون رجل أسود في واشنطن العاصمة

ولعل ما ساهم في تعزيز هذا الاعتقاد أن بعض الزعماء الأمريكيين السود أمثال **كولن باول** و**وارث الدين** ومحمد على كلاي وكريم عبد الجبار وحتى القس **جيسي جاكسون** ترددوا في قبول الفكرة أو بالأقل تأييدها. بل وأكثر من ذلك سارع كل منهم ولأسبابه الخاصة إلى النأي بنفسه عنها وإعلان البراءة من المشاركة فيها لحسابات أكثرها سياسية

١) لاعب كرة سلة دولي سابق ويعمل حالياً في مجال التدريب للناشئين والبراعم في جدة،ومتعاون مع الإذاعة السعودية في تقديم بعض البرامج بالانجليزية وهو من أتباع وارث الدين، قدم لي وزوجته السيدة ربيعة بعض الإفادات،والمعلومات القيمة خلال الإعداد لهذه الطبعة المنقحة.

بحتة، خاصة وأن **فراخان** وقبل أيام فقط على الموعد المحدد لانطلاق المسيرة وصف في تصريح له اليهود الأمريكيين وآخرين بينهم العرب الأمريكيين والفلسطينيين بل وحتى الفيتناميين والكوريين بأنهم (مصاصي دماء) وأنهم أثروا على حساب السود من سكان المدن.

وكان **فراخان** في وقت سابق قد أعلن أن اليهودية هي (ديانة الحضيض) وادعى أن اليهود سيطروا على تجارة الرقيق التي نقلت السود إلى العالم الجديد وفتحوا لهم تجارة بين مجتمعات السود فربحوا وحققوا منها مكاسب كبيرة بينما لم يقدموا بالمقابل أي خدمات تذكر لتلك المجتمعات. وقلل من أهمية المحرقة التي أقامها هتلر لليهود في ألمانيا مضيفاً أن السود هم شعب الله المختار الجديد لأنهم عانوا أكثر من أي شعب أخر وبما في ذلك اليهود. ووصف **أدولف هتلر** بأنه (رجل عظيم على نحو شرير)[١].

هذه التصريحات جعلت المتحدثين باسم البيت الأبيض يلعنون **فراخان** وتباروا مع سائر السياسيين في التنديد به ووصفوه بأقذع النعوت ومنها (مستنقع الحقد)، (المتعصب الكريه وعدو السامية). وتبارت الصحف الكبرى في الرد عليه وتوجيه السباب له. ولقد أصابت **مها عبد الفتاح** حيث كتبت في مقال لها بعنوان: (مولد حركة جديدة للسود في أمريكا) إذ قالت: (مشكلة **فراخان** مع السياسيين الأمريكيين والإعلام الأمريكي هي في كونه شخصية على قدر كبير من الصراحة المؤلمة والتي قد تصل إلى حد قول ما لا يقال أحياناً، ومواجهة الآخرين بما يتهرب غيره من مواجهتهم به)[٢].

لكن اليهود وحدهم هم الذين هاجوا وماجوا وأثاروا عليه الإعلام الأمريكي كله، بل والسياسيين الأمريكيين لأنه تجرأ وسبهم. فكيف يجرؤ على ذلك حتى لو شتم معهم نصف البشرية !

ومع اقتراب الموعد المحدد للمسيرة أو ساعة الصفر كما يقولون، وقد بدا واضحاً الزخم الشعبي الجارف الذي اكتسبته تلك الدعوة بين الجماهير السوداء، فقد تراجع أكثر المعارضين والمشككين طالبين من **فراخان** الصفح عنهم والسماح لهم بالمشاركة في المسيرة.

ويقرر **مفيد عبد الرحيم** حقيقة هامة إذ يقول: (ربما لم يكن اسم هذا الرجل (**لويس فراخان**) موجودا على الأقل على خارطة السياسة الأمريكية قبل يوم الاثنين (١٦ أكتوبر ١٩٩٥م) لكنه وبإجماع المراقبين والمعلقين السياسيين خرج من تلك المسيرة في ذلك اليوم زعيماً أوحداً للأمريكيين السود جميعاً الذين يصل عددهم إلى أكثر من ثلاثين مليوناً، أي ما يمثل أكثر من نسبة ١١٪ من سكان هذه البلاد وأكثر من ٨٪ من الذين بلغوا سن المشاركة في الانتخابات فيها)[٣].

ولعله مما يجدر بالذكر أن نقاشاً دار من خلف الكواليس في أوساط الجالية اليهودية إذا ما كان يتوجب الإعلان عن معارضة المسيرة قبل بدئها لإفشالها؟. ثم تأكد لهم أن هذا الخيار ينطوي على استعداء السود الذين ينظرون إلى المسيرة كوسيلة تعبير عن مشكلاتهم ومعاناتهم. وهناك من رأى أن الأفضل هو العمل على إفشال المسيرة ومن ثم تحميل **فراخان** مسئولية فشلها. لكنهم في نهاية الأمر قرروا على ما يبدو عدم عرقلتها أو إفشالها بأمل أن يبرز نجم زعيم أسود آخر أو آخرين يطغى وجوده أو وجودهم على وجود **فراخان** وتأثيره في المسيرة برمتها. فانطلقت على بركة الله. يقول المتابعون من المحايدين: لم تنجح المسيرة نجاحاً منقطع النظير فحسب، بل إنها رفعت أسهم **فراخان** وتوجته ملكاً

١) المقال بعنوان: بعد مسيرة المليون رجل في واشنطن. هل يستطيع فراخان الحفاظ على مكانته بين السود مجسداً آمالهم؟ لحسن سندروس. جريدة الحياة عدد ١٩٩٥/١١/٥م، ص ١٨.

٢) جريدة الأخبار القاهرية العدد رقم ١٣٥٥٧ وتاريخ ١٩٩٥/١٠/١٨م.

٣) مجلة (الوطن العربي). العدد ٩٧٣ - الجمعة ١٩٩٥/١٠/٢٧م، ص ٢١.

جديداً وبلا منازع للسود في أمريكا. وأصبحت مسيرة المليون رجل هي حدث الأسبوع في الولايات المتحدة. فمنذ الصباح الباكر لذلك اليوم تدافع عشرات الآلاف من السود الأمريكيين من جميع أنحاء أمريكا. وزحفوا نحو واشنطن ليحتشدوا في ساحة (المول) بمواجهة البيت الأبيض والكابيتول.

جاء هؤلاء ليردوا على المشككين الذين كانوا يرددون حتى صباح ذلك اليوم الأفريقي الدافئ - برغم برودة الطقس. أن **فراخان** لن يستطيع أن يحشد حتى خمسين ألفاً من السود الفقراء لسبب بسيط هو أن الكثيرين منهم ليس في جيوبهم من الدراهم ما يكفي لتغطية نفقات الانتقال من مواطنهم البعيدة إلى العاصمة الأمريكية، لكن الحقيقة كذّبت كل التوقعات.

فما أن اقترب يوم ١٦ أكتوبر من ظهيرته حتى تحولت تلك المنطقة التي زحفت إليها جموع السود، وهي الشريط الطويل الممتد ما بين الكونجرس الأمريكي وطرف العاصمة الأمريكية الغربي الممتد بمحاذاة نهر البوتوماك، إلى بحر متلاطم الأمواج من الرجال السود الذين كانوا يلوحون بقبضاتهم القوية في الهواء وصرخاتهم الغاضبة تجلجل عالية في سماء واشنطن بكلمات (الله أكبر) و(**فراخان** زعيمنا) و(نعم لأمريكا السوداء. لا لأمريكا البيضاء). ولعل المشاركين في المسيرة كانوا يرمون من وراء هذا الشعار الأخير إلى الرد على الاحتجاج القوي والشديد اللهجة الذي صدر عن الأمريكان البيض الذين تظاهروا استنكاراً للحكم ببراءة الأمريكي الأسود أو جي سيمبسون الذي حظيت محاكمته باهتمام واسع من أجهزة الإعلام الأمريكية.

مالكولم ولوثر كنج كانا في المسيرة

وقد كتبت في ذلك الصحافية المصرية **مها عبد الفتاح** تقول: (ياه.. كم فتحت عيوننا الأسابيع الأخيرة على أمور غفلنا عنها في زحام الأحداث فلم نلحظها من قبل ولم نتنبه لها. من يوم الحكم ببراءة أو جي سيمبسون والإفراج عنه إلى يوم مسيرة المليون يصعب وضع فواصل زمنية. أين تنتهي تلك، وأين تبدأ هذه؟ فكلتاهما استطراد أو استمرار لحركة قومية سوداء تشتد وتتصاعد في انفعال واع بلا عنف حتى الآن ولكن بمشاعر تتوق إلى الكرامة وتحقيق فرص متكافئة)[١].

عموما وقبل الخوض في تفاصيل تلك المسيرة وأحداث ذلك اليوم المشهود في تاريخ أمريكا قديمه وحديثه فلا بد من التوقف قليلاً عند بعض الملاحظات وهي: أن هذه التظاهرة السلمية جاءت بعد أيام قلائل فقط من زيارة بابا الفاتيكان إلى الولايات المتحدة والضجة التي أثارتها خطبه الداعية إلى التمسك بالمبادئ الدينية فيما يتعلق بتنظيم النسل. ويقول **باسم الجسر**: أنه وفي أعقاب تلك الزيارة تم إنشاء تجمع مسيحي كبير وأن هذا التجمع لعب دوراً هاماً في الانتخابات النيابية الأخيرة وأن القائمين عليه يعتزمون التأثير أكثر فأكثر على السياسة الأمريكية[٢].

أن المسيرة جاءت في الأسبوع نفسه الذي خطب فيه الرئيس **بيل كلينتون** من منصة الأمم المتحدة في افتتاح

١) المقال بعنوان (مولد حركة جديدة للسود في أمريكا) المنشور بجريدة الأخبار المصرية - العدد رقم ١٣٥٥٧ وتاريخ ١٨/١٠/١٩٩٥م.
٢) المقال بعنوان: (فاراخان بعد لوثر كنج: صفحة سوداء جديدة). جريدة الشرق الأوسط - عدد ٢٠/١٠/١٩٩٥م.

الاحتفالات بمرور نصف قرن على تأسيس المنظمة الدولية. ذلك الخطاب الذي دعا فيه إلى تدشين حلف عالمي ضد الإرهاب. ووصف فيه ليبيا وإيران والعراق والسودان بـ (الدول المنبوذة التي ترعى الإرهاب).

وعن توقيت المسيرة يقول **أحمد عباس صالح**: (انتهت الحرب الباردة وراح الناس يبحثون عن الحقوق التي كانت مؤجلة بسبب تلك الحرب وعن الاستقرار والطمأنينة. وعن حل لجميع المشكلات التي كانت معلقة. في هذا الوقت بالذات كانت الدعوة إلى تجمع السود مناسبة تماماً. ويبدو أن **فراخان** كان أكثر تنظيماً من المؤسسات الأخرى وهكذا استطاع أن يقوم بالمبادرة وأن يجد تجاوباً)[١].

ويضيف: (أن فكرة الزعامة الكاريزماتيكية السوداء وجدت مجالها، فكل زعيم أسود (محتمل) يحلم بأن يكون **مارتن لوثر** أو **مالكولم إكس** أو نلسون مانديلا ويحاول أن يهيئ نفسه لهذه المهمة، وأن المجتمع الأسود الأمريكي - وإلى حد ما - لا يختلف كثيراً عن شعوب العالم الثالث، فهو يرتاح لفكرة الزعامة الملهمة القوية التي تأمر فتطاع وتحقق لهم كل مطالبهم. وأن هذا المجتمع (الأسود) يترك المجال لكل شخصية قيادية تظهر على المسرح السياسي. والحق أن تجمع المليون رجل أسود جاء ممتلئاً بكل الزعماء المحتملين وكل ألوان الطيف الأمريكي)[٢].

هكذا ومع مرور الوقت بدأت الأجواء تتكهرب كما زاد المخاوف أكثر أن الرئيس كلينتون، وبرغم ما ظل يردده من أنه يعتبر السود عمقاً شعبياً وانتخابياً تقليدياً له وللحزب الديمقراطي عموماً، إلا أنه آثر - بناء على نصائح مستشاريه - أن يكون خارج بيته الأبيض الذي سيكون السود على مرمى حجر منه. بل فضل الابتعاد عن العاصمة خوفاً من اندلاع أحداث شغب لا تحمد عقباها ولا يعرف مداها إلا الله ﷻ. وربما فعل ذلك تفادياً للحساسيات وخشية وقوع أعمال عنف كانت متوقعة في أي لحظة.

وعندما بدا واضحاً للجميع أن المسيرة الحلم أصبحت حقيقة ملموسة. وأن المشاركين فيها ينضم إليهم في كل ساعة عشرات الآلاف، بدأت وسائل الإعلام الأمريكية التي يسيطر عليها رأس المال اليهودي تفقد صوابها واتزانها. فحاولت تركيز الاهتمام على (سلبيات) **فراخان** بدلاً عن (إيجابيات) المسيرة. بل كان السؤال التقليدي الذي يطرحه مراسلوها على من يلتقون بهم من الأمريكيين سوداً كانوا أم بيضاً هو: (أنت تؤمن بالطبع أن هناك فرقا بين الرسالة وحاملها؟) وذلك بالطبع في محاولة للفصل بين إيجابية (الرسالة) أي المسيرة وسلبية **فراخان** (حاملها).

وقد عبّرت عن ذلك **مها عبد الفتاح** أبلغ تعبير إذ قالت: (كان القلق ينتاب واشنطن الرسمية حتى آخر لحظة تحسباً لتوقعات غير محسوبة العواقب. هذا فضلاً عن أن واشنطن يضايقها نشر غسيلها (غير النظيف) أمام العالم وعلى الملأ)[٢].

١) المقال المنشور بجريدة الشرق الأوسط، العدد رقم ٦١٧٠ وتاريخ ١٩٩٥/١٠/٢٠م تحت عنوان (مسيرة المليون).
٢) المقال بعنوان (بعد لوثر كنج) المنشور بجريدة الشرق الأوسط الصادرة بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٢٠م .
٣) المقال بعنوان (مولد حركة جديدة للسود في أمريكا) الذي وردت الإشارة له، وإن كنت أختلف مع الأخت مها فعنوان المقال تنقصه الدقة. والقارئ الكريم يعلم جيداً أن المسيرة المليونية لم تتمخض عن مولد حركة جديدة للأمريكيين السود، فحركة أمة الإسلام كانت قد تخطت الستين من عمرها قبل بدء المسيرة إياها.

وجاءت لحظة التتويج

لقد صعق حجم المسيرة ودقة تنظيمها الدوائر المعنية فأصابها الذعر. وحاول البعض التقليل من شأنها بادعاء أن عدد الذين لبوا نداء **فراخان** لم يتجاوز الـ ٤٠٠ ألف شخص وهو أقل بكثير من رقم المليون الذي سعى **فراخان** ومنظمو المسيرة إلى تحقيقه. لكن مصادر أخرى موثوقة قدرت عدد المشاركين في التجمع بـ ٨٧٠ ألف رجل. فيما ادّعى المنظمون أنها ضمت ما لا يقل عن ١,٤ مليون شخص. وأيا كان العدد الحقيقي للمشاركين فيها فقد اتفق الجميع على أنها كانت أكبر تظاهرة للحقوق المدنية تشهدها الولايات المتحدة في تاريخها الطويل. وأن حجمها ـ ومهما اختلفت التقديرات حوله ـ يفوق بكثير أكبر تجمع استطاع حشده زعيم السود الأسطوري القس الدكتور **لوثر كنج** حيث لم يتجاوز عدد من شاركوا في مسيرته (الزحف الكبير) الـ ٢٥٠,٠٠٠، وكان بينهم عدد لا يستهان به من النساء والأطفال والبيض، مسلمين وغير مسلمين.

إذا فقد تدافع عشرات الآلاف من الرجال السود ومنذ الصباح الباكر صوب ساحة المول التي ضاقت بهم ولم يبق فيها موطئ لقدم. وفي أمريكا يقولون (الأعداد قوة) وقد اضطر البيض في ذلك اليوم لأن يلزموا بيوتهم خوفاً من ثورة هذا (النمل الأسود). وأحسب أن من المفارقات الهامة أيضاً أن تلك التظاهرة كانت أكبر مسيرة في التاريخ يسير فيها رجال دين يمثلون كنائس مسيحية مختلفة خلف رجل يقول أنه مسلم، بغض النظر عما يقال عن إسلامه. ذلك أن رجل الشارع الأمريكي العادي لا يعرف ماهية الإسلام الحقيقي ولا يستطيع بالتالي التمييز بين الإسلام الحقيقي والإسلام المزيف. ومعنى ذلك أن **فراخان** لو كان مسلماً حقيقياً لكان أيضاً قد اجتذب هذه الأعداد الضخمة من البشر، ولكان ترك ذات الأثر الذي تركه في ذلك اليوم الذي أصبح يعرف بيوم **فراخان**. ولعلي أتفق مع الأخ **مفيد عبد الرحيم** من أن (الفكرة المباشرة التي خرج بها الأمريكيون العاديون عن الإسلام يومها، حتى بالرغم مما يقال عن إسلامه هي: أن الإسلام دين منظم، أتباعه نظيفو الملبس ويتحدثون ببراعة فائقة)[١]. وسبب خروجهم بهذا الانطباع هو هذه الصورة التي رأوا الإسلام فيها ممثلاً في شخص **فراخان** الذي بدا بوجهه الطفولي الذي لا ينم أبداً عن أن صاحبه في أواخر العقد السابع من عمره وقد ظهر في كامل أناقته. أما أتباعه فقد ارتدوا قمصانهم البيضاء النظيفة وربطات أعناقهم الأنيقة المميزة وكانوا في منتهى المسئولية والانضباط!

وكان المشهد مؤثراً بحق فلم يحدث في تاريخ العاصمة الأمريكية أن اجتمع حوالي المليون أمريكي لأكثر من اثنتي عشرة ساعة دون أن تكون سلطات الشرطة قد تلقت عشرات الشكاوى والبلاغات عن مخالفات وجرائم أو أعمال عنف وشغب.

وربما لم يحدث في تاريخ أمريكا ـ بل وربما في تاريخ البشرية كلها ـ أن تمكن زعيم من أن يكون المتحدث الأخير في حفل يكون هو الداعي له، ويجيء دوره بعد اثنتي عشرة ساعة كاملة ويبقى الحضور حتى اللحظة الأخيرة لسماع آخر كلمة يقولها ذلك الزعيم. لكن، وكما قال أحد المعلقين السياسيين الأمريكيين البارزين: إن **فراخان** لم يفعل كل ذلك فحسب بل نجح في أن يسمع أمريكا كلها (شاءت أم أبت) آيات من الذكر الحكيم. كما جعلها تسمع الآذان ثلاث مرات في ذلك اليوم.

وكان من ضمن من هزتهم تلك المسيرة الرئيس الأمريكي **بيل كلينتون** الذي ألقى خطاباً من إحدى الجامعات في

١) المقال بعنوان (الله أكبر تنزل الخشوع في قلوب مسيرة المليون أسود)، مجلة الوطن العربي العدد رقم ٩٧٣ وتاريخ الجمعة ١٩٩٥/١٠/٢٧م، ص ٢١.

ولاية تكساس في صبيحة ذلك اليوم. وكما هو متوقع فقد كرّس الجزء الأكبر منه للحديث عن المسيرة المليونية وعن علاقة الأعراق ببعضها في المنظومة الأمريكية. وعلى الرغم من أن كلينتون انتقد **فراخان** علناً بسبب تصريحاته اللا سامية المفعمة بالكراهية ومشاعر الانقسام إلا أنه لم يشأ أن يذكره بالاسم. وقد رأى خصوم كلينتون في هذه الإشارات الخجولة أنها تؤكد ضعفه وافتقاره إلى صفات القائد. بينما رأى أنصاره أنه لم يكن بإمكانه سوى امتداح فكرة المسيرة ومبادئها خوفا من استعداء أصوات ملايين السود في السنة الانتخابية المقبلة، لاسيما بعد أن أكد له مساعدوه ضخامة الحشود البشرية التي جمعها **فراخان** على بعد ما لا يزيد عن ميلين من بيته الأبيض والذي أشار إليه **فراخان** في خطابه للحشود السوداء قائلاً: (من هذا المكان صدرت الأوامر لاغتيال معظم زعمائنا السود[١]).

ومع ذلك حرص الرئيس الأمريكي كلينتون ـ كما حرص العديد من القياديين البيض والسود على حد سواء ـ على التمييز بين حق السود في المطالبة بالمساواة وبين الداعي إلى التظاهرة (**فراخان**). وما تركيز الرئيس كلينتون على التفريق بين (تيار الكراهية والفرقة) وسياسة الشجاعة والحكمة في إنهاء مشوار الظلم الاجتماعي الذي عرفه السود الأمريكيون إلا اعترافًا من قبل الإدارة الأمريكية بأن قسماً كبيراً من رعاياها ومواطنيها مازالوا يعانون من الظلم الاجتماعي ومن عدم تكافؤ الفرص، كما يشير من جهة أخرى إلى أن الحل الرسمي لهذا الظلم ليس حلاً راديكاليا بل حلاً تدريجياً وبالتعاون بين السود والبيض خارج إطار المواجهة الذي يرفع **فراخان** راياته.

إذاً فقد حرص كلينتون على عدم تفويت الفرصة والاستفادة انتخابياً من هذا التجمع فحاول في الخطاب الذي ألقاه صباح ذلك اليوم أن يساير السود داعياً إلى تطهير البيت الأمريكي من البغضاء والكراهية اللتين تمزقان قلب أمريكا، ومناشداً البيض والسود معاً العمل على استئصال العنصرية التي تثير الانقسام بين أفراد الشعب الأمريكي. وطالب كلا الجانبين بإعادة ترتيب داره وتنظيفها.

معنى ذلك أن الرئيس كلينتون أشاد بالغرض من المسيرة باعتبارها وسيلة لاستنهاض الهمم وتحمل المسئولية، إلا أنه نأى بنفسه عن **فراخان** بأمل المحافظة على صلاته القوية بالأمريكيين الأفارقة ومن دون أن يستفز البيض أو اليهود. ومع ذلك تعرض كلينتون لانتقادات حادة من **فراخان** ومن خصومه السياسيين بمن فيهم زعيم الغالبية الجمهورية في مجلس الشيوخ ومرشحهم المحتمل وقتها للرئاسة السناتور **روبرت دول** لتجنبه الإشارة إلى **فراخان** بالاسم في معرض إدانته. أما **فراخان** فقد كان رده على خطاب كلينتون أن قال ضمن خطابه (أمام الحشود السوداء) في ذلك اليوم: (سيدي.. إذا عدّلت نظرك وأصغيت لما نقول ربما. أوه. أقول ربما جاء الحل من أطفال العبيد إلى هذا الفرعون، إلى هذه المصر كما جاء من يوسف في قديم الزمان)[٢].

أما المسيرة فقد مضت إلى غاياتها كما خطط لها ولم يكد يتخلف أحد من الشخصيات القيادية من الأمريكيين السود باستثناء **وارث الدين** والجنرال المتقاعد **كولن باول**، أما **فراخان** فكان نجم الحفل أو (عريس) المناسبة بلا منازع.

وتعاقب الخطباء على المنصة وهم يتحدثون من وراء حاجز زجاجي واق من الرصاص[٣]. ولعلهم أرادوا التحوط والأخذ بأسباب الحذر. ففي هذا المكان نفسه وقبل نحو من ٣٢ عاماً خاطب الزعيم الأسود **مارتن لوثر** المسيرة السلمية

١) المرجع السابق. ص ٢٢ وقد ورد في الكتاب الذي صدر مؤخراً لأليس كوسي بعنوان (أن تكون رجلاً أسوداً في أمريكا) أن البيت الأبيض سمي بهذا الاسم لأنه يرمز بالفعل للعقلية الأمريكية التي تنظر إلى الأرض الجديدة كعالم لا مكان فيه لغير العرق الأبيض.

٢) المقال بعنوان (مسيرة المليون) لأحمد عباس صالح الذي وردت الإشارة له سابقاً.

٣) المقال بعنوان (فراخان كرس نفسه زعيماً أسود لن يستطيع أحد تجاهله بعد الآن). المنشور بجريدة الحياة الصادرة بتاريخ ١٩٩٥/١٠/١٨.

التي دعا لها عن حلمه في اندماج السود في المجتمع الأمريكي. وفي ذلك (اليوم ٢٨أغسطس١٩٦٣م) وقف لوثر أمام ٢٥٠ ألفاً من أنصاره وأكثرهم من السود ليعلن: (إن الولايات المتحدة لن تعرف الراحة والهدوء طالما أن السود لا يتمتعون بحقوق المواطنة[١]). وأكد لوثر في خطابه أيضاً على ارتباط مصير البيض والسود.

وفي كلمته أمام الحشود السوداء تحدث القس **جاكسون**- المرشح السابق في الانتخابات الرئاسية الأمريكية والمدافع عن قضية الحقوق المدنية للسود الأمريكيين- داعياً الثمانية مليون ناخب أسود الذين يحق لهم التصويت لتسجيل أسمائهم في اللوائح الانتخابية وخصوصاً الانتخابات الرئاسية التي ستجرى في ١٩٩٦م.

وقال **جاكسون**: (حلمي أكبر من عزمي وعزلي. قولوا لهم إنني أحلم من جديد. وحلمي أكبر من زنزانتي)[٢].

القس جيسي جاكسون وفي يده نسخة من الترجمة لمعاني القرآن الكريم تعبيراً عن وحدة السود مسلمين ومسيحيين خلف فراخان

وعموماً فقد كان حديث **جاكسون** حماسياً وقوياً، هاجم فيه الدولة هجوماً حاداً فيما يتصل بحقوق السود. والحق أن المنظر كان مهيباً جداً. فعلى مرمى حجر من مبنى البرلمان الأمريكي وقفت تلك الحشود تستمع إلى خطب وقصائد نارية ملتهبة. وكانت تردد وراء الخطباء بعض العبارات القوية. وكان احتمال أن يفلت الزمام من القادة ويندفع هذا المليون الثائر إلى البيت الأبيض وارداً في أي لحظة. وهنا يجيء دور المغني والموسيقي والممثل القدير **فراخان** الذي استطاع أن يقود الأوركسترا بمهارة فائقة، فكان ينتقل بالجموع من الحماسة إلى التهدئة وبالعكس وبصورة تدعو للدهشة والإعجاب.

وفى أثناء النهار اتصل عدد من الزعماء مهنئين **فراخان** بنجاح المسيرة. وكانت الكاميرات تتصفح الوجوه، التي كانت لا هي وجوه حاقدة ولا لاهية كما تقول **مها عبد الفتاح**، إنما هي وجوه لنفوس تعيش نبض هذا الحدث الذي دخل التاريخ الأمريكي وكان مرسوماً عليها قهر الزمان! وجوه أغلبها من الطبقة (المستورة) التي تكسب عيشها بعرقها، وتقيم أود أسرها وتدفع ما عليها من ضرائب. وكأنما جاءت هذه الحشود لتعلن للملأ أن السود بدأوا يكتشفون مواطن قوتهم، وأن تضامنهم ووحدتهم يمثلان قوة لا يستهان بها، والقوة تفرض الكرامة فرضاً، وليس مثل المجتمع الأمريكي من يفهم معنى هذه الرسالة التي تقول أن السود لم يحصلوا على حقوق المواطنة بعد مضي أكثر من ١٣٠ عاماً على قرار تحريرهم من العبودية والرق.

فالتعبئة + التنظيم + اتحاد الكلمة = أصواتاً انتخابية تحقق لأصحابها ما يريدون بالقانون وعبر الطرق الدستورية.

وأخيراً جاء الدور على **فراخان** ليلقي خطابه، وقبل صعوده إلى المنصة وقف أحد أبنائه يتحدث عنه بانجذاب واضح وكان يرتدي بذلة عسكرية. وفي خطبته الطويلة التي استمرت أكثر من ساعتين حاول أن يشبه نفسه بالأنبياء حيث قال: (إن فكرته في تجميع السود هي نوع من الرسالة الإلهية. وأن هذا التجمع المعبّر عن توحيد الأمريكان السود ما هو إلا إرادة إلهية تحركت من خلاله، وتحققت على أرض الواقع بأمر إلهي. وأن هذه الفكرة وتطبيقها لصيقان به، باعتباره

١) من نفس المقال أعلاه، ولعل القارىء الكريم يستوقفه الشطر الأول من هذه العبارة والتي وردت أيضاً على لسان أسامة بن لادن في الشريط التسجيلي الذي بثته قناة الجزيرة منذ بضع سنوات حيث استبدل كلمة (السود) بالفلسطينيين وربما يكون الأمر مجرد توارد خواطر.

٢) لعل القارئ يستوقفه الاقتباس الواضح إذ حاول جاكسون انتحال شخصية مارتن لوثر كنج (مثله الأعلى)، الذي بدأ خطابه أمام مسيرة (الزحف الكبير) لعام ١٩٦٤م؛ بعبارة (عندي حلم) كما سيرد ذكره لاحقا.

أداتها ورسولها إلى الناس. وكما لا يستطيع الإنسان أن يفصل التوراة عن موسى عليه السلام، والإنجيل عن **عيسى** عليه السلام، والقرآن عن محمد ﷺ. فإن أحداً لا يستطيع أن يفصل رسالة تجميع السود الأمريكان وتوسع(أمة الإسلام) في أمريكا عن **لويس فراخان**[١].

كن **فراخان** خيب رجاء خصومه وأذهلهم حيث تبدلت لهجة خطابه بصورة لم تكن في الحسبان. جاءت كلماته فيما يتعلق باليهود واليهودية في أكثرها بيضاء، بناءة تحمل لهجة مسالمة ومتصالحة. وانتهت بعهود ووعود. لم ينطق الرجل كفراً ولم يظهر لمستنقع الحقد الأسود أثر إذ استطاع **فراخان** يومها التحكم في اندفاعاته المعتادة ومشاكساته. وألقى كلمته أمام ذلك الحشد الهائل بلهجة تصالحية غير مألوفة. وركز في خطابه على التكفير عن الخطايا داعياً السود إلى التوبة والاستغفار والبكاء مع التشديد على أهمية وحدة السود وتآخيهم، واحترام الذات والمسئولية الشخصية. وقال في كلمته: (لا أحب هذا الشجار مع أعضاء الطائفة اليهودية). وتساءل (إذا كنتم مستعدين للجلوس مع عرفات حيث توجد أنهار من الدماء بينكم لماذا لا تجلسون معنا حيث لا توجد بيننا أي عداوات؟).

وردا على سؤال عن الشروط التي وضعها اليهود للقاء المقترح. أجاب قائلاً: (لن أزحف أبداً إلى لقاء كهذا لكنني على استعداد للاجتماع بهم بدون شروط مسبقة). ورأى **فراخان** أن ذاك التجمع يشكل نجاحاً على الصعيد الروحي وأضاف (لا أعتقد أنه سبق أن جرت في واشنطن مسيرة كان فيها المشاركون منظمين ويكنون الحب لبعضهم بعضاً كما حدث في هذا اليوم). وكان منظره وهو يتلو سورة الفاتحة باللغة العربية أمام حشد ضم مئات الآلاف من الأفريكان أمريكانز ووسط حضور مكثف لأجهزة الإعلام والرموز الأمريكية مثيراً للدهشة حقاً.

لكنه وفي لحظة تجل بدأ (يتقرظم) على رأي الأخت **مها عبد الفتاح** عندما وجه انتقادات عنيفة للإدارة الأمريكية قائلاً: (قبل أن تنتقدوا الصين وغيرها لسجونهم واستعبادهم لشعوبهم، التفتوا أولاً إلى ما يحدث عندنا. مدارس للسود من الدرجة الثانية وسجون لهم من الدرجة الأولى).

وقال **فراخان**: (مازالت هناك أمريكا سوداء وأخرى بيضاء وهما منفصلتين وغير متساويتين). واستنكر (فوقية البيض) داعياً السود إلى التفكير في مصيرهم وألا ينتظروا أن (يأتي التحرير من البيض).

وانتقد الرئيس الأمريكي **بيل كلينتون** عندما قال: (حطمونا وقسمونا ودمرونا كشعب وعلينا أن نسير الآن باتجاه وحدة أكثر كمالاً). وأضاف (لم نأت لندمر أمريكا لأن أمريكا تدمر نفسها بنفسها، نحن هنا لبناء المدن الضائعة).

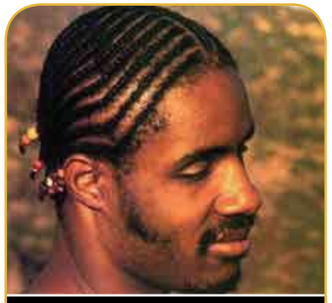
المغني الضرير استيفي واندر

وأكد في ختام كلمته أن بحوزتهم الآن ثمانية مليون صوت انتخابي. وهي- واعتباراً من ذلك اليوم- ستكون أصواتاً موجهة وليست للبيع لمن يدفع أكثر. وفي الختام جاء المغني الأسود الضرير- ذو الصوت البالغ التأثير والجمال- **استيفي واندر**. فغنى للسلام والمصالحة محاولاً التخفيف من وطأة شعر **غايا انجيلو** التي كتب عنها **أحمد عباس صالح** قائلاً: (إن كلماتها تصيب جسم المستمع بالرعدة من فرط جمالها وتأثيرها الانفعالي حيث اختتمت قصيدتها قائلة: حافظ على عرقك- حافظ على عرقك)[٢].

وأخيراً فإن نداء الله أكبر وتلاوة القرآن الكريم في كبرى ساحات

١) مقال أحمد عباس صالح (مسيرة المليون) الذي نشرته جريدة الشرق الأوسط في عددها رقم ٦١٧٠ وتاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٩٥م.

٢) المقال بعنوان (مسيرة المليون) الذي وردت الإشارة له سابقاً.

واشنطن الخضراء خلال مسيرة المليون رجل أسود. أنزلا الخشوع على أكبر تجمع بشري في مكان واحد تشهده الولايات المتحدة على مر تاريخها الحافل الطويل، حيث خيم الصمت الكامل بينما ارتفع صوت الحق يجلجل في أركان ساحتي المول والكابيتول مما دفع المراقبين إلى التوقع بأن يصبح الإسلام في المستقبل القريب الدين الذي يؤمن به أغلبية الأمريكيين السود. وأن الأمريكيين البيض استغربوا: كيف مضت هذه المسيرة الهائلة التي جمعت فقراء أمريكا واستمرت طوال ١٢ ساعة كاملة من دون أن يقع حادث واحد؟

الإجابة على هذا السؤال جاءت تلميحاً على لسان **فراخان** في مساء نفس اليوم عندما استضافته قناة الـ CNN الأمريكية، رداً على سؤال **لاري كنج** (مقدم البرنامج) حيث أوضح أن المسيرة هي بداية التعبئة. وسيتبعها انتقال إلى المرحلة التالية وهى عملية التطبيق وضمنها مشروع النهوض بالسود اقتصادياً منهم وفيهم!

سأله **لاري كنج** ماذا تريد؟

قال **فراخان**: (أريد لشعب السود الأمريكيين الحرية والعدالة والمساواة). قال له: خصوم المسيرة يقولون أن المشاركين فيها لم يزد عددهم على أربعمائة ألف فقط؟ فأجاب قائلا (بل كانوا مليوناً ومائتي ألف، والإعجاز في هذه المسيرة هو أنها جمعت كل هذا العدد المهول من البشر ولم تقع خلالها على مدى النهار بأكمله حادثة شغب واحدة تكدر النظام أو تدعو لتدخل الشرطة. إنه منتهى الانضباط والمسئولية من مليون نفس جميعهم من السود الذين جعلوا كل من عداهم يلزمون بيوتهم تحسباً لمظاهرة حقد أو انتقام تسود العاصمة الأمريكية. ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. والأهم من ذلك كله أن (الرسالة وصلت إلى البيض وإلى السود، وأرجو أن يكونوا قد فهموها).

ويقول **فراخان**: إنه يستند في تقديره لعدد المشاركين في المسيرة على أرقام أصدرها أحد المقربين من العمدة الأسود **ماريان باري** رئيس بلدية واشنطن العاصمة.

سأله **كنج**: (ماذا تنتظر أن تفعله لكم أمريكا البيضاء؟).

فقال: (أن تعتذر عما فعلته بنا على مدى أكثر من ٢٠٠ عام. فالاعتراف بالخطأ شيء طيب أما الاعتراف بالخطأ مع العمل على إصلاحه فهو أفضل. وأما الاعتذار العلني فهو بمثابة العهد بألا يحدث مثل ذلك مرة أخرى وهذا هو المطلوب. اعتذار ومصالحة حقيقية وبداية جديدة)!

ومهما يكن فقد صرّح أحد المعلقين الأمريكيين ـ والذي فضل عدم ذكر اسمه ـ (على ما يبدو فإن لحظة الحقيقة بالنسبة لهذا الرجل الواعد قد دنت وربما ليس من الحكمة لأي سياسي أن يتجنبه أو يشيح بوجهه عنه بعد الآن). ويعترف هذا المحلل السياسي قائلاً: صحيح أنه ليس أقوى من **جيسي جاكسون** كسياسي، فجيسي قد يصرخ ولكن صرخاته لا تتجاوز أحياناً جدران القاعة التي يتحدث فيها. ولكن عندما يصرخ **فراخان** فإن جلجلة صرخاته تتردد أياماً وأياماً في الولايات المتحدة كلها. هذا الرجل سيكون له شأن إن لم يقتل)![1].

١) المقال بعنوان: (الله أكبر تنزل الخشوع في قلوب مسيرة المليون أسود) لمفيد عبد الرحيم، مجلة الوطن العربي. العدد ٩٧٣ وتاريخ ١٩٩٥/١٠/٢٧م ، ص ٢٤.

قراءة أولية في كتاب المسيرة المليونية والظاهرة الفراخانية

المليون مواطن أمريكي أسود الذين تجمعوا في واشنطن لم يعبروا عن مشكلة التمييز العنصري الذي يعانون منه في المجتمع الأمريكي فحسب. بل أثاروا وأشعلوا بحجم تظاهرتهم والشعارات التي رفعوها قضايا أخرى تهم كل الدول وتمس كافة الشعوب. لقد أولت أجهزة الإعلام الأمريكية اهتماماً كبيراً بالتظاهرة وإن اختلفت الآراء حولها وتناقضت التحليلات والتعليقات. وكان من أولى الملاحظات تركيز وسائل الإعلام على المقارنة بين تظاهرة ١٩٩٣م التي دعا **مارتن لوثر** البيض والسود للمشاركة فيها، وتظاهرة **فراخان** التي اقتصرت الدعوة فيها على السود دون البيض والرجال دون النساء والأطفال. بل أن بعضهم ذهب لمقارنة **فراخان** بالإرهابي العالمي **كارلوس** الذي تم اعتقاله قبل أعوام في الخرطوم وما تزال محاكمته تجري في فرنسا حول عشرات التهم والجرائم ولعل أهمها وأشهرها اختطافه لرؤساء وفود دول الأوبك بمن فيهم معالي الأخ **أحمد زكي يماني** وزير البترول السعودي الأسبق.

لكن هؤلاء المتباكين على عقلانية **لوثر كنج** نسوا أنهم وقفوا ضده أيضاً برغم كل ما قدمه من تنازلات وما أبداه من حسن النوايا وجنوح للسلم. فقد اغتيل بعد بضعة أشهر فقط من مسيرته السلمية التي لم يذكروها بالخير إلا الآن. ومن الملاحظات أيضاً أن **فراخان** استثمر الحدث مادياً فقد حث المشاركين على التبرع النقدي فاستجاب لندائه معظم المشاركين حيث صرح بأن الأموال التي تم جمعها ستستخدم في إنشاء صندوق للتنمية الاقتصادية للسود، ولتمويل حملة تهدف لتسجيل كل الأمريكيين السود الذين بلغوا السن القانونية للتصويت وعددهم ٨ مليون ناخب. وكانت النتيجة الفورية التي خرجت بها المسيرة كما يقول الأخ **مفيد عبد الرحيم** هي أن تمكن منظموها من تسجيل ١٥٠,٠٠٠ رجل أسود للمشاركة في الانتخابات القادمة[1].

ويضيف أن هذا العدد يعتبر عدداً لا يستهان به كنتيجة فورية وخاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن السود معروفون بعدم إيلائهم الانتخابات الأمريكية الاهتمام اللائق. وأن نسبة المشاركين منهم فيها لا تتعدى في العادة معدل ٣٠٪ من إجمالي العدد المؤهل للتصويت مقارنة بأكثر من ٦٠٪ بالنسبة للبيض.

وبرغم أن **فراخان** لا يسعى شخصياً لترشيح نفسه لأي منصب سياسي كما أكد ذلك في أكثر من مناسبة. وربما يكون ذلك تعالياً منه أو رفضاً للمناصب الرسمية والدستورية في ظل الوضع القائم لقناعات شخصية تجعله يفضل العمل من الخارج كزعيم روحي لأقلية مضطهدة أو أنه يريد فعلاً أن يكون كما قال أحدهم: (بيضة القبان في السياسة الأمريكية).

فخلال المقابلة مع **لاري كنج** ألمح إلى ما يريده حيث قال: (نعتزم أن نكون قوة يحسب لها حساب في الانتخابات الرئاسية وانتخابات الكونجرس في العام القادم. نعتزم ألا يكون صوتنا وحضورنا في جيب أحد من الآن فصاعداً). ومضى إلى القول بأنه سيدعو جماهير السود إلى التصويت لا على أساس الانتماء الحزبي الضيق بل للمرشح الذي يخدم أكثر (قضية الفقراء والمحرومين والمستضعفين حتى لو كان هذا المرشح لا يمثل حزباً بعينه وذلك في أي انتخابات أمريكية قادمة).

وبالفعل فقد تزايدت المخاوف ـ وخاصة في الأوساط اليهودية ـ من تزايد شعبية الحركة ونفوذ زعيمها بعد أن استطاع أن يعيد تجميع القيادات السياسية للسود لتتوحد حول (أجندة) تتسم بالاستقلالية، وتعنى بالشأن المستقبلي للمواطنين السود. ويرى الدكتور **أحمد يوسف** (إن نجاح **فراخان** في المسيرة يمثل انتصاراً لشعبيته وتجسيداً لزعامته. ومن هنا كان منشأ الفزع الذي أصاب الأقلية اليهودية والدافع وراء القيام بحملات إعلامية للتحريض عليه والتخويف

١) المقال بعنوان (الله أكبر تنزل الخشوع في قلوب مسيرة المليون أسود) لمفيد عبد الرحيم، مجلة الوطن العربي. العدد ٩٧٣.

منه. وقد بدأت الجالية اليهودية تشعر بخطر تنظيم الجالية السوداء، تلك الجالية التي سبق لليهود احتكار أصواتها بالإغراءات المادية لعدة قرون[١].

ومعنى ذلك أن الأمريكان السود وبعد المسيرة المليونية أصبحوا يدينون بالولاء إلى قياداتهم السياسية. وباتوا ينتظرون منها التوجيهات فيما يتعلق بالجهة التي يمنحونها أصواتهم، والواضح أن هذه الكتلة سيكون لها تأثير كبير على مستقبل الخريطة الحزبية والتحالفات القائمة واختيار المرشحين في الانتخابات الرئاسية والنيابية وحتى انتخابات رؤساء البلديات.

والمؤكد أن اليهود يعلمون حق العلم أن انفراط عقد التحالف مع الكتلة السوداء وتحول هذه الكتلة إلى الخط المعادى لهم معناه أن تحكمهم في السياسة الأمريكية سيكون موضع شك. والجالية اليهودية التي فقدت تعاطف معظم الأقليات العرقية الأخرى معها بسبب تخليها عنها وخذلانها لها خاصة بعد أن وصلت إلى سدة الحكم وموقع صناعة القرار، وباتت غير محتاجة لتحالفات هذه الأقليات معها. أصبحت هذه الجالية تشعر الآن بأن **فراخان** بات يمثل أكبر وأقوى مصدر تهديد لها ولمصالحها. وقد يصبح البديل لها حيث ثبت بما لا يدع مجالاً للشك قدرته على المناورة وعلى تعبئة الحشود السوداء وحشد طاقاتها للوصول إلى الحقوق السياسية والمدنية المهضومة. ولعل الأيام قد أثبتت صحة ما ذهب إليه الأخ **حسن سندروسي** مراسل جريدة الحياة في واشنطن إذ يقول: (وإذا نجح **فراخان** حيث فشل الآخرون في أن يكون الزعيم الأوحد لثمانية وثلاثين مليوناً من السود الأمريكيين فإنه سيتمكن بمفرده من تعزيز سلطة أمريكا السوداء وإحداث تغيير كامل في الحسابات السياسية في الانتخابات الرئاسية لعام١٩٩٦م)[٢].

ومعروف أن تسجيل تلك الشريحة الضخمة من الناخبين ـ التي تعتبر آخر مصدر كبير غير مستثمر من القوى السياسية في أمريكا ـ ظل هدفاً صعب المنال لنشطاء من البيض والسود واليهود على امتداد الـ ٢٥ سنة الماضية، وبما في ذلك القس **جسي جاكسون** الذي اعتبر في الثمانينات الوريث الشرعي ل**لوثر كنج**. كل ذلك دعا مراسل مجلة الوطن العربي في واشنطن إلى القول: (لو تسنى ل**فراخان** تنظيم هذه الملايين الثلاثين أو غالبيتها المؤثرة الفاعلة، وتطويعها وبرمجتها بالطريقة ذاتها التي نظم وبرمج بها مسيرة المليون رجل يوم الإثنين الماضي، لربما أصبح ثاني أقوى رجل في الولايات المتحدة بعد الرئيس الأمريكي نفسه لأنه لن يكون هناك رجل واحد في أمريكا كلها قادر على الإدعاء بأنه يمثل ثلاثين مليوناً من الأمريكيين سواه إلا الرئيس الذي يصل سدة الرئاسة عادة بحصوله على أصوات غالبية المشاركين في الانتخابات الأمريكية، وهو ما يصل إلى أربعين أو خمسين مليون صوت على أفضل تقدير).

وعموما فإن المراقبين يجمعون على أن مسيرة المليون رجل تعتبر نقطة تحول هامة في تاريخ الولايات المتحدة وفي حركة الحقوق المدنية والقومية السوداء التي يتزعمها حالياً **لويس فراخان**. ومن العلامات المضيئة لتلك المسيرة أنها استقطبت النخبة المثقفة من الأمريكيين السود. فقد أظهر استطلاع للرأي جرى خلال المسيرة أن حوالي ٧٠٪ من الذين شاركوا فيها أمضوا ما لا يقل عن سنتين من التعليم الجامعي. كما أظهر نفس الاستطلاع أن حوالي ٩٠٪ من هؤلاء المشاركين لا ينتمون إلى تنظيم (أمة الإسلام) ولكنهم يؤيدون وبدرجات متفاوتة الشعارات والبرامج التي يطرحها **لويس فراخان**[٣].

١) المقال بعنوان (بعد جولته في عشرين دولة: فراخان يثير زوبعة في أمريكا ويهدد اليهود بكشف أوراقهم في الكونجرس) المنشور في مجلة (المجتمع)، العدد ١١٩٠ وتاريخ ١٩٩٦/٣/٥م، ص ٢٨.

٢) المقال بعنوان (هل يستطيع فراخان الحفاظ على مكانته بين السود مجسداً آمالهم؟) الذي نشرته جريدة الحياة في عددها الصادر بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٩٥م.

٣) المقال بعنوان: (مسيرة المليون رجل في واشنطن: هل يستطيع فراخان الحفاظ على مكانته بين السود مجسداً آمالهم؟) لمراسل جريدة الحياة في واشنطن (حسن سندروسى) . المنشور بعدد جريدة الحياة الصادر في يوم الأحد ١٩٩٥/١١/٥م، ص ١٨.

أما الجاليات المسلمة في الولايات المتحدة وخارجها فقد جاءت ردود أفعالها إيجابية تجاه المسيرة ورأت فيها تعبيراً عن قدرة الإسلام على استنهاض الهمم ورفع المعنويات، وإن كان البعض قد حاول أن ينسب لنفسه الفضل في الانتشار الذي حققه الإسلام في أمريكا[١].

وكان من إيجابيات المسيرة، وكما يجمع عليه المراقبون أيضاً، أن نظرة اليهود والبيض عموماً إلى السود بدأت تتغير وأصبحت مفعمة بكثير من الاحترام والتقدير وهذا شيء صحي، وإن كانت المخاوف قد بدأت تتزايد من تنامي النفوذ السياسي للسود واتجاههم للتوحد تحت قيادة **لويس فراخان**.

ومن ناحية أخرى فقد بدأ السود يشعرون بقدر كبير من الثقة في النفس وأنهم إذا توحدوا فهم يملكون في أيديهم القدرة على صياغة مستقبلهم، بل وربما يكون لهم القول الفصل فيما يتعلق بنتائج الانتخابات الأمريكية على اختلاف أشكالها ومسمياتها. فقد عرفوا أنهم بوحدتهم يصبحون قوة لا يستهان بها، قوة تخيف الأعداء وترعبهم. وبدأ اصطلاح (القوة السوداء) يتردد بكثرة ويأخذ زخماً متعاظماً.

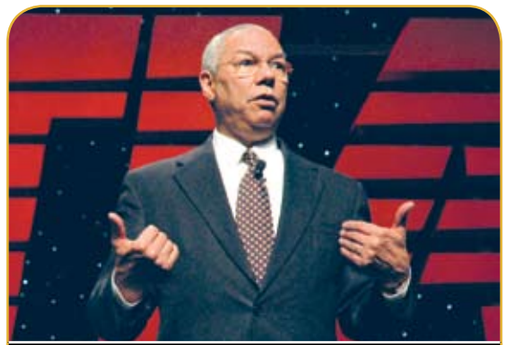
كولن باول

وكان من نتائج المسيرة أيضاً أن اليهود وقد دب الرعب في أوصالهم بدأوا في تلميع الجنرال المتقاعد (**كولن باول**) (قائد القوات الأمريكية في حرب الخليج الثانية[٢]) ليكون بديلاً **لفراخان** في زعامة السود وذلك في محاولة منهم لاسترضاء وكسب ود هذه الشريحة المهمة وفى نفس الوقت العمل على صرف الأنظار عن **فراخان**.

لكن الأمريكيين السود (مسلمين وغير مسلمين) لا يمكن أن تنطلي عليهم مثل هذه الألاعيب المكشوفة. فالجنرال باول وبرغم بشرته السمراء وخلفيته الإثنية إلا أنه ظل على الدوام بعيداً عن السود الأمريكيين وعن قضاياهم العامة وهمومهم. ومن ثم فإن شعبيته في أوساطهم تعتبر محدودة جداً بل قد يبدو في وسطهم أحياناً كالغريب. أما مصدر الدعم الأساسي له فهو من الجالية اليهودية وبعض الجمهوريين المعتدلين من البيض خاصة. والمرجح أنه شعر بالامتعاض والندم لعدم مشاركته في المسيرة التي اعتبرت فوزاً صريحاً **لفراخان** وخسارة فادحة للذين تخلوا عنه في يومه وعلى رأسهم بالطبع **كولن باول**.

وللتخفيف من وقع الهزيمة أدلى باول بتصريحات عشية نجاح المسيرة تنم عن الاستخفاف بزعيم (**أمة الإسلام**) والتقليل من دوره في تنظيمها.

١) المرجع السابق.

٢) الجنرال كولن باول من مواليد ٥ أبريل ١٩٣٧م لأبوين مهاجرين من جامايكا وإن كان هناك من يقول إن أصوله ايرلندية. شارك مرتين في الحرب الفيتنامية كما شارك في الحرب الكورية ثم عمل قائدا للواء الأمريكي الثاني العامل في أوروبا. وخلال خدمته العسكرية حصل على العديد من الأوسمة ومن بينها وسام الفارس الفخري من ملكة بريطانيا. ومهما يكن فإن كان كثير من الأمريكيين السود قد فرحوا وهللوا لاختيار باول كأول أمريكي أسود يشغل منصب رئيس هيئة الأركان ثم وزير الخارجية الأمريكي في ٢٠ يناير ٢٠٠١م. إلا أنهم ما لبثوا أن صدموا فيه بعد مرور أقل من ستة أشهر على تقلده هذا المنصب وذلك بسبب موقفه المخجل خلال مؤتمر ديربان لمكافحة التمييز العنصري. وانسحابه من جلسات المؤتمر تضامناً مع المندوب الإسرائيلي. هذا الموقف ربما يكون قد جعله يفقد الدعم المحدود الذي كان يتمتع به أصلاً في أوساط السود. وعموماً فإن كانت للجنرال باول من محمدة تستحق الإشارة، وحتى لا نظلم الرجل، فهي اعتماده منهج (التفوق) كأسلوب عمل لتحقيق الطموحات ونيل الحقوق، كما يجب ألا ننسى أنه في مؤتمر ديربان كان يعبّر عن موقف الدولة وليس موقفه هو أو رأيه الشخصي في التمييز العنصري.

هذه التصريحات جاءت نشازاً أيضاً ذلك أن الناس قد أجمعوا على حقيقة أن المسيرة المليونية كانت حدثاً بالغ الأهمية، بل ومؤشراً على أن الشرخ والجرح الدامي في اللحمة الاجتماعية الأمريكية ما يزال موجوداً ويزداد مع الأيام إيلاماً وعمقاً. وكان من تبعات ذلك أن تنبهت كل المؤسسات الأمريكية لهذا الحدث وتفاعلت معه، ولم يعامله حتى المتعصبين من البيض باستخفاف كما فعل باول، حيث استقبلوا المناسبة والخطاب الذي ألقاه **فراخان** فيها بهدوء وتعقل.

وعلى أية حال، فإذا كان السود قد ظلوا يمثلون الرقم الصعب في معادلة الديمقراطية والليبرالية الأمريكية في زمن انكسارهم كما يقول الأخ الدكتور **عمرو عبد السميع**: (وحين بدا مستحيلاً أن يتحدث مجتمع ما عن الحرية بينما جزء منه موسوم باللون. فحسب. يعيش عبودية رهيبة مفزعة. فإنهم في هذه الانتخابات الرئاسية يعيشون زمن (اقتدارهم) ويصبحون الرقم الصعب في معادلة الفوز بمقعد الرئيس في البيت الأبيض إذ في مثل هذا النوع من السباقات الانتخابية (الرذيلة) التي تجري (كتفا بكتف)، أو يصعب فيها تحقيق فارق معتبر، تلعب الكتل الديموغرافية الكبيرة للأقليات، وخصوصاً ذات التجانس في المزاج التصويتي، دور (الصوت المرجح). والسود يحتلون هذا الموقع في الخريطة الانتخابية للرئاسة الأمريكية هذه المرة[١].

وكان من نتائج المسيرة أيضاً أن أثبت **فراخان** للمراقبين أن صوته له صداه الهائل في أوساط السود بغض النظر عن ميولهم الدينية وانتماءاتهم الحزبية. حيث أظهرت استطلاعات الرأي بعد المسيرة أن الجماهير السوداء أصبحت أكثر تقبلاً لفكرة الإسلام كعقيدة دينية. هذه النتيجة دفعت الأخ **مفيد عبد الرحيم** إلى الاعتقاد بأن ذلك قد يدفع إلى طفرة سريعة تزيد بها حركة (أمة الإسلام) عدد أعضائها لتتحول من منظمة إسلامية غير ذات بال إلى منظمة جماهيرية قد توازي في نفوذها السياسي (بين السود) وعلى مستوى البلاد ككل نفوذ أي تجمع لقوى سوداء أخرى ذات انتماءات عقائدية أخرى مجتمعة[٢].

ذلك أن كثيراً من الأفكار التي طرحها **فراخان** في خطابه أمام المسيرة هي أفكار مستوحاة من الإسلام وموقفه تجاه قضايا الحرية والعدالة والمساواة. وكما هو معروف فإن هذه الموضوعات تجد أذناً صاغية لدى جماهير السود بل ترتاح لها الأذن السوداء بشكل خاص نتيجة للتجربة المريرة التي عاشها السود عبيداً لدى السيد الأبيض في مزارع أمريكا ومصانعها. لذلك فإنه وبالرغم من التحفظات التي أبداها زعماء مسلمون بارزون في الولايات المتحدة، سواء بالنسبة للحركة التي يقودها **فراخان** أو بالنسبة لشخصيته، فإن استقطابه لحركة الرفض الأسود تحت شعارات دينية إسلامية شكّل ظاهرة إيجابية هامة. ولا يجوز تشويه هذه الظاهرة أو محاولة طمس معالمها تحت دعوى عداء **فراخان** لليهود والسامية. فقد تضمنت المسيرة شعارات إيجابية كثيرة كدعوته السود إلى الابتعاد عن الجريمة والمخدرات والاهتمام بالأسرة، واحترام الذات ومساعدة السود لبعضهم البعض وغيرها.

كما نجح **فراخان** في تعبئة مشاعر السود ضد الرجل الأبيض وظلمه وعجرفته. بل ألهب خيالهم بحياة أفضل، ومستقبل أكثر إشراقاً لأبنائهم حيث ذكّر السود في تلك المسيرة بأن أجدادهم هم العباقرة الذين بنوا أهرامات مصر في زمن الفراعنة. وأنه لا يعقل أن ينجب من كانوا مهندسين (قبل ستة آلاف سنة) متخلفين عقلياً كما يقول السيد الأبيض، وأكد **فراخان** أن هذا المجد سيعود يوماً.

كما اتفق المراقبون أيضاً على أنه بالرغم من كل ما يقال عن عبقرية **فراخان** وقدرته المتناهية على التعبير عن

١) المقال بعنوان (الأمريكيون الأفارقة يمثلون الرقم الصعب للحزبين المتنافسين) المنشور بجريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٠/١٠/١٢م، ص ٦.
٢) المقال بعنوان (الله أكبر تنزل الخشوع في قلوب مسيرة المليون أسود) المشار إليه أعلاه.

آلام وآمال السود في أمريكا فإن هناك سبباً آخر يبدو أنه ساعد في صعود نجمه بهذا الشكل اللافت ويتمثل في رأيهم بأن هناك (ردة أمريكية) نحو اليمين والمحافظة وخاصة بعد فوز الجمهوريين المحافظين بأغلبية مقاعد الكونجرس الأمريكي في الانتخابات التي جرت في نوفمبر من عام ١٩٩٤م، ثم فوزهم في الانتخابات الرئاسية للعامين ٢٠٠٠م و٢٠٠٤م.

وأخيراً فمن الملاحظات الجديرة بالذكر أيضاً أن هذه التظاهرة لم تولد عفواً، أو لمجرد دعوة وجهها زعيم سياسي أسود. بل كانت. وكما يستنتج **باسم الجسر** (نتيجة طبيعية للمناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنوات. فمن حوادث الشغب التي شهدتها لوس أنجلس منذ ثلاث سنوات إثر عرض مشاهد ضرب رجال الشرطة لرجل أسود، ومروراً بالكتب والدراسات التي تحاول أن (تثبت) أن السود لن يلحقوا أبداً بالبيض وبالتالي لا ضرورة لإنفاق الأموال وتبديدها في محاولات رفعهم لمستوى البيض. ولا ننسى التيار السياسي الذي تمثله الأكثرية الجمهورية في الكونجرس والداعي إلى خفض أو إلغاء المساعدات الاجتماعية التي تستفيد منها الطبقات الفقيرة وخاصة السود بحكم تخلفهم الاقتصادي)[١].

ولعله من نافلة القول التذكير أيضاً بما قاله أحد ضباط الشرطة البيض بحق السود خلال محاكمة **أوجي سمبسون** حيث رأى أن المحاولات الجارية لرفع المستوى المعيشي للسود هي في نظره تبديد للوقت والمال. وعلى ذكر **سمبسون** فلعله كان هو الآخر من المستفيدين من هذه التظاهرة التي أعطت براءته دعماً قوياً، فقد ظهر بعدها وبأيام فقط بصورة علنية. لأول مرة. وهو يلعب الجولف في أحد الأندية الرياضية!

أما **فراخان** فإن النجاح الذي حققته المسيرة التي اعتبرها استعراضا أولياً للقوة السوداء القادمة حفّزه وأغراه للتفكير في القيام بجولة خارجية أو ما أسماه (زيارة الصداقة) التي شملت العديد من الدول الأفريقية والأسيوية ومن بينها ليبيا والعراق وإيران والسودان. وعاد منها ظافراً أيضاً حيث حملت الأنباء أنه حصل على قرض بدون فوائد وصلت قيمته إلى خمسة ملايين دولار كما تناقلت ذلك الصحف ووكالات الأنباء[٢]. وقد دعاه ذلك النجاح أيضاً إلى التخطيط لمسيرة أخرى تكون للنساء والأطفال السود خاصة وذلك تعبيراً عن تقديره واهتمامه بالمرأة والطفل والأسرة، وعلى صعيد آخر، فقد أظهرت نتائج استطلاع للرأي نشرته (The New Yorker) أن قرابة الـ ٦٠٪ من السود لا يؤمنون بالحلم الأمريكي ويعتقدون على العكس أن الوضع يتدهور بين السود أكثر فأكثر.

كما أشار الاستطلاع الذي أجرته مؤسسة (يانكيلوفيتش) وشمل عينات من سكان القيتو السود إلى أن ٥٨٪ منهم يعتقدون أن مستوى معيشتهم انخفض. كما أعرب ٥٠٪ أن العلاقات بين البيض والسود لن تتحسن قط في الولايات المتحدة. فيما رأى ٥٩٪ أن الحلم الأمريكي مستحيل التحقيق، وأعلن ١٠٪ من الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع أنهم ينتمون إلى الفئة المحرومة. و٤١٪ ينتمون إلى طبقة العمال و٣٥٪ إلى الطبقة المتوسطة و٦٪ إلى الطبقة المتوسطة الميسورة و٣٪ إلى الطبقة الغنية. وقررت غالبية كبيرة (حوالي٧٠٪) أن ما تفعله الحكومة لمصلحة الأقليات الإثنية غير كافٍ، وأن الحزب الديمقراطي أكثر استجابة لاحتياجات السود ومطالبهم. بينما يرى ٣٠٪ أن لا الحزب الديمقراطي ولا الجمهوري يهتمان بمصالح السود ومطالبهم العادلة. وأعلن ٧٠٪ أنهم سيعطون أصواتهم للمرشح الديمقراطي **بيل كلينتون** في انتخابات الرئاسة الأمريكية. بينما أعلن ١٣٪ فقط عن إمكانية إعطاء أصواتهم للمرشح الجمهوري **بوب**

١) المقال بعنوان (فراخان بعد لوثر كنج صفحة سوداء جديدة)، الذي وردت الإشارة له سابقاً.
٢) المقال بعنوان (بعد جولته في عشرين دولة فراخان يثير زوبعة في أمريكا ويهدد اليهود بكشف أوراقهم في الكونجرس)، المنشور بمجلة المجتمع الصادرة في ١٩٩٦/٣/٥م، والمقال بقلم الدكتور أحمد يوسف من واشنطن.

دول في حال اختياره الجنرال **كولن باول** نائبا له[١].

وأخيراً وعلى رأي الدكتور **عمرو عبد السميع**: (زمن طويل موغل في القدم يفصل بين عصر بلوره **ستيفن سبيلبرج** في فيلمه الشهير (أميستاد) الذي تكثفت وقائعه في صرخة الممثل العبقري **جيون هونسو** المفعمة بالغضب (أعطني حريتي). وعصر التطلع إلى المستقبل الأكثر إنسانية الذي بشّر به الرئيس كلينتون بنداء مفعم بالرجاء (مزيد من الحريات المدنية للسود (في ١٧ سبتمبر١٩٩٥م).

أو جي سيمبسون في مؤتمره الصحفي بعد إطلاق سراحه

فالأول كان عصر مأساة مرعبة اسمها تجارة العبيد والثاني كان بلورة لنقطة الحد الأقصى في تيار سياسي، ثقافي، إنساني يدفع نحو الإجهاز ونهائياً على ثقافة التمييز وهي مسؤولية اضطلع بها الديمقراطيون دون غيرهم في الولايات المتحدة طوال العقود الماضية. وبلغ إنجاز كلينتون فيها آفاقاً لم يسبقه إليها أحد، فقد كان الأكثر حصولاً (في تاريخ الرؤساء الديمقراطيين) على أصوات السود، الذين أعطوه ٩٥٪ من قوتهم في المساندة التصويتية عام ١٩٩٦م. وصحيح أنه من بين كل عشرة سود هناك ثمانية يؤيدون الحزب الديمقراطي. ولكن ما أعطاه السود لهذا الزعيم الديمقراطي - بالذات - يفوق ما أعطوه لأي زعيم آخر)[٢].

وصدقت البشرى

السادس والعشرون من فبراير عام ٢٠٠٠م كان يوماً مشهوداً في تاريخ حركة الإسلام والمسلمين في أمريكا الشمالية. يوم ليس كبقية الأيام. في ذلك اليوم حملت الأنباء أنه وخلال الاحتفال السنوي لحركة أمة الإسلام بيوم المنقذ (The Savior's Day)، وقف **لويس فراخان** من على المنصة الرئيسية ليعلن للملأ رسميا تخليه عن كل الأفكار والنعرات العنصرية وعودته إلى رحاب الدين الحنيف كما بيّنه سيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. كان مشهداً رائعاً ومؤثراً بحق أن ظهر **لويس فراخان** وقد وقف جنباً إلى جنب مع الإمام **وارث الدين محمد**، ليعلنا على رؤوس الأشهاد نهاية زمن الفرقة والشقاق والاحتراب. وبداية صفحة جديدة أساسها الإخاء والوفاق والاحترام بل والعمل المشترك البناء من أجل غد أفضل لأبناء المسلمين في أمريكا[٢].

وارث الدين وفراخان يوم المصالحة

إن مجرد ظهور الزعيمين المتخاصمين في مكان واحد كان يعني أول ما يعني إيذاناً بانتهاء زمن الخلافات والخصومات والأحقاد، وإظهاراً للرغبة في التعاون والتسامح والإخاء.

---

١) المقال بعنوان: (زعيم جماعة أمة الإسلام يعترف بأن أصوله يهودية). المنشور بجريدة الحياة الصادرة بتاريخ ١٩٩٦/٤/٢٤م.

٢) المقال بعنوان (الأمريكيون الأفارقة يمثلون الرقم الصعب للحزبين المتنافسين) - المنشور بجريدة الأهرام الصادرة في ١٢ أكتوبر ٢٠٠٠م.

٣) من الخبر الذي تناقلته وكالات الأنباء كما نشرته وبثته: (The Indianapolis Star, BBC - Jerusalem Post - New York Times -Washington Post - Star Tribune).

فطوال العقدين الماضيين ظل كل واحد منهما يحرص كل الحرص على تحاشي أن يجمعه مكان واحد مع الآخر، أو أن تضمهما معاً مناسبة حتى لو كانت صلاة جماعة. كان العداء مستحكماً والنفور مستتباً وقد باءت بالفشل كل المحاولات الرامية لتقريب وجهات النظر وتحقيق المصالحة بين الرجلين.

لكن كيف حدث ذلك؟

لا أحد (سوى **فراخان** و**وارث الدين** وبعض المقربين) يعرف كيف تم الترتيب لهذا الأمر. ولم تتسرب سوى بعض شذرات عن الحدث وتفاصيله. وإن كان لا يهمنا في هذه الدراسة كيف تم ذلك، فالأهم هو أنه حدث وتحقق.

وقد كان حضور **وارث الدين** للاحتفال، ووقوفه على المنصة الرئيسية إلى جوار **فراخان**، مفاجأة أذهلت الحضور وأربكت حسابات المراقبين والمهتمين بالشأن الإسلامي في القارة الأمريكية.

وفي كلمته أمام الحشود التي حضرت الاحتفال. التفت **فراخان** جهة اليمين حيث وقف الإمام **وارث الدين** وقال: (أخي محمد. إنني واعتباراً من هذا اليوم أضع يدي في يدك، لنعمل سوياً من أجل رفع راية الإسلام خفاقة في هذه الديار. وإنني - ومن هذا المنبر - أعلنها على رؤوس الأشهاد أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وهو ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأشهد أيضاً أن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية)[١].

ومضى **فراخان** في حديثه الموجه إلى **وارث الدين** قائلاً: (بعد خمس وعشرين عاماً من القطيعة والشقاق. بإمكاننا الآن أن نسير معاً كأخوين. ولقد عرفت الآن فقط أن هذا هو ما كان يريده والدك المبجل **إليجا محمد**)[٢].

وقطع **فراخان** حديثه واتجه إلى حيث يقف **وارث الدين** فتصافحا وتعانقا عناقاً حاراً، ثم رفعا يديهما المتشابكتين تحية للحضور وتعبيراً عن انتهاء زمن الخلاف والشقاق وبداية عهد التعاضد والوفاق. حدث كل ذلك في لحظة توقف فيها الزمن وحبس الناس أنفاسهم وقد أذهلتهم المفاجأة وهم بين مصدق ومكذب. ثم توجه **فراخان** بالحديث إلى أتباعه حيث بدأ بالاعتذار لهم عما سببته لهم المفاجأة من إرباك وأنه لم يكن بإمكانه المضي على نفس النهج بعدما تبين له الرشد.

وشرح أنه مر بفترة عصيبة وعاش تجربة حقيقية دخل خلالها في صراع مع الموت قبل وأثناء العملية الجراحية التي أجريت له[٣]. وأضاف أنه وبهذه الخطوة الجريئة لا يقصد إلى التخلي عن أتباعه أو التنكر لمبادئ ظل يدعو لها ويدافع عنها على مدى أكثر من خمسة وأربعين عاماً. ولكن الإنسان العاقل يتغير - كما قال - إذا واجه ما واجهه هو. وقد وضعها صريحة يومها حيث تساءل قائلاً: (Has Farrakhan Changed?).

ويجيب بنفسه فيقول:

(Yeah, I have. No man undergoes a trial and comes out the same. A fool changes not, but a wise man changes often).

أي أن الإنسان السوي يرجع إلى طريق الحق، والغبي هو الذي يستمر في المكابرة بعد ما تبين له الرشد. ومعنى هذا أن **فراخان** اختار أخيراً الرجوع إلى طريق الحق والرشاد والرجوع إلى الحق فضيلة كما يقولون، بل دعا أتباعه إلى دعم **وارث الدين** والسير على خطاه وعدم الشك في صدق توجهه، مذكراً إياهم بأنه ظل يخدمهم بإخلاص منذ انضمامه إلى الحركة في ١٩٥٥م.

---

١) من المقال بعنوان: (Farrakhan Accepts Orthodox Islam) المنشور بالموقع (Africana.Com/Daily Articles/index 200330.htm)

٢) المعروف أن لويس فراخان البالغ من العمر الآن حوالي ٧٦عاماً يعاني من ورم خبيث في البروستاتا وقد أجريت له أكثر من عملية جراحية.

٣) من الخبر تحت عنوان: (Farrakhan Accepts Orthodox Islam) الذي وردت الإشارة له سابقاً، ومعروف أن فراخان كان يرفض النهج السلفي باعتباره لا يأخذ بالاعتبار الأوضاع الخاصة للمسلمين السود.

وفي ختام كلمته ناشد المؤمنين من أتباعه إلى مبايعة **وارث الدين** إماما وزعيما روحيا وأن يكونوا جنوداً مخلصين له. معلناً براءته من أي نعرة عنصرية تخالف تعاليم الشرع الحنيف. ثم دعا **وارث الدين** لإلقاء كلمة بهذه المناسبة. فتقدم وارث وضج الحضور بالهتاف والتصفيق، وبعد أن توجه لله ﷻ بالحمد والشكر والثناء. والصلاة على أشرف خلقه سيدنا محمد ﷺ، توجه بالتهنئة الحارة ل**لويس فراخان** على هذه الخطوة الجريئة ودعا له بعاجل الشفاء ودوام الصحة والسداد. ثم قال: (علينا الآن أن ننسى الماضي ونؤسس للمستقبل المشرق للإسلام في هذه الديار. وكما أعلنها أخي **فراخان** فإنني أعلنها صريحة: وداعاً لزمن الشقاق ومرحباً بعهد الوفاق)[١].

و يشهد الله أن هذا الخبر أدخل السرور على قلبي وأفرحني كما لم أفرح منذ زمن بسبب الهزائم والانتكاسات التي توالت على أمتنا. لم يكن ذلك لأنني كنت ومنذ وقت مبكر من أكثر المتحمسين والمتفائلين بعودة **فراخان**. أو لأنني كنت قد راهنت على حتمية عودته إلى طريق الحق في آخر المطاف كما أكدت ذلك في أكثر من مناسبة. لكني فرحت لإيماني القاطع بأن هذه المصالحة وهذه العودة تعني الكثير والكثير جداً لمستقبل الإسلام والمسلمين ليس في الولايات المتحدة الأمريكية فحسب بل ربما في كافة أنحاء المعمورة وذلك باعتباره فرح مزدوج: بعودة **فراخان** إلى الطريق القويم وبالمصالحة التي تمت بينه و**وارث الدين**.

وقد رحب معظم المسلمين الأفرو أمريكانز بهذه التصريحات معتبرين إياها خطوة هامة نحو تطبيع العلاقات ما بين (أمة الإسلام) والجمعية الإسلامية الأمريكية التي يتزعمها **وارث الدين** من جهة، وبين (أمة الإسلام) وجمهور المسلمين من جهة أخرى.

فراخان يحمل نسخة من الترجمة لمعاني القرآن الكريم

كما عبّر عدد من الزعماء والقياديين المسلمين من خارج مجتمع الأفرو أمريكانز عن الارتياح البالغ إزاء هذا التطور الإيجابي الذي سيكون له عظيم الأثر في تقريب وجهات النظر وتضييق شقة الخلاف بين معتقدات (أمة الإسلام) وجمهور المسلمين، وإنه مما يدعو إلى التفاؤل أيضاً التغيير الواضح في لهجة **فراخان** بعد تلك المناسبة، كما بدأ أتباعه في الالتزام بشعائر الإسلام على هدي من الكتاب والسنة وخاصة فيما يتعلق بالصلاة والصيام.

وفي أول رد فعل رسمي على هذه المبادرة أدلى **سيد سعيد**[٢]. بتصريحات صحفية رحب فيها بإعلان **فراخان** وتصريحاته واصفاً إياها بأنها سوف تساعد على تنقية الأجواء وتحسين صورة الإسلام والمسلمين في أمريكا. بل وأكثر من ذلك أن هذا الإعلان من **فراخان** يساهم في إنهاء ظاهرة التشرذم وتبادل الاتهامات بين الطوائف المختلفة التي يعتبرها **سيد سعيد** من أخطر التحديات التي تواجه المسلمين في أمريكا.

أما خصوم **فراخان** الذين طالما وصفوه بأقذع النعوت وأنه (رسول الكراهية) (The Messenger of Hate) فقد قابلوا تصريحاته الأخيرة بشيء من التفاؤل الحذر حيث أدلى **أبراهام فوكسمان** - رئيس الرابطة الأمريكية لمناهضة ظاهرة القذف بين المسلمين (Anti- Defamation League)بتصريحات لصحيفة (The Jerusalem Post)، أثنى

١) المرجع السابق، ص ٣-٤.

٢) الأمين العام لاتحاد الجمعيات الإسلامية في أمريكا الشمالية الذي يرمز إليه عادة بـ (ISNA). وهذا الاتحاد يمثل بالأساس المسلمين المهاجرين من آسيا وأفريقيا، ويعتبر المظلة الكبرى التي تنضوي تحتها معظم - إن لم نقل جميع - المنظمات والهيئات الإسلامية في أمريكا الشمالية.

فيها على **وارث الدين محمد** واصفاً إياه بأنه (صوت مغاير لتطرف **فراخان** ومعاداته للسامية)، إلا أنه عبّر عن شكه في إمكانية قيام تحالف بين التنظيمين، وأعرب عن أمله في أن يتمكن **وارث الدين**- الذي وصفه فوكسمان بأنه القائد المسئول لجالية الأفرو أمريكانز المسلمين - من تخفيف حدة النعرة العنصرية لدى **فراخان** وألا (يتلوث) هو بها.

وأضاف فوكسمان: (وعموماً فسوف نعرف عما قريب مدى مصداقية **فراخان** وما ستسفر عنه هذه الصداقة الجديدة).

ومهما يكن وعلى الرغم من الضبابية التي ما تزال تحيط بالأمر والتي جعلت بعض المفكرين والمراقبين يبدون شيئاً من التحفظ تجاه التغييرات التي أعلن عنها **فراخان**. فإن مجرد الإعلان عنها من **فراخان** هو شيء يستحق الاستحسان والتقدير. وعلينا كمسلمين وطالما أن الرجل قد نطق الشهادة وأقر بحقيقة أن سيدنا محمد ﷺ هو آخر الأنبياء والمرسلين أن نفتح له قلوبنا وعقولنا ونمد له أيدينا بيضاء من غير سوء.

و إن كان البعض ما يزال ينظر بعين الشك ويتوجس خيفة من نكوص **فراخان** وتنصله عن إعلانه وما التزم به كما فعل ذلك في مرات سابقة فإنني أقول لهؤلاء: امنحوا الرجل فرصة أخيرة وتذكروا قول الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

لاسيما وأن الإعلان عن التوبة والنطق بالشهادة والوعد بالسير على النهج القويم جاء هذه المرة على رؤوس الأشهاد من أتباع **فراخان** وأنصاره، وكان ذلك في ظل ظروف مغايرة تماماً لأي مرة سابقة. حيث كانت هذه هي المرة الأولى التي يدلي فيها **فراخان** بمثل هذه التصريحات أمام حشد من أتباعه والمتعاطفين معه أي أمام شهود من أهله يزيد عددهم على المائة ألف. هذا فضلاً عن أن الخبر تناقلته كبريات الصحف ووسائل الإعلام. و**لويس فراخان**- الذي نعرفه جميعاً - ليس بالغباء الذي يجعله ينكص عن عهد قطعه على نفسه أو يتراجع عما أعلنه على مرأى ومسمع من أتباعه لأنه لو فعل ذلك يكون قد كتب نهايته بيده كزعيم سياسي ومصلح اجتماعي وقائد روحي.

والرأي عندي أن الرجل - وبحسب ظاهر الأمور - عرف طريق الحق ورجع إليه تائباً مستغفرا والأيام ستكون هي الحكم وهي التي ستظهر مدى مصداقيته وجديته والتزامه بما أعلنه، والواقع يقول: أنه حتى الآن- وقد مضت أكثر من ثماني سنوات على ذلك الإعلان - فإنه وحسب علمي لم تسجل أو ترصد عليه أي مخالفة أو ما يشير إلى عدم التزامه بما عقد العزم عليه، ما عدا الاستمرار في الاحتفال بالذكرى السنوية ليوم المنقذ في ٢٦ فبراير من كل عام. وطالما أن الواقع يشير إلى أن الرجل متمسك بما أعلنه فالواجب يملي علينا أن نعينه على نفسه وعلى المشككين والمتربصين من حوله. وعلينا أن نتذكر دائماً أن الله ﷻ هو الذي يعلم سرائر الناس وهو وحده علاّم الغيوب. والله ﷻ يفرح بعودة العبد التائب كما ورد في الحديث الشريف (كل ابن آدم خطاء وخير الخاطئين التوابون)[١].

وبعد. فإنني ومنذ أن بدأت هذا العمل قبل أكثر من عشرة سنين كنت وما زلت أدعو الله ﷻ وأتمنى أن يأتي اليوم الذي يعود فيه **فراخان** إلى حظيرة الإسلام الصحيح. وعودته في حقيقة الأمرإلى الدين الحق هي وبكل المعايير نصر وكسب للإسلام والمسلمين في القارة الأمريكية لأن هذه العودة تعني أول ما تعني كسب قائد جماهيري محنك وخطيب مفوه له وزنه وثقله إلى الإسلام الصحيح، وهذا أيضاً يفتح الطريق لعودة الآلاف من أتباعه وغيرهم إلى طريق الحق والنور.

وإنني ومن كل قلبي أدعو الله ﷻ أن يثبته على طريق الحق ويهدي به الآلاف من الحيارى والتائهين. إنه سميع مجيب الدعاء.

١) الجامع الصحيح - سنن الترمزي (الحديث رقم٢٤٩٩).

الباب الثامن

الأفرو أمريكانز المسلمون إلى أين؟

أفراد من جماعة الـ ٥٪ يمارسون
الدعوة في الطرقات

مدخل

المجتمع الأمريكي كما عرفته من الداخل هو منظومة تذخر بالغرائب والعجائب كما يموج بالتناقضات: الدينية والفكرية والعرقية. وأيضاً بالتناقضات الاقتصادية والاجتماعية. تناقضات قد تبدو للوهلة الأولى عميقة ومتجذرة. وهي في واقع الأمر لا تبعد كثيراً عن ذلك ؛ وهي قد تتعاظم أحياناً فتطفو إلى السطح في شكل احتكاكات أو مسيرات. عنف وعنف مضاد وأعمال شغب. لكنها لا تلبث أن تهدأ وتتقزم وكأن شيئاً لم يكن. ففي الساحة الأمريكية اليوم أكثر من ألف ملة وعقيدة. والساحة مهيأة تماماً للحفاوة بأي جديد وأغرب التقليعات والصيحات والصرعات. كل يغني على ليلاه كما يحلو له وكيفما شاء. حيث حرية العقيدة والفكر والعبادة والتعبير مكفولة للجميع وبنص القانون والدستور، والرئيس الأمريكي ليس هو الراعي للكنيسة بحكم منصبه كما هو الحال بالنسبة لملكة بريطانيا. ومع ذلك فإن أمريكا وبهذه التركيبة الفريدة تضم بين جانبيها كل ألوان الطيف الديني والفكري، في مشهد أو بانوراما تكاد تكون متفردة ومميزة بما لها من خصوصية وتعددية.

لكن ومع هذه التعددية المفرطة فإننا نشاهد بانوراما دينية متجانسة تتسم بكثير من الشفافية الراقية ولا يبدو فيها نشازاً إلا بعض التصرفات الفردية الرعناء من أفراد متطرفين وبعض الأقليات المنغلقة على نفسها من أنصار الحركات الباطنية التي تقوم على العصبية العنصرية أو الطائفية المفرطة.

ولقد قصدت من هذه المقدمة أن ألقي بعض الأضواء على طبيعة الواقع وتركيبة المجتمع الذي تناولت هذه الدراسة شريحة هامة منه. وهي أيضا محاولة لقراءة العقلية التي نتحاور معها ونحاول الإبحار فيها. وذلك في خضم سعينا الدءوب لاستكشاف حجم التحديات التي تواجهنا، وجسامة القضية التي نحن بصددها، ألا وهي قضية هداية المضللين والمغرر بهم وردهم إلى رياض الدين رداً جميلاً.

من المهم ونحن نؤرخ لتاريخ هذا الشعب ونحاول التسلل إلى حاضره والولوج إلى مستقبله أن نعرف جذور القضية والمراحل المختلفة التي مرت بها والمؤثرات والتراكمات التي أثرت في تكوين العقلية والشخصية المستهدفة، لكي نعرف من أين نبدأ؟ وماذا نحن فاعلون؟ إنها محاولة لقراءة عقلية الآخر وسبر أغوار المستقبل. لنتقصى ونتحرى ونتدارس ونتلمس معالم الطريق: كيف ولماذا حقق الشيخ الحاج **داؤد أحمد فيصل** والشيخ **باوا محي الدين**[1] وأيضاً الإمام **وارث الدين** بعض النجاح. فيما أخفق الآخرون؟

كيف نبدأ؟ من أين، وإلى أين نسير؟ ثم ما هي الأدوات والوسائل والمقومات التي نحتاجها لتعيننا في استكشاف الطريق؟ وما هي الموجهات والضوابط والشموع التي يمكن أن نسترشد بها ونحن نحاول الولوج إلى مغارات وأحراش هذه القضية الشائكة؟ وأيضاً ما هي محاور العمل الرئيسية والفرعية؟ كيف نصوغ خطتنا للتحرك والانطلاق بصورة علمية وخطوات ومراحل محسوبة ومدروسة؟ ثم كيف نقتسم الأدوار والمهام؟ وهذا يقودنا تلقائيا للتساؤل مع من نتعاون؟ من هم القادة الحاليون الذين يمكننا التعاون معهم. كيف نصنع قيادات المستقبل؟ وكيف نعلّم الشباب المسلم ونعدّهم لمواجهة زمان غير زماننا وتحديات غير التي واجهتنا؟ أي سر وراء نجاح من حالفهم النجاح؟ وما هو المفتاح أو كلمة السر للدخول إلى عقول المضللين من الأمريكان الأفارقة وغيرهم؟

قبل الشروع في الإجابة على هذه التساؤلات التي تطرح نفسها بشدة وإلحاح، لا بد من دراسة بعض التجارب التي

١) الشيخ داؤد أحمد فيصل شيخ جليل يعتبر الرائد في تبليغ الرسالة المحمدية النقية ونشرها في أمريكا. والده من المغرب وأمه من جزر الهند الشرقية لكنها عاشت في موريتانيا وسوف يجيء الحديث عنه وعن حركته في جزء لاحق من هذا الباب. أما الشيخ باوا محي الدين فهو من سريلانكا ويعتبر المؤسس للحركة الصوفية في أمريكا.

قام بها من سبقونا حتى لا نحرث في البحر أو نبدأ من الصفر خاصة ونحن نعيش حقبة جديدة في تاريخ البشرية هي حقبة القطب الواحد والقوة العظمى الوحيدة المهيمنة على كل شيء وأيضاً حقبة الألفية الثالثة وما بعد العولمة، حيث تذوب الحدود وتتلاشى التعددية الثقافية وربما الدينية أيضا كما يريد ذلك البعض حيث نحن في زمان القوة الجديدة في مفهومها وأسلحتها وأدواتها، القوة التي وصفها الأخ الدكتور **هشام ناظر** في كتابه الرائع بأنها قوة من نوع ثالث[1].

وهنا يثور تساؤل: أليس من الغريب والمؤسف أن فينا من لا يزال يعيش حياة الجاهلية الأولى بل هو أضل سبيلا؟ ومن بيننا من يعيش في الألفية الثالثة وما يزال يفكر ويتصرف بعقلية القرون الوسطى ويستخدم لغة العنتريات التي ما قتلت ذبابة، يفكر بقلبه وعواطفه ثم يتباكى ويتباهى ببطولات زائفة لم نحصد منها غير الندم والتقهقر للوراء عشرات السنين؟

إن التعددية الدينية والإثنية والفكرية لم تمنع الناس في أمريكا ودول أخرى غيرها من أن يتوحدوا ويتوّجوا وحدتهم خلف شعارات ومبادئ وثوابت لا يحيدون عنها لأنها ليست خاضعة للمزايدات.

لكن وسط كل هذا الزخم ومن بين كل هذا الزحام تبرز جماعة خرجت من رحم حركة أمة الإسلام وتستحق أن نفرد لها الصفحات التالية.

هم يقولون عن أنفسهم أنهم (الفئة الناجية) والـ ٥٪ الذين اهتدوا إلى الحكمة، عرفوا الحق ووصلوا إلى مرتبة الكمال فصاروا آلهة !

والمؤسف أنهم يدعون زورا وبهتانا أنهم مسلمون وهم أبعد الناس عن الإسلام الذي لم يأخذوا منه شيئاً غير الاسم والملبس وبعض الشعارات كما سنرى فيما يلي. لكن من هم الـ ٥٪؟ ما هي أجندتهم وأهدافهم المعلنة والخفية؟ ومن نحن في نظرهم؟ هنا مربط الفرس.

١) كتاب (Power of A Third Kind) للأخ الدكتور هشام محي الدين ناظر.

أمة المراهقين الآلهة والمراهقات الكواكب الأرضية

هذه الحركة كما يقول عنها **يوسف نور الدين**[١]: هي فصيل خارج على حركة أمة الإسلام الإليجية، بدأوا نشاطهم في نيويورك وتحديداً في منطقة هارلم عام ١٩٦٤م تحت قيادة **كلارنس بودينق** (Clarence Pudding X 13)[٢]، ويرى الأخ **يوسف نور الدين**، وهو الوحيد الذي قدم دراسة جادة عن هذه الفئة الضالة حسب علمي، أن خروج **كلارنس** على زعيمه **إليجا** كان بسبب اعتراضه على مبدأ إلوهية **والاس فارد**.

سبب يبدو وجيه ومقنع والكل يجمع عليه لكن **كلارنس** ما كان ليعترض على ربوبية فارد المزعومة أو أي شخص آخر غيره لو أن فارد، أو هذا الآخر، كان رجلاً أسود. لقد عرف **كلارنس** في وقت متأخر بعد انضمامه إلى حركة أمة الإسلام أن **والاس فارد** حسب وصف من شاهدوه يعد من القوقازيين (البيض) وهذا وحده كان سببا كافيا لأن يكفر به **كلارنس** !

أما الاسم للحركة التي قادها **كلارنس** (أمة الـ ٥ ٪) فهو مأخوذ من اعتقادهم بأنهم يمثلون شريحة الـ ٥ ٪ المختارة من البشر الذين يعيشون حياة الإسلام الحقيقية، والذين استطاعوا أن يظهروا الطبيعة الربانية الحقيقية للرجل الأسود الذي هو عندهم الرب والإله. والإسلام عندهم ليس عقيدة بل مجرد نمط ونسق للحياة.

وفي تعاليمهم لا تجد أي ذكر أو إشارة للصلاة المكتوبة. حتى لو كانت على هيئة الصلاة الإليجية. ناهيك عن الصوم والزكاة والحج إلى بيت الله الحرام. إنهم ينكرون هذه العبادات والشعائر التي ليس لها مكان في قاموس وثيولوجيا الـ ٥ ٪، ولكن هذا شيء بديهي: فمن رفع الإنسان الأسود إلى مصاف الإله لا يستبعد منه بالطبع أن يرفع عنه الصلاة والصيام وبقية العبادات والتكاليف المنصوص عليها شرعاً. ومع ذلك يقولون إنهم مسلمون بل الفئة الناجية من المسلمين!

وعموما فإن مؤسس هذه الحركة قام بإعادة تأويل تعاليم **إليجا محمد** التي أطلق عليها اسم (الدروس (The Lessons وبدأ في نشرها بجد وعزيمة محاولا الوصول بها إلى الشرائح التي لم يتمكن **إليجا** من اختراقها. ولعل أخطر ما في حركة الـ ٥ ٪ أنها استهدفت الشباب المراهقين من طلاب المرحلتين الثانوية والجامعية بصفة خاصة بل بصورة حصرية.

بدأ **كلارنس** نشاطه الدعوي والتعبوي في نيويورك، وبتحديد أكثر في منطقة هارلم. ثم انتقل منها إلى حي (بروكلين). ولهذا فقد أصبحت هارلم أو مانهاتن (على رأي **أمينة بيفرلي**) عندهم هي مكة المكرمة، أما إذا قال لك أحد منسوبيهم أنه ذاهب إلى (المدينة المنورة) فأعلم أنه يريد (بروكلين) !

وإذا سألت أحد منسوبي حركة أمة الإسلام عن أعضاء حركة الـ ٥٪ فإنه يرد عليك بسرعة: (إنهم علماء (Scientist) لا بل فلاسفة). وهم في حقيقة الأمر جميعهم من خريجي الجامعات والكليات وفيهم الأطباء والمهندسين وأصحاب التخصصات النادرة. كما يلاحظ أنهم عموما محاورون من الطراز الأول بفضل ما تلقوه من تدريب ودراسة لعلوم الفلسفة والمنطق وعلم الاجتماع وعلم النفس. ولمعرفتهم بآداب الحوار وكيفية توجيه دفته الوجهة المناسبة في الوقت المناسب، وما تعلموه من زعيمهم من الصبر وفنون الإلقاء والإصغاء فإن الكثيرين منهم يملكون مقدرة قوية على الإقناع والإغواء وخاصة الجنس الناعم منهم.

١) كتاب: (Muslim Communities In North America) لإيفون حداد وجان سميث، ص ١٠٩.

٢) البودينق حلوى تصنع من الدقيق والسكر والفواكه والبيض والحليب ويتناولها كثير من الأمريكيين كوجبة إفطار، وقد حصل كلارنس على هذا اللقب عندما كان مغنيا محبوبا ومشهورا في عالم موسيقى الراب التي برع فيها السود خاصة.

كلارنس بودينق

ولد **كلارنس بودينق** (Clarence Pudding X13) في دانفيل (فرجينيا) عام ١٩٢٩م وانتقل مع أسرته إلى هارلم (نيويورك) في ١٩٤٩م. كان مولعاً بالغناء والموسيقى منذ الصغر. وبعد انتقال أسرته إلى نيويورك أصبح من كبار فناني الراب كما كان شاعراً ومحدثاً لبقا. التحق بالجيش الأمريكي عام١٩٥٠م كمجند وشارك في الحرب الكورية. خلال فترة عمله في كوريا انضمت زوجته (دورا) إلى حركة أمة الإسلام، ولدى عودته من كوريا انضم هو أيضاً للحركة وأصبح عضواً في المعبد رقم ٧ بهارلم الذي كان وقتها تحت إشراف **مالكولم إكس** كما التحق بالجيش السري للحركة (فاكهة الإسلام) حيث حصل على رتبة ملازم أول.

ولما كان **كلارنس** يتمتع بقدر كبير من الذكاء فقد بزغ نجمه بسرعة حتى يقال أن **إليجا** سافر إلى نيويورك خصيصاً لتهنئته وتحفيزه[١].

بدأت خلافات **كلارنس** مع الحركة في أوائل الستينات عندما تيقن من أن هناك تناقضات في تعاليم **إليجا**، فهو من ناحية يزعم أن الإنسان الأسود هو الأصل والرب ومن ناحية أخرى يقول: بأن فارد هو الرب، وفارد حسب وصف من شاهدوه كان من البيض (القوقازيين)، وبدأ **كلارنس** يجهر بآرائه الرافضة لفكرة تأليه فارد مما دعا النقيب **جوزيف** (أحد قواد فاكهة الإسلام) لإصدار أمر رسمي له في عام ١٩٦٣م بالكف عن الحديث في هذه الأمور.

ولعلنا نذكر أن ذلك العام (١٩٦٣م) كان قد شهد أيضاً تفاقم حدة الخلاف والجفوة بين **إليجا** و**مالكولم** الذي تم منعه من التحدث لمدة تسعين يوماً عقاباً له على التصريح الصحفي الذي أدلى به فيما يتعلق باغتيال الرئيس **جون كنيدي**.

وعموماً، وحيث كان **كلارنس** مصمماً على المضي قدماً في الطريق الجديد الذي اختاره لنفسه، فقد انسحب من الحركة مصطحباً معه عدداً من أعضاء المعبد رقم ٧وكان أبرزهم رجل يقال له **جستس** (Justice) اختاره **كلارنس** ليكون وزيره الأول وساعده الأيمن.

ويبدو أن **كلارنس** أراد من البداية أن يرفع راية التحدي لحركة أمة الإسلام، فأعلن أنه سيبدأ حملته الدعوية في الطرقات وأماكن الترويح في الكليات والجامعات لاستقطاب الصفوة من الشباب والمراهقين الذين لم تستطع الحركة حتى ذلك الوقت الوصول إليهم. ووضع خطة محكمة لاستدراج المراهقين والشباب بشعارات جذابة وباستخدام الغناء وموسيقى الراب التي تستهويهم ومن ثم العمل على غسيل أدمغتهم وصبغها بأفكاره حتى يصبحوا أبواقاً تردد ما يلقنهم إياه.

وبدأ كبيرهم الذي علمهم السحر يطلق نظرياته الفلسفية ولعل أهمها وأشهرها نظرية الأبجدية العظمى (The Supreme Alphabet) والرياضيات العظمى (The Supreme Mathematics)، وهي في مجملها نظريات تقوم على التلاعب بالألفاظ والحروف والأرقام وأيضا محاولة الاستنساخ لنظريات عفا عليها الزمن منذ أيام **أفلاطون** وابن العربي وغيرهما من الفلاسفة والمفكرين.

وبدأ في تلقين هاتين النظريتين بالإضافة إلى تأويله الخاص لتعاليم حركة أمة الإسلام، لمجموعة من المراهقين عرفوا باسم (التسعة المولودين أولا) (The First Nine Born) إشارة إلى عددهم.

وعندما أكملوا المقررات الدراسية التي شملت أيضاً (الدروس) التي وردت الإشارة لها سابقاً وهي سلسلة متدرجة لتأويلات جديدة لتعاليم حركة أمة الإسلام، أمرهم **كلارنس** بأن يقوم كل واحد منهم بتلقين عشرة من المراهقين الأصغر منه سناً ما تعلمه هو منه. وأصبحت هذه قاعدة فكل عضو يكمل دراسته للفلسفة الكلارنسية يصبح ملزماً بنقلها

١) كتاب (Muslim Communities In North America) لايفون حداد وجان سميث، ص١١١.

إلى عشرة أعضاء جدد. وبهذه الطريقة أمكن وخلال فترة وجيزة تجنيد المئات من طلاب الكليات والجامعات وضمهم لعضوية الحركة التي حملت في البداية اسم أمة الله لـ ٥٪ (Allah Nation of The Five Percent).

وفي ليلة الثاني عشر من شهر يونيو لعام١٩٦٩م لقي بودينق مصرعه إثر إصابته بسبع طلقات نارية أطلقها عليه مجهولون في شرق هارلم. وسارعت شرطة نيويورك لإعلان أن الجناة أعضاء في تنظيم حركة أمة الإسلام وأن الدافع للجريمة هو التخلص من النشطاء المنافسين للحركة الذين أصبحوا يشكلون خطراً عليها. إلا أن **فراخان**، والذي كان يشغل وقتها منصب الوزير للمعبد رقم ٧ في هارلم خلفاً ل**مالكولم إكس**، نفى في بيان رسمي هذه الادعاءات مشيراً إلى أن شرطة نيويورك تحاول من خلالها إثارة الوقيعة بين تنظيمات الأفريكان أمريكانز حتى يسعى كل منها للقضاء على الآخر وهذا ما سيؤدي في النهاية إلى إشغالها بإدخالها في دوامة الصراع لإضعافها جميعاً.

وعموماً فقد طويت صفحات قضية اغتيال المدعو **كلارنس بودينق** إذ لم تسفر التحقيقات عن معرفة هوية الجناة كما لم يتم اعتقال أي شخص.

وبعد اغتيال المؤسس تعرضت الحركة لهزة كانت متوقعة بسبب الغياب المفاجئ للقائد وعدم وجود القائد البديل. لكن في العام١٩٧١م جرت عملية إعادة تنظيم لصفوف الحركة تحت قيادة جماعية مشتركة، عقدت العزم على المضي قدماً في الطريق الذي بدأه القائد لإثبات أن **كلارنس** لم يمت ولا يمكن أن يموت طالما أن هناك من يحمل تعاليمه ورسالته التي يجب عندهم أن تظل حية.

ويعتقد أتباع **كلارنس** أن زعيمهم اغتيل بتدبير من الإدارة الحكومية حيث يقولون أن العمدة **لندساي** (عمدة مدينة نيويورك)، كان قد عرض عليه أن يتوقف عن نشاطه التبشيري في أوساط الأطفال والمراهقين والتخلي عما يدعو له مقابل مبلغ كبير من المال وعدد من السيارات. وأن زعيمهم رفض العرض قائلاً: (أن الرب لا يمكن أن يباع ويشترى) فكانت النتيجة أن دبروا لاغتياله وتصفيته جسديا.

وأخيراً وحيث أن مؤسس الحركة **كلارنس** لقي مصرعه وهو في الأربعين من عمره (كما هو الحال أيضاً بالنسبة **لمالكولم إكس** والدكتور **مارتن لوثر كنج**)، فقد أصبح هناك تقليد عرفي يحكم هذه الحركة وهو أن أي عضو فيها لا يجوز له أن يتجاوز هذه المرحلة من العمر. ويلاحظ عامة أن الأعضاء الذين في الثلاثينات من عمرهم، ومن تجاوزوها عددهم قليل نسبيا. ولعله مما يجدر بالذكر هنا أن الكثير من المسلمين السنيين من الأفريكان أمريكانز الذين هم الآن في العقدين السابع والثامن كانوا من أتباع **كلارنس بودينق** خلال مرحلتي المراهقة والشباب المبكر من حياتهم في الستينات من القرن الماضي.

الـ ٥٪ المقر الرئيسي والتعاليم الدينية

مدرسة الله في هارلم بنيويورك

بـدأوا نشاطهم في نيويورك بمنطقتي هارلم وبراونسفيل (Brownsville) ومنهما أخذت دعوتهم في الانتشار إلى مدن الساحل الشرقي أولا ثم إلى الأواسط وأخيراً إلى المدن الكبرى بالساحل الغربي في أواخر الثمانينات من القرن العشرين. وإن كان لا يعرف على وجه التقريب عدد أعضاء هذه الجماعة إلا أن المؤكد أنهم يعدون الآن بالآلاف وربما عشرات الآلاف في نيويورك وواشنطن وحدهما، ذلك أنه من الصعب أحيانا التمييز بين أعضاء هذه الحركة والمتعاطفين معها وأعضاء بعض الجماعات الأخرى التي تشاركهم في بعض المعتقدات والأفكار مثل جماعة أمة الزولو (The Zulu Nation) وغيرها.

المقر الرئيسي للحركة ظل من العام ١٩٦٧م وحتى ١٩٨٨م في مدرسة (الله) بمنطقة هارلم (Allah School In Mecca)[١].

وهي عبارة عن أكاديمية للدراسات العليا ومبناها مكون من طابقين دهنوهما باللون الأسود (في محاولة لمحاكاة الكعبة المشرفة) وعلى اللافتة الكبيرة فوق المدخل مباشرة كتبوا لفظ الجلالة بأحرف ذهبية كبيرة، وبعد لفظ الجلالة تقرأ تأويلهم للمعنى المراد من كلمة (رب) وهو: (الرجل الأسود هو رب) (The Black Man is God)[٢].

وفي داخل هذه المدرسة يتم تلقين المراهقين والشباب وإعدادهم للقيام بأعمال الدعوة. كما تمكن القائمون على أمر هذه الحركة من الحصول على ترخيص رسمي من أمانة نيويورك يتيح لهم استخدام المرافق العامة التابعة للأمانة في عقد اجتماعاتهم وإقامة نشاطاتهم ومناسباتهم وذلك باعتبارهم جمعية شبابية هادفة ومسجلة بصورة نظامية.

و يبدو أن المسئولين في الأمانة رأوا أن من الخير والمصلحة التعاون مع هذه المنظمة وغيرها من التنظيمات والفعاليات الشبابية الخاصة بالسود في نيويورك بدلا من التصادم معها أو تجاهلها وذلك في محاولة لكسب ودها طالما أنها تهدف لامتصاص طاقات الشباب السود وتسخيرها في أعمال لا تشكل خطراً على المجتمع[٣]. وظلت هذه هي السياسة الرسمية لأمانة نيويورك تجاه المنظمة حتى العام ١٩٨٨م عندما قامت بإنهاء عقد الإيجار المبرم مع (مدرسة الله في مكة).

وعموما فإن المدارس الخاصة بالحركة لها دور آخر فهي المقر لعقد الاجتماعات الدورية المخصصة للأعضاء والتي لا يسمح لغيرهم بحضورها. أما الاجتماعات العامة فتعقد بصفة شهرية ويسمونها البرلمانات وتعقد عادة في بعض المدارس الحكومية أو المنتزهات العامة وفي هذه الحالات تتاح للجمهور فرصة الحضور. ويحق لأي عضو بالحركة التحدث ومخاطبة الحشود وهم في العادة المئات من المراهقين والشباب من طلاب المدارس الثانوية والكليات الذين يأتي عدد كبير منهم مدفوعا بالرغبة في الاستمتاع بموسيقى الراب.

نحن إذا أمام حركة أخطبوطية جهنمية لها بأس شديد، ذلك أن هذه الحركة التي يسميها الغرباء (أمة الإسلام الـ ٥٪) (The Five Percent Nation of Islam)، أصبحت لها بصمات واضحة في الحياة الثقافية والاجتماعية والفنية وذلك من خلال موسيقى الراب التي كادت أن تصبح صناعة خاصة بمنسوبي هذه الحركة ودمغة أو ماركة مسجلة باسمهم.

---

١) المرجع السابق، ص ١١١.
٢) المرجع السابق، ص ١١٤.
٣) المرجع السابق، ص ١١١.

ويقرر **تيد سويد نبرغ** في دراسته أن (الراب الإسلامي) ليس ظاهرة ثقافية عارضة بل هو بذرة استطاعت أن تجد لها موقعا أصيلا في قلب الثقافة الجماهيرية. وعموما فقد خرّجت هذه المدرسة الغنائية ـ التي تسيء إلى الإسلام وتشوه صورته وتعاليمه السمحاء ـ العديد من المشاهير أمثال **ركيم**، **بيج دادي** (Big Daddy) **كاني** (Kane)، **بوست رايم** والعشرات غيرهم. ومع ذلك فإن من نجوم هذا الضرب من (الغثاء) وليس الغناء قلة ينتسبون إلى جماعة **وارث الدين** يدّعون أنهم مسلمون سنيون.

أما عن علاقتهم بحركة أمة الإسلام فقد أورد ي**وسف نور الدين** أنه سأل أحد منسوبي الـ ٥٪ عن أوجه الاختلاف بينهم وحركة أمة الإسلام فكان رده هو: (نحن نبحث وننقب في (الدروس)، ونحاول الوصول إلى فهم خفاياها من خلال إعمال العقل واستخدام المنهج العلمي. أي محاولة معرفة الحقيقة من خلال الإثبات والبرهان. ذلك لأننا نعرف أنه لا حقيقة بلا برهان. الحكمة والمعرفة هما الحقيقة، أما الفهم هو الإثبات والبرهان).

وعليه فإن العضو عندهم هو طالب علم وباحث عن الحقيقة والكمال ومتى وصل لذلك حسب تقدير أستاذه، أصبح (ربّاً) ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو المستعان من أمثال هذه الجماعات.

المحاولات الأخرى لإعادة الأفروأمريكانز إلى عقيدة التوحيد

قصدت من السرد السابق الكشف عن بعض الخراب والتضليل الذي لحق بعقول وأفكار كثير من الأفريكان أمريكانز بسبب الأباطيل والأكاذيب التي روج لها البعض باسم الإسلام والإسلام منها ومنهم براء. ذلك لمعرفة هذه الجماعات وحيلها وألاعيبها والأساليب التي يستخدمونها لاستدراج السذج والبسطاء. وهذا يساعدنا بالطبع في التصدي لهم، أو بالأقل عدم التعامل معهم والتحذير منهم ومن أخطارهم وهذا أضعف الإيمان، كما قد يساعدنا في السعي لإصلاح ما أفسدوه وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي سوقوها ويسوقون لها.

وبالطبع فهناك العشرات من الجماعات الضالة كالبهائيين والقاديانيين (**الأحمدية**) والماسونية وغيرهم ممن لا يمكن حصره هنا. لكن وحتى لا يتشعب بنا الحديث فسوف نكتفي بهاتين الجماعتين كمجرد مثال وأنموذج لتوضيح عمل وأساليب وشعارات القوى التي تعمل في الاتجاه المعاكس.

ومع ذلك فالصورة ليست قاتمة بالكامل فهناك دائما إشراقات وومضات ؛ فجذوة الإسلام في أمريكا لم تفتر منذ أن عرفته هذه القارة قبل قدوم كولمبس بحوالي مائتي عام وأكثر. ولم يكن **مالكولم إكس** أو **وارث الدين** هما أول من اهتدى إلى دين الحق وسعى لهداية وإخراج الآخرين من الظلمات إلى النور. فقبل هذين الرجلين، الذين سيذكرهما التاريخ بكثير من الإكبار والتقدير، جرت محاولات عديدة لإعادة الأفرو أمريكانز إلى حظيرة الإيمان. ولئن كانت هذه المحاولات في مجملها لم تحقق النجاح المنشود إلا أنها كانت علامات مضيئة على الطريق الصحيح واجتهادات فردية من أشخاص مخلصين، حاولوا جهد طاقتهم وفي حدود إمكاناتهم، ومن خلال الوسائل التي توفرت لديهم أن يقدموا شيئا ويشعلوا ولو شمعة تنير الطريق. فإن تشعل عود ثقاب أفضل من أن تلعن الظلام كما يقول الفرنسيون في أمثالهم. وبرغم الظروف والأجواء غير المؤاتية وعظم المسئولية التي انبروا لها والأخطار والتحديات التي كان مقدرا عليهم مجابهتها وما لاقوه من صعاب وأهوال فقد حاولوا: أصابوا وأخطأوا لكن ربما لم يكن بالإمكان أفضل مما كان، لاسيما ونحن نتحدث عن بضعة أفراد عملوا لنشر التعاليم الصحيحة للإسلام في دولة هي بحجم القارة وعموما فإن جهود هؤلاء الأفراد تعتبر محاولات غير مسبوقة في تاريخ الولايات المتحدة مما يستدعي وقفة قصيرة عندها.

محمد الإسكندر رسيل ويب

حسب المصادر التي وقفت عليها فإن أول مسلم سنّي من الأمريكيين البيض المولودين في أمريكا هو **الإسكندر رسيل ويب** المعروف باسم **المستر ويب** (Mr. Web). وهو من مواليد هدسن (ولاية نيويورك) في١٨٤٧م. كان **ويب** محبا للقراءة ومولعا بالأسفار. وخلال فترة عمله كقنصل عام لبلاده في مانيلا (الفلبين)، عكف على دراسة ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن الكريم وبعض الكتب التي تتحدث عن مزايا الإسلام وإسهامات المسلمين في الحضارة البشرية فهفا قلبه لدين الحق. وبعد سلسلة من المكاتبات مع رجل يقال له **بدر الدين عبد الله**، من منسوبي أمانة مدينة بمباي (ممباي الآن) في الهند[١] وبعض الرسائل المتبادلة أيضا مع ال**ميرزا غلام أحمد**[٢]. وبعد رحلة بحث طويلة وشاقة أعلن **ويب** في ١٨٩١م اعتناقه الإسلام وهو ما يزال قنصلاً في الفلبين واختار لنفسه اسم محمد ويب. وفي العام التالي التقى برجل الأعمال السعودي الحاج **عبد الله عرب** الذي كان في زيارة لمانيلا والذي وعده بدعمه في مشاريعه الدعوية بعد عودته لأمريكا[٣].

وبعد انتهاء فترة عمله في مانيلا وفي طريق عودته إلى بلاده توقف **ويب** في ممباي فترة استطاع خلالها أن يجمع مبالغ لا بأس بها من التجار المسلمين هناك لإنشاء مدرسة إسلامية نظامية في نيويورك تكون للسود خاصة ومن هناك دلف إلى تركيا حيث حصل أيضا على بعض التبرعات النقدية. وصل **ويب** إلى نيويورك في ١٨٩٣م حيث أسس مقرا رسميا للجماعة التي أطلق عليها اسم (American Moslem Brotherhood) (الأخوة الإسلامية الأمريكية) وبدأ عدد الأعضاء يزداد يوما بعد يوم، وخلال هذه الفترة اشتهر بلقب (The Torch Bearer) (حامل الكشاف أو المصباح). لكن المشكلات بدأت تلاحق **ويب** ومن أقرب الأقربين. بدأت هذه المشكلات بقضايا رفعها ضده بعض موظفيه مطالبين برواتبهم المتأخرة، كما تعرض لاتهامات من بعضهم بأنه استخدم الأموال التي جمعها من المسلمين في الهند وتركيا لأغراض شخصية. وزعموا أيضا أنه اشترى لنفسه مزرعة. هذه الاتهامات دفعت حاكم الهند لإرسال مبعوث رسمي للتحقيق في الأمر[٤]. ولم يسلم **ويب** حتى من التشكيك في عقيدته بعد أن شككوا في ذمته وأمانته.

فقد بدأت شائعات تقول بأنه ينتمي إلى الحركة **الأحمدية** وذهب البعض الآخر لاتهامه بأنه من المتصوفين !

وعموما فإن هذه الادعاءات تبدو في غير محلها ؛ ولو كان الرجل ينتمي فعلا إلى القاديانية أو الصوفية لما أخفى ذلك أو أنكره طالما أن من حقه كمواطن أمريكي أن يختار لنفسه ما يشاء من معتقدات ولا يملك أحد الحق في محاسبته أو حتى سؤاله عن ماهية اعتقاده لأنه شأن خاص.

وبرغم كل ما قيل ويقال فإن ذلك لا ينفي حقيقة أن الرجل عمل واجتهد. فبالإضافة إلى جهوده المخلصة في مجال الدعوة وخاصة في أوساط الأفرو أمريكانز فإن **ويب** يعتبر الرائد والمؤسس لصناعة الصحافة الإسلامية في الولايات المتحدة حيث أنشأ (شركة العالم الإسلامي للطباعة والنشر) التي أصدرت ٢٦ مجلدا على الأقل من مطبوعتي (صوت الإسلام) (The Voice of Islam) و(العالم الإسلامي) (The Moslem World) خلال الفترة ما بين ١٨٩٣م – ١٨٩٥م.

---

١) كتاب (Muslim Communities In North America) للأستاذة الدكتورة إيفون حداد وجان سميث، ص ٢١٠.

٢) ميرزا غلام أحمد مؤسس الحركة القاديانية (الأحمدية). وهي من الحركات التي تحاول أيضا أن تتخفى تحت رداء الإسلام ومقرهم الرسمي الآن في قرية يقال لها ربوة (باكستان)، وقد أصدرت المحكمة الشرعية هناك حكما بأن القاديانية فئة كافرة. أما في أمريكا فقد بدأوا نشاطهم في ١٩٢١م وكان زعيمهم هو الدكتور مفتى صادق. غير القاديانيون اسم حركتهم إلى (الأحمدية) تيمناً بالمؤسس ولتضليل المسلمين السنيين حتى ينساقوا إليهم بسبب تشابه الاسم، مقرهم في شيكاغو.

٣) المرجع السابق، ص٢١٠.

٤) المرجع السابق، ص٢١١.

وفيما يتعلق بالاتهامات له بإساءة استخدام أموال التبرعات فقد أوفدت جريدة (New York Times) مراسلا للتحري في الأمر والتقى به في شقته وكتب في تقريره أن تلك الاتهامات مجرد أكاذيب وإشاعات كيدية مغرضة، فالرجل وكما تأكد للمراسل الصحفي يعيش في شقة متواضعة جدا بالنسبة لرجل عمل قنصلا عاما لبلاده وأمضى في الخدمة بالسلك الدبلوماسي ما يقارب الأربعين عاما، قضى حوالي عشرة أعوام منها على الأقل خارج بلاده كقنصل عام.

وعموما فقد انزوى **ويب** عن الأنظار وآثر الابتعاد عن مسرح الأحداث حتى العام ١٩٠١م عندما وافق على طلب السلطان العثماني في تركيا ليشغل منصب القنصل الفخري لتركيا في الولايات المتحدة[١]. واستمر يشغل هذا المنصب حتى وفاته بشقته المتواضعة في نيويورك عام ١٩١٦م.

الشيخ الحاج داؤد أحمد فيصل

ولد في ١٨٩١م من أب مغربي وأم من جزر الهند الشرقية ولدت ونشأت في موريتانيا[٢]. انتقل إلى الولايات المتحدة في سن مبكرة ويعتبر صاحب واحدة من أكثر المحاولات جدية لغرس بذرة الإسلام الحقيقي في التراب الأمريكي حيث كرس حياته للدعوة وحقق في ذلك نجاحات غير مسبوقة.

بدأ **الشيخ فيصل** نشاطه بتأسيس (مركز الدعوة الإسلامية في أمريكا) (Islamic Propagation Centre of America) في بروكلين وذلك في عام ١٩٢٨م بمساعدة من بعض التجار والبحارة اليمنيين [٣]، وبعدها بعشرة سنوات غير اسم المركز إلى (The Islamic Mission Society) (جمعية البعثة الإسلامية) وأصبح **الشيخ فيصل** هو أول رئيس لهذه المنظمة فيما اختار الشيخ **مقبول إلهي** - وهو مهاجر باكستاني - إماما للمسجد.

وفي العام ١٩٣٤م قام بإنشاء القرية الإسلامية التي أطلق عليها اسم (مدينة السلام) أو (دار السلام) على قطعة الأرض الكبيرة التي اشتراها (بما عليها) بنظام التقسيط في فشكل الشرقية (East Fishkill) (في نيويورك)، بقيمة إجمالية بلغت نصف مليون دولار.

وعموما فقد ظل **الشيخ فيصل** يدعو للإسلام الصحيح حتى وفاته في فبراير ١٩٨٠م ولعل أهم إنجازاته وأعماله هي:

١. هو المؤسس لأول مدرسة إسلامية نظامية في أمريكا بإجازة من الشيخ **خالد** في الأردن كما حصل أيضا على موافقة **الملك سعود** على دعمه في إنشاء أول معهد إسلامي في نصف الكرة الغربي[٤].

٢) استطاع أن يعيد حوالي ٣٠,٠٠٠ أمريكي أسود إلى حظيرة الإسلام مؤكدا بذلك على حقيقة أن الإسلام كان دين عدد كبير من الأفارقة الذين تم تهجيرهم إلى القارة الأمريكية كرقيق[٥].

٣) ما قام به **الشيخ فيصل**، خلال فترة عمله كممثل للأمريكيين المسلمين في الأمم المتحدة ليس له نظير حتى الآن وذلك في مجال المطالبة بالعدل والمساواة، وكان خطابه يتسم بالهدوء والعقلانية مما أكسبه احترام الجميع.

٤) لم يقتصر دفاعه عن حقوق الأقلية المسلمة أو الأمريكيين السود وحدهم بل ظل هو الصوت المدافع عن حقوق جميع

١) المرجع السابق، ص ١١٤.

٢) هذا تقريبا رأي الجمهور ماعدا أديب رشاد الذي تكررت الإشارة إليه وإلى كتابه، والذي يرى غير ذلك حيث يقول أن لون الشيخ فيصل وتقاطيع وجهه وملامحه ولغته كلها تشير إلى أنه من الأمريكيين الأفارقة وقد جاراه في هذا الرأي نديم المقدسي، هذا بالرغم من أن الشيخ فيصل أكد في أكثر من مناسبة على أصله المغربي.

٣) كتاب (Muslims in the USA) لأكبر محمد (ابن إليجا محمد) ص ٢٠٨.

٤) كتاب: (The Muslims of America) ص١٦- ١٨.

٥) كتاب الدكتورة إيفون حداد (Muslims Communities In North America) ، ص ١٣٨.

الأقليات الإثنية والدينية الأخرى التي تعرضت للاضطهاد في الولايات المتحدة[١].

٥) نشر كتابا قيما بعنوان (الإسلام الدين الحقيقي وعقيدة الإنسانية (Islam The True Faith, The Religion of Humanity)

هذا الكتاب يتضمن المعلومات الأساسية عن الإسلام، الدول الإسلامية والشخصيات الإسلامية التي كان لها إسهامات وبصمات واضحة في تاريخ البشرية عامة كما يتضمن رسائل خاصة موجهة للأفرو أمريكانز، يدعوهم فيها إلى العودة إلى الإسلام النقي، دين الآباء والأجداد، وقد صدر في نيويورك عام ١٩٦٥م وهناك حاجة ماسة لإعادة نشره في طبعة جديدة منقحة.

وبالنسبة لعمله في أوساط الأمريكان الأفارقة نلاحظ أنه استخدم أسلوبا لينا معتدلا، فكان يخاطبهم قائلاً: (أنتم شعب أفريقيا وأبناء الأفارقة. أبناء آدم وورثة ذرية إبراهيم. تذكروا دائما - وأنا معكم - نحن لسنا عبيدا لأحد إلا الله ﷻ. لقد انتهت أيام الرق والعبودية والاضطهاد والظلم. كانت تلك الأيام عقابا لنا ولأجدادنا على ما كسبته أيدينا بسب التمادي في المعاصي والإهمال لكتاب الله وسنن الأنبياء وتعاليمهم)[٢].

ومع ذلك فلم يسلم **الشيخ فيصل** من الانتقاد والذم. بدأ المرجفون يطلقون الشائعات ويحرضون الناس ضده. فاتهمه البعض بأنه يخدعهم وأنه يحاول كسب ود الأمريكيين البيض، وأنه عميل لهم. وذهب البعض الآخر لاتهامه بالجهل بالاحتياجات الفعلية والأساسية لهم وللسكان الأصليين الذين التفوا حوله. وقالوا عنه إنه يكرس أكثر وقته لزيارة المسجونين المسلمين وعقد الزيجات ولا يولي اهتماما كافيا لقضايا المسلمين السود الأساسية والعمل على مساعدتهم.

بدأت بذور الفتنة تكبر وبات الانقسام وشيكا. فقد ظهر فريق يرى ضرورة تسخير الطاقات لخدمة الإسلام باعتباره القوة الدافعة والأمل للمعدمين من سكان القيتو في نيويورك. وبدأ هؤلاء يرددون أكثر فأكثر مقولة إن الشيخ داؤد ليست لديه الرغبة في إظهار روح التحدي أو إقامة (كيان) مستقل للأفريكان أمريكانز، كما اتهموه بأنه يحاول دائما كسب ود الأمريكان البيض واسترضاءهم، بل ذهب البعض إلى حد اتهامه بالعمالة لهم. وحسب رأي الدكتورة حداد فقد كانت القشة التي قصمت ظهر البعير هي إصدار **الشيخ فيصل** قرارا يأمر فيه أتباعه عامة والسود خاصة بحمل بطاقات تعريفية توضح أنهم مسلمون سنيون وذلك لتفادي الخلط بينهم والمسلمين الآخرين لاسيما وأن اصطلاح (Black Muslim) (أصبح من المتعارف عليه أنه يشير إلى أعضاء حركة (أمة الإسلام). وقد أحس الأفرو أمريكانز الأعضاء أن هذا الأمر موجه لهم بالذات مما أثار استياءهم وغضبهم لما ينطوي عليه ذلك من إهانة وتحقير لهم وتشكيك في إسلامهم. وبدأوا ينصرفون عن **الشيخ فيصل** بأعداد كبيرة متهمين إياه بالتحيز للمسلمين المهاجرين من أبناء آسيا وأفريقيا والدول العربية الذين لم يكن يملك الشجاعة الكافية لإلزامهم بتنفيذ هذا الأمر حسب اعتقادهم.

وكما هو معروف فإن معظم الأفرو أمريكانز الذين اعتنقوا الإسلام في منطقة نيويورك خاصة، وعلى وجه التحديد خلال الحقبة ما بين أوائل الستينات وأوائل السبعينات، كان انجذابهم للإسلام إما بسبب الاحتكاك المباشر بمسلمين مهاجرين، أو بتأثير من فناني ما يعرف بموسيقى الجاز والراب أو من خلال الإعجاب بالشخصيات الكارزماتيكية أمثال **مالكولم إكس** ومحمد على كلاي و**لويس فراخان**.

وإزاء هذا الوضع المتردي الذي آلت إليه الأمور وحالة الاستياء والتذمر التي عمت معظم الأعضاء من الأفرو

١) كتاب أديب رشاد، ص ١٤٠.

٢) المرجع السابق، ص ١٤٢.

أمريكانز استقر رأي نفر من قياديهم الذين كانوا ما يزالون أعضاء في (البعثة الإسلامية في أمريكا) - التي يتزعمها **الشيخ فيصل** - على تكوين تنظيم جديد يكون أكثر قدرة على تلبية احتياجاتهم وتحقيق طموحاتهم ومطالبهم.

كان على رأس هؤلاء الذين قرروا الخروج على **الشيخ فيصل** وتكوين تنظيم جديد كل من الشيخ **رجب محمود**، **إسحاق عبد الشهيد**، **حسن عبدالحميد**، **سليمان عبد الهادي** و**لقمان عبد العليم**. وتحقيقا لذلك عقدوا سلسلة من الاجتماعات التي تمخض عن إنشاء تنظيم جديد حمل اسم (دار الإسلام) أو (دار الإسلام الأولى) تمييزا لها عن نسختها الثانية، وكان ذلك في ١٩٦٢م. وفي نفس العام تم إنشاء أول مسجد خاص بهذه الحركة الجديدة بشارع أطلانطك (Atlantic Avenue) في بروكلين. وتم تعيين الشيخ **رجب محمود** أول إمام للجماعة في حين شغل **يحيى عبد الكريم** منصب أول مسئول عن الدعوة أو (أمير التبليغ) كما يسمونه[١]. وتمت البيعة والمبايعة للرجلين بالصورة النظامية.

وعموما فقد كان من الأهداف الرئيسة للحركة أيضا توفير مكان آمن للأفرو أمريكانز المسلمين من الأعضاء لممارسة شعائرهم وأن يعيشوا فيه حياة الإسلام بلا خوف أو وجل. ولعل هذا هو ما دعا بعض الأعضاء لتفضيل اسم (دار السلام) بدلا عن (دار الإسلام) فيقولون: (نحن أتباع حركة دار السلام) التي قامت كبديل (لدار الحرب) وفي هذا إشارة إلى التوجه السلمي لبعض أتباع الحركة وإن لم يكن ذلك هو رأي الجمهور. ذلك أن خروج حركة (دار الإسلام) إلى حيز الوجود كان وإلى حد كبير بسبب عدم الرضا عن سياسات **الشيخ فيصل** والنهج السلمي والأسلوب التصالحي الذين كان يسير عليهما، ولأن **الشيخ فيصل** كان أيضا من دعاة الاندماج والتعايش السلمي في ظل الدولة الواحدة الموحدة، ولعله أراد بذلك أن يكسر طوق العزلة المجيدة التي اختارها الأفرو أمريكانز لأنفسهم والنزعة الانطوائية التي يتشبثون بها.

ولا ننسى أيضا أنه واعتبارا من العام ١٩٦٧م كان اصطلاح (القوة السوداء) قد بدأ يأخذ زخما أكبر وتكون له الغلبة على التيار المسالم والنهج المثالي الذي كان يتزعمه الدكتور **لوثر كنج**. وهذا الشعار (القوة السوداء) يعني فيما يعني، أن الاعتداءات على السود من قبل رجال الشرطة أو الأفراد البيض لن تمر مرور الكرام. أي أن القوة ستكون في مقابل القوة والعنف مقابل العنف. ومعروف أيضا أن صيف العام١٩٦٧م على وجه التحديد كان صيفا ساخنا جدا في تاريخ الولايات المتحدة، فقد شهد أسوأ حوادث عنف وشغب في تاريخ أمريكا الحديث، ومنها اندلاع أكثر من أربعين عملية صدام عرقي وأكثر من ١٠٠ حادثة عنف وتصادم بين الشرطة والسود مما دعا الرئيس الأمريكي ليندون **جونسون** لتشكيل لجان خاصة للتحقيق في الأمر وتهدئة الأوضاع. وقد جاء في تقرير اللجنة الذي رفع إلى **جونسون** في مارس ١٩٦٨م. (أن الولايات المتحدة تسير نحو قيام مجتمعين أحدهما أبيض والآخر أسود. وهما مجتمعان سيكونان منفصلين وغير متكافئين). كما جاء في نفس التقرير أن العنصرية من جانب البيض هي السبب الرئيس للاضطرابات وحوادث الشغب. وجاء فيه أيضا أن حوالي نصف الحوادث التي حققت فيها اللجنة كانت بسبب الاستخدام المفرط للقوة من جانب قوات الشرطة ضد المدنيين أو بالأحرى ضد المواطنين السود[٢].

كما شهد ذلك العام (١٩٦٧- ١٩٦٨م) إنشاء العديد من الجمعيات المسلحة التي كان الهدف الأساسي منها حماية السود من اعتداءات الشرطة والتصدي لأي أعمال عنف وقمع يتعرض لها السود. وكان من أبرز هذه الجماعات منظمة

١) تقول البروفسيرة حداد أنه منذ أواخر الأربعينات وحتى بداية الخمسينات من القرن العشرين لم يكن للمسلمين السنيين في منطقة نيويورك بأسرها مسجد يؤدون فيه الصلوات المكتوبة إلا مسجد البعثة الإسلامية في أمريكا الذي بناه الشيخ داؤد فيصل بمساعدة من بعض التجار والبحارة اليمنيين في بروكلين.

٢) كتاب ايفون حداد، ص ٥٨.

الفهود السوداء (The Black Panthers) (وجماعة حراس مقاطعة لاوندز في ألباما (The Deacons of Lownds County in Alabama) ومنظمة (سمبا واشوكا) (Simba Washuka) وتعني بالسواحلية الأسود الصغيرة أو الأشبال، وغيرها من الجماعات التي صممت على غرار قوة فاكهة الإسلام (الجناح العسكري لحركة أمة الإسلام) لتكون قوى مقاومة أو بالأحرى دفاع عن النفس.

وفي تلك الفترة ظهر **ستوكلي كار مايكل** كأحد زعماء القوة السوداء المتحمسين على الرغم من حقيقة أنه كان يشغل وقتها منصب الرئيس للجنة تنسيق العمل الطلابي السلمي ! (The Student Non-Violent Coordinating Committee). هذا التناقض في مواقف كارمايكل بدا واضحا عندما خطب في حشد من أنصاره قائلاً: (عندما نتحدث عن (القوة السوداء) فإننا نعني بذلك القوة التي تستطيع تركيع هذا البلد. عندما نتحدث عن القوة السوداء، فإننا نعني بذلك بناء حركة تهدم كل شيء أنتجته الحضارة الغربية. نعني التقاط القفاز والمضي قدما في الطريق من حيث توقف **مالكولم إكس**. ونعني أيضا رجلاً أسود يفعل كل ما هو ضروري - أيا كان - ليحصل على ما يريد. إننا نقاتل دفاعا عن حياتنا وأرواحنا[١]).

وإذا عدنا لمواصلة التنقيب عن أسباب إخفاق المحاولة الشجاعة التي قام بها الشيخ داؤد لإعادة المضللين إلى طريق الحق نجد أن من أهم الأسباب التي حالت دونه والنجاح المنشود خلفيته العرقية، وسواء كان مغربيا من أم موريتانية، كما يقول هو وغالبية الذين كتبوا عنه. أو كان كاريبيا (من جزر البحر الكاريبي) كما ترى ايفون حداد فهو في الحالتين يعتبر وافد أو عنصر غريب على مجتمع السود. وهذه نقطة هامة وحساسة جدا بالنسبة لأي عمل أو تعامل مع الأفرو أمريكانز فيما يتعلق بمساعدتهم والأخذ بأيديهم إلى طريق النور. فمن واقع خبرتي ومعايشتي واحتكاكي بهم عن قرب سواء خلال مرحلة الدراسة، أو في تعاملاتي معهم خلال زياراتي المتعددة والمستمرة للولايات المتحدة بعد ذلك، أستطيع القول أن هؤلاء الإخوة وبصفة عامة ينظرون بكثير من الريبة والحذر وعدم الثقة بل وأحيانا النفور تجاه أي شخص غريب. وقد تساورهم الشكوك بأنه عميل سري أو مخبر، هذه النظرة قد تخف نوعا مع مرور الأيام لكنها لا تختفي بالكامل.

وعلاوة على ذلك فإن هذا المجتمع له حساسية مفرطة أيضا تجاه أي محاولة أو عمل يحسون أن وراءه غرض أو فرض رأي، مذهب أو توجه معين عليهم أو أي نوع من أنواع الهيمنة والوصاية. أي أنهم يرفضون بشدة التدخل في شئونهم والتأثير على اختياراتهم وقناعاتهم الشخصية، كما يرفضون أيضا المساعدات الخارجية المشروطة، الرامية لفرض فكر أو مذهب معين، ومعنى ذلك أن أي مشروع أو خطة عمل لمساعدتهم يجب أن تأخذ كل هذه الاعتبارات في الحسبان.

١) مجلة نيويورك تايمز - عدد ٢٥ سبتمبر ١٩٦٦م ص ٦ كما نقل ذلك عنها جيمس هاسكنز في كتابه (Profiles in Black Power) ، ص ١٩٣.

مولد دار الإسلام الحركة أو دار الإسلام الثانية

في أعقاب الإخفاق الذي صارت إليه حركة البعثة الإسلامية في أمريكا حاول **الشيخ فيصل** إعادة تنظيم الصفوف وإن كانت محاولاته قد باءت بالفشل أيضاً إلا أن مما يحسب له أن عددا لا بأس به من الأعضاء ظلوا يداومون على ارتياد مسجد البعثة الإسلامية. وفي العام١٩٦٧م، وبناء على دعوة منه بدأ هؤلاء الأعضاء يؤدون صلاة الجمعة جماعة وذلك لأول مرة في تاريخ أمريكا. وقد فسر البعض هذا التطور على أنه يعني إعلانا من **الشيخ فيصل** بمنع غير المنضوين معه من أعضاء الجالية المسلمة من ارتياد مسجد البعثة. فيما ذهب آخرون إلى الاعتقاد بأن البعثة تحت زعامته ما عادت لها الصلاحية والشرعية اللتان تؤهلانها لإقامة صلاة الجمعة لعامة المسلمين من أعضاء الجالية في مدينة نيويورك وأن مسجدها ما عاد يلبي احتياجات الجميع.

وفى هذه المرة وضح جليا أن المعارضين أصبحوا أكثر عزما على إقامة جالية مسلمة جديدة لا تعرف المساومة كما يقولون. وقد عبّر عن ذلك أحد قادتهم واسمه **بلال عبد الرحمن** خلال مقابلة أجريت معه قائلاً: (نعم. نحن جميعا خرجنا من رحم العصابات ومن غياهب السجون. ونحن خير من يعرف المعنى الحقيقي لاصطلاح (لا مساومة)[١].

وفي العام١٩٦٨م تم اختيار **يحيى عبد الكريم** قائدا للحركة الجديدة ويعتبر هذا التاريخ البداية الحقيقية لانطلاقة حركة دار الإسلام في نسختها الجديدة. وعموماً فقد أصبح هناك عرف بين منسوبي الحركة وخاصة من سكان نيويورك حيث بدأوا يصفون أنفسهم بأخوة نيويورك (The New York Brotherhood).

على أن الحركة وجدت نفسها ـ وقبل أن يشتد عودها ـ في مواجهة مع الإدارة الأمريكية ممثلة في الـ (FBI مكتب التحقيقات الفدرالية). بدأت المشكلة عندما قامت قوة مسلحة من منسوبي الـ (FBI) بمداهمة حي (Brownsville) في بروكلين مستقلين سيارة خاصة عادية. ومعروف أن سكان هذا الحي غالبيتهم من المسلمين، حيث اقتحم ثلاثة منهم شقة صغيرة ليخرجوا منها بعد قليل وفي قبضتهم عدد من السود المقيدين بالسلاسل من أيديهم وأرجلهم. وسرعان ما بدأت مشاجرة بين عناصر الـ (FBI) وخمسة من المسلمين السنيين كانوا موجودين في موقع الحدث بالصدفة مما أتاح الفرصة للمقبوض عليهم للهرب. وبعد فترة وجيزة خفّت إلى المنطقة أعداد ضخمة من رجال الشرطة والمباحث وبدأوا عملية تمشيط للحي. وتقدم بعضهم نحو مسجد دار الإسلام فاعترضهم حارسه مشيرا لهم على ضرورة خلع أحذيتهم. وحسب رواية شهود العيان وكما سجلت ذلك الدكتورة حداد، فقد تظاهر أقربهم إلى الحارس بأنه يمتثل للأمر وبسرعة أشهر مسدسه وألقى القبض عليه واندفع الباقون إلى داخل المسجد بأحذيتهم بحجة البحث عن الهاربين[٢].

هذه الحادثة أثارت استياء المسلمين كما كتب عنها الإمام **يحيى** في جريدة (الجهاد الأكبر) موضحا أن رجال الأمن انتهكوا حرمة مكان للعبادة لأنه خاص بالسود ولو أن الأمر كان يتعلق بكنيسة للبيض لما تجرأوا على ذلك. وهذا ـ في رأيه ـ يؤكد النظرة العنصرية المتعالية القائمة على مبدأ أن السود عامة كائنات منحدره من أصل وضيع وليس لديهم حقوق أو حرمات يتعين على البيض احترامها.

وكان من جراء هذا الاستفزاز الصارخ لمشاعر المسلمين عامة والسود خاصة أن بدأ المسلمون ينشطون ويضاعفون جهودهم من أجل التعبئة وتوحيد الصفوف، فأرسلوا الوفود إلى المدن والقرى لحث الناس على الانخراط في تنظيم دار الإسلام الجديد. وكان أول المستجيبين للدعوة هم مسلمو كليفلاند تحت قيادة مطوف عبد الشاهد. وبعدهم جاء مسلمو

١) المرجع السابق، ص ٥٩.
٢) المرجع السابق، ص٦٢.

فلادلفيا تحت قيادة الإمام **علي أحمد**، وأصبحت تلك هي أكبر فروع الحركة. وفي أغسطس ١٩٧٢م تم شراء المبنى رقم ٥٢ في هركايمر بليس (Herkimer Place) من أحد أصدقاء الإمام **يحيى** واختاروا له اسم (مسجد يسن)[١].

وترى الدكتورة حداد أن الحركة وبعد الانتقال إلى هذا المقر الجديد أصبحت أكثر نشاطا وتنظيما، وتم إنشاء الجناح العسكري للحركة الذي حمل اسم (الرعد) وهو عموما لا يختلف كثيرا عن قوة فاكهة الإسلام والنمور السود وغيرها. وأصدر الشيخ **يحيى عبد الكريم** أمراً ألزم بموجبه جميع الشباب من منسوبي الحركة بالتوجه إلى معسكرات التدريب العسكري لتعلم فنون الدفاع عن النفس، وبعد التدريب يتم انتقاء أفضل العناصر للانخراط في صفوف قوة (الرعد).

وكان من مهام هذه القوة توفير الحراسة الأمنية لرموز الحركة وزعمائها. المحافظة على الأمن، توفير الحماية للنساء السود المسلمات وتوقيع العقوبات على المخالفين للنظام. وكانوا ملزمين أكثر من غيرهم بأن يكونوا في قمة الانضباط والالتزام ومخافة الله ﷻ. وعليهم السمع والطاعة من دون تردد أو مناقشة.

وعموما فقد استطاعت الحركة أن تحقق أحد أهدافها حيث بلغ عدد الجاليات التي انضمت إليها حتى العام١٩٧٥م ٣١ جالية من أهل الجماعة والسنة الملتزمين، معظمهم من سكان المدن الواقعة على امتداد الساحل الشرقي. ومعنى ذلك أن دار الإسلام أصبحت واستمرت تمثل أكبر تجمع للمسلمين السنيين في الولايات المتحدة حتى العام١٩٧٦ م، عندما اعتلى **وارث الدين محمد** قيادة حركة أمة الإسلام خلفا لوالده **إليجا**، حين أعلن الالتزام بالنهج الإسلامي القويم معيدا حوالي ١٠٠ ألف من أعضاء حركة والده إلى الإسلام الصحيح، ومهما يكن، وإن كان الشيخ **يحيى** قد سلك منهجا هو أقرب إلى نهج الصوفية في رأي البعض إلا أنه ترك لكل جالية إمامها المنتخب واستمر هو في إلقاء دروسه وشروحه لأمهات الكتب وكانت دروسه في شكل حلقات تعقد يومي الأحد والخميس للصفوة خاصة وطلابه المنتظمين[٢].

وعلى صعيد آخر فإن فرع الحركة في فلادلفيا كان هو الأكثر نشاطا في مجال التعليم وكان برنامجهم التعليمي يشمل مواد الفقه والتوحيد والسيرة النبوية العطرة. لقد كان دافع الشيخ **يحيى** وأعوانه هو الحب الصادق للإسلام وللشعب الذي هم جزء منه، إذ وجدوا أن هناك رابطة قوية بين الإسلام والفقراء المستضعفين. لكن قيادة الحركة لم تكن لها خطة عمل أو استراتيجيه واضحة مبنية على رؤية شاملة متكاملة. كل ما هناك أنهم كانوا يدعون الناس للعودة إلى الله، وأن يغيّروا ما بأنفسهم حتى يغيّر الله واقعهم وأوضاعهم.

ولعل هذا التوجه هو الذي دعا كثيرين إلى تصنيف حركة دار الإسلام على أنها حركة أصولية (Fundamentalist). وبالنسبة لمشاركة المسلمين في الحياة السياسية اتخذت الحركة موقفا واضحا حيث أكدت على الأعضاء بعدم المشاركة وذلك في إطار الموقف العام الرافض لمبدأ إقامة أي علاقة أو تعاون مع غير المسلمين.

ومع ذلك بدأت المشكلات تطل بوجهها داخل الحركة بل وداخل الأسرة الواحدة ذلك أن الجيل الأكبر سنا من الأعضاء بدأ ينظر إلى الشباب الذين انخرطوا في الدراسة الجامعية نظرة تنطوي على كثير من عدم الرضا وعدم الثقة. واعتبروهم أقرب إلى معسكر الأعداء منهم إلى الأعضاء. وصاروا يطلقون عليهم ألقاباً مثل الـ (Young Boys) و (Uncle Tom Muslims) (مسلمو العم سام) كنوع من الازدراء لهم وعدم الرضا عنهم. وهكذا بدأت تظهر بذور الخلاف بين حملة الشهادات الجامعية وغيرهم من منسوبي الحركة من جهة وبين هؤلاء جميعا والوافدين الجدد من المسلمين الذين قدموا من الدول الأسيوية والشرق أوسطية من جهة ثانية.

١) المرجع السابق، ص ٦٣.
٢) المرجع السابق، ص ٦٤.

نهاية حركة دار الإسلام

في العام١٩٨٠م تم نقل مسجد يسن إلى حي فان سيكلان (Van Siclan)، وبعدها بعامين شهدت الحركة تغييرا جذريا في التوجه عندما أعلن الإمام **يحيى** عن حلها ودمجها في (جماعة الفقراء العالمية) التي يقودها الشيخ **مبارك علي الجيلاني الهاشمي**[1].

هذا القرار المفاجئ قابله معظم الأعضاء بالرفض وكان بين الرافضين أعضاء الحركة في أطلانطا تحت قيادة الإمام **جميل عبد الله** الأمي الذي قام وفريق آخر من المعترضين على حل الدار بإنشاء جمعية جديدة أطلقوا عليها عرفياً اسم (الجماعة) أو (الجماعة الوطنية) (The National Jama'ah) وأصبح الشيخ جميل هو أمير هذه الجماعة التي انقطعت الصلة بينها وبقية الأعضاء الذين تفرق شملهم. أما مسجد يسن فقد أغلق وتم بيع مبناه في عام١٩٨٥ م.

لم تعمّر حركة دار الإسلام طويلا كما رأينا وذلك لأسباب عدة يطول شرحها إلا أن النزعة الإقليمية الضيقة التي اتسمت بها منذ قيامها وعدم محاولة القائمين عليها ولوج آفاق أرحب خارج ولاية نيويورك ومدن الساحل الشرقي كانا من أهم العوامل التي عجلت بنهايتها. على أن مجرد قيام الدار كتجمع للمسلمين السنيين الذين أرادوا أن يعيشوا حياة الإسلام الحقيقي وما بذله أعضاؤها من جهد يعتبران وبكل المقاييس توجهاً يستحق الإشادة لإقامة المشروع الحضاري الإسلامي وطرح الأنموذج العملي للمسلم الملتزم الذي يحاول أن يكون قدوة للآخرين.

---

١) جاء في (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة)، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، ص ٣٤٧ الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض أن الطريقة القادرية تنسب إلى عبد القادر الجيلاني (٤٧٠-٥٦١هـ، ١٠٨٨-١١٦٦م) الذي عاش وتوفى ودفن في بغداد. وأن الشيخ الجيلاني اطلع على كثير من علوم عصره وبرع فيها، كما نسب إليه أتباعه كثير من الكرامات. يقال أنه رزق بتسعة وأربعين ولدا، حمل أحد عشر منهم تعاليمه ونشروها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. أصبح قبره في بغداد مزارا لأتباع الطريقة القادرية وإن كان منهم من يعتقد بأنه لم يمت بل رحل إلى جزر المالديف.

الباب التاسع

الأفرو أمريكانز المسلمون:
التحديات والأخطار الحالية والمستقبلية

مسجد نيويورك

التحديات التي تواجه الأفرو أمريكانز عامة

عرضنا في الأجزاء السابقة سرداً تاريخياً لمعظم الأحداث الهامة والملابسات التي رافقت مسيرة الأفرو أمريكانز منذ قدومهم إلى الأراضي الأمريكية وحتى بداية الألفية الثالثة، التي تركت بصمات واضحة على واقعهم وحاضرهم. كما تعرضت وبشيء من التفصيل لأهم المشكلات التي واجهتهم والتي تمخضت عنها تحديات ما تزال تمثل مصدر أرق لهم ولغيرهم على مختلف المحاور والمستويات.

وقد حاولت أيضا تغطية وتحليل المحاولات الهامة التي قام بها البعض لإيجاد الحلول لهذه المشكلات وما أصابوه من نجاح وإخفاق وصولاً إلى أوضاعهم الآنية، والتوقعات لمستقبلهم في ظل الظروف والمستجدات والمعطيات الحالية.

وإذا نظرنا إلى هذه الإشكاليات والتحديات نظرة سريعة فاحصة نجد أنها تنقسم إلى شقين رئيسيين هما:

أولاً: الإشكاليات المتعلقة بالأفرو أمريكانز أنفسهم من حيث التركيبة الكلية، العقلية والفسيولوجية والشخصية والسايكلوجية والتراكمات التي أثرت وتؤثر في تكوين هذه الشخصية والتي تجعلها تتصرف بعقلية وسايكلوجية الإنسان المحبط المقهور.

ثانيا: الإشكاليات المرتبطة بالعوامل الخارجية المتمثلة في نظرة المجتمع المحيط وطريقة تعامله والتحديات التي يفرضها الواقع والتي أصبحت جزءاً من الموروث الثقافي والاجتماعي مع استمرار حركة التفرقة والتمييز في المعاملة وهذا هو لب القضية. أما المسلمون منهم فإن أخطر ما يواجههم هو خطر ضياع الهوية الثقافية والذوبان الكامل في المجتمع الغربي الرأسمالي أو حتى في المجتمع اللا ديني.

وعليه فإن أهم التحديات والأخطار التي تواجه الأجيال الحالية والمستقبلية لهؤلاء الأخوة والتي يلزم مواجهتها والتعامل معها بكل الجدية والعقلانية والشجاعة والحذر هي:

أولاً: تحدي سد الفراغ الذي تركه رحيل وارث الدين محمد

إن غياب وارث الدين في هذه المرحلة الدقيقة والحرجة يجب ألا يكون مدعاة لتوقف حركة الإصلاح والتصحيح التي قادها أو لانفراط عقد الجماعة التي أجهد النفس في نظمها، فالموت هو سنة الحياة وأحد نواميس الله في هذا الكون، والتحدي الأكبر الذي يواجه أعضاء الجالية الآن هو سد الفراغ الذي تركه وبالسرعة الممكنة حتى لا يكون مصير الحركة كمصير ما سبقها من الحركات التي ماتت وذهبت ريحها برحيل قادتها، ذلك أن المضي قدما في الطريق الذي اختطه وسار عليه وارث لا يتحقق إلا في وجود القائد الكفء الذي تتوفر فيه صفات القيادة ويتمتع بالقبول العام. ذلك أن ما تركه وارث هو أمانة عظيمة تحتاج إلى القوي الأمين الذي يتعهدها بالرعاية والعناية لتنمو وتزدهر وتتحقق وهذا هو التحدي الأكبر الذي يجب أن يواجهه أعضاء الحركة بكل الشجاعة والمسؤولية والموضوعية حتى تستمر هذه المسيرة القاصدة المباركة في الطريق المرسوم لها لتحقيق غاياتها.

ثانياً: التحديات المتعلقة بمسألة الهوية والانتماء والوطن

إن مسألة تحديد الهوية يجب ألا تشكل قضية أو هاجساً لأحد لأنها محسومة. فالمسلم هويته هي الإسلام الذي أكرمنا الله ﷻ به وهدانا إليه. وإذا كنا نقول ونقرر أن الدين والعزة هما لله جميعاً فإن الانتماء يكون للوطن، والولاء يكون للدين والأمة والوطن، وليس هناك غضاضة في ذلك أو تناقض. ومع ذلك فعلينا التعامل بكثير من العقلانية والحذر تجاه هذه القضايا الحساسة. لاسيما وأننا نعيش في زمن وواقع لا يقبلان ازدواجية الولاءات والانتماءات. ذلك

أنه لا يعقل بالطبع ولا يقبل من مواطن أمريكي يعيش في أمريكا، يستظل بظلها ويحمل جنسيتها ويتمتع بخيراتها وبعد ذلك يكون ولاؤه لغيرها. وليس هناك عاقل يدعو لمثل هذا الطرح. فالأفرو أمريكانز عموما ـ شأنهم شأن بقية شرائح المجتمع الأمريكي ـ هم مواطنون أمريكيون بالأساس. وإن كانت هناك بعض الممارسات الخاطئة تجاههم من بعض البيض الأمريكيين الأفراد أو المؤسسات، فعليهم أن يتفهموا دوافع هذه الممارسات ويحاولوا استئصالها بالوسائل السلمية أو بالاحتكام للنظام والدستور الذي يوفر الحماية والعدالة ويحفظ حقوق جميع المواطنين. وعليهم أيضا العمل الجاد على احتواء الممارسات والتصرفات الفردية البسيطة والتعامل معها كأمر واقع وشر لابد منه. وعلينا جميعا أن نتوقع استمرار بعض هذه التصرفات غير المسئولة من قبل بعض الأفراد المتعصبين والعمل على احتوائها وتجاوزها، بل السعي الجاد للمضي للأمام برغمها وفي ظل وجودها.

ويترتب على ذلك ـ من وجهة نظري ـ أن اصطلاح (أفريكان أمريكان) أي مواطن أمريكي من أصل أفريقي يصبح غير مناسب أو غير ذو معنى، ولابد من التحفظ في استخدامه إذ ليس هناك ما يدعو لاستخدام هذا الاصطلاح طالما أننا لا نجد مواطن أمريكي آخر يقول عن نفسه وعلى سبيل المثال أنا أمريكي من أصل أوروبي أو أسيوبي إذا لم يسأل أصلا عن أصله.

وبالنسبة للمسلمين على وجه الخصوص – وهذا مجرد رأي – إذا أرادوا أن يحققوا ذواتهم ويصبحوا أعضاء فاعلين في خارطة المجتمع الأمريكي خاصة والمجتمع العالمي عامة، ولكي يصبحوا جزءاً فاعلاً في وطنهم فهناك حزمة من الإجراءات والتنازلات التي لابد منها فيما يتعلق بمسألة الهوية والأدوار المطلوبة منهم وهي:

أ- العمل على التخلص ونهائيا من الآثار السالبة للعقدة أو المسألة اللونية وما يترتب عليها من إحساس بالدونية وأيضا عن فكرة أن السود هم الأصل والأساس للحياة البشرية وأنهم شعب الله المختار والإقرار القاطع بأن الناس جميعاً سواسية. وهذا الإقرار يستوجب التخلي عن الإحساس بالفوقية والدونية على حد سواء. ذلك أن النزعات القومية الضيقة والشعوبية القائمة على التفاخر بالجنس والسلالة والالتفاف حول الذات والقبيلة والعشيرة ما عاد لها مكان في عالم اليوم. على التخلص نهائياً من العقدة اللونية وما يترتب عليها من الشعور بالدونية.

ب) التخلي نهائياً عن فكرة الحصول على وطن مستقل أو وطن قومي للسود داخل الولايات المتحدة وأيضا عن فكرة العودة إلى القارة الأم، ذلك أن الواقعية والموضوعية يفرضان إسقاط مثل هذه المطالب للتخلص من مأزق الإحساس بالغربة واللا انتماء واللا وطن وأعتقد أن مثل هذا الطرح ما عاد له مكان الآن وهذا شيء إيجابي.

ج- السعي الجاد للاندماج في بوتقة المجتمع الأمريكي بكل ما يستتبعه ذلك من التزامات وواجبات مع الحرص على ممارسة الحقوق المدنية والمشاركة الفاعلة في الحياة السياسية بدون التضحية بالهوية الثقافية حتى لا يصبح الاندماج ذوبانا.

د- الحرص على مد جسور التواصل والترابط بصورة أكثر وأعمق مع إخوانهم في العالم الإسلامي باعتبارهم جزءاً من كل وأقليةً مسلمةً تمثل عمقاً استراتيجيا مهما للإسلام والمسلمين، وهذا الترابط مهم للتفاعل الإيجابي مع ثوابت الأمة وقضاياها المصيرية.

هـ- الحرص على التعاون البناء مع الجاليات الإسلامية الأخرى الموجودة والعاملة على الساحة المحلية، والعمل على توحيدها أو بالأقل توحيد أجندتها وخطابها وشعاراتها وذلك من خلال الدعوة للتمسك بالثوابت وكل ما يجمع الكلمة ويوحد الصف.

و- السعي الجاد لمعرفة التعاليم الصحيحة للإسلام باستقائها من مصادرها الأصلية والحرص على الالتزام بها قولا وعملا لإظهار الصورة الحقيقية المشرقة للإسلام وأنه دين الوسطية. مع العمل الهادئ، الجاد والمستنير لتصحيح المفاهيم الخاطئة عنه، كما نحن جميعاً مطالبون بالاستفادة القصوى من تزايد الاهتمام لدى الغربيين عامة والأمريكيين خاصة بالإسلام وتعاليمه، والعمل الجاد لتحويل الإسلام من دين غريب يثير الرعب والمخاوف بل والهلع

أو ما يعرف بالـ (Islamophobia) إلى دين أصيل يدعو لنشر الطمأنينة والسلام وكل المبادئ الراقية التي يتضمنها الدستور الأمريكي والتي سبقه إليها القرآن الكريم قبل أكثر من اثني عشر قرنا.

ز- الاعتراف بأنه ما تزال هناك جيوب للتمييز العنصري في أمريكا وغيرها لكننا نملك الوسائل القانونية لمجابهتها ولعله من حسن الطالع أن هذه الجيوب في انحسار ومصيرها إلى الزوال إن عاجلا أو آجلا بمشيئة الله.

ثالثاً: تحدي المحافظة على الهوية الثقافية

إذا فرغنا من تحديد ماهية الهوية والوطن للأفرو أمريكانز المسلمين واتفقنا على فرضية أن هويتهم هي الإسلام ووطنهم هو الولايات المتحدة الأمريكية، تبقى أمامنا المهمة الأكبر والأصعب ألا وهي:

كيف نحافظ على هذه الهوية؟ وكيف نؤمنها ونحميها من التصدع والاختراق؟ بل كيف نحافظ على أجيالنا الحاضرة والآتية وكيف نحصّنهم ضد الذوبان الكامل في المجتمع الرأسمالي اللا ديني؟ وكيف ندافع عن هذه الخصوصية، وكيف نجابه وندفع الهجمة الثقافية الشرسة التي تقود لواءها العولمة ورياح العولمة؟

ذلك أن المسلمين الأمريكيين وبمختلف خلفياتهم سيكونون من أوئل المتأثرين بهذه الهجمة اعتباراً لحقيقة أنهم يقفون على خط المواجهة الأول أو الأمامي وهم بذلك أحوج من غيرهم للأمن الثقافي. والأمن الثقافي يصبح ضرورة ومسألة حيوية بالنسبة للأفريكان أمريكانز المسلمين خاصة وللعمل الفكري الإسلامي عامة باعتباره جهدا مندوبا إليه قوميا، تمكينا للثقافة من أداء دورها الطليعي والحضاري. ومع ذلك فإن ما أقدمه في هذا السياق حول أهمية ومفهوم الأمن الثقافي بالنسبة للأفرو أمريكانز المسلمين، يجب ألا ينظر إليه على أنه طرح شمولي مستوعب، لكنه قد يكون علامة مضيئة على طريق شاق وطويل في مسيرة قافلة الثقافة البشرية عامة والثقافة الإسلامية خاصة.

فالثقافة كما يراها البعض هي الوعاء الجامع لمجموع المعتقدات والتصورات والقيم والمعايير والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة (أو ما في حكمها ومعناها) بهويتها الحضارية. وفي إطار ما عرفته وتعرفه من تطورات وما تراكم لديها من معارف بفضل ديناميتها الداخلية وقابليتها أو بالأحرى قدرتها على الأخذ والعطاء والتجدد.

وعلى ذلك فالمسلمون في أمريكا عامة مطالبون بالمحافظة على هويتهم الثقافية في ظل ظروف محلية هي أقرب للعداء منها للحياد. وهم مطالبون أيضاً بتحصين أبنائهم بالعلم والثقافة والوعي للحيلولة دونهم والانجراف وراء التيار والانحراف. وعلينا أن نعلم أن أخطر ما يواجه إدماج وتوطين الإسلام في أمريكا بل وفي الغرب عامة هو ظاهرة الإسلاموفوبيا (التخويف وترويع الناس من الإسلام)، وهي أصبحت صناعة لها موظفوها المتخصصون ويستأجر لها الباحثون والأكاديميون، وهذه الظاهرة تجد التمويل من جهات معروفة ولديها وسائل وآليات تعمل على نشر الأكاذيب ضد الإسلام والمسلمين، سواء عن طريق أجهزة الإعلام أو من خلال الكتب أو الأفلام السينمائية المسيئة وأيضاً من خلال المواقع الإلكترونية.

فالمحافظة على الهوية الثقافية - أو الحضارية إن شئت - لا تكون بالتخندق والتحصين وراء الأسوار والشعارات، كما لا تكون بالمدافعة والتحجر أو الدعوة للانعزال التي يتبناها بعض المفكرين والمثقفين المسلمين في الولايات المتحدة وغيرها لاسيما وأن الثقافة بطبيعتها إنما تؤمن نفسها بالعطاء والإبداع والانتشار والتجدد والتلاقح في ظل الانفتاح الواعي. وهنا ينبري التعليم ليؤدى رسالته ويقوم بدور المنقذ. ولا أرى سبيلاً لإخراج هؤلاء الأخوة من المأزق الذي دخلوا فيه إلا من خلال وضع استراتيجيه شاملة وخطط طموحة ومستدامة للتعليم، مع ضرورة استمرار الأبناء فيه إلى أعلى مراحله مهما كانت المعوقات والتضحيات.

رابعاً: التحديات الاقتصادية والاجتماعية

المعروف تاريخيا أن معظم السود استوطنوا الولايات الجنوبية عندما كانت حاجة المزارعين البيض تدعو لوجودهم هناك، وما يزال حوالي نصف الأمريكيين السود على الأقل يقطنون الأرياف الجنوبية، إلا أن أعدادا كبيرة منهم نزحت إلى الشمال والغرب الصناعيين منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، وقد استقر حوالي ٩٧٪ من هؤلاء في المدن الكبرى (منهم حوالي ثلاثة ملايين في نيويورك و١,٨ مليون في كاليفورنيا و١,٧ في إلينوي) وهم يشكلون عموما أكثر من ٤٠٪ من فقراء الولايات المتحدة ويعتبرون أكثر شرائح المجتمع الأمريكي فقرا ومعاناة وتخلفا[١].

إن ظروف استقدام السود إلى الولايات المتحدة خلقت تراثا وتراكما سلبيا حادا عقّد تقدمهم في المجتمع الأمريكي وكان من الطبيعي أن تنزوي الغالبية العظمى منهم بعيدا عن الأضواء في القيتو. هذا الانسحاب من سوق العمل وعجلة الإنتاج وسواء كان قسريا أو اختياريا هو المسئول - ولو جزئيا - عن زيادة حدة الفوارق الطبقية بين الأغنياء والفقراء. وهي فوارق أصبحت تمثل شرخا عميقا في النسيج الاجتماعي للولايات المتحدة مما ينذر بكارثة اجتماعية لا تحمد عقباها إذا استمر الحال على ما هو عليه وقد كتب **محمد علي صالح** في مقال له بعنوان: (آيس كريم أبيض للسود. آيس كريم أسود للبيض)[٢] يقول: فوجئ العالم في الأسابيع الماضية بصورة أخرى لأمريكا كان يسمع عنها غير أنه لم يرها بشكل متواصل على شاشات التلفزيون كما حدث مؤخرا وهي صورة الفقراء الأمريكيين من السود الذين يتمركزون في مدينة معينة. لكن نيو أورليانز ليست الوحيدة في أمريكا التي يتمركز فيها الفقراء، فهناك ولايات ومدن أخرى تتميز بالظاهرة نفسها، غير أنها وبسبب خطورتها فتحت النقاش حول آليات دمج السود في المجتمع الأمريكي وعمَّقت المخاوف من تحول مراكز تجمع السود الآن إلى (قيتو) مستقبلا).

وكتب **أرنولد هيرش** الأستاذ في جامعة نيوأورليانز ومؤلف كتاب (مرحلة القيتو الثانية) أن جذور قيتو السود في أمريكا تعود إلى فترة ما بعد الحرب الأهلية وبالتحديد بعد أن أعتق الرئيس لنكولن الرقيق، إذ ترك كثير من السود مزارع القطن والتبغ في الجنوب واتجهوا صوب المدن الشمالية التي جذبتهم بأضوائها وحركتها التجارية النشطة. لكن البيض لم يقبلوا هجرتهم إليهم ولم يقبلوا سكنهم جيرانا لهم، فبدأوا يبيعون منازلهم عندما كثر السود في المنطقة. كانت نسبة السود في المدن في ذلك الوقت ١٠٪ فقط لكن هجرات السود استمرت ولهذا فقد زادت النسبة. ومع بداية حركة الحقوق المدنية في أوائل الخمسينات من القرن العشرين كانت نسبتهم في بعض المدن قد وصلت إلى أكثر من ٥٠٪، ولهذا ظهرت موجة جديدة هي (هروب البيض) إلى ضواحي المدن. وكان يمكن لظاهرة هجرة السود إلى المدن أن تعد نوعا من الاندماج الاجتماعي لولا أن السود المهاجرين اختاروا دائما أن يعيشوا معا في المدن التي يوجد فيها بالفعل كثير من السود. وحاليا يشكل السود ٦٪ فقط من سكان واشنطن العاصمة ويسكن معظمهم (٦٠٪) المنطقة الشرقية من العاصمة. وعموما فإن مناطق تجمع السود في المدن الأمريكية عامة وخاصة في نيويورك أصبحت معاقل بل بؤراً للجريمة خاصة عند حلول المساء حيث تزيد معدلات السرقات وعمليات النهب المسلح والقتل العمد والعشوائي وأصوات الطلقات النارية.

وعلى صعيد متصل فإن آخر الإحصاءات الصادرة عن الجهات الرسمية تشير إلى أن الأفرو أمريكانز عامة يملكون حصة أقل من ٠,٠١٪ من الثروة الأمريكية، وأن متوسط دخل الفرد منهم لا يكاد يصل إلى معدل ألفي دولار في العام (حوالي ١٦٥ دولاراً في الشهر).

---

١) كتاب (السود في المجتمع الأمريكي) نقلا عن موسوعة السياسة الجزء الثالث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ص٢٨٠-٢٨٤.

٢) جريدة الشرق الأوسط(حصاد الأسبوع) عدد الجمعة ٢٠٠٥/٩/٣٠م والمقال يتحدث عن تداعيات إعصار كاترينا الذي ضرب أجزاء واسعة من جنوبي الولايات المتحدة.

هذا المأزق الاقتصادي والشرخ الواضح في النسيج الإجتماعي للمجتمع الأمريكي يزداد عمقا واتساعا يوما بعد يوم بتأثير من العوامل المحلية والعالمية، وبقوة دفع جديدة أفرزها قطار العولمة مما يهدد بانفجار البركان النائم في أي لحظة ما لم يُعاد النظر في مسألة الثروة وتوزيعها بصورة أكثر عدلا. وحتى لا تتسع الهوة أكثر بين شرائح وطبقات المجتمع الأمريكي وتكون الكارثة، فإن الإدارات الأمريكية مطالبة بالقيام بدورها الطليعي والكامل تجاه هؤلاء المواطنين الذين يمكن أن يشكلوا قنبلة موقوتة تنسف في لحظة طيش كل شيء ويكون أول ضحاياها الشعب الأمريكي عامة وأمريكا البيضاء خاصة.

وتأكيداً على ذلك كتب السناتور **باتريك موينهان** قبل أكثر من أربعين عاما تقريرا خطيرا بعنوان: (العائلة الزنجية لابد من خطوة كبيرة) قال فيه أن بعض سود القيتو ربما يبقون فيه إلى الأبد وذلك للأسباب الآتية:

أولا: انخفاض الروابط العائلية والقيم الأخلاقية وزيادة الخيانات الزوجية والعلاقات الجنسية خارج الزواج والأطفال بدون آباء والأمهات بدون زواج.

ثانيا´: انخفاض عدد التلاميذ الذين يذهبون إلى المدارس ثم يستمرون فيها حتى يتخرجوا بنجاح، ليس بسبب عدم توفر المدارس لكن بسبب عدم وجود آباء وأمهات مسئولين يقومون بواجب الإشراف والمتابعة حيث انخفضت نسبة الطلاب السود الذين يكملون المرحلة الثانوية إلى ٢٥٪ فقط حسب أحدث الإحصائيات.

ثالثا´: إساءة استخدام المساعدات الحكومية (التي تقدم تكفيرا عن أخطاء سنوات الرق والعبودية).

إن ترميم البيت الأمريكي من الداخل مهمة كبيرة تقع مسئوليتها بالدرجة الأولى على الإدارات الأمريكية وأن استمرار تردي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية والصحية للأفريكان أمريكانز عامة، يعني أول ما يعنى بالنسبة للسلطات الأمريكية ووكالاتها وأجهزتها الرسمية استمرار الهاجس الأمني وما يتبع ذلك من إجراءات واستعدادات وتعبئة تستقطع جزء كبير من الموارد التي يمكن تسخيرها لرفع المستوى المعيشي للمواطن الأمريكي البسيط وخاصة فقراء القيتو، مما يهدد بأن تتحول الولايات المتحدة بحق وحقيق إلى دولة بوليسية تحتاج جيوشاً جرارة من رجال الأمن والمخبرين وقوات مكافحة الشغب وبناء المزيد من السجون ودور الإصلاح والرعاية الاجتماعية حتى لا يتكرر ما حدث خلال فترات انقطاع التيار الكهربائي، ولإنقاذ البلاد من الهاوية التي تسير إليها إذا استمر الوضع على ما هو عليه. ومن هنا يجب أن تتضافر الجهود ويتعاون الجميع لإيجاد حل لهذه المعضلة الاجتماعية التي قد تتطور إلى مواجهة بين من أنهكهم الفقر من جهة والمتخمين من الأغنياء من جهة أخرى.

وعلى الصعيد الوطني فإن الأفريكان أمريكانز المسلمين مطالبون الآن وأكثر من أي وقت مضى بالعمل الجاد لتأكيد وطنيتهم الأمريكية، وجعل همهم واهتمامهم ينصبان حول رفعة وتقدم الولايات المتحدة والمساهمة الفاعلة في ذلك عن يقين ورغبة واقتناع باعتبارهم جزء من منظومة المجتمع الأمريكي الكبير وهذا يفرض عليهم أن يقوموا بالدور المنتظر منهم من خلال مؤسسات المجتمع المدني.

هذا هو المطلوب والمرغوب فيه برغم استمرار مظاهر التفرقة وعدم تكافؤ الفرص وانعدام العدالة في توزيع الثروة. فقد أثبتت التجارب والأحداث أن القوانين والأنظمة والتعديلات الدستورية، وحتى القرارات والمواثيق الصادرة عن المنظمات الدولية حول حقوق الإنسان، لم ولن تفلح في القضاء على كل مظاهر التفرقة العنصرية وتأمين الحقوق المدنية سواء للأفرو أمريكانز أو لغيرهم.

ومن الناحية الأخرى وإذا كنا ننادي بضرورة وحتمية الانخراط في مؤسسات المجتمع المدني الأمريكي فإن ذلك لا يعني أننا من دعاة الاندماج الكامل أو الذوبان في ثنايا هذا المجتمع، لأن مثل هذه الدعوة يترتب عليها التضحية بالهوية الدينية والموروث الثقافي. وعليه ؛ وللخروج من هذا المأزق يلزم اعتماد منهج وسطي ينبني على المشاركة الفاعلة مع الاحتفاظ بالهوية والخصوصية الثقافية في نفس الوقت من خلال اعتماد منهج التفوق في مختلف المجالات. ولعل نجاحات **كولن باول** و**كونداليزا رايس** ثم **باراك أوباما** تقف مثالاً حيا لما يمكن أن يحققه التميز والتفوق في مجالي التعليم والحياة العملية.

ويبقى الخيار الثاني الأهم، وهو انتهاج لغة الحوار الهادئ الهادف والمستمر مع الكوادر والنخب المستنيرة والفاعلة، والمشاركة الفاعلة في المؤتمرات والندوات والمنتديات وورش العمل وحوارات الأديان واللجان الحزبية، لتنفيذ ما يمكن من برامج وإصلاحات تصب في مصلحة الشرائح الضعيفة عامة ومع الاستعداد الدائم لتقديم بعض التنازلات، من جميع الأطراف وصولا إلى النموزج الأفضل. وهذا يمكن تحقيقه أيضا من خلال تشجيع علاقات التمازج والمصاهرة بين الأفرو أمركانز وغيرهم من المواطنين الأمريكيين وخاصة المهاجرين المسلمين من مختلف أنحاء العالم، ولعل السبيل لذلك أصبح ممكنا بوصول الرئيس المنتخب **باراك أوباما** إلى البيت الأبيض ؛ هذا الحدث الذي أسعدنا جميعاً كتطور وحصاد طبيعي لحركة نضال من أجل الحق والعدل والمساواة استمرت أكثر من ثلاثة قرون من الزمان. وعلينا جميعاً أن نكون عونا للإدارة الجديدة في تحمل التركة المثقلة التي ورثتها عن إدارة **جورج بوش الابن**، الذي شوه صورة أمريكا وأضر بسمعتها وبعلاقاتها الخارجية ضرراً بليغاً.

خامساً: التحديات العلمية والتقنية

لا يختلف اثنان حول حقيقة تفشي الجهل والأمية في أوساط الأمريكان الأفارقة عامة والمسلمين منهم على وجه الخصوص وذلك بسبب العزوف الطوعي أو القسري عن مواصلة التعليم. هذا الانسحاب والموقف السلبي يبرره البعض بأنه احتجاج ورفض للنظام التعليمي الأمريكي مما دعا أعدادا كبيرة من الأفرو أمريكانز المسلمين لأن يرفضوا الزج بأبنائهم في النظام التعليمي الرسمي متعللين بأعذار منها:

أ) أن هذا النظام يشتمل على تدريس (مادة الجنس) ضمن المقررات الدراسية وهذا لا يجوز من وجهة نظرهم بل ينطوي على مخاطر جمة خاصة بالنسبة للمراهقين في الفصول المختلطة.

ب) عدم وجود أماكن مخصصة للصلاة في المدارس والكليات وتعارض ساعات العمل مع المواقيت المحددة لبعض الصلوات.

ج) عدم وجود مدارس إسلامية جيدة التأسيس والتجهيز تستطيع المنافسة وتكون البديل المناسب الذي يوفر البيئة النقية والتربية الإسلامية الصحيحة وبدون اختلاط.

هذه الاعتراضات تبدو على شيء من الوجاهة والمنطقية ولكن. يجب أن نعلم دائما أن الانسحاب ـ كالمقاطعة ـ هو موقف سلبي ولا يمكن أن يكون حلا. وحرام عليهم ما يفعلونه بحق أبنائهم من حرمانهم من فرص التعليم واكتساب المعارف والمهارات الأساسية طالما أننا لا نستطيع أن نوفر لهم الخدمات التعليمية المطلوبة في بيئة إسلامية نقية. وأقول لهؤلاء: لا أحد يستطيع بالطبع أن يفرض على إدارات التعليم الأمريكية أن تغيّر مناهجها وبرامجها بما يتفق وثوابتنا وقيمنا ورغباتنا. ويجب أن نتذكر دائما أننا أقلية مسلمة تعيش ضمن مجتمع غير إسلامي له أنظمته وقوانينها التي وضعت لتحقيق أماني وتطلعات جميع المواطنين أو غالبيتهم الساحقة مع الحرص على حماية الحقوق المدنية للأقليات ما أمكن. وعلينا كأقليات الالتزام بهذه القوانين واحترامها ومن ثم تقديم مطالبنا ومقترحاتنا بالصورة الحضارية المقبولة.

إن هذا الانسحاب (الطوعي) في نظري لا يعدو أن يكون هروبا، والحل هو أن نترك أبناءنا ينخرطون في المدارس النظامية طالما أنه لا يتوفر لدينا البديل الإسلامي الأفضل القادر على المنافسة والذي يؤمّن الحد الأدنى من متطلبات العملية التربوية. وهذا لا يمنع بالطبع أن يتم تدريس العلوم الإسلامية خلال أوقات الفراغ والعطلات سواء في المساجد أو المراكز الإسلامية المنتشرة على امتداد أمريكا. وبذلك نكون قد فزنا بالحسنيين، حيث يستطيع الطالب المسلم أن ينهل من العلوم الإسلامية ما يتسلح به وفي نفس الوقت يتلقى العلوم العصرية، هذا إذا كنا نريد فعلاً صناعة المسلم القوي المسّلح بالعلم والإيمان. وعلينا أن نعترف بحقيقة أن الإدارات الأمريكية قامت بدورها فوفرت المدارس والكليات، وأكدت على إلزامية التعليم ومجانيته وفرضت العقوبات على المخالفين، وهي لا تستطيع بالطبع أن تكون أكثر حرصاً من الآباء والأمهات على مستقبل أبنائهم وضرورة استمرارهم في التعليم، كما علينا أن نتقّي الله في أولادنا وبناتنا فلا نحرمهم من حقهم في التعليم.

وإذا أردنا إنقاذ ما يمكن إنقاذه، بل ومنافسة الآخرين وتحسين أوضاع إخواننا المسلمين الأمريكيين عامة فإنه لا سبيل إلى ذلك، وأقولها مجدداً، إلا بالتعليم والتأهيل والتدريب، والاستمرار في التعليم بل والتعامل معه بوصفه قدراً على كل الشعوب المتطلعة لغد أفضل. وكما قال الشاعر:

العلم يرفع بيتاً لا عماد لـه والجهل يهدم بيت العز والكرم

ويجب أن نقرر ونعترف بحقيقة أن ارتفاع معدلات الجهل والأمية في أوساط الأفرو أمريكانز المسلمين هو المسئول، وبالدرجة الأولى، عن معظم العلل والأمراض الاجتماعية وأعراض التخلف والفقر والمرض التي يعانون منها.

سادساً: تحدي المحافظة على المكتسبات التي تحققت

إن فوز **أوباما** ودخوله البيت الأبيض كأول أمريكي من أصول أفريقية يتم انتخابه رئيسا للولايات المتحدة هو حدث قلب كل الموازين والتوقعات، بل فاق الحد الأقصى للمطالب والطموحات والمأمول، ومن هنا فإنه يضع الجميع أمام مسؤوليات تاريخية كبيرة، خاصة بالنظر إلى طبيعة المرحلة التي يمر فيها العالم حالياً وهي مرحلة بالغة الدقة والأهمية وذلك اعتبارا لحجم الصراعات والتحديات والأزمات التي تجابه العالم عسكرياً وسياسياً واقتصادياً. وبالنظر إلى التأويلات الخاطئة من القوى العظمى لمفهوم الإرهاب وحقوق الإنسان بغرض استخدامها ذريعة لتحقيق أجندة معينة، والمعايير المزدوجة التي تسّير بها دفة الأمور، كل ذلك يفرض علينا استثمار هذه الفرصة الاستثمار الأمثل وبأقصى ما يمكن لتحقيق التوازن المطلوب والخير للبشرية جمعاء وكل الشعوب المحبة للسلام. وعلينا أن نتذكر أن **أوباما** هو الرئيس المنتخب لعموم الشعب الأمريكي وليس لفئة بعينها وأن ما لقيه من دعم من المواطنين الأمريكيين غير الأفارقة يعادل حوالي أربعة أضعاف ما حصل عليه من أصحاب البشرة السمراء، والواجب أن يقف الجميع من خلفه ويساعده بتهيئة الأجواء الملائمة لإحداث التغيير المنشود، وأن نعلم أن أي نجاح يصيبه **أوباما** خلال فترته الرئاسية الأولي سوف يزيد فرصه لولاية ثانية يتمكن خلالها من استكمال برامجه ومشاريعه الإصلاحية. كما أن أي نجاح يحققه **أوباما** سيحسب لعموم أصحاب البشرة السمراء ويؤكد بالدليل العملي القاطع ما يتمتع به الأمريكي ذو الأصول الأفريقية من قدرات ومواهب إبداعية متى أُتيحت له الفرصة، وسوف يكون ذلك حافزاً لبذل المزيد من الجهد للتفوق والنبوغ والتميز لأجيالنا الشابة في كافة المجالات وخاصة التعليم الذي هو أساس كل نهضة وكل تغيير.

الباب الحادي عشر

مستقبل الأفرو أمريكانز المسلمين ومحاور العمل

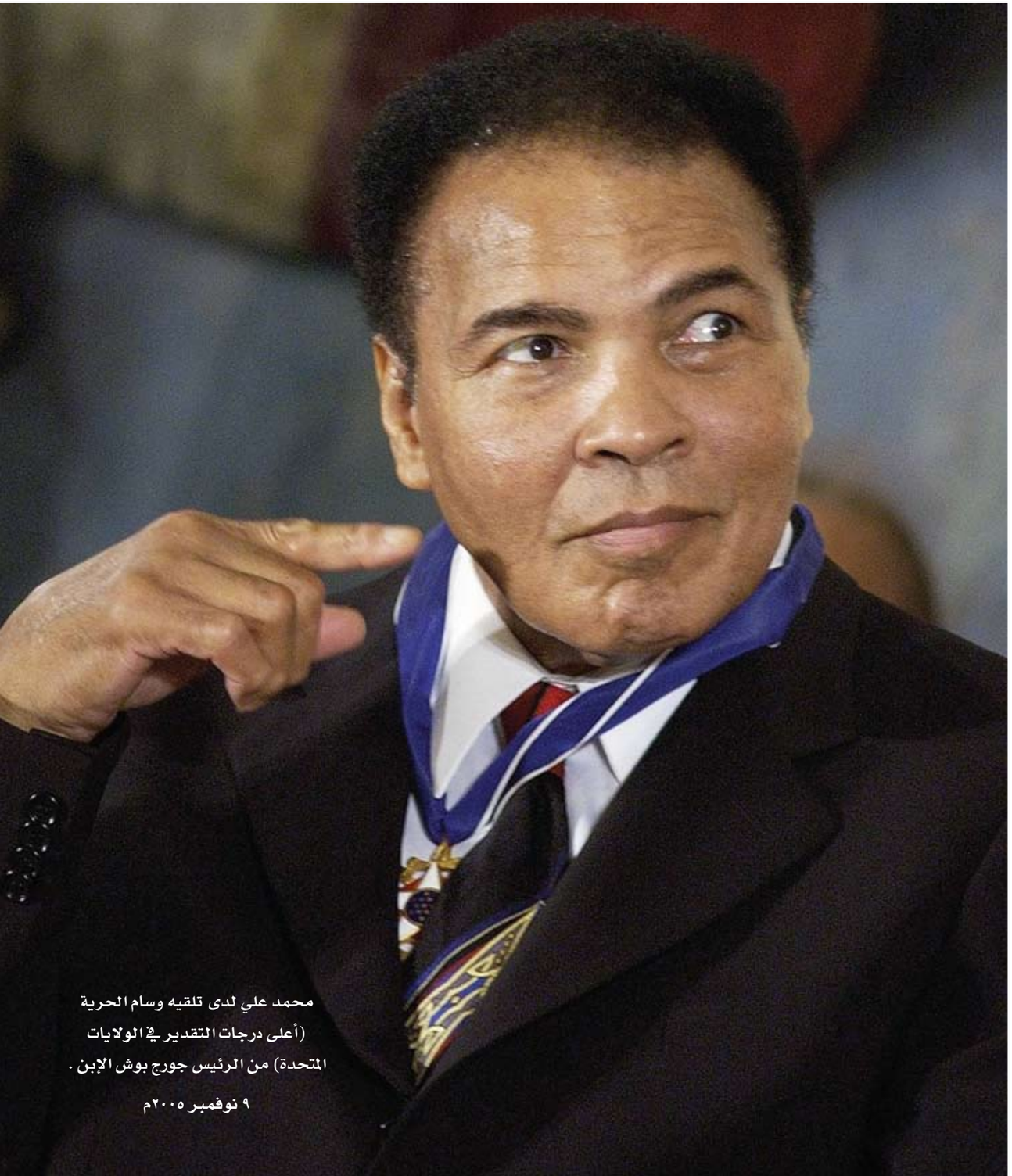

محمد علي لدى تلقيه وسام الحرية (أعلى درجات التقدير في الولايات المتحدة) من الرئيس جورج بوش الإبن . ٩ نوفمبر ٢٠٠٥م

رؤية استشرافية لمستقبل الأفرو أمريكانز المسلمين ودورهم المنتظر على الساحتين المحلية والعالمية

على الرغم من حقيقة أن الصورة العامة قد تبدو قاتمة بعض الشيء فيما يتعلق بحاضر الأفرو أمريكانز المسلمين خاصة بعد رحيل **وارث الدين محمد** والفراغ الذي تركه، وبالنظر إلى جسامة التحديات والمخاطر التي تحيق بهم وما يحاول البعض الترويج له أمثال البروفسير **تشارلز ميوري** (الأستاذ بجامعة هارفارد) الذي قال في كتابه (انحراف الذكاء): (أن الذكاء وراثي وأن هناك أقليات من بينها السود الأمريكيون ستظل أقل ذكاء وفي فقر دائم). إلا أنني لا أميل لهذا الرأي بل على العكس، أرى أن كل الدلائل تشير إلى أن المستقبل سيكون للأفريكان أمريكانز عموما وبإذن الله)[1].

وهناك العديد من الشواهد والبشارات التي تؤكد أن الأفرو أمريكانز أصبحوا القوة القادمة مما يدعو للتفاؤل فيما يتعلق بمستقبلهم خاصة في ظل الزيادة المطردة في أعدادهم وبالنظر أيضا إلى التطورات الهامة التي حدثت خلال السنوات القليلة الماضية بعد نشر الكتاب المذكور في ١٩٩٥م، ثم فوز أوباما الذي فتح الباب على مصراعيه أمام كل مجتهد.

ومعروف أننا الآن نمر في منعطف تاريخي هام، بل لعله أهم وأخطر منعطف تمر به البشرية في تاريخها الطويل. حيث لعلها المرة الأولى ومنذ عدة قرون التي تهمين فيها قوة عظمى واحدة على العالم بعد حقب متتالية طويلة اتسمت بتعدد القوى والمحاور والأقطاب. وهذه المؤشرات الإيجابية التي بدأت تلوح في الأفق يمكن أن تنقلنا نقلة نوعية هامة إذا عرفنا كيف نستخدم الأوراق التي بأيدينا الاستخدام الأمثل. ومن خلال العمل الجاد وفقا لخطط علمية مدروسة لاستثمار الفرص التاريخية المتاحة الآن وتوظيفها بالشكل الصحيح لخدمة قضايانا الحيوية والمصيرية ومصالحنا الإستراتيجية والقومية وكأقليات تريد أن يكون لها دورها الفاعل وإسهاماتها المقدرة في الحراك السياسي والاقتصادي والإعلامي.

ولكي يمكن ذلك، يجب أن نعترف ونقرر أولاً أننا نعيش في عصر العلوم والتقنية وفي زمن تحكمه العلمية والمهنية في كل شيء. كما يجب أن نعترف بأن عامل الزمن يلعب دوراً حاسماً في تحقيق النجاح أو الفشل لأي عمل. ومعنى ذلك أننا نعيش في زمن لا مكان فيه للعشوائية والسلحفائية والتكاسل والتواكل. والفرص بالطبع لا تنتظر أحدا حتى يصحوا من سباته أو تتحقق من تلقاء نفسها بل تحتاج لمن يجتهد ويعمل.

ولعل أهم البشارات والأوراق التي يلزم الاستفادة القصوى منها:

الورقة الأولى: حقبة باراك أوباما

إن وجود أوباما في البيت الأبيض كأول رئيس أمريكي من أصول أفريقية وما يترتب على ذلك من تحسن متوقع في الظروف المعيشية والحياتية للأفريكان أمريكانز عامة مع زيادة الفرص أمامهم لتقلد المزيد من المناصب الهامة، على المستوي الرسمي وفي الحزبين الكبيرين، هو فرصة تاريخية قد لا تتكرر في المستقبل المنظور مما يستدعي الاستفادة منها بأقصى ما يمكن من خلال زيادة التأهيل والتفوق والسعي الجاد للانخراط في العمل السياسي وفي مؤسسات المجتمع المدني، فالطموح الآن مطلوب وهو حق مشروع للجميع ولن تتحقق المكاسب إلا بالمزيد من العمل الجاد من أجل التميز والتفوق.

---

١) هذا الجزء تمت كتابته قبل الانتخابات الرئاسية الأخيرة، بل قبل إعلان فوز السيد كيث إليسون كأول مسلم من الأفروأمريكانز يدخل الكونجرس الأمريكي والبقية تأتي.

الورقة الثانية: عودة فراخان إلى طريق الحق

إن عودة **فراخان** إلى طريق الحق هي حدث كان يجب ألا ندعه يمر مروراً عابراً بل كان حرياً بنا أن نتعامل معه باهتمام أكبر. ذلك أن مكانة الرجل وشخصيته القيادية المؤثرة هما أمران لا ينكرهما أحد. وحركة الإسلام والمسلمين في أمريكا عامة بأشد الحاجة لأمثاله برغم التحفظات والسلبيات المأخوذة عليه. وهو وبهذه الخطوة الشجاعة المباركة وضع الكرة في ملعبنا. فماذا نحن فاعلون وهل نستمر في التعامل معه بلغة العزل والإقصاء؟

وكانت البشارة الثانية هي المصالحة التاريخية الهامة التي تمت بينه والإمام **وارث الدين محمد** (رحمه الله) في العام ٢٠٠٠م، بعد خمسة وعشرين عاماً من القطيعة والخصام، ولا شك أن هذه المصالحة تشكل دفعة معنوية قوية لحركة الإسلام والمسلمين في أمريكا. وإضافة نوعية لها وزنها بل خطوة إيجابية مهمة نحو توحيد الأفرو أمريكانز المسلمين تحت قيادة واحدة مقبولة داخلياً وخارجياً لاسيما بعد رحيل **وارث الدين** وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، علماً بأن **فراخان** أيضا يعاني من ظروف صحية سيئة الآن، ومن المهم سرعة الاستفادة من حنكته وخبراته قبل فوات الأوان. ولعل المراقبين قد لاحظوا توقفه منذ فترة عن التصريحات المثيرة للجدل والتي تنم عن نظرة عدائية لليهود والسامية كما أصبح ظهوره عبر وسائل الإعلام محدود إلى حد كبير.

الورقة الثالثة: الاهتمام المتعاظم بالإسلام في أمريكا وعلى المستويين الرسمي والشعبي بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م

وهذه ورقة هامة أيضاً إذا عرفنا كيف نستخدمها بالصورة الصحيحة وكيف نعرض ونسّوق التعاليم الحقيقية للإسلام بما يؤدي لإزالة الشكوك والمخاوف التي يحاول أن يبثها البعض من أمثال **فوكوياما** وهنتنجتون وغيرهما من الحاقدين والمتربصين. ولمسح ما علق بالأذهان من غشاوة ومفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين والتأكيد على حقيقة أن الإسلام هو دين الرحمة والوسطية وهو الدين الذي به تسعد البشرية لأنه من عند الله ﷻ الذي خلق هذا الكون وبعث الرسل والأنبياء ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور. ولإظهار حقيقة أن ما يفعله بعض المحسوبين على الإسلام من قتل وعنف وتخريب هي تصرفات فردية من بعض المتطرفين، وأن أمثال هؤلاء موجودون في كل مكان وزمان، وأن أعمال القتل للأبرياء والتخريب للمنشآت والممتلكات ليست حكرا على المتطرفين من المسلمين كما هي ليست من الإسلام في شيء، بل هو يدعو إلى العكس والنقيض، فالإسلام هو دين الحياة وحمايتها وليس صناعة الموت كما يحاول البعض أن يصوره والتاريخ يشهد على ذلك.

وعلينا أن نوضح للعموم أيضا أن الدفاع عن النفس حق مشروع للشعوب التي احتلت أراضيها ودمرت بيوتها وشرد أبناؤها ويتمت أطفالها. وأن ما فعلته وتفعله الإدارات الأمريكية من محاولات لتفكيك أوصال المقاومة الشعبية في فلسطين ولبنان والعراق هو عمل لا يليق بدولة عظمى تحاول أن تثبت للعالم أنها راعية الحرية والحارس الأمين لمبادئ الحق والعدل والمساواة وحقوق الإنسان. فكيف بالله نكافئ الظالم والمعتدي ونظلم المظلوم؟

ولقد أثبتت الأحداث أن هنالك جهلا فاضحاً بالإسلام وتاريخ الإسلام لدى الشارع الأمريكي عامة. وهذا الجهل يجب أن نعترف بأننا مسئولون إلى حد كبير عن جزء كبير منه بسبب تقصيرنا في توصيل صوتنا ورسالتنا وخطابنا للآخرين. وهذا الجهل من جانبنا يقابله أيضاً جهل فادح لدى الغالبية العظمى من المسلمين بالتاريخ الأمريكي والعقلية الأمريكية والعقيدة المسيحية بشقيها الكاثوليكي والبروتستانتي.

على أن هذا الاهتمام المتعاظم بالإسلام والذي وضعه تحت المجهر مباشرة يستوجب منا التعامل بمنتهى الحيطة والعقلانية. ذلك أن هذا الاهتمام هو أيضا سلاح يمكن أن ينقلب علينا في أي لحظة وهنا يجيء دور المسلمين في أمريكا في العمل على تهدئة الخواطر وبث الطمأنينة في النفوس والسعي لفك الارتباط وعلاقة التلازم المفتعلة بين الإسلام والإرهاب وذلك لتخفيف حدة المخاوف وحالة الذعر والهلع أو الفوبيا كما يسمونها التي أصابت الناس في أمريكا تجاه الإسلام وكل ما له علاقة به.

فالإسلام (العقيدة)، وبقدر ما هو الآن محل الاهتمام أصبح أيضاً في قفص الاتهام. وأصبح كل مسلم غيور على دينه ملتزم بتعاليمه يصنّف في نظر البعض على أنه عدو وخطر يهدد الغرب. وهؤلاء يريدون بذلك أن يجعلوا الإسلام كلمة مرادفة للعنف والإرهاب بل يعتبرونه المسئول الأول والأخير عن كل ما يحيق بالغرب عامة من خراب ودمار.

وهذا الوضع يضع علماءنا ومفكرينا ومثقفينا عامة أمام المسئولية العظيمة المتمثلة في شرح التعاليم الحقيقية للإسلام الحنيف وتوعية الناس عامة بهذه التعاليم خاصة أخواننا في الولايات المتحدة، ليكونوا خير سفراء لنا باعتبارهم الأقدر على توصيل الرسالة بحكم معايشتهم ومعرفتهم بالعقلية الأمريكية، ولغة الحوار التي تناسبها، ومن خلال تقديم الصورة المشرقة والنموذج القدوة والمشاركة في المنتديات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها وأيضاً في حوارات الأديان.

الورقة الرابعة: تهافت الحزبين الكبيرين على الفوز بأصوات الناخبين الأفرو أمريكانز والمسلمين

لقد أصبح الأمريكيون الأفارقة يمثلون الآن الرقم الصعب للحزبين المتنافسين الجمهوري والديمقراطي. هذه الحقيقة بدأت تتضح وتتبلور أكثر فأكثر في أعقاب المسيرة المليونية الشهيرة التي نظمها **لويس فراخان** بواشنطن العاصمة عام ١٩٩٥م.

وكنت قد أشرت فيما سبق لحقيقة أن الغالبية العظمى من الأفريكان أمريكانز تدين بالولاء، بل أصبحت مرتبطة تاريخياً وعرفيا بالحزب الديمقراطي. ولقد تجلى هذا التأييد شبه المطلق في أول انتخابات رئاسية جرت بعد مسيرة المليون رجل. أي الانتخابات التي جرت في العام١٩٩٦م، والتي حقق فيها **بيل كلينتون** (المرشح الديمقراطي) نجاحا، وبلغ آفاقاً لم يسبقه إليها أحد. ولم يكن ذلك بالطبع لمجرد أنه مرشح الحزب الديمقراطي الذي يؤيدونه والذي أقام معهم تحالفاً عرفيا امتد لعشرات السنين ولكن لأن كلينتون كان يمثل الطبقتين الكادحة والفقيرة.

وعليه يمكن القول عامة وبشيء من الثقة، أن الأفرو أمريكانز أصبحوا واعتباراً من تاريخ تلك المسيرة التاريخية يلعبون دورا متعاظما على الساحة السياسية وفي العملية الانتخابية بصورة خاصة. وهذا واضح وقد جاء نتاج لعدة عوامل أهمها عدديتهم الكبيرة والمتزايدة باستمرار (حوالي ٤٢ مليون الآن منهم أكثر من عشرة ملايين يملكون حق التصويت) وأنهم منظمون في اتحادات وجمعيات يصل عددها إلى نحو ٨٤٤ جمعية تضم ما يقرب من عشرة ملايين فرد. وكل ما يلزم هو إقناعهم بالتوجه إلى صناديق الاقتراع لممارسة حقهم في التصويت، وألا يثنيهم الازدهار الاقتصادي الذي تحقق في عهد كلينتون ثم فوز أوباما عن الإدلاء بأصواتهم.

ومما يؤكد على حقيقة الدور المتعاظم للناخبين السود دخول الأحزاب الأخرى المنافسة وخاصة الليبراليين إلى حلبة التنافس، حيث بدأوا في محاولات دؤوبة لاقتسام الكعكة التصويتية للكتلة السوداء أو. وعلى أضعف الإيمان. الحصول على نصيب أو حصة أكبر فيها، ومحاولات الجمهوريين في هذا السياق تبدو الأكثر حرارة وجدية وقد تمثلت في ثلاث محاور:

أولها: حشد أكبر عدد ممكن من السود على منصة مؤتمر الحزب الجمهوري الذي انعقد في أكتوبر عام ٢٠٠٠م بفلادلفيا.

ثانيها: الدفع بالجنرال المتقاعد **كولن باول**. رئيس هيئة الأركان السابق وقائد القوات الأمريكية في حرب الخليج الثانية. ليلعب دور البطولة في الترويج ل**جورج دبليو بوش** المرشح الجمهوري للرئاسة خلال انتخابات العام ٢٠٠٠م والتلميح أو التلويح بأنه سيصبح وزيراً للخارجية أو الدفاع في حال فوز بوش بمقعد الرئاسة وهو ما حدث فعلاً.

ثالثها: الدور المتصاعد ل**كونداليزا رايس** في حملة بوش الانتخابية والتلويح بأنها قد تصبح مستشارة الرئيس للأمن القومي إذا فاز بوش وهو ما تحقق فعلا. وأخيراً محاولات (التلميع) الحالية لبيل جوسبي والسناتور **مايكل استيل** الذي اختاره الحزب الجمهوري في فبراير ٢٠٠٩م رئيساً للجنته الوطنية كأول أسود يشغل هذا المنصب في تاريخ الحزب، وربما يتم ترشيحه في الانتخابات القادمة لمنافسة أوباما والحد من فرصه، وهناك أيضاً أوبرا وينفري وغيره.

لكن هذه اللعبة المكشوفة من الحزب الجمهوري لم تنطل على السود لأنهم يعرفون سياسات الحزب ومواقفه المعادية لهم ولمصالحهم وقضاياهم عامة. وعموما فإن فوز المرشح الجمهوري **جورج بوش الابن** في انتخابات العام ٢٠٠٠م ربما كان من أهم أسبابه أن مشاركة السود في تلك الانتخابات تعتبر الأضعف منذ عدة عقود إذ لم يشارك في التصويت أكثر من ١٥٪ فقط من الذين تحق لهم المشاركة.

هذا العزوف جاء احتجاجاً على الحزبين المتنافسين معاً. فالديمقراطيون، وقد ظنوا أن أصوات السود مضمونة لهم في كل الأحوال، أخطأوا أخطاء تكتيكية فادحة بانقسامهم حتى اللحظات الأخيرة بين مرشحين هما بالنسبة للسود غير مقبولين في كل الأحوال. فأولهما وهو **آل جور** الذي كان يشغل وقتها منصب النائب الأول للرئيس كلينتون، حاول استمالة اليهود وذهب لحد الإعلان بأنه سيختار نائبا له يكون يهوديا حال انتخابه رئيساً للولايات المتحدة. أما منافسه **جو ليبرمان**، المرشح الديمقراطي الثاني، وقد شعر بأن **آل جور** يريد أن يسحب البساط من تحت قدميه من خلال مغازلة اليهود ومحاولة التقرب إليهم، فقد اضطر للكشف عن وجهه اليهودي الصارخ بل ذهب أبعد من ذلك إذ استجاب لاستفزازات **فراخان** وراح يتوعد بأنه سيجعل **فراخان** يقدم تقريراً للكونجرس عن زيارته لليبيا والعراق وإيران والسودان، وعن الأموال التي حصل عليها كمنح وقروض لتكوين لوبي إسلامي يقف في وجه اللوبي الصهيوني.

وكانت المفاجأة أن قبل **فراخان** التحدي وأعلن من خلال مسيرة المليون عائلة سوداء التي نظمها في السادس عشر من أكتوبر عام ٢٠٠٠م بواشنطن أيضاً، أن من حق الشعب الأمريكي أن يسأل وأن يعرف إذا ما كان ولاء **جو ليبرمان** لإسرائيل أم لأمريكا؟. كما هدد الداهية **فراخان** بأنه سيكشف أمام الكونجرس الأمريكي عن كل الأوراق السرية المتعلقة بعلاقة ليبرمان بإسرائيل.

وفي تقديري الشخصي فإن ليبرمان خسر كثيراً بسبب تلك المعركة مع **فراخان** الذي وضح جلياً أنه لا يمثل الأفرو أمريكانز المسلمين فقط بل يمثل عموم السود في أمريكا وربما في خارجها أيضاً ولعل تصريحات **فراخان** كانت هي السبب الذي دعا ليبرمان للانسحاب من المعركة الانتخابية في لحظاتها الأخيرة.

إذاً فقد تخلى الأفرو أمريكانز عن التأييد الأعمى والانحيازالمطلق للديمقراطيين في الانتخابات الرئاسية لعامي ٢٠٠٠م و٢٠٠٤م، وإن لم يتجهوا إلى المعسكر الآخر (الحزب الجمهوري) الذي لا يتوقعون منه خيراً وفي نفس الوقت لم تنطل عليهم حيله وألاعيبه.

وعموماً فقد فاز **جورج بوش الابن**. كما نعلم جمعياً. في انتخابات العام ٢٠٠٠م وانتخابات ٢٠٠٤م أيضا، ذلك الفوز الباهت حيث جاء قرار المحكمة العليا لصالحه وإن لم ينل من أصوات السود إلا على نسبة متلاشية كما أن فوزه

للولاية الثانية جاء لأن نسبة معتبرة من الجالية المسلمة (بخلاف الأفرو أمريكانز) وقفت إلى جانبه باعتباره أفضل الخيارات السيئة وأملاً في أن ينصلح الحال في ولايته الثانية ويتحرر نوعاً من سيطرة اللوبي الصهيوني وصقور الحرب طالما أنه ليس بمقدوره أن يترشح لولاية ثالثة، لكنه خذلهم وأثبت بما لا يدع مجالات للشك أنه أسوأ رئيس في تاريخ الولايات المتحدة قديمه وحديثه.

وبرغم تعيينه الجنرال المتقاعد **كولن باول** و**كوندا ليزا رايس** في مناصب مهمة بحكومته إلا أنه بقي عاجزاً عن استقطاب تأييد يذكر في الأوساط السوداء لانتهاجه سياسة تستهدف تضخيم الميزانية المعتمدة للدفاع والأمن والحرب الموجهة ضد الإرهاب، وذلك على حساب البرامج التي يستفيد منها ذو الدخل المحدود وفي مقدمتهم الأفرو أمريكانز بالطبع.

لكن انتخابات العامين ٢٠٠٠ و٢٠٠٤م صحبتهما جملة من الدروس والمفارقات والملاحظات التي تستحق التوقف عندها ومنها على سبيل المثال:

أولا: انتهاء أسطورة التأييد الأعمى من جانب السود للديمقراطيين والذين تلقوا درسا بليغاً، أعتقد أنهم لن ينسوه بسهولة.

ثانياً: بداية النهاية للعلاقة التاريخية بين السود واليهود واحتكار اليهود لنسبة مقدرة من أصوات السود بفضل الإغراءات المالية والوعود الكاذبة. وهذه ورقة فرعية في غاية الأهمية إذا تمكنا من الاستفادة منها.

ثالثاً: وضح جلياً لجميع المراقبين أن كلا الحزبين المتنافسين يعاني من أزمة قيادة، أو بالأحرى ندرة حقيقية في الكوادر والشخصيات القيادية المؤهلة والجذابة أو التي تتمتع بجماهيرية كبيرة. وبالنسبة لانتخابات ٢٠٠٨م فإن السيدة **هيلاري كلينتون** (قرينة الرئيس الأسبق **بيل كلينتون**) تبدو من أقوى مرشحي الحزب الديمقراطي لتكون في حالة فوزها أول سيدة يتم انتخابها رئيساً للولايات المتحدة وإن كانت فرصها تبدو ضئيلة نسبيا، في حين بدأ الجمهوريون يعدون الشقيق الأصغر ل**جورج بوش** كمرشح لهم ليكون ثالث رئيس أمريكي من أسرة **جورج بوش الأب** وهو التقليد الذي يعرف بتوريث السلطة.

رابعاً: تلقى أفراد الجالية من المسلمين المهاجرين أيضاً درساً بليغاً بسبب تأييدهم **لجورج بوش الابن** في ٢٠٠٤م مما رجح كفته وساهم في فوزه. وقد أثبتت الأيام والأحداث أنه الرئيس الأكثر انحيازاً لإسرائيل والأكثر دعماً لها بالحق وبالباطل في تاريخ أمريكا الحديث. وأحسب أن الذين ساندوه من تنظيمات الجالية يعضون الآن أصابع الندم.

وهذا الدرس يتطلب منهم إعادة النظر والحسابات في مسألة التأييد الأعمى والمطلق لمرشحي الحزب الجمهوري.

ومما سبق يتضح أن الأفرو أمريكانز قالوا كلمتهم (الفصل) في انتخابات ١٩٩٦م عندما انحازوا في شبه إجماع **لبيل كلينتون**، فكان لهم الفضل (بعد الله ﷻ) في فوزه بولاية ثانية. وقالوا كلمتهم في انتخابات العامين ٢٠٠٠م و٢٠٠٤ م، لكن في صمت هذه المرة عندما امتنعوا عن التصويت لأي من المرشحين بحجة أن ليس فيهما من يستحق. فجرت الانتخابات الرئاسية بدونهم تقريباً وفاز الجمهوريون بشق الأنفس أو بالركلات الترجيحية كما يقولون.

و عليه فإن الدروس المستقاة من آخر ثلاث عمليات اقتراع رئاسية بعد مسيرة **فراخان** المليونية تدعونا للتأمل والقول وبكثير من الثقة أن المستقبل سيكون لهذه الكتلة السوداء إن شاء الله، شاء خصومها أو أبوا[1].

وأن المفتاح للبيت الأبيض يمكن ـ وبقليل من الجهد والعمل المنظم ـ أن يصبح لصالح أي تحالف قادم بين السود والمسلمين إذا أمكن تحقيق هذا التحالف أو أي شكل من أشكال التعاون بين الكتلتين. فالطريق إلى البيت الأبيض بات يمر

١) لقد صدق هذا التوقع حينما فاز المرشح الديمقراطي باراك أوباما في الانتخابات الرئاسية التي جرت العام الماضي ٢٠٠٨م كأول رئيس أمريكي من أصول أفريقية.

عبر الأحياء الفقيرة التي يقطنها السواد الأعظم من الأفرو أمريكانز. ولكن مع ذلك علينا ألا نسرف في التفاؤل، فما لم تتوحد كلمة الفصائل الإسلامية في أمريكا ـ جالية وأفريكان أمريكانز ـ علينا ألا نتوقع تغييراً يذكر. وعلينا أن لا ننسى أيضاً أن اللوبي الصهيوني يقف بالمرصاد ويتابع كل كبيرة وصغيرة، وسيحاول هذا اللوبي بشتى السبل استرضاء السود وإعادة المياه إلى مجاريها معهم. وإن لم ينجحوا في ذلك فسوف يكون الخيار الوحيد أمامهم العمل على تقويض الوحدة التي بدأت تتحقق في أوساط السود. ومعنى ذلك أنه ينتظرنا عمل كبير لابد من القيام به والشروع فيه الآن قبل أن تضيع الفرصة وينطبق علينا المثل (الصيفَ ضيعتِ اللبن).

الورقة الخامسة: محمد علي كلاي وكريم عبد الجبار.

محمد علي كلاي يحمل الشعلة إيذاناً بافتتاح أولمبياد أطلانطا

إن **محمد علي كلاي** البطل الأسطورة وبرغم ظروفه الصحية يظل ورقة مهمة لم نحسن للأسف استخدامها حتى الآن. و**محمد علي** كما هو معروف ما يزال يتمتع بشعبية كبيرة سواء داخل الولايات المتحدة أو خارجها وهو شخصية محبوبة تجد الاحترام والتقدير من الجميع أينما حل. (ولعلنا نذكر أن التلفزيون البريطاني بث مؤخرا ـ فيلما وثائقيا عن حياة هذا البطل الأسطورة وأعيد بث الفيلم عدة مرات بناء على رغبة المشاهدين في بريطانيا وغيرها).

وهذا يؤكد أن البطل العالمي حتى بعد اعتزاله الملاكمة ما يزال يتمتع بنفس الجماهيرية والشعبية والإعجاب والتقدير باعتباره أصبح أحد رموز الأعمال الخيرية والإنسانية في العالم. إضافة إلى أنه رمز حي لمقاومة مرض باركنسون (الارتعاش اللا إرادي) الذي ألم به ولم يقعده بل كان حافزا له على مواصلة جهوده وأعماله الخيرية والإنسانية التي تجد التقدير من الجميع بصرف النظر عن جنسياتهم ومعتقداتهم.

ولعل أهم ما يتوقف عنده المشاهد لفيلم كلاي هو الكم الهائل من الحب الذي يحظى به وإصراره على نشر الكلمة الجيدة عن الإسلام عبر الأوتو غرافات التي يوقعها للمعجبين به، وعلى قصاصات وملصقات وزعت بالملايين. واعتباره لنفسه سفيرا متجولا للإسلام يحظى بالقبول والاحترام العالميين وعلى أعلى المستويات حتى أنه تم اختياره نموذجا للمواطن الأمريكي المثالي علاوة على التكريم الذي حصل عليه عندما اختاروه أيضا لإضاءة شعلة الأولمبياد إيذانا ببدء فعاليات أولمبياد أطلانطا. وما زلت أذكر كيف وقف العالم مشدوها أمام المشهد الحزين الذي نقلته الكاميرات والفضائيات ووسائل الإعلام إلى جميع أنحاء العالم. حين وقف كلاي وهو يمسك شعلة الأولمبياد بيدين ترتجفان من تأثير مرض باركنسون اللعين ويضيء كلاي الشعلة ويضعها في مكانها والناس كلها تصفق له وتنظر إليه بعيون ملؤها الحب والإعجاب والإشفاق، نتابع كل ذلك بحسرة وألم ونسأل. أين نحن؟ ولماذا لا نستفيد من هذه الورقة وهذا الكرنفال المتحرك من الحب والإعجاب أينما حط **محمد علي** الرحال[1]؟

كم هائل من الإعجاب والمشاهد التي جسد من خلالها محمد على صورة جميلة وزاهية لأمريكي اعتنق الإسلام واعتبر نفسه رمزا للخير وسفيرا للإسلام والسلام.

١) ذكر محمد علي في مقابلة مع محرر جريدة الـ (New York Times) أن جملة ما حققه خلال عمله كملاكم محترف بلغ أكثر من خمسين مليون دولار إلا أن ثلثي هذا المبلغ ذهب للضرائب ومدراء أعماله. ويتقاضى حالياً مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ دولار عن أي عمل دعائي أو إعلاني يقوم به ويصل دخله الشهري لأكثر من ثلاثة ملايين دولار.

ولعمري فإن البون شاسع بين ما يقدمه هذا الرجل برغم ظروفه الصحية وما يفعله باسم الإسلام من يدعون الانتساب لهذا الدين بينما هم في الواقع أبعد ما يكون عما يدعون إليه فلم يجلبوا لنا سوى المزيد من الويلات والتقهقر. وجعلوا الناس ينفرون من الإسلام ويخافونه في حين أن **محمد علي** أحب الخير للناس وتعامل مع الآخرين بالود والكلمة الطيبة بل جعل نفسه رسولا للخير والإنسانية فأحبه الناس وقدروه وكرموه وهو العاجز عن الكلام.

وللأسف أيضاً فإن الرجل يجد تجاهلاً واضحاً في العالمين العربي والإسلامي ولا يعرف إلا القليلون أنه أنشأ مؤسسة خيرية تحمل اسمه (Muhammad Ali Foundation) خصص لها جزءاً كبيراً من ثروته، وأن هذه المؤسسة تعمل من أجل مساعدة الأفرو أمريكانز المسلمين، ولا تجد دعماً أو تعاوناً يذكر من المحسنين في العالم الإسلامي سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات. لكن ومع ذلك يظل **محمد علي** بطلا تتجلى فيه كل معاني الشهامة والرجولة والبطولة. وإن نسيناه ضمن قائمة من نسينا، فقد كرّمه أهل الوفاء وإن اختلفوا معه في الفكر والدين فأقاموا له متحفا باسمه في مسقط رأسه وهو ما يزال على قيد الحياة، كما تشرف بلقاء عدد من الرؤساء والقادة الذين أحبوه وكرموه ومنهم وعلى سبيل المثال فقط **بيل كلينتون** والملكة **اليزابيث الثانية** و**نيلسون مانديلا** والبابا **يوحنا بولس الثاني** و**كوفي أنان** وغيرهم.

هذا هو **محمد علي** الرجل الذي نذر نفسه لخدمة الإسلام ومواطنيه، البطل الذي يحاول جاهدا أن يقدم الصورة الحقيقية الزاهية للإسلام والأنموذج الأمثل للمسلم الحق الذي يعمل في صمت، مستمدا أخلاقه من القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة.

أما البطل كريم عبد الجبار[1]، فهو ورقة مهمة أخرى بل ثروة لم نلتفت إليها. وهو أيضا صورة مشرفة للمسلم الحق، وما يزال يحظى بالتقدير والإعجاب في جميع الأوساط الرسمية والشعبية وفي كافة المحافل ويكفي ما قاله عنه السناتور **بول فندلي** في كتابه (لا سكوت بعد الآن) من أنه و**وارث الدين** و**أحمد زويل** و**محمد علي** كلاي يعتبرون وجوها مشرقة للإسلام في الولايات المتحدة.

الورقة السادسة:زيادة الإقبال على التعليم في أوساط الأفرو أمريكانز المسلمين خلال السنوات القليلة الماضية

هذا التطور الإيجابي بدأ يتحقق عندما شرع المعنيون بالأمر يدركون أهمية التعليم في عالم اليوم، كما بدأوا في الاندماج التدريجي في المجتمع الأمريكي مع الحرص على المحافظة على الهوية الثقافية والحضارية وهذه ظواهر إيجابية تستحق الإشادة.

مساجد الولايات المتحدة أكثرها حديث نسبياً

ومن الظواهر الإيجابية أيضاً التي يحق لنا أن نسعد بها ونعمل على الاستفادة منها الزيادة المطردة في أعداد الأمريكيين الداخلين في الإسلام سواء من البيض أو السود حيث تشير الإحصاءات الرسمية إلى أن عدد المسلمين في أمريكا وصل الآن إلى أكثر من سبعة ملايين، كما أعلن ذلك

١) اسمه حسب شهادة الميلاد ليو السندور. من مواليد ١٦ أبريل ١٩٤٧م،اعتنق الإسلام في أوائل السبعينات وهو في قمة نجوميته ويعتبر أشهر نجم في تاريخ كرة السلة الأمريكية. اعتزل اللعب في ١٩٨٩م. وفي العام ١٩٩١م نشر كتابا بعنوان (Black Profiles in Courage) وفيه رصد لأهم ماحققه السود من اسهامات خارج مضمار الرياضة.

مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) في مؤتمر صحفي عقده بمبنى الصحافة الوطني بالعاصمة الأمريكية واشنطن من خلال الإعلان عن نتائج أكبر دراسة من نوعها عن المساجد في أمريكا ـ والتي تعد جزءاً من مشروع أكبر ينفذه (معهد هارتفورد لدراسات الأديان) لدراسة الجماعات الدينية المعاصرة في أمريكا - حيث أوضحت الدراسة ما تتمتع به مساجد المسلمين في أمريكا من الفاعلية والنشاط وتأثيرها الإيجابي الملموس على وجود المسلمين في الولايات المتحدة وسلوكياتهم[1]، كما بلغ عدد المساجد التي تناولتها الدراسة بالتحليل كعينة عشوائية ٤١٢ مسجداً من أصل ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ مسجد، واستغرقت حوالي العامين وكان من أهم ما توصلت إليه ما يلي:

١- هناك نمو كبير في عدد المترددين على المساجد في أمريكا، ففي المتوسط يشارك ١٦٢٥ مسلم ومسلمة بالنشاطات الدينية بكل مسجد من مساجد أمريكا بشكل أو بآخر وأن حوالي ٥٠٪ من المساجد يرتادها ٥٠٠ مسلم أو أكثر في اليوم الواحد.

٢- تقدير عدد المسلمين في أمريكا بحوالي ٦ ـ ٧ مليون مسلم يبدو تقديراً محافظاً في ظل نتائج الدراسة التي تشير إلى ارتياد مليوني مسلم للمساجد الأمريكية.

٣- عدد المشاركين بأنشطة المساجد زاد في أكثر من ٧٥٪ من المساجد خلال السنوات الخمس الأخيرة وهذا النمو ظهر في معظم المساجد بمختلف أنحاء الولايات المتحدة خاصة تلك التي تقع في أطراف المدن والتي شهدت أسرع معدل نمو.

٤- أكثر من ٩٠٪ من أفراد العينة أعربوا عن اعتقادهم بأنهم يتبعون (بقوة) الأصول الأساسية للدين الإسلامي وهى القرآن الكريم والسنة المطهرة. كما أعرب ٧١٪ من ممثلي المساجد عن اعتقادهم بضرورة الأخذ بعين الاعتبار للظروف المعاصرة في التفسير للقرآن الكريم والسنة المطهرة تحقيقاً للمقاصد الشرعية وتأكيداً لعظمة هذا الدين الشامل والصالح لكل مكان وزمان.

٥- معظم ممثلي المساجد الأمريكية الذين شاركوا في الدراسة أكدوا أن مساجدهم حية وفعالة (٧٩٪)، وأن أعضاء مساجدهم مستبشرون فيما يتعلق بمستقبل الجالية المسلمة (٨٠٪) وأن لديهم تصوراً واضحا لرسالة مساجدهم ودورها (٨٠٪).

٦- معدلات دخول الأمريكيين في الإسلام عالية جداً ومستقرة (معدلات عام ١٩٩٤م نفسها). ففي المتوسط يعتنق ١٦ فرداً الإسلام بكل مسجد من مساجد الولايات المتحدة خلال العام. كما أن ٢٠٪ من مرتادي المساجد هم من حديثي العهد بالإسلام والمهتدين الجدد، كما شهدت ٩٠٪ من المساجد بالولايات المتحدة حالة واحدة ـ على الأقل ـ لاعتناق الإسلام خلال العام الماضي (١٩٩٩م).

٧- المساجد الأمريكية جديدة نسبياً حيث أن ثلثها تقريباً بدأ نشاطه في التسعينات في حين تم إنشاء ثلث آخر في الثمانينات من القرن الماضي ولعل من أهمها وأشهرها مسجد الملك فهد في لوس أنجلس الذي يعتبر تحفة معمارية.

تتميز المساجد في أمريكا بفسيفساء التعدد الإثني أو العرقي حيث أظهرت الدراسة أن ٢٣٪ من مرتادي هذه المساجد المنتظمين من أصل جنوب أسيوي و٣٠٪ من أصل أفريقي و٢٥٪ من أصل عربي، وأن المساجد التي تعمرها جماعة عرقية واحدة فقط لا تمثل إلا ٧٪ فقط من مجموع المساجد الأمريكية.

معظم المساجد تقوم بنشاطات دعوية لغير المسلمين، فخلال العام الماضي قامت معظم المساجد بتنظيم أحد الأنشطة التالية:

١- زيارة مدرسة أو كنيسة لتقديم الإسلام والتعريف به.

٢- الاتصال بالصحافة أو بأحد السياسيين أو الرد على استفسارات من الأفراد والمؤسسات.

١) جريدة (الرياض) العدد رقم ١٢٠٣٧ الصادر بتاريخ الجمعة ١٢ ربيع الأول ١٤٢٢هـ الموافق ٨ يونيو ٢٠٠١، ص ٨.

٣- المشاركة في حوار للأديان.

٤- أكثر من ٧٠٪ من ممثلي المساجد التي خضعت للدراسة أعربوا عن موافقتهم بشدة على ضرورة التحاق المسلمين بمؤسسات المجتمع المدني الأمريكية وتوطينهم في الوظائف بالقطاعين العام والخاص ومشاركتهم في الحياة السياسية.

٥- عدد المترددين على المساجد في أمريكا زاد خلال السنوات الخمس الأخيرة بمعدل ٧٥٪.

الدكتور إحسان باقبي أحد قيادي الأفروأميركانز

وتعقيباً على هذه الدراسة ونتائجها قال **نهاد عوض** - المدير التنفيذي **لكير**:أن نتائج الدراسة تؤكد حقيقة أن المسلمين جزء لا يتجزأ من المجتمع الأمريكي وأن جزءاً كبيراً من قوة المسلمين في أمريكا يكمن في مساجدهم، فالمساجد بأمريكا هي أماكن للعبادة وساحات لتعبئة المسلمين سياسياً واجتماعياً

وهذا يفسر الاهتمام الكبير الذي أولته الصحافة الأمريكية للدراسة ونتائجها حيث اهتمت الصحافة وأجهزة الإعلام الأمريكية عامة بالدراسة والمؤتمر الصحفي الذي عقدته (كير) كما نشرت صحيفة (USA Today) الأمريكية مقالاً عن الدراسة وأهم نتائجها صباح يوم المؤتمر ونشرت وكالة الاسوشيتد بريس بيانا صحفيا عن نتائج الدراسة أما صحيفة الواشنطن تايمز (Washington Times) فقد نشرت معلومات عن المؤتمر الصحفي ضمن نشرتها الأسبوعية بأهم أحداث واشنطن العاصمة كما حضر مؤتمر الإعلان عن نتائج الدراسة العديد من ممثلي وكالات الأنباء المحلية والعالمية.

وعموماً فقد أشرف على إعداد هذه الدراسة الدكتور **إحسان باقبي**[1] الأستاذ بجامعة شاو بولاية كارولينا الجنوبية، وشاركت فيها ثلاث منظمات إسلامية كبرى هي: الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية (ISNA) وإتحاد المسلمين الأمريكيين تحت قيادة **وارث الدين محمد** (رحمه الله) والحلقة الإسلامية لشمال أمريكا (ICNA)، بالإضافة إلى مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) (CAIR).

ويمكن الإطلاع على نص الدراسة كاملا باللغة الإنجليزية، أو الملخص لأهم نتائجها باللغة العربية بموقع كير على الإنترنت وعنوانه: (www.cair.net.org)

وأخيراً. فإن الزيادة في أعداد الداخلين في الإسلام في أمريكا والتي جعلته بحق الدين الأسرع نمواً وانتشاراً باعتراف الجميع، ترافقها أيضاً زيادة مطردة في أعداد المثقفين والمفكرين الأمريكيين الذين بدأوا ينظرون بكثير من التعاطف والتفهم للقضايا الإسلامية المطروحة على الساحة. وهذه ورقة هامة أيضاً يلزم الاستفادة منها، هذا علاوة على معدلات النمو السكاني المرتفعة في أوساط الجالية الإسلامية بأمريكا وذلك سواء من خلال الزيادة الطبيعية الناتجة عن ارتفاع معدل المواليد أو من خلال استمرار ارتفاع معدلات الهجرة لأمريكا التي لم تتوقف حتى بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

وإن كانت من كلمة أخيرة في هذا الخصوص فإن هذه الفرص والأوراق لا يكفي مجرد معرفتها والإقرار بها، بل يجب علينا العمل الجاد لاستغلالها والاستفادة منها وبأسرع ما يمكن فالزمن يمضي وذلك ليس في مصلحتنا، والقيادات التي يمكن الاعتماد عليها (**وارث الدين** و**محمد علي كلاي** و**لويس فراخان**) جميعهم تجاوزوا السبعين حيث انتقل الأول (رحمه الله) بعد علة مفاجئة لم تمهله طويلاً والأخيران ظروفهما الصحية تسير للأسوأ وسيكون من الصعب تعويض هذه الكوادر خلال المستقبل المنظور.

---

١) أحد كوادر الأفريكان أمريكانز وقباداتهم التي تحظى بالتقدير في مختلف الأوساط.

التوصيات ومحاور العمل

الآن وقد وضحت الرؤيا إلى حد ما فيما يتعلق بالوضع الحالي وملامح المستقبل للأفرو أمريكانز المسلمين من خلال السرد التحليلي السابق والرصد لأهم التحديات التي تواجههم والوصفة المقترحة لكيفية مواجهة هذه التحديات. وبعد أن عرجنا على استعراض سريع للأوراق الهامة المتاحة والتي يمكن أن تحقق لنا نقلة نوعية هامة إذا عرفنا كيف نستثمرها ونوظفها في خدمة قضايانا. ولكي يتحقق ذلك يجب أن يقوم كل طرف بدوره المنتظر وعلى الوجه المطلوب ذلك أن الأطراف المعنية بالأمر تمثل مربعاً أضلاعه هي:

١) الأفرو أمريكانز عامة مسلمين وغير مسلمين على اختلاف تنظيماتهم.

٢) الإدارات الأمريكية ووكالاتها، وهذان الطرفان هما الشريكان الأساسيان في المسؤولية.

٣) الجاليتان العربية والإسلامية في أمريكا.

٤) الدول والمنظمات الإسلامية الحكومية وغير الحكومية ورجال الأعمال.

وهذه الأدوار يجب أن تتكامل لتحقيق الهدف العام الذي نسعى لتحقيقه جميعاً وهو إحداث النهضة والطفرة الشاملة للأفريكان أمريكانز ثقافيا وتقنيا وحضاريا واقتصاديا واجتماعيا، سياسيا وفكريا.

والنهضة الشاملة متى تحققت فسوف تؤدي بدورها بإذن الله إلى تحقيق بعض التوازن في المجتمع الأمريكي مما سينعكس إيجاباً عليه كما وسينتج عنها زيادة تفاعل الجالية المسلمة عامة والأفرو أمريكانز بصفة خاصة، وزيادة مشاركتهم في العمل الإيجابي البناء على جميع الأصعدة والمحاور. كما تعني أيضاً المزيد من الشعور بالأمان والانتماء والمشاركة الفعالة في صناعة القرار وفي مجريات الأحداث على الصعيدين المحلي والعالمي بما يتناسب مع حجمهم وثقلهم الحقيقيين والدور المنتظر منهم والذي هم أهل له بحكم وضعهم وموقعهم القريب من الحدث ومن مركز صناعة القرار.

وإن عملا كهذا لابد وأن ينبني على رؤى ثاقبة وواضحة واستراتيجيات علمية مدروسة تنبثق عنها خطط عمل مرحلية متدرجة: قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل، وعلى أن تراعى فيها الأولويات واستخدام كل الوسائل التي يمكن أن تعيننا في تحقيق الأهداف المرجوة والتي يمكن تلخيصها كما يلي:

١) العمل الجاد والفوري لتحقيق شكل من أشكال وحدة الصف لمختلف تنظيمات وفصائل وفعاليات الأفرو أمريكانز المسلمين أولا تحت قيادة موحدة واعية، مسئولة ومقبولة من جميع الأطراف يتم انتخابها بواسطة المعنيين بالأمر لتعمل وفقا للثوابت والموجهات المتفق عليها عموماً وبالتنسيق أيضاً مع غير المسلمين من الأفريكان أمريكانز.

٢) مساعدة الأفرو أمريكانز المسلمين في الاندماج الطوعي في المجتمع المدني الأمريكي ومؤسساته مع الحرص على المحافظة على هويتهم الثقافية الإسلامية وشخصيتهم المميزة وتأصيلها وتوسيع دائرة مشاركتهم في النشاطات العلمية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية.

٣) مساعدة الأفريكان أمريكانز عموما في العمل وبالوسائل السلمية للحصول على الحقوق المدنية الكاملة التي كفلها لهم الدستور وفى مقدمتها حق التعليم والعمل والمساواة والتعويضات الممكنة عن عهود الرق والسخرة إن رأوا ذلك، على أن يكون كل ذلك من خلال الالتزام بالأنظمة والقوانين المرعية واحترام الأعراف والمواثيق.

٤) السعي الجاد للنهوض بالمستوى التعليمي والتقني والثقافي وزيادة المعرفة بتعاليم الإسلام لدى الأفرو أمريكانز عامة، ووضع بروتوكولات وبرامج مستمرة للمنح الدراسية لأبنائهم (وأيضا التوسع في المنح القائمة) مع الاهتمام بالأطفال

والشباب بصفة خاصة وحث المسلمين منهم على التمسك بتعاليم الدين القويم ومساعدتهم في ذلك ليكونوا خير سفراء لنا في القارة الأمريكية.[1]

٥) النهوض بالمستوى المعيشي والاقتصادي لهم من خلال الدعم بالقروض الميسرة وبرامج الأسرة المنتجة والتوظيف، وإعطائهم الأولوية في الاستقدام للعمل بالدول الإسلامية والعربية.

٦) زيادة أواصر التواصل والتبادل والترابط والتعاون ودعم روح الانتماء والتكافل والإخوة بين الأفرو أمريكانز المسلمين وأعضاء الجاليتين الإسلامية والعربية من جهة ومع العالمين الإسلامي والعربي من جهة أخرى وتشجيع التزاوج والمصاهرة بين مختلف الأعراق لتمتين العلاقات والروابط.

وعليه فإن الخطوة الأولى تكون من وجهة نظري هي الشروع الفوري في بناء وترسيخ دعائم كيان مرجعي أو مظلة جامعة لعموم تنظيمات الأفرو أمريكانز المسلمين.

هذه الخطوة يجب أن تعطى الأولوية لما لها من أهمية قصوى بالنسبة لحاضر ومستقبل هؤلاء الإخوة لجمع الكلمة وتوحيد الصف والقرار. ولتأصيل روح العمل الجماعي المنظم القائم على العلمية والمنهجية والشورى ومن ثم توزيع الأدوار حسب التخصصات والتنسيق بين مختلف الأطراف والفعاليات وصولا لتكوين قيادة موحدة معترف بها، تتحدث وتفاوض باسمهم وتهتم بقضاياهم وتسعى لإيجاد الحلول للمشكلات والتحديات التي تواجههم.

ولتحقيق هذه الوحدة الإستراتيجية التي يجب علينا التعامل معها كقدر لابد منه وحتمية تفرضها الظروف والتطورات الجارية على الساحتين المحلية والعالمية، لابد من التأسيس الجيد وعلى أرضية صلبة تقوم على التمسك بثوابت الأمة والتركيز على نقاط الالتقاء والاتفاق وعلى رأسها بالطبع المرجعية الدينية القائمة على هدي من الكتاب والسنة المطهرة وإجماع المسلمين.

وتفعيلاً لذلك قد يكون من المهم عقد مؤتمر إسلامي جامع تدعى إليه جميع الفصائل والتنظيمات والفعاليات والقيادات من الأفراد والهيئات الإسلامية وبما في ذلك المنظمات الطلابية والشبابية المعنية بالأمر، الراغبة في المشاركة الإيجابية والفاعلة، القادرة على العطاء والمستعدة للعمل على هدي من الكتاب والسنة المطهرة لاختيار قيادة ومرجعية عليا موحدة وفقاً للثوابت والموجهات المتفق عليها.

ويمكن أن تشارك في هذا المؤتمر الجامع بعض الهيئات الإسلامية المعروفة عالميا مثل منظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية والأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي والاتحاد الإسلامي لمسلمي أمريكا الشمالية (ISNA) والمجلس الفقهي لأمريكا الشمالية ومجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (CAIR) والمجلس الإسلامي الأمريكي والمؤسسة الإسلامية الأمريكية وغيرها من المنظمات الإسلامية العاملة في الولايات المتحدة والتي تحظى بالقبول والاحترام من جميع الدوائر والأوساط. وعلى أن يكون حضور الممثلين والمندوبين للهيئات المذكورة أعلاه بصفة مراقبين فقط، تحقيقا لمبدأ الأخوة الإسلامية والترابط، مع إمكانية المشاركة بالرأي والمشورة إذا طلب منهم ذلك.

١) خلال المراحل الأخيرة لإعداد هذا الكتاب ترددت أنباء عن أن مؤسسة إسلامية بارزة تخطط لإنشاء أول كلية إسلامية معتمدة في الولايات المتحدة بكاليفورنيا وستكون على غرار معهد الزيتونة وذلك أملا في ظهور جيل من الأكاديميين المحليين ومعروف أن معهد الزيتونة يقدم منح دراسية للعديد من الطلاب الأمريكيين ومن المتوقع البدء في تأسيس كلية الزيتونة في خريف العام ٢٠١٠م لتستقبل طلابها من الجنسين مسلمين وغير مسلمين، ومن المؤسسين للكلية الشيخ حمزة يوسف الذي يعتبر من أبرز الدعاة المسلمين والعلماء المعروفين بالاعتدال كما هو محاضر معروف في عدد من الجامعات الأمريكية وهو من الأفريكان أمريكانز وكان قد عمل سابقا في القوات الجوية الأمريكية واعتنق الإسلام في ١٩٧٠م، كما يعمل بمهد الزيتونة بتونس أيضا الإمام زايد شاكر والأستاذ يحي رودي والشيخ عبد الله بن حامد علي، وتحظى المبادرة التي وصفت الكلية بأنها (جورج تاون) الإسلامية بدعم من علماء ورجال دين مسلمين من مختلف أنحاء العالم.

وفد من الأفرو أمريكانز المسلمين بمطار الخرطوم ويظهر في الصورة الدكتور بشير عمر وزير المالية السوداني الأسبق

وحيث أن الهدف الرئيس من عقد هذا المؤتمر هو اختيار مجلس قيادة موحد للأفروأمريكانز المسلمين وتشكيل اللجان والمجالس المساعدة له، فإن من المهم الحرص على تحقيق التوازن المطلوب والتمثيل النسبي العادل لمختلف الفصائل والتنظيمات الإسلامية الموجودة على الساحة وهذا يضمن أن يقف مجلس القيادة العليا على أرضية صلبة ويكون الممثل الشرعي بحق لجميع ألوان الطيف وفي نفس الوقت تقف وراءه قاعدة عريضة من الأفرو أمريكانز المسلمين والهيئات والمنظمات الإسلامية المعروفة عالميا.

وبعد اختيار المجلس الموحد أو الكونجرس الإسلامي يمكن تشكيل اللجان المساعدة والمجالس التشريعية والتنفيذية والرقابية والإدارية التي تضع الأطر والهياكل والأنظمة والخطط والبرامج وتحدد الصلاحيات والواجبات والاختصاصات مع أهمية وضع استراتيجيه علمية واضحة المعالم للتعريف بالإسلام الصحيح وعدم الانشغال بالأمور الهامشية والخلافات الفقهية والمذهبية، وعلى أن يعمل هذا المجلس أو الكونجرس كحلقة وصل بين المسلمين والمنظمات والوكالات الحكومية وغير الحكومية في الولايات المتحدة وفي العالم الإسلامي ويكون المرجعية العليا بالنسبة لكل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة.

وستكون من أولى واجبات هذا المجلس جمع الشمل وتوحيد الكلمة والقرارات والمواقف لتكون للمسلمين القوة التي تتناسب وحجمهم وثقلهم في المجتمع الأمريكي طالما أنه لا يمكن حسب الأنظمة الأمريكية تأسيس حزب إسلامي أمريكي، ومع إمكانية الاستفادة من تجربة الكونجرس الإسلامي الكندي الذي حقق نجاحات مقدرة في عدة محاور، علما بأن كندا تحتضن حوالي مليون مسلم فقط.

ولعله من حسن الطالع أن الساحة الداخلية تعج بالكفاءات والشخصيات القيادية من الأفرو أمريكانز المسلمين المؤهلين لشغل مناصب قيادية سواء على مستوى مجلس القيادة الموحد أو على مستوى مجلسي الإدارة والشورى وغيرهما من المجالس التشريعية والرقابية والتنفيذية واللجان المساعدة.

وعموماً فإن انعقاد هذا المؤتمر الجامع يبدو كأولوية قصوى لتحقيق ما نصبو إليه وإني لأرجو مخلصاً أن تسارع المنظمات المذكورة بالإعداد له وتوجيه رقاع الدعوة. والتي يجب ألا يستثنى منها أحد من القيادات والفعاليات الإسلامية الملتزمة. ليكون مؤتمراً جامعاً بحق، مع العمل المخلص والجاد لتأمين كل مقومات النجاح له لضمان التشكيل الأمثل للمجالس القيادية والتشريعية والتنفيذية واللجان المساعدة بدون عزل أو إقصاء لأحد بسبب الخلاف المذهبي أو الفكري.

وفى حالة عدم إمكانية التوصل لاتفاق حول فكرة العمل تحت قيادة موحدة فلا أقل من تشكيل مجلس أعلى للإشراف والتنسيق والعمل على تقريب وجهات النظر بين الفرقاء وذلك تمهيداً لتحقيق الوحدة مستقبلا متى تهيأت الظروف. وعلى أن تكون الخطوة التالية هي العمل على إدماج هؤلاء الإخوة ضمن الجالية المسلمة الموجودة في الولايات المتحدة بصورة تدريجية، وقبل ذلك يلزم العمل على تقريب المسافات والرؤى والأهداف والعمل الجاد لإزالة الشكوك المتبادلة والحساسيات تحقيقاً لمبدأ الأخوة الإسلامية ومع زيادة حجم التواصل والتعاون والتنسيق في المجالات كافة واضعين نصب أعيننا أن وحدة هؤلاء الإخوة هي من أسباب القوة وأن وقوتهم هي قيمة مضافة نحن بأشد الحاجة لها.

يقول الشاعر: تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

محاور العمل

وقد وضح مما سبق أن هناك حاجة متبادلة وقضايا مشتركة بين الأفرو أمريكانز المسلمين من جهة والعالم الإسلامي عامة من جهة أخرى لتحقيق المزيد من التفاهم والتقارب والترابط والتعاون البناء لمواجهة التحديات والأخطار المشتركة التي تواجه أمتنا في عقيدتها وثوابتها، ثقافتها وتوجهها الحضاري ومقدساتها بل فى مصيرها وجوهر وجودها، مما يجعل هذا التقارب والترابط قدراً محتوماً علينا جميعا.

وحيث نحن بحاجة ماسة لهؤلاء الإخوة ولمساعدتهم لنا في تبليغ وتوصيل رسالة الإسلام الحقيقية وشرح مزاياه، وأيضا للرد على الشبهات التي تثار حوله والاتهامات الباطلة الموجهة إليه سواء في مجال حقوق الإنسان أو فيما يتعلق بالربط الجائر بينه والإرهاب وبعض الجماعات الإرهابية المتطرفة التي لا تمثل الإسلام في شيء.

السيد غازي صلاح الدين مستشار الرئيس السوداني عمر البشير لدى اجتماعه بوفد الأفرو أمريكانز المسلمين الزائر للسودان

وحيث تعرضت صورة الإسلام والمسلمين إلى كثير من التشويه المتعمد لتضليل الرأي العام في أمريكا وغيرها مما انعكس سلبا على تأثير المسلمين في مراكز صنع واتخاذ القرار كما تضاءلت مساهماتهم في الحياة الأمريكية وهمش دورهم بالرغم من حقيقة أنهم، وكما يقول السناتور بول فيندلي في كتابه (لا سكوت بعد اليوم)، يمثلون نخبة لا يمكن تجاوزها كما ونوعا كأقلية ديناميكية متنامية تتجاوز في التعداد الوجود اليهودي بكثير. فنحن بحاجة إلى هؤلاء الإخوة وإلى مساهمتهم معنا في إزالة الالتباس في مفهوم المجتمع الأمريكي للإسلام وخطابه الديني والحضاري بشموله وفضائه الرحب الذي يضم ويستوعب كافة ألوان الطيف الإنساني. وللاختلاط مع السكان والتمازج معهم في حدود التنوع الإثني. نحن بحاجة لهم لتصحيح الصورة النمطية الشائعة التي شوهت كثيرا تصورات الآخر عن المسلمين، وطرحت الإسلام كقوة خطرة ومتخلفة مما حجب بالتالي كثيراً من فرص التعرف على حقيقة هذا الدين العالمي النزعة، الذي تقوم ركائزه على مبادئ التسامح والعدل والمساواة واحترام قيمة الإنسان والمحافظة على حقوق الناس وحرماتهم، ولقد ألقى كل ذلك بظلال قاتمة على مساهمات المسلمين عامة في قطار الحضارة الإنسانية وفي تقدم المجتمع الغربي، بل جعل طاقاتهم معطلة أو غير معترف بها ولا يستفاد منها وكل ذلك - أو معظمه على الأقل - بسبب الآلة الإعلامية المسّيسة والمروضة التي لا تريد أن ترى في العالم الإسلامي إلا الصور السيئة أو المريضة والجانب المظلم، مما زاد من اتساع الهوة بين الإسلام والغرب. وهم أيضا بحاجة لنا ولمساعدتنا لتحقيق النهضة الشاملة والولوج إلى آفاق أرحب في عالم يحكمه منطق القوة وقانون البقاء للأقوى.

وعليه، وللمضي قدما في تحقيق هذه الأهداف فإن هؤلاء الإخوة بحاجة لكثير من الدعم المادي والمعنوي من الدول الإسلامية والعربية، وعلى المستويين الرسمي والشعبي، وأيضا من إخوانهم المقيمين بدول المهجر في بلاد الغرب عامة وفي الولايات المتحدة على وجه الخصوص وهذا الدعم يتوزع على عدة محاور وذلك كما يلي:

المحور التعليمي والثقافي

كما رأينا فيما سبق فإن التخلف الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والفكري للأفرو أمريكانز المسلمين عامة يرجع وبالدرجة الأولى لانخفاض المستوى التعليمي. وهذا التخلف التعليمي يجيء في بعض الأحيان اختياريا بسبب العزوف من جانب الآباء عن الزج بأبنائهم في النظام التعليمي الأمريكي للأسباب التي ذكرتها فيما سبق. وفي أحيان أخرى يكون بسبب عدم القدرة على مواصلة التعليم إما لأسباب وظروف مالية قاهرة أو لعدم تحقيق الدرجات المطلوبة، ومن ثم عدم التمكن من استيفاء شروط القبول بمؤسسات التعليم العالي، وقد يكون أحيانا بتشجيع غير مباشر من الدولة من خلال برامج المساعدات الحكومية للعاطلين عن العمل التي تنطوي على محاباة خبيثة للسود لتشجيعهم على الاستمرار في حياة الخمول والبطالة، علاوة على غياب دور الأسرة في الإشراف والتشجيع والتوجيه والمتابعة.

وعموماً فإن الدعم يمكن أن يكون في شكل:

أ) مساعدة الطلاب الأفرو أمريكانز المسلمين في تسديد الرسوم الدراسية من خلال صندوق موحد للمنح الدراسية يدرس الحالات ويتحقق من استحقاق طالب الدعم للمساعدة، وهذا يكون بالنسبة للطلاب داخل الولايات المتحدة أو خارجها وخاصة لطلاب الجامعات والكليات التقنية والدراسات العليا.

ب) اعتماد عدد مناسب من المنح الدراسية الكاملة لأبناء الأفرو أمريكانز المسلمين وغير المسلمين للالتحاق بالجامعات الإسلامية ذات الشهرة العالمية في مصر والسعودية والمغرب وماليزيا وباكستان والسودان وسوريا وتونس وغيرها، بحيث تخصص كل جامعة إسلامية في كل دولة من الدول المشار إليها عشرة منح دراسية في كل عام لهؤلاء الأبناء ومع الحرص على أن يكون جزء من هذه المنح للدراسات الإسلامية والعلوم الشرعية والجزء الآخر للتخصصات في مجالات العلوم العصرية والتطبيقية والتقنية، وتوزيع الطلاب عليها حسب رغباتهم.

ج) استيعاب الفاقد التربوي من أبناء المسلمين وتشجيعهم على الالتحاق بمؤسسات التدريب المهني والكليات التقنية إن أمكن سواء في الداخل أو الخارج وخاصة في الدول الإسلامية والعربية، وتقديم الدعم للمؤسسات التعليمية الإسلامية الموجودة في أمريكا وأذكر منها على سبيل المثال جامعة العلوم الاجتماعية والإسلامية التي تدرب المرشدين الدينيين العاملين في القوات الأمريكية والكلية الأمريكية الإسلامية في شيكاغو والمعهد العالي للفقه الإسلامي ومؤسسة اقرأ التعليمية العالمية في شيكاغو والمعهد العالي للفكر الإسلامي (IIIT) في واشنطن العاصمة ومعهد المعلومات والثقافة الذي أسسه المهندس صبحى بترجى في شيكاغو وجامعة المشرق والمغرب في شيكاغو أيضاً وغيرها.

د) إعداد خطة لبرامج تقوية للطلاب المسلمين وبما في ذلك أبناء الأفرو أمريكانز بمختلف المراحل الدراسية وطلاب الشهادتين الثانوية العامة والكفاءة بصفة خاصة بإعطاء دروس إضافية في أوقات الفراغ في المواد المهمة (الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء. الخ(والإشراف عليهم تربوياً وأكاديمياً. ويمكن تنفيذ هذا البرنامج بالتعاون مع بعض المدارس الإسلامية الموجودة أصلا أو من خلال المراكز الإسلامية والمساجد وذلك بهدف زيادة نسبة النجاح والقبول للطلاب المسلمين بالجامعات ومؤسسات التعليم العالي.

هـ الدعم المادي للمدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية الموجودة في مختلف أنحاء الولايات الأمريكية وتزويدها أيضا بالأساتذة المؤهلين من الداخل والخارج وبالوسائل السمعية والبصرية والمختبرات وتشجيع التبادل مع الجامعات المعروفة في الدول الإسلامية وتقديم الدعم المادي والمعنوي أيضا للمدارس الإسلامية التي ما تزال في مرحلة الإنشاء ومدارس التحفيظ وعطلة نهاية الأسبوع، والعمل على تأمين مدرسة واحدة على الأقل تقدم التربية

الإسلامية جنبا إلى جنب مع التعليم النظامي وفقا للمناهج الحكومية في كل ولاية إن أمكن حيثما وجد العدد الكاف من أبناء المسلمين.

و) دعم الجهود الرامية لاعتماد مناهج موحدة للتربية الإسلامية لجميع المدارس الإسلامية الموجودة في الولايات المتحدة ومساعدة المدارس التي لم تتمكن بعد من الحصول على الاعتراف الرسمي في سعيها لاستيفاء المتطلبات والشروط المطلوبة من إدارات التعليم الولائية والفدرالية بعد التحقق من التزامها بالأنظمة المنصوص عليها.

ز) زيادة التفعيل للمساجد والمراكز الإسلامية لتتمكن من القيام بدورها التثقيفي والتوعوي بالصورة الحضارية المطلوبة حتى تكون مراكز إشعاع لنشر العلوم الإسلامية الصحيحة للطلاب المسلمين الدارسين في المدارس الحكومية والخاصة الذين يعانون من نقص واضح في مجال الثقافة الإسلامية والتربية الإسلامية واللغة العربية، ولغير المسلمين في مجال التعريف بالإسلام وتعاليمه الحقيقية، باللغة التي يفهمها المواطن الأمريكي العادي ولتحقيق أنموذج المسجد متعدد الأغراض الذي يكون مصدر إشعاع. ومن المهم ألا يقتصر دور هذه المراكز والمساجد على الصغار والنشء فقط بل يتعين اعتماد برامج تثقيفية أيضا للكبار ومن الجنسين.

ومن المهم أن تكون هذه البرامج متاحة للجميع بغض النظر عن الخلفيات الإثنية والأعمار والجنسيات وذلك لتحقيق التمازج والمزيد من أواصر التقارب والترابط والاندماج بين أفراد الجالية المسلمة، لاسيما وأن النشء من أبناء الجيلين الثالث والرابع على وجه الخصوص يعاني غالبيتهم من نقص واضح في الإلمام بالثقافة الإسلامية واللغة العربية وهذا النقص أصبح يشكل هاجسا لكثير من الآباء وأولياء الأمور كما أدى بالبعض إلى الانحراف وإدمان المخدرات.

ح) العمل على نشر اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) للراغبين في تعلمها وذلك أيضا من خلال المساجد والمراكز والمدارس الإسلامية والبرامج التلفزيونية ومن خلال شبكة الإنترنت والمساهمة في هذا الجهد من خلال ابتعاث بعض المتخصصين وعقد دورات تدريبية للكوادر المحلية غير المتخصصة.

ط) المساهمة في إعداد وتكوين وتدريب القيادات الشابة والكوادر الواعدة علميا وثقافيا وأخلاقيا لقيادة العمل الإسلامي مستقبلا في مختلف المجالات والمحافل: الدينية والثقافية والعلمية والسياسية والاجتماعية والإعلامية ويمكن أن يتم ذلك من خلال تنظيم دورات قصيرة، متوسطة وطويلة الأجل، مع الاستعانة بالكوادر المحلية المؤهلة وابتعاث بعض العلماء من ذوي الاختصاص والكفاءة المعروفين باعتدال الفكر إذا لزم، وأيضاً من خلال إقامة المنتديات والمخيمات والبرامج الصيفية وورش العمل. ومع الحرص أيضا على مشاركة الشباب المسلم من مختلف الأعراق والألوان لتحقيق المزيد من التقارب والترابط والتمازج ولتقوية روح الأُخوة والمواطنة وحب الوطن والعمل الجماعي والطوعي. ومع الانحياز أيضا لقضايا الدين والأمة والعمل على نصرتها بالأسلوب الحضاري بعيدا عن النعرات العصبية قبلية كانت أم عنصرية أو مذهبية. وبمنأى عن التطرف والتشدد أو الإساءة للآخرين بأي شكل من الأشكال.

المحور الإعلامي

لا يكاد يختلف اثنان حول أهمية الإعلام والعمل الإعلامي في عالم اليوم وتأثيرهما المتعاظم في حياة الأفراد والجماعات والأمم والشعوب حيث أصبح يتم تسخير أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا والعلوم ليكون في خدمة العمل الإعلامي مما جعل الإعلام يصبح واحدا من أخطر الأسلحة وأكثرها تأثيرا، وهذا التأثير يكون مفيدا وإيجابيا في بعض الأحيان كما قد يكون سلبيا ومدمرا في أحيان أخرى وخاصة بالنسبة للعقول الصغيرة واليافعة وفي أوساط غير المتعلمين خاصة إذا لم تعقل هذه الآلة الإعلامية بقيود وضوابط الدين والأخلاق والضمير.

ولقد أصبحت وسائل الإعلام بمختلف أشكالها: المقروءة والمسموعة والمرئية ـ وبلا منازع ـ المصدر الرئيس للمعلومة والخبر، بل وربما الثقافة، للشريحة الأكبر من سكان هذا العالم المحتضر ولا أقول المتحضر. ومع ذلك تبقى الأسرة والمدرسة من وجهة نظري، هما الحضن والحصن بل المصدر الرئيسي للعملية التربوية، فإن تنازلتا عن هذا الدور لأجهزة الإعلام فسوف تحل الكارثة لا محالة ونقول على الدنيا السلام.

كما أصبح من السهل تزييف الحقائق وتلفيق الأكاذيب وترويجها على أنها الحقيقة ـ وهنا مكمن الخطورة – لاسيما في عصر جبروت الفضائيات التي أصبحت سيدة الساحة في عالم اليوم، بعد أن أفلحت في اقتحام كل بيت تقريبا بمزاياها ومساوئها، شئنا أم أبينا. ولكي نلحق بالركب وفي نفس الوقت نحافظ على خصوصيتنا الثقافية والحضارية ولكي نحمي أجيالنا الحاضرة والآتية من هذا الخطر الداهم فإن هناك الكثير الذي ينبغي عمله وعلى وجه السرعة للتصدي لما تقوم به الأبواق الإعلامية التي يسيطر عليها رأس المال اليهودي.

فلقد أظهرت الأحداث العالمية الأخيرة أن هناك جهلا فاضحا ومشتركا بين الشرق والغرب برغم كل هذه الفتوحات العلمية والنقلة التقنية الهائلة التي تحققت في صناعة الاتصالات والتي ألغت الحدود والمسافات. فالجهل من جانب المسلمين بالعقائد الأخرى وتعاليمها بل وبعقلية الآخر وموروثه الثقافي والحضاري، يقابله جهل مماثل بالإسلام وتعاليمه الحقيقية وانجازات علمائه وإسهاماتهم على الجانب الآخر.

وهنا يبرز دور المسلمين في الغرب عامة وفي أمريكا خاصة في التصدي للحملات الجائرة التي تستهدف الإسلام والمسلمين. ويجب أن ينبري إعلامنا المرئي والمقروء والمسموع ليؤدي دوره في تصحيح المفاهيم وإزالة اللبس والغموض وتوضيح الحقائق. لكن كيف؟

علينا أن نعرف ونعترف أولا بأننا نخوض حربا غير متكافئة في ظل الهيمنة الغربية والصهيونية بصفة خاصة على وسائل الإعلام حيث نتج عن ذلك أن أصبحنا مستقبلين فقط للرسالة الإعلامية القادمة من الغرب، ننقل الأخبار العالمية وأخبار بعضنا البعض دون تمحيص وكما تصوغها وتفبركها وكالات الأنباء الغربية، ثم نقوم ببثها كما هي، وبما فيها من سلبيات وقصور وأخطاء، برغم حقيقة أنها تمثل رأي الآخر وتعبر عن أهدافه الخبيثة والصريحة. أما رسالتنا وخطابنا الثقافي والسياسي ـ إن وجدا ـ فهما موجهان بالأساس إلى الداخل أي إلينا. ومعنى هذا أن صوتنا يصبح غير مسموع من الطرف الآخر وإن سمعه فإنه لا يعي ما نقول لأن الآخر لا يعرف لغتنا فكأننا بذلك نخاطب أنفسنا أو نتحدث لبعضنا على أحسن تقدير.

ولتغيير هذه الصورة غير اللائقة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام في الغرب عامة وفي الولايات المتحدة بصورة خاصة لا بد من الاستعانة بالمسلمين المقيمين هناك ـ ومن بينهم بالطبع الأفرو أمريكانز، حيث يلزمنا الكثير من العزيمة والمثابرة والعمل. ويلزمنا في المبتدأ مد جسور التواصل وبناء الثقة لفتح وتكثيف قنوات التبادل والتواصل

والتشاور والحوار مع أعضاء الجالية المسلمة المقيمة في أمريكا وفي مقدمتهم بالطبع الأفرو أمريكانز ويمكن أن يتم ذلك من خلال:

أ) العمل على زيادة حجم التبادل والتواصل والتعاون الثقافي والإعلامي معهم وذلك من خلال الاتفاقيات الثنائية والبروتوكولات مع المؤسسات الإسلامية العاملة في المجال الإعلامي على الساحة الأمريكية ودعمها بالمواد والبرامج التثقيفية المناسبة. والعمل على إعداد وإنتاج برامج ثقافية وتعليمية مشتركة باللغة الإنجليزية، ومن خلال زيادة التبادل للزيارات والوفود والمشاركات في المناسبات الدينية والوطنية، والاحتفالات والمؤتمرات والمنتديات إلخ.

ب) تقديم الدعم المادي والعيني والمعنوي للمراكز والمؤسسات الإسلامية التي تقدم برامج وخدمات إعلامية هادفة ومميزة أو حتى معلومات صحيحة للتعريف بالإسلام ومزاياه.

ج) المساهمة في تدريب الكوادر البشرية العاملة في المجال الإعلامي من أبناء المسلمين في الولايات المتحدة لاكتساب المهارات والخبرات اللازمة والتمرس في التعامل مع أحدث ما وصلت إليه التقنية في مجال الإعلام ووسائل الإعلام والاتصالات الجماهيرية.

د) إعداد وإنتاج برامج ومواد وأفلام وثائقية خاصة للتعريف بالإسلام ومبادئه ورموزه وإسهامات علمائه تكون باللغة الإنجليزية ومن قبل متخصصين في العالم الإسلامي وفي الدول الغربية أيضا أو بالمشاركة وبثها عبر الأقمار الصناعية لتوصيل صوتنا ورسالتنا إلى الغرب عامة والولايات المتحدة بصفة خاصة ويكون الهدف من هذه البرامج توضيح التعاليم الحقيقية للإسلام ومنهجه الوسطي المعتدل وموقفه الواضح والصريح من مختلف القضايا المطروحة على الساحة.

هـ) العمل الجاد لإنشاء قناة أو قنوات فضائية إسلامية متخصصة (تكون ناطقة بالإنجليزية) وتزويدها بالكفاءات والأجهزة البشرية والتقنية اللازمة لأداء دورها على الوجه المطلوب وبما يتناسب مع عقلية المتلقي الغربي عامة والأمريكي بصفة خاصة ويكون من أولى أهدافها التصدي للحملات الجائرة التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون ونشر الصورة الحقيقية للإسلام والعمل الجاد لإزالة المخاوف من أذهان الناس فيما يتعلق بالإسلام في ظاهرة مفتعلة وأغراضها مكشوفة. كما يلزم أيضا إنشاء المزيد من المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت لتمكين الراغبين من التعرف على التعاليم الحقيقية للإسلام من إشباع رغباتهم.

و) العمل على توحيد - أو بالأقل تنسيق - لهجة الخطاب الإعلامي الإسلامي الموجه للآخر والذي يعبّر عن التوجه والموقف الإسلامي الواضح والصريح تجاه مختلف القضايا والأطروحات ويؤكد على أننا أمة وسط متحضرة، لها ثقافتها وخصوصيتها وهويتها المميزة وإسهاماتها المقدرة في تقدم البشرية، كما لها رأيها وموقفها الواضحان من كل القضايا وهما مستمدان من ثوابت الأمة ودينها الحنيف.

ز) العمل على ترجمة مجموعة مختارة بعناية من الكتب الإسلامية الجيدة إلى اللغة الإنجليزية (ومن ثم اللغات العالمية الحية الأخرى إن أمكن) وتسهيل الاطلاع عليها من خلال الاستفادة من شبكة الانترنت التي يمكن أيضاً أن تحقق لنا كثير من الانتشار في مجال التعليم والتعريف بحقائق الإسلام.

المحور الاقتصادي والاجتماعي:

من الحقائق البديهية المعروفة أن الرقي بالمستوى التعليمي والثقافي والتقني للأفراد لابد وأن يساعد في النهوض بالمستويات المعيشية والاقتصادية والصحية والاجتماعية لهم ولأسرهم ومجتمعاتهم.

على أنه يجب ألا ينظر أبدا إلى التعليم على أنه غاية في حد ذاته أو أنه خاتمة المطاف ومجرد شهادات علمية نضعها على الجدران ونتباهى بها. كما يجب ألا ينظر إليه على أنه العصا السحرية التي تغير واقع الناس المعيشي والاقتصادي تلقائيا لمجرد الحصول على شهادة أو درجة علمية، فما جدوى علم لا ينتفع به ولا يتبعه سعي في طلب الرزق واجتهاد وإخلاص في العمل؟.

ومع ذلك فهناك حزمة من الإجراءات التي يمكن اقتراحها في إطار المسعى لتحسين الظروف المعيشية والاقتصادية والاجتماعية للأفرو أمريكانز المسلمين ومن ذلك:

أ) تنظيم منتديات أو مؤتمرات اقتصادية تجمع رجال المال والأعمال والمستثمرين العرب والمسلمين بنظرائهم من أعضاء الجالية المسلمة في الولايات المتحدة وبمشاركة ممثلين لمختلف قطاعات ومنظمات الأفرو أمريكانز المسلمين، للتباحث والتشاور حول مجالات التعاون والمشاريع الاستثمارية القابلة للنجاح التي يمكن تنفيذها بما يحقق المنفعة للطرفين، سواء من خلال التمويل الكامل من الخارج أو بنظام المشاركة مع المستثمرين ورجال المال والأعمال المحليين من الأفرو أمريكانز المسلمين وغيرهم. وأيضا تشجيع إقامة المشاريع المشتركة (Joint Ventures) ما بين المستثمرين المسلمين ونظرائهم من الأفرو أمريكانز في الولايات المتحدة وخارجها.

ب) حث رجال المال والأعمال والمستثمرين العرب والمسلمين على الاستثمار في مشاريع يستفيد منها وبالدرجة الأولى الأفرو أمريكانز المسلمين مع التوزيع العادل لهذه المشاريع في كل المناطق والولايات حيث تتركز كثافة عالية من الأفرو أمريكانز المسلمين وغير المسلمين وإعطائهم الأولوية في العمل والتوظيف والمشاركة في الإدارة واتخاذ القرار.

ج) حث الشركات والمؤسسات والإدارات الحكومية وغير الحكومية والمستثمرين بالدول الإسلامية على إتاحة المزيد من فرص الاستقدام والتوظيف للأفرو أمريكانز عامة والمسلمين منهم خاصة، وهذا من شأنه أن يزيد درجة الوعي لديهم بتعاليم الدين الحنيف وتحسين المستوى المعيشي لهم كما يحقق في نفس الوقت المزيد من الترابط والتمازج والتواصل والتفاهم.

د) تقديم مساعدات مادية وعينية للفقراء والمعوزين من الأفراد والأسر، والأفضل أن تكون هذه المعونات في شكل قروض ميسرة (متوسطة وطويلة الأجل) لتأسيس أعمال تجارية صغيرة بعد التأكد من جدواها وأنها تدخل ضمن دائرة العمل الحلال، وبما يحفظ للفرد كرامته ويحقق له بعض طموحاته وأيضا الاستقرار والاطمئنان على مستقبله ومستقبل أسرته فيغنيهم ذلك عن مذلة السؤال أو الاعتماد على معونة برامج الرعاية الاجتماعية المحددة المدة التي تشجع الناس على البطالة والإتكالية - والأهم من ذلك كله أن العمل الكريم يحول بينه والانجراف إلى طريق الرذيلة والجريمة وبالتالي زيادة حدة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، وقد يكون من المهم أيضا تخصيص نسبة من هذه القروض والمعونات لغير المسلمين من الأفرو أمريكانز ومن يؤمل فيهم بصورة خاصة وذلك بغية اجتذابهم إلى رحاب الإسلام وإعادتهم إلى عقيدة الآباء والجدود.

هـ) العمل على زيادة وتكثيف برامج التبادل التجاري والثقافي والمعلوماتي مع الأفرو أمريكانز المسلمين ويدخل في ذلك تبادل الزيارات للتباحث والتفاكر والتشاور حول فرص ومجالات التعاون، وزيادة وتكثيف المشاركة في المنتديات

والمؤتمرات بمختلف أشكالها ومسمياتها مع العمل لاستيعاب عدد من الأفرو أمريكانز المسلمين أصحاب الكفاءات في مؤسسات التمويل والمنظمات الإسلامية ذات الصبغة العالمية مثل البنك الإسلامي للتنمية وصندوق التضامن الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية والندوة العالمية للشباب الإسلامي وغيرها.

و) وعلى الصعيد الاجتماعي لابد من الاستفادة من شعيرة الحج باعتباره المؤتمر السنوي الذي يجمع شتات المسلمين ويحقق التآخي والتراحم والتشاور والتكافل في أجل صورها، كما يزيد من فرص التعارف والتفاهم وتعزيز الثقة والتكامل والتعاون، وعليه فإن من المهم دعوة عدد من قيادات العمل في أوساط الأفرو أمريكانز من الرسميين وغيرهم لأداء مناسك الحج في كل عام.

ز) وأخيرا وعلى الصعيد الاجتماعي فإن من المهم العمل على زيادة التفاعل والتمازج والتقارب والتكافل وتنسيق الجهود ما بين أعضاء الجالية المسلمة في أمريكا عامة والأفرو أمريكانز المسلمين وأن يكون التعامل بينهم تعامل الند للند والأخ للأخ لبناء جسور الثقة المتبادلة وكسر حواجز الجمود والفتور والشكوك والحساسيات المتبادلة. وليكن هادينا في ذلك قول الله ﷻ ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ وقوله ﷺ: (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. التقوى هاهنا، التقوى هاهنا التقوى هاهنا).

ح) وفي الجانب الصحي هناك أيضا الكثير الذي يمكن عمله إذا خلصت النوايا، سواء من خلال مساعدة المرضى في الحالات التي لا تغطيها برامج الرعاية الصحية أو من خلال برامج التوعية والتثقيف الصحي التي تهدف للتعريف بطرق الوقاية والتشخيص المبكر والتعامل مع الأمراض المستعصية وحالات الإدمان الفردية والمساعدة في علاجها داخليا أو خارجيا.

ط) توفير خدمة رعاية خاصة للمسجونين من الأفرو أمريكانز عامة مع العمل على تلبية احتياجاتهم الأساسية في المجالات التي لا تغطيها خدمات السجون الحكومية وخاصة في المجالات التعليمية والثقافية وفى مجال التأهيل المهني ورعاية أسرهم وإعادة تأهيلهم روحيا وثقافيا ومهنيا وذلك بالتعاون مع السلطات المختصة وبما يضمن لهم حقوقهم القانونية. ولتحقيق هذا الهدف من المهم إنشاء جهاز إداري خاص لهذا الغرض على مستوى كل ولاية إن أمكن وخاصة في الولايات ذات الكثافة العالية من السجناء المسلمين، وتزويد هذا الجهاز بالموارد البشرية والمادية اللازمة. وأيضا المساهمة في توفير الرعاية اللازمة للمسنين والعجزة وذوي الاحتياجات الخاصة من الأفرو أمريكانز المسلمين وغير المسلمين وذلك من خلال إدارات متخصصة وأيضا بالتعاون مع السلطات المختصة.

وبالإضافة إلى هذه المحاور فهناك أيضا المحور القانوني الذي يمكن أن يساهم في تعريف المسلمين بحقوقهم والعمل على مساعدتهم في هذا المجال، كما هناك أيضا محور العلاقة مع الإدارات والوكالات الحكومية، محور شئون الجالية عامة ومحور العلاقة مع السفارات العربية والإسلامية الذي يمكن أن يساعد في التواصل وتسهيل إجراءات الحصول على التأشيرات والمعلومات والمعاملات عامة، التجارية والمالية والدراسية وغيرها.

الباب العاشر

باراك أوباما:
الحلم الذي تحقق

باراك أوباما: الحلم الذي تحقق

حياته المبكرة:

ولد **باراك أوباما** في ٤ آب (أغسطس) ١٩٦١م في هونولولو (هاواي) لأب كيني وأم أمريكية بيضاء من ولاية كنساس. انفصل والداه عندما كان في الثانية من عمره ليعود الأب إلى كينيا وتصبح الأم مسئولة عن تربية الطفل **أوباما**. أنتقل إلى جاكارتا (اندونيسيا) صغيراً بعد أن تزوجت أمه طالباً اندونيسيا وأنجبت منه أخته غير الشقيقة مايا، ويذكر الكاتب الروائي سكوت تورو (أحد أصدقاء **أوباما**) أنه في تلك الفترة انتظم لمدة سنتين في مدرسة إسلامية ثم التحق بعد ذلك بمدرسة كاثوليكية.

اعتنق المسيحية (كنيسة المسيح المتحدة الأمريكية)، وفي عام ١٩٩٥م نشر مذكراته التي اختار لها عنوان (أحلام من أبي) (Dreams From My Father)، وتوفيت والدته بعد ذلك ببضعة أشهر متأثرة بمرض السرطان.

دراسته وعمله الخيري:

التحق بإحدى جامعات كاليفورنيا قبل أن ينتقل إلى جامعة كولومبيا في نيويورك التي تخرج فيها عام ١٩٨٣م حاصلاً على البكالوريوس في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ليعمل بعدها في مجال العمل الأهلي لمساعدة الفقراء والمهمشين، ثم عمل كاتباً ومحللاً مالياً لمؤسسة (بزنس انترناشونال كوربوريشن). انتقل للإقامة في مدينة شيكاغو عام ١٩٨٥م عندما حصل على وظيفة مدير مشروع تأهيل أحياء الفقراء وتنميتها. وفي العام ١٩٩١م تخرج في كلية الحقوق بجامعة هارفارد وعمل أستاذاً للقانون بجامعة إلينوي في ١٩٩٣م. أما ثروته فيقال أنها تصل إلى حوالي (٥١ مليون دولار).

دخوله عالم السياسة:

في العام ١٩٩٦م انتخب لمجلس شيوخ ولاية إلينوي لينخرط بشكل رسمي في نشاطات الحزب الديمقراطي، وفي تشرين الثاني ٢٠٠٤م فاز في انتخابات الكونجرس عن ولاية إلينوي حاصلاً على نسبة ٧٠٪ من إجمالي أصوات الناخبين مقابل ٢٧٪ فقط لمنافسه الجمهوري ليصبح واحداً من أصغر أعضاء مجلس الشيوخ سناً وأول سناتور أسود في تاريخ مجلس الشيوخ الأمريكي.

الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٨ م:

رشح نفسه في الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام ٢٠٠٨م وأصبح المرشح الرسمي للحزب الديمقراطي بعد معركة شرسة مع السيدة **هيلاري كلينتون** (قرينة الرئيس الأمريكي الأسبق **بيل كلينتون**). خلال حملته الانتخابية برزت اتهامات قوية ضده للتشكيك في عقيدته ووطنيته وافتتحت مدونة باللغة العبرية للترويج إلى إنه معادي لإسرائيل حيث تم افتتاح هذه المدونة في تابوز وهو أحد أشهر المواقع الشعبية الإسرائيلية كما نشرت جريدة (يديعوت أحرونوت) وموقع (واي نت) التابع لها خبراً يقول: إنها مدونة **أوباما** الرسمية، وتناقلت وسائل الإعلام هذا الخبر إلا أن مكتب حملة **أوباما** نشر بعد أيام نفياً رسمياً موضحا أن المدونة عبارة عن مبادرة فردية وتم تعديل الخبر في موقع (واي نت).

وفي خطاب له أمام منظمة أيباك المؤيدة لإسرائيل صرح **أوباما** (أن القدس ستبقى عاصمة لإسرائيل ويجب أن تبقى موحدة) مما أثار حفيظة الصحافة العربية وقام قادة فلسطينيون بانتقاد تصريحاته. وفي حديث لاحق بشبكة (CNN) التلفزيونية سئل عن حق الفلسطينيين في المطالبة بالقدس في المستقبل فأجاب أن هذا الأمر متروك للتفاوض بين طرفي الصراع، إلا أنه عاد وأكد على حق إسرائيل المشروع في هذه المدينة.

وفي ٢٧ تشرين الأول ٢٠٠٨م ألقت قوات الأمن الأمريكية في ولاية تنيسي الجنوبية القبض على شخصين من النازيين الجدد (جماعة إرهابية من المتطرفين البيض) كانا يخططان لاغتيال **أوباما** باعتباره أول أمريكي أسود يترشح لمنصب الرئيس في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

والحق يقال أن الحزب الديمقراطي انتصر على نفسه وهو يقدم مرشحين مختلفين تماما هذه المرة أولهما هو السيدة **هيلاري كلينتون** التي كان يمكن أن تكون أول امرأة تدخل البيت الأبيض رئيسة للولايات المتحدة، وثانيهما هو **باراك أوباما** الذي جاء ببرنامج مختلف تماماً ولا تعكس أجندته الصراعات المحتدمة بين الطبقات السياسية والمالية داخل الحزب، كما استطاع بقدراته الخطابية الفذة وموهبته الشعرية أن يقدم خطاباً وبرنامجاً جديدين جعلاه مثالاً للسياسي الأمريكي المنفتح على الجميع والذي يترفع عن المماحكات السياسية ويحلم ببناء بلده على أسس جديدة تتجاوز الفوارق العرقية والدينية وهذه الإستراتيجية مكنته من تغيير اتجاهات العديد من الناخبين المعتدلين من الحزبين ومن خارجهما أيضاً.

والواقع أنه ومنذ بداية السباق في الانتخابات التمهيدية للحزبين الديمقراطي والجمهوري اتجهت أنظار المسلمين والعرب، وخاصة الأمريكيين، نحو **أوباما** وربما كان السبب في ذلك هو جذوره الأفريقية الإسلامية ومعارضته للحرب على العراق وتبنيه لأجندة سياسية تحترم الحقوق المدنية لجميع سكان أمريكا والتزامه بتحسين صورة وعلاقة بلده بالعالمين الإسلامي والعربي اللذين تأثرا كثيراً من السياسات المتهورة للرئيس **جورج بوش**، ليبدوا **أوباما** للكثيرين وكأنه المخلص الوحيد من هذه السياسات الظالمة. وربما ما ساعد على تعزيز هذه الانطباعات تأكيدات **أوباما** المتكررة بأن قناعاته الأخلاقية والسياسية نابعة من إيمانه بأن أمريكا بلاد لها رسالة كونية تؤهلها لقيادة العالم نحو السلام والديمقراطية والمفاوضات المباشرة لحل الأزمات التي تهدد مستقبل الحياة في كوكب الأرض.

ولكن الواقع يقول: أن الكثير من المسلمين اهتزت صورة **أوباما** لديهم عندما وقف خطيباً أمام مؤتمر اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة ليعلن أن القدس عاصمة إسرائيل وأنه سيدافع بكل ما أوتي من قوة عن ربيبة أمريكا، وأن أمنها وتزويدها بالأسلحة المتطورة من أولويات سياسته الخارجية إذا ما أعتلى كرسي الرئاسة. هذه التعهدات أثارت استياء الشارعين الإسلامي والعربي بل فاجأت البسطاء فيهما لكنها كانت بالنسبة للسياسيين والمراقبين العارفين ببواطن الأمور من بديهيات السياسة الأمريكية، لأن من يريد الوصول إلى البيت الأبيض لابد أولاً أن يحظى بدعم اللوبيات وأولها وأخطرها (أيباك)، لاسيما وهناك من يقول: أن هذه اللوبيات هي صانعة الرؤساء الأمريكيين.

لكن وبرغم كل ذلك يظل **باراك أوباما** هو الأمل والحلم الذي تحقق لكل المستضعفين في الأرض، والبشارة بغد أفضل بإذنه ﷻ للبشرية جمعاء، فهو ومنذ دخوله البيت الأبيض وفي كل يوم يؤكد حقيقة أنه رمز من رموز الحلم الأمريكي بعالم تسوده مباديء الحرية والعدالة والديمقراطية وتقوده أمريكا.

أوباما الأبيض في البيت الأسود[1]

وأخيرا دخل **أوباما** الأبيض إلى البيت الأسود وكتب الناس في أنحاء العالم عن هذا الفوز الساحق وهذا الرجل الباهر. لكنهم في مجملهم صنفوه على أنه أول رجل أسود يدخل إلى البيت الأبيض، لكن من وجهة نظري فإنني أعتقد عكس ذلك تماما، فهذا أول رجل أبيض يدخل البيت الأسود رئيسا لأمريكا، **فأوباما** نشأ حياة بيضاء وولد من أسرة مكافحة شقت طريقها بصورة مشرقة بيضاء.

تعليمه كان أبيض.

- شهد له أساتذته بأن كل ما فيه أبيض من سيرة وجدية وحسن خلق وقدرة على التعامل والحوار مع الآخر.
- جامعاته التي تخرج منها (كولومبيا) و(هارفارد) شهدت له بتلك السيرة البيضاء.
- أثبت خلال عمله قبل أن يدخل عالم السياسة بأنه ذو فكر أبيض ناصع وقلب أبيض ونظرة مشرقة للحياة واحترام للآخر.
- المحامون الذين عمل معهم وزاملهم قدموا له الجوائز وشهدوا له بالاحترام، فكانت صفحته بيضاء.

كل هذا يدل على انه رجل أبيض، كل ما فيه أبيض أما هذا اللون فلا يقدم ولا يؤخر في هذا العصر الذي نحن فيه ورحم الله شاعرنا الذي قال:

ما قيمة المرء في لون يجمله إلا الغواني ذوات البين والبان

وفي رأيي فإن **أوباما** هذا الأبيض وتاريخه الناصع وبشرته القمحية السمراء دخل إلى البيت الأبيض بعد أن سوده بوش وجعل كل ما فيه أسودا فهو الذي:

- قطع علاقة أمريكا بعدد من دول العالم.
- هز اقتصاد بلاده وأساء إلى سمعتها ومكانتها بين الشعوب.
- أشاع نوعاً من الكراهية للشعب الأمريكي الذي كانت شعوب العالم تحترمه وتقدره.
- احتال على القوانين واستغل الثغرات وسجن الآلاف من الناس في جوانتانامو وغيرها وعذبهم.
- جاءت الكارثة الاقتصادية الأخيرة لتكون شاهدا على هذا السواد الذي لطخ به بوش البيت الأبيض.
- فمن هنا أقول أن **أوباما** رجل أبيض جاء إلى البيت الأسود بعد أن سوده بوش بأفعاله وتصرفاته التي أضرت بسمعة بلاده ومصالحها الحيوية والإستراتيجية أبلغ الضرر.

---

١) هذا الجزء نشرته لي جريدة الشرق الأوسط كمقال في نوفمبر ٢٠٠٨م.

- كذب الرئيس بوش وخدع شعوب العالم كما خدع شعبه وركب موجة الضجيج الإعلامي وانكشف أخيرا بعد أن أضر باقتصاد بلده بل واقتصاد العالم أجمع وبعلاقات دول العالم بأمريكا.

ومن ينظر بعمق في وصول **أوباما** إلى منصب الرئيس الـ (٤٤) للولايات المتحدة الأمريكية وبهذا الزخم الانتخابي وهذا الانتصار يحس بأنه جاء على جناح اقرأ. نعم لقد جاء **أوباما** على جناح اقرأ وأنعم به من جناح فكان لا بد له أن يفوز وينجح. لأنه راهن منذ البدايات على قيمة وأهمية العلم والتعليم فلم يخذلاه بل أهلاه ليتبوأ هذا المنصب الرفيع كأول رجل أسود يدخل البيت الأبيض رئيساً للولايات المتحدة.

نعم فاز **أوباما** برغم كيد المتربصين والحاقدين والمرجفين من صقور الحرب وأعداء الحلم الأمريكي بعالم يمضى على قدمين، تسوده الحرية والمحبة والديمقراطية والسلام وتقوده أمريكا. فاز **أوباما** برغم الحرب الشرسة التي تعرض لها والحملات المحمومة التي رافقت حملته الانتخابية والتي استهدفت التشكيك في عقيدته ووطنيته وقدراته. تلك الحملات الترويعية التي استمرت حتى والناخبون يتوجهون نحو صناديق الاقتراع. قالوا عنه وفيه ما لم يقله مالك في الخمر ودفعوا الملايين من أجل الحيلولة بينه والوصول للبيت الأبيض لكنه فاز وكان يجب أن يفوز ليقول لمن عادوه وحاربوه وشككوا في قدراته لأسباب عنصرية بحتة: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

هذا هو **باراك أوباما** الذي لم يكن أحد يعرف حتى مجرد اسمه قبل عامين فقط من الآن، بل لم يكن أكثر الناس تفاؤلاً يتوقع حتى العام الماضي أن يصل رجل أسود إلى سدة الحكم رئيساً للولايات المتحدة في المستقبل المنظور، فإذا **بأوباما** يحقق الحلم ويقهر المستحيل ليصبح اسمه ما بين عشية وضحاها أنشودة وأهزوجة تتغنى بها الملايين من الشعوب المقهورة والمستضعفة في أمريكا وفي أفريقيا وآسيا وغيرها من بلاد الله الكثيرة. جاء **أوباما** كفارس قادم من الزمن الجميل والأساطير المعتّقة، بعنفوان الشباب وشباب العنفوان، لينتشل أمريكا من قمقم الشيخوخة الذي كانت تسير فيه ويأخذها إلى رحاب الصبا وزهو الشباب.

فالخامس من نوفمبر ٢٠٠٨م كان وسيظل يوما مشهوداً ليس في تاريخ الولايات المتحدة فحسب بل في تاريخ البشرية المتعطشة لعالم أفضل يسوده الحب والسلام. لهذا كان هذا التاريخ علامة فارقة ومشرقة في موكب الحضارة الإنسانية، وسيتوقف الناس عنده طويلاً بالتحليل والدراسة والإكبار لاستلهام العبر والدروس. كيف حدثت المعجزة؟ وكيف فاز هذا الفتى النحيل ذلك الفوز الكاسح الباهر، وهو القادم من رحم الفقر والحرمان فأبوه، **حسين أوباما**، لم يورثه مالا أو جاها ولكن أعطاه ما هو أهم وأغلي من ذلك ممثلا في ذكاء خارق متوقد وعزيمة لا تلين ونفس أبية لا تعرف المستحيل. نعم فهذا الشبل من ذاك الأسد كما يقولون، فقد كان والده رجلا بسيطا من رعاة الشاة في كينيا لكن حباه الله بدرجة عالية من الذكاء وقوة الإرادة، وما يؤكد ذلك فوزه بمنحة مجانية للدراسة الجامعية في أمريكا متفوقا على من أمضوا السنوات الطوال في الدراسة والتعليم، وكانت ثمرة تلك المنحة الدراسية وزواجه من زميلته (ستانلي آن) الأمريكية البيضاء أن جاء إلى الوجود الصغير **أوباما** الذي يحمل بين جنبيه بعض ملامح القارة السمراء وكل أحلامها النبيلة في الحياة الحرة الكريمة والأمن والاستقرار والسلام. فقد جلسنا طوال ساعات النهار لذلك اليوم البهيج نتابع (ونحن مشدوهين) أجهزة التلفاز وهي تنقل الحدث الرائع ومراسم الفرح والاحتفالات التي وحدت شعوب العالم عند إعلان فوز **أوباما** في الانتخابات الأمريكية. شاهدنا جميعا ذلك الكرنفال المتحرك من الحب والإعجاب ومظاهر الفرح التي عمت الشوارع والمدن من بكين الصين إلى سان فرانسيسكو. كل يعبر عن فرحته بطريقته الخاصة، حيث اختلطت وفي صورة قل أن تتكرر دموع الفرح بالابتسامات وبالأهازيج والرقص العفوي وتبادل التهاني والقبلات. شاهدنا صورا للاحتفالات

في كل مكان. شاهدنا كيف بكى القس **جسي جاكسون**[١] وكأنه يسترجع كلمات خطاب الدكتور **لوثر كنج** الذي ألقاه أمام مسيرة الزحف الكبير في العام ١٩٦٤م الذي بدأه بعبارة (عندي حلم) (I have a Dream) عندما قال على وجه التحديد:

(أحلم بهذا اليوم الذي يستطيع فيه أحفاد العبيد السابقين وأحفاد السادة القدماء أن يجلسوا على مائدة الأخوة في التلال الحمراء لجورجيا. أحلم بذلك اليوم الذي سيعيش فيه أطفالي الأربعة في وطن لا يقيمون فيه بلون بشرتهم أو يُعيرون به. ولكن يقيمون فيه بقدراتهم).

ولعل **جاكسون**، الذي كان يمني النفس بتحقيق حلم لوثر، جالت بخاطره في تلك اللحظات الكلمات الافتتاحية ل**لوثر كنج** من خطابه الشهير وهو يقول بصوت متهدج أضناه التعب وأثقلته الجراح (اليوم نجتمع هنا مساء لكي نقول لمن استخف بنا طويلا: لقد تعبنا. تعبنا من العنصرية، تعبنا من قسوة الظلم).

جاء **أوباما**، هذا الفتى العصامي القادم من غياهب المجهول والحرمان ليقول للجموع وللعالم أجمع خلال أول لقاء له بالجماهير بعد إعلان فوزه الساحق (إن دماء لنكولن و**كنيدي** و**لوثر كنج** و**مالكولم إكس** لن تضيع هباء. وأن الولايات المتحدة التي أنجبت الأشرار من أعداء الحلم الأمريكي، هي نفسها التي أنجبت **مارتن لوثر** وروزا باركس[٢] و**مالكولم إكس** ومحمد على كلاي وغيرهم من الشرفاء الذين أصبحوا أعلاماً يشار إليهم بالبنان في قافلة الحضارة البشرية).

نعم يبكي **جاكسون** فرحاً وحق له، فما تحقق في الولايات المتحدة خلال أقل من أربعين عاما هو شيء يشبه المعجزات. لذلك وقف **أوباما** وبكل العزة والشموخ ليقول لمؤيديه ومعارضيه: إن آباء الجنود الأمريكيين الموجودين في العراق ينتظرون بفارغ الصبر عودة أبنائهم. لا مكان اليوم وبعد اليوم للبغضاء والأحقاد وتصفية حسابات مضت عليها عشرات بل مئات السنين. لا عودة للوراء والوطن فيه متسع للجميع وقد دقت ساعة العمل للتغيير، التغيير الذي اختاره **أوباما** شعاراً وإزارا ودثارا.

قال الرئيس الجديد للولايات المتحدة في أول خطاب له: (إن الأمريكيين بعثوا برسالة إلى العالم مفادها أننا لم نكن مطلقاً مجرد مجموعة من الولايات الحمراء (لون الحزب الجمهوري) والولايات الزرقاء (شعار الحزب الديمقراطي)، بل كنا وسنظل دوماً الولايات المتحدة الأمريكية)، وأضاف (إذا كان هناك من يشك بالحلم الأمريكي: فالأمريكيون بعثوا برسائل إلى العالم تقول: إننا لسنا مجموعة أشخاص من مختلف أنحاء العالم بل نحن الولايات المتحدة الأمريكية). وتابع يقول: (نحن نضع أقدامنا على عتبة التاريخ الليلة بفضل ما حققناه ولقد وصل التغيير إلى أمريكا). وركز **أوباما** في كلمته على التحديات الماثلة داخليا وخارجيا وهو يقول: (إن الطريق أمامنا طويل والمرتفعات عالية حيث يعاني بلدنا من حربين وأسوأ أزمة مالية يشهدها في هذا القرن)، ولعله كان يشير بذلك إلى التركة المثقلة التي ورثها عن بوش الابن.

وعموما فإن أهم المحطات بل والدروس التي تستحق الوقوف عندها من إفرازات هذه الانتخابات الأمريكية الأخيرة ما يلي:

١) هي أول انتخابات رئاسية أمريكية تحظى بمثل هذا الاهتمام العالمي وهذا الزخم الإعلامي حيث ظلت عشرات

---

١) جسي جاكسون أحد أبرز نشطاء حركة الحقوق المدنية للأمريكيين السود بل اعتبره الكثيرون الوريث الشرعي لمارتن لوثر كنج خلال حقبة السبعينات والثمانينات من القرن الماضي وقد ترشح لمنصب الرئاسة الأمريكية أكثر من مرة ولم يحالفه التوفيق.

٢) حائكة شابة تحدت قوانين الفصل العنصري ورفضت إخلاء مقعدها في الحافلة لرجل أبيض فكان عقابها السجن لكنها دخلت التاريخ من أوسع أبوابه لأنها وبذلك التصرف العفوي البسيط أشعلت الشرارة لانتفاضة عارمة حيث قاطع السود الحافلات العامة بعد تلك الواقعة لأكثر من عام كامل مما أدى في نهاية الأمر لإلغاء نظام حق الجلوس للبيض فقط.

القنوات في مختلف أنحاء العالم تنقل الحدث مباشرة من واشنطن العاصمة والعديد من المدن الأمريكية لحظة بلحظة وعلى مدى يومين كاملين، قبل بدء إدلاء الناخبين بأصواتهم وحتى بعد إعلان النتائج بعدة ساعات.

٢) استطاع **أوباما** الفوز بعدد من الولايات المعروفة بولائها التاريخي والتقليدي للجمهوريين وعلى رأسها ولايتي فلوريدا وأوهايو، وهذا تحول هام في خارطة الولاءات السياسية والحزبية ودليل حي على الرقي والفهم المتقدم للناخب الأمريكي والشعب الأمريكي الذي وضح جلياً أنه شعب يجيد القراءة ويحبها ويعرف أن الإدلاء بالصوت هي أمانة وواجب وطني، فيعطى الفرد صوته لمن يتوسم فيه الكفاءة والقدرة على حل مشكلات الوطن ويحافظ على مصالحه العليا ويحميها، ويعمل أيضا على تحسين الظروف الحياتية ويقدم برنامجاً طموحاً بواقعية تلبي تطلعات رجل الشارع الأمريكي العادي وليس لمن يقدم الوعود الزائفة البراقة. وقد أثبتت هذه الانتخابات والنتائج التي أسفرت عنها قمة الوعي والتحضر حيث وضح أن الولاء للوطن مقدم على غيره من الولاءات: الحزبية أوالجهوية، العقائدية أو العنصرية، وهذا هو بيت القصيد ودرس آخر يلزمنا في العالمين الإسلامي والعربي بل وفي دول العالم الثالث عامة أن نتعلم منه. وقد نتج عن ذلك أن حقق **أوباما** فوزا كاسحا على منافسه الجمهوري جون ماكين، فوز لم يحققه رئيس آخر خلال العقدين الماضيين. ولعل الغريب والملفت، حتى إذا افترضنا أن السود الأمريكيين الذين شاركوا في العملية الانتخابية أعطوا كل حصتهم التصويتية **لأوباما**، فإن هذه الحصة وهى لا تزيد أصلا عن ١٢ مليون ناخب، ما كانت لتكفي وحدها لفوزه لأنها تعادل فقط نسبة ٢٠- ٢٢٪ من إجمالي الأصوات التي حصل عليها **أوباما** فعليا، مما يعني أن شرائح أخرى كثيرة ساهمت في فوز **أوباما** ولعل أهمها أنه استطاع أن يستقطب إليه معظم أفراد الأقليات العرقية المضطهدة والمهمشة أو المغيّبة أمثال الهنود الحمر والمهاجرين الجدد والهسبانيك علاوة على منسوبي الطبقتين المتوسطة والفقيرة وشريحة ما دون الطبقات، بل الأغرب من ذلك استطاع **أوباما** أن يجتذب إليه مئات الآلاف من الناخبين الجمهوريين وبعضهم شغل مناصب دستورية رفيعة أمثال **كولن باول** وغيره. ولعله من نافلة القول التذكير أيضا بأنه تفوق على منافسه الجمهوري جون ماكين بأكثر من أربعة ملايين صوت في المحصلة الشعبية، وأكثر من ٣٢٠ صوت في التصويت النيابي مقابل نحو ١٤٥ صوتا لماكين وهذا ما لم يتوقعه أحد حتى استطلاعات الرأي التي جرت في اللحظات الأخيرة قبل بدء عملية الاقتراع.

٣) أصبحت الولايات المتحدة حتى قبل إعلان نتائج هذه الانتخابات الأخيرة هي بحق بلد الفرص المتساوية كما صرح بذلك **أوباما** قبيل وبعد فوزه ولعلها بذلك قدمت النموذج والمثل الأعلى لدول أوروبية كثيرة تفوقها عراقة وتبجحا بالنهج الديمقراطي لكنها لا تستطيع أن تقبل وحتى الآن مجرد فكرة رئيس أسود حتى لو جاء عن طريق صناديق الاقتراع.

٤) قدمت الولايات المتحدة الأمريكية درساً بليغا وأنموذجا رائعا لدول العالم وشعوبه في كيفية التعاطي الراقي مع المسألة الانتخابية بروح مفعمة بالوعي والتحضر والتسامح، فقد انطلق **أوباما** بسرعة الصاروخ من العدم ومن عالم اللا

شيء ليصبح اسمه ما بين يوم وليلة على كل لسان ثم كان أن اختار منافسته السيدة كلينتون وزيرة للخارجية برغم كل ما كان بينهما من خلاف خلال الانتخابات الحزبية.

لقد احتاجت الولايات المتحدة لأكثر من مائة عام بعد استقلالها عن بريطانيا في ١٧٧٥م لتمنح الرقيق حريتهم من خلال القرار التاريخي الشجاع الذي أصدره الرئيس لنكولن في العام ١٨٦٢م ليدخل حيز التنفيذ في الأول من يناير ١٨٦٣م، ذلك القرار الذي أدى لنشوب الحرب الأهلية الأمريكية التي حصدت مئات الآلاف من الأرواح. واحتاجت حركة الحقوق المدنية للسود لأكثر من مائة عام أخرى (١٨٦٣م – ١٩٦٨م) للقضاء على مظاهر التمييز العنصري التي حلت بديلا لنظام الرق والعبودية الملغي، وذلك بإصدار قانون الحقوق المدنية للسود في العام ١٩٦٨م. وكان المتوقع والمنتظر أن تنتظر الولايات المتحدة على الأقل مائة عام أخرى اعتبارا من العام ١٩٦٨م حتى يتحقق الحلم والخطوة الأخيرة في مسيرة (إذا الشعب يوما أراد الحياة) بانتخاب رجل أسود رئيسا للولايات المتحدة، هكذا يقول المنطق وتقول حركة التاريخ ولكن. حدثت المعجزة وفاز **أوباما** بعد أربعين سنة بالضبط من تاريخ التوقيع على قانون الحقوق المدنية الكاملة للسود. فكيف حدثت هذه المعجزة؟؟

فيما يلي أحاول الإجابة على هذا السؤال وأبدأ بالقول:

أولاً: إن التوفيق من الله ﷻ أولا وأخيرا وهو جل وعلا صاحب الأمر كله، إن أراد شيئا أن يقول له (كن) فيكون. وأن فوز **أوباما** كان تتويجاً بل نتيجة طبيعية لحركة نضال ضد الظلم استمرت أكثر من مائتي عام، قدم خلالها الشرفاء من أبناء أمريكا الغالي والرخيص.

ثانياً: **أوباما** وكما ذكرت سابقا جاء على جناح اقرأ لكن وكما هو معلوم فإن التعليم ومهما ارتقي الفرد فيه لا يكفي وحده ولا يرتقى بصاحبه تلقائيا إلى الدرجات العُلا ما لم يرافقه الطموح والعزيمة والإرادة القوية والذكاء واستغلال الفرص المتاحة وعلاوة على ذلك الالتزام بمكارم الأخلاق، وكل هذه الصفات الفطرية والمكتسبة توفرت أو توفر معظمها على الأقل في شخص **أوباما**، وزاد عليها حلاوة اللسان والموهبة الشعرية والشخصية الكارزماتيكية القيادية، ثم لونه الأسمر الذي امتزج فيه الشرق بالغرب، علاوة على شبابه الغض ومقدرته الفائقة على تحريك المشاعر، فكأنه قادم من الزمن الجميل ليذكر الناس بالعظماء أمثال لنكولن و**مالكولم إكس** ونلسون مانديلا. ولعل من غرائب الصدف أن هناك الكثير الذي يجمع بينهم من حيث السحنة والتقاطيع وحتى طول القامة والنحافة، وبالنسبة للنكولن و**أوباما** بالذات فكلاهما عمل في مجال المحاماة والقانون قبل اشتغاله بالسياسة وانتخابه رئيسا للولايات المتحدة، وهذا في حد ذاته يدعونا لرفع الأكف بالدعاء المخلص ألا يكون مصيره كمصير لنكولن.

ثالثاً: هذا الفوز جاء أيضا نتيجة طبيعية للمناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي ظلت تعيشه الولايات المتحدة منذ سنوات والذي بلغ ذروته مؤخرا من خلال الأزمة الاقتصادية التي ضربت الاقتصاد الأمريكي في مقتل وعجلّت بنهاية **جورج بوش** وحزبه الجمهوري الذي قد لا تقوم له قائمة عن قريب بسبب السياسات الرعناء التي انتهجها بوش والتي أوردت الولايات المتحدة موارد التهلكة وأضرت بسمعتها وصورتها في العالم الخارجي وبدرجة لا يمكن إعادتها لما كانت عليه إلا بمجهودات خارقة خاصة فيما يتعلق بالأوضاع في العراق وأفغانستان والصومال ومعتقلات غوانتنامو وغيرها.

رابعاً: فاز **أوباما** لأنه قدم خلال حملته الانتخابية برنامجا طموحا بواقعية للإصلاح الاقتصادي والإعفاءات الضريبية منحازا إلى الطبقتين الفقيرة والمتوسطة ولشريحة ما دون الطبقات من سكان القيتو وهؤلاء جميعا يمثلون حوالي ٨٠٪ من التركيبة الديموغرافية للولايات المتحدة، ولعله وفي أول خطاب رسمي له بعد تتويجه أعلن أن كل من لا يتجاوز دخله ٢٠٠,٠٠٠ (مائتي ألف) دولار في العام لن يخضع لضريبة الدخل.

خامساً: **أوباما** رفع شعار التغيير والإصلاح فكان لابد أن يستجيب له الملايين وخاصة من الشباب والمسحوقين من فئات المجتمع علاوة على الأقليات المضطهدة كما ذكرت سابقا، لاسيما وهو قد جاء من صميم الشارع الأمريكي العادي، محمولا على صهوة العلم والفكر والتجديد والشباب وليس على أكتاف المال والجاه والسلطان. جاء **أوباما** ليقول للجميع أنه سليل المجد عن **مارتن لوثر** و**كنيدي** و**مالكولم إكس** و**قارفي**[1] ولنكولن وقد جاء ليعيد للولايات المتحدة ألقها وبريقها كقوة عظمى بحق، تقف مع الحق وتدافع عنه ومهما كان الثمن.

سادساً وأخيرا: فوز **أوباما** جاء نتيجة لانحياز الشارع الأمريكي بمختلف ألوان طيفه لعنصر الشباب والتغيير والوسامة. ولعل لونه قد ساعده أيضا إذ أن البعض من الذين أعطوه أصواتهم فعلوا ذلك بتأنيب من الضمير والشعور بعقدة الذنب تجاه السود وتكفيراً عما ارتكبه الأجداد.

ولئن كانت من كلمة أخيرة فإنني أقول أن بوش قد خدم **أوباما** من حيث لا يدري وحطم جوانب كثيرة من جوانب حزبه الجمهوري، كما أود أن الفت نظر هؤلاء الذين ينتظرون من **أوباما** الخوارق قائلاً: (يجب ألا تتوقعوا منه الكثير أو تغييرا فوريا في السياسات الأمريكية لأن هذه السياسات لا تتغير بتغير الرؤساء وما بين يوم وليلة. ويكفي أنه قد شرع في تحسين صورة أمريكا في الخارج وخاصة فيما يتعلق بعلاقاتها مع العالمين الإسلامي والعربي وذلك فور تسلمه مقاليد الأمور، وهذا ما لم يحدث في عهد أي من الرؤساء السابقين الذين كان الاهتمام بهذه القضية عندهم يأتي متأخرا وفي كثير من الأحيان خلال الولاية الثانية. ولعل من تابعوا الخطاب التاريخي الذي وجهه للأمتين الإسلامية والعربية من جامعة القاهرة في يونيو ٢٠٠٩م لاحظوا اللهجة الجديدة التي تحدث بها والتي تختلف تمام الاختلاف عن لهجة سلفه، ورغبته الواضحة في بناء أسس جديدة للعلاقة الإسلامية الأمريكية والعربية الأمريكية، تكون مبنية على الاحترام المتبادل ولغة الحوار لهادف البناء، ولعلي أستشهد هنا بما جاء على لسانه في ذلك الخطاب وهو يقول: (أن الإسلام كان دائما جزءا لا يتجزأ من قصة أمريكا)، وأضاف قائلاً: (يقاتلون في حروبنا ويخدمون داخل الحكومة ويدافعون عن الحقوق المدنية ويؤسسون المؤسسات التجارية، كما يقومون بالتدريس في جامعاتنا ويتميزون في الساحات الرياضية ويفوزون بجوائز نوبل ويبنون أكثر مبانينا ارتفاعا ويشعلون الشعلة الأولمبية)، وقال **أوباما**: (يوجد مسجد داخل كل ولاية من الولايات المتحدة وهناك أكثر من ١٢٠٠ مسجد داخل حدودنا، ليس هناك من شك أن الإسلام هو جزء لا يتجزأ من أمريكا).

وعليه فإن علينا في العالمين العربي والإسلامي، في آسيا وأفريقيا وكل دول العالم المحبة للسلام أن نرفع الأكف بالدعاء له بالتوفيق على طريق الحق والخير وتحقيق السلام العادل لكل الأمم والشعوب.

---

١) ماركوس قارفي (١٨٨٧م – ١٩٤٠م) شاعر ثائر جامايكي الأصل قاد حركة النضال ضد مظاهر التفرقة العنصرية وتعرض للسجن وأخيرا الإبعاد من الولايات المتحدة كما تعرضت له بالتفصيل في جزء سابق.

أوباما والعالم الإسلامي

الممكن والمطلوب من الطرفين لإعادة رسم خارطة الطريق

جاء في الأخبار أن **أوباما** وفور استلامه مهامه الرئاسية ظهر الثلاثاء الموافق للعشرين من يناير ٢٠٠٩م حرص على إرسال جملة من الرسائل العاجلة إلى العالم الإسلامي وذلك في بادرة إيجابية لإظهار حسن النوايا والرغبة في الحوار البناء والعمل المشترك لمصلحة الطرفين. هذه الرسائل يلزمنا حكاما وشعوبا أن نقرأها بعناية وروية والتفاعل معها وذلك لأهميتها وأهمية المرحلة التي قد تشكل منعطفا بالغ الأهمية وعلامة فارقة في تاريخنا المعاصر ومستقبل العلاقات مع الغرب عامة، مما يضاعف من أهمية التعاطي الجاد والموضوعي لمدلولات هذه الرسائل ومكنوناتها، للاستفادة القصوى من هذه السانحة التي جاءت إلينا على طبق من ذهب خاصة إذا نظرنا بعمق وشفافية إلى الواقع المزري والدرك السحيق الذي هوت إليه أمتنا والتحديات التي تواجهها وتكاد تعصف بها، فكان طبيعيا أن يتداعى عليها غثاء الشعوب والأمم كما بشر بذلك الحبيب المصطفى والذي لا ينطق عن الهوى في الحديث النبوي الشريف (يوشك أن تداعى عليكم الأمم).

وفي ظل التركة المثقلة التي ورثها **أوباما** عن سلفه داخليا وخارجيا والمستوى المتردي الذي وصلت إليه سمعة أمريكا وصورتها في العالم أجمع وخاصة في العالمين الإسلامي والعربي بسبب السياسات الرعناء للرئيس السابق **جورج بوش** الذي لطخ سمعة أمريكا وشوه صورتها ومصداقيتها ضاربا عرض الحائط بكل المواثيق والأعراف المتعلقة بالعدل والمساواة وحقوق الإنسان تحت ستار مكافحة الإرهاب.

وحيث وصلت العلاقة بين أمريكا والعالم الإسلامي إلى درجة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها (حالة الاحتقان) كما وصفها الأخ الدكتور **بدر الدين عطية**[1]، في حين يرى آخرون أن المسألة وصلت لدى رجل الشارع الإسلامي العادي لأكثر من ذلك مما ينذر بأن تتحول مشاعر الغضب والاستياء إلى ثقافة متأصلة وعداء سافر، بل ربما مواجهة حتمية كما يبشر بذلك **فوكوياما** ومن يسيرون على نهجه ما لم يحدث تغيير إيجابي ملموس في السياسات الأمريكية تجاه العالم الإسلامي وشعوبه. وإذا استعرضنا الرسائل التي بعث بها **أوباما** إلى العالم الإسلامي كما أوردها الدكتورعطية فإنها تتلخص في الآتي:

١) القرار الشجاع من **أوباما** بوقف المحاكمات لمعتقلي جوانتنامو لمدة أربعة أشهر لحين مراجعة ملف الموضوع برمته، وإغلاق المعتقل خلال عام واحد[2]، مع إغلاق السجون السرية التي تديرها وكالة المخابرات المركزية في عدد من الدول الأوروبية والأسيوية وبما في ذلك العراق وأفغانستان وبعض دول الكاريبي.

٢) تعيين السناتور **جورج ميتشل** مبعوثا خاصا لشؤون الشرق الأوسط والسفير رتشارد هولبروك مبعوثا خاصا لشؤون أفغانستان وباكستان، ومعروف أن هذين الرجلين يعدان من أكفأ الدبلوماسيين الأمريكيين في الوقت الحاضر، ولهما إسهامات مقدرة في حل الصراعات في البوسنة وايرلندا، علما بأن السناتور ميتشل كان قد أعد تقريرا متكاملا عن قضية فلسطين في أواخر فترة كلينتون إلا أن الرئيس بوش لم يلتفت إليه.

٣) إصدار **أوباما** للقرارين بتعيين المبعوثين المذكورين أعلاه خلال المؤتمر الصحفي الذي عقده داخل أروقة وزارة

١) المقال بعنوان (ست رسائل من أوباما للمسلمين (الذي نشرته جريدة البلاد السعودية بتاريخ ٢٠٠٩/١/٣٠م.

٢) أثناء الطباعة لهذا العمل جاء في الأخبار أنه تحدد تاريخ ١٠١٠/١/٢٢م موعدا نهائيا لإغلاق المعتقل.

الخارجية الأمريكية مما اعتبره المحللون إشارة صريحة لنية الرئيس الجديد فتح صفحة جديدة وتحسين العلاقات مع العالم العربي، حيث من المعروف أن وزارة الخارجية الأمريكية هي المعقل للمتعاطفين مع وجهة النظر العربية، في حين تعتبر وزارة الدفاع (البنتاجون) معقلا للمتعاطفين مع وجهة النظر الإسرائيلية (صقور الحرب).

٤) إعلان **أوباما** أنه آن الأوان لترك العراق لشعبه وأنه سيقوم بسحب القوات الأمريكية من العراق خلال ١٦ شهرا كما بدأت الأطقم العسكرية والإدارية الإعداد لذلك فعليا.

٥) إعلان **أوباما** عزمه على التفاوض مع إيران من خلال انتهاج أسلوب الحوار بدلا عن التلويح والتهديد باستخدام القوة لحل قضية السلاح النووي الإيراني، وإيعازه أيضا للرئيس الأفغاني بالتفاوض مع طالبان مما يعني بوضوح جنوحه إلى السلم وأسلوب الحوار والتفاوض بديلا للخيار العسكري.

٦) حديث **أوباما** ضمن خطاب تنصيبه عن طريق جديد إلى الإمام مع المسلمين، على أساس المصالح المشتركة والاحترام المتبادل وتأكيده على ذلك وهو يقول: (لا بد أن ننهض ونزيل التراب من أنفسنا ونبدأ ثانية العمل لإعادة صنع أمريكا).

هذه الرسائل تشير بوضوح إلى أن **أوباما** يمد يده إلينا بيضاء من غير سوء ويحاول إظهار حسن النوايا لرأب الصدع وفتح صفحة جديدة للعلاقات الأمريكية العربية والأمريكية الإسلامية إذ أنه بدأ ولايته بالتركيز على قضايانا الساخنة في العراق وفلسطين وأفغانستان وإيران وقضية ما يسمى بالحرب على الإرهاب مقدما إياها على القضايا الداخلية مما يشير إلى اهتمامه وجديته في تطبيع العلاقات أولا، وأن هذه القضايا تأتي عنده قبل ملفات كوريا وكوبا والصين والصومال وكشمير وغيرها. ومعنى هذا أن الرجل يضع الكرة في ملعبنا كما يقولون وعلينا أن نلتقط القفاز لنولي هذه الرسائل ما تستحق من اهتمام وتجاوب واضعين نصب أعيننا الحقائق الجوهرية والموضوعية عند التعاطي مع مثل هذه القضايا الشائكة ومنها على سبيل المثال:

أولا: أن إظهار حسن النوايا وإصدار القرارات وحدهما لا يكفيان بالطبع ما لم يصاحبهما تطبيق على أرض الواقع لترجمة الأقوال إلى أفعال وهذا ما سوف تكشف عنه الأيام والأشهر القادمات إن شاء الله.

ثانيا: أن الثلاثة أشهر الأولى من ولاية أي رئيس ليست كافية ولا تعتبر مقياسا للحكم له أو عليه، وعلينا عدم التسرع في اتخاذ مواقف عدائية تجاه **أوباما** لاسيما وأن الرجل لديه أولويات يجيء على رأسها الأزمة الاقتصادية الطاحنة وحالة الكساد وارتفاع معدلات البطالة في الولايات المتحدة حيث تشير الإحصاءات إلى أن حوالي نصف مليون أمريكي يفقدون وظائفهم شهريا منذ بداية العام ٢٠٠٩م.

ثالثا: علينا في العالمين الإسلامي والعربي ألا نتوقع الكثير مما نشتهي ونأمل من **أوباما** خاصة خلال فترة ولايته الأولى هذه وذلك في ظل بعض الحقائق والاعتبارات المعروفة ولعل أهمها:

أ/ أن **أوباما** ما يزال يواجه حملة التشكيك في عقيدته وهناك خصوم يتربصون به ويحاولون استغلال أي فرصة للترويج من جديد لانتمائه للإسلام، ولعلنا نذكر ذلك الاتهام الذي ظل يطارده فترة من الوقت خلال حملته الانتخابية وأن الرجل بذل الكثير من الوقت والجهد والمال لنفي هذه المزاعم وتهدئة خواطر الناخبين، فليس معقولا والحال كذلك أن يتجاوز الخطوط الحمراء ويثبت على نفسه وبنفسه هذه الاتهامات ليعرض حياته ومصداقيته ومستقبله السياسي للأخطار من أجل الإسلام والمسلمين.

ب/ أن السياسات الخارجية للولايات المتحدة مرسومة بدقة داخل قوالب وأطر متفق عليها منذ عهود بعيدة ولا يمكن لأي حزب أو رئيس أمريكي أن يغير هذه السياسات أو يحيد عنها خاصة إذا تذكرنا حقيقة أن الولايات المتحدة هي دولة المؤسسات الدستورية وليس الأفراد، وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية مثلا فإن الموقف الأمريكي الثابت هو الدعم والانحياز الكامل لإسرائيل واعتبار أن الولايات المتحدة مسئولة مسئولية كاملة عن أمنها والدفاع عنها بالحق وبالباطل، وأن يظل ميزان القوى في المنطقة لصالحها، ومن هذا المنطلق وهذه الثوابت علينا عدم الإفراط في التفاؤل كما علينا أن نعرف ونعترف بأن الهامش الذي يمكن **لأوباما** – أو لأي رئيس أمريكي قادم – التحرك فيه، هو هامش ضيق وبالتالي لا يجوز أن نتوقع معه تغييرا جذريا في الموقف الأمريكي الرسمي.

رابعا: يجب أن نعي جيدا حقيقة أن المعركة التي نخوضها حاليا سواء كانت مع إسرائيل أو بعض الدوائر الغربية هي ليست معركة عسكرية فقط بل هي حرب شاملة وعلى جميع الجبهات والمستويات: الاقتصادية والثقافية والإعلامية والأخلاقية والدينية والنفسية، وهي لم تعد سباقا مع إسرائيل للتسلح فقط بل وأيضا معركة إعلامية لكسب وحشد الرأي العام العالمي، فقد تغيرت الكثير من المفاهيم وبما في ذلك مفهوم القوة، كما اختلت موازينها.

ومع ذلك علينا أن تعترف بأننا لم نغير ما بأنفسنا وما بداخل عقلياتنا عن الآخر كما لم نعد العدة للمواجهة.

إن الشواهد على إخفاقاتنا في المعركتين النفسية والإعلامية كثيرة وواضحة ولعلي أذكر هنا عبارة شهيرة أطلقتها رئيسة الوزراء الإسرائيلية قولدا مائير في سبعينات القرن الماضي في معرض ردها على الانتقادات لحكومتها واتهامها بقتل الأطفال الفلسطينيين عندما قالت (يمكننا أن نغفر للعرب قتلهم لأطفالنا، لكننا لا نستطيع أبدا أن نغفر لهم أن يجعلونا نقتل أطفالهم).

وعلى نفس الوتيرة من إدعاء المثالية والرومانسية سارت وزيرة خارجية إسرائيل الجديدة تسيبي ليفني (قولدا مائير الجديدة كما يسميها البعض) حينما أعلنت خلال الحرب الأخيرة ضد حماس (إنهم لا يكرهون أطفال غزة، وأنها حزينة لأن حماس تتخذ من هؤلاء الأطفال دروعا بشرية في حربها ضد الجيش الإسرائيلي).

كما يجب أن نتوقف عند تصريح رئيس الوزراء الإسرائيلي أولمرت وهو يقول لصحيفة (معاريف): إنه (بكى عندما شاهد أبا فلسطينيا يعرض أطفاله الثلاثة المقتولين على وسائل الإعلام). إن ما يقوله القادة الإسرائيليون يندرج في إطار الحرب النفسية والإعلامية والتباكي بدموع التماسيح على القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة، من القاتل على الضحية والقتيل، وتصوير ماكينة الدعاية الإسرائيلية للأمور في غير صورتها الحقيقية لكسب الرأي العام العالمي والترسيخ لكذبة إنسانية إسرائيل وأنها (دولة ديمقراطية صغيرة يحيط بها الأعداء من كل جانب وأنها تعيش تحت الخطر والتهديد والخوف من الصواريخ التي تنهال عليها من هنا وهناك)، لتذكير الغربيين خاصة بالمحرقة التي تعرض لها اليهود في ألمانيا والتي راح ضحيتها عدة ملايين كما يزعمون، واستخدام سلاح معاداة السامية لتخويف الأحرار من كشف الزيف وإظهار الحقائق للرأي العام العالمي.

نعم، لقد كشفت حروب الخليج عوراتنا وعلينا أن نرجع إلى ديننا الحنيف وتعاليمه السمحة ونراجع أنفسنا ونواجه عيوبنا بشجاعة قبل إلقاء اللوم على الآخرين. وعلى علمائنا وكتابنا ومفكرينا ومثقفينا أن يتنادوا وينهضوا للقيام بدورهم الطليعي في التوعية والتعبئة لجمع الصف وتوحيد الكلمة ولهجة الخطاب السياسي والإعلامي ومواجهة أنفسنا بكل الشجاعة والصراحة لنقف على مواطن ضعفنا ونقوم بما يلزم من نقد ذاتي وتصحيح.

أوباما رجل السلام

عندما أعلنت الأكاديمية السويدية عن فوز الرئيس **أوباما** بجائزة نوبل للسلام للعام ٢٠٠٩م دار لغط كثير، ونقلت شبكة CNN الإخبارية أن اسم أوباما لم يكن ضمن الأسماء المطروحة لنيل الجائزة لاسيما وأن الكثيرون كانوا يتوقعون أن تفوز بها السناتورة الكولومبية (**بييداد كوردوبا**) تقديراً لجهودها لإحلال السلام في بلادها التي تشهد صراعات منذ نحو نصف قرن.

وقالت اللجنة المانحة للجائزة في بيان أصدرته يوم الجمعة ٢٠٠٩/١٠/٩م أنها اختارت **أوباما**، الذي لم يمض على توليه الرئاسة إلا تسعة أشهر فقط تقديراً لجهوده الاستثنائية لتقوية الدبلوماسية الدولية والتعاون بين الشعوب ومساهمته في تعزيز الحوار لحل المشاكل الدولية الشائكة.. وتابعت اللجنة في بيانها تقول: (قليلون هم من حازوا على انتباه العالم مثلما فعل **أوباما**، لقد أعطى العالم أملاً بالتغيير والمستقبل الأفضل، ولقد قامت دبلوماسيته على أن من يقود العالم عليه أن يكون مثالاً يحتذى في القيم والمبادئ).

وقال الرئيس الفنلندي السابق **مارتي أهتيساري** الذي حاز على الجائزة العام الماضي: (أن اللجنة أرادت أن تشجع **أوباما** على المضي قدماً في نهجه ولذلك منحته الجائزة).

أما **ميخائيل جورباتشوف** آخر زعماء الاتحاد السوفيتي السابق والحائز أيضاً على جائزة نوبل للسلام فقال: (أنا سعيد. ما فعله **أوباما** خلال حكمه مؤشر كبير. لقد أعطى أملاً. في هذه الأوقات العصيبة يجب دعم الأشخاص الذين يستطيعون تحمل المسؤولية ولهم بصيرة والتزام وإرادة سياسية).

وعلى أية حال فإن **أوباما** وبحصوله على هذه الجائزة يكون ثالث رئيس أمريكي يفوز بجائزة نوبل للسلام وهو في البيت الأبيض، بينما يعد **جيمي كارتر** أول رئيس أمريكي يفوز بها بعد خروجه من البيت الأبيض. وفي أول تعقيب له ألمح **أوباما** أنه تفاجأ بمنحه الجائزة.

وعلى الجانب الآخر فقد رأى الصحفي البريطاني المعروف والمتخصص في شؤون الشرق الأوسط (روبرت فيسك)، أن الجائزة ذهبت إلى أوباما بطريق الخطأ وهو لا يستحقها وأن عليه أن يرفضها، جاء ذلك في المقال الذي نشره فيسك في صحيفة The Independent On Sunday.

وقال فيه: (إن الرئيس الأمريكي باراك أوباما نال جائزة نوبل للسلام على أمل ضعيف بأن يحقق النجاح في المستقبل، مشيراً إلى أن ذلك يفسر حالة الشرق الأوسط الميئوس منها، وخلص فيسك إلى أن جائزة نوبل للسلام باتت سمة للضعف وأعرب عن أمله بألا تقوم إسرائيل بهجوم على المنشآت النووية الإيرانية في العاشر من ديسمبر المقبل، وهو اليوم الذي سيتسلم فيه أوباما جائزته مقابل إنجازات لم يحققها -حسب رأيه، ومن أجل أحلام قد تتحول إلى كوابيس خاصة فيما يتعلق بالملفات الساخنة ولعل أهمها قضية السلام في الشرق الأوسط، والملف النووي الإيراني)، ولقد وافقته الكاتبة مينيتي مادين التي قالت: (كان على أوباما أن يرفض الجائزة لأنها ملوثة)، وأضافت: (إن جائزة نوبل قد أفرغت من صفتها النبيلة لأن العديد ممن يستحقونها لم يحصلوا عليها وتذهب عادة لمن لا يستحقها..) ورأت الكاتبة أن تلك الأنباء مثيرة للسخرية تماماً مثل الأخبار التي حدثت عام ٢٠٠٧م عن تنصيب رئيس الوزراء البريطاني السابق (توني بلير) مبعوثاً للسلام في الشرق الأوسط لينوب عن الأمم المتحدة والولايات المتحدة وروسيا.. وتابعت تقول: (إن التعيين المنظم لمرتكبي جرائم القتل الجماعي في مفوضية حقوق الإنسان لهو أمر مثير للضحك أيضاً).

وأياً كان الأمر فإن هذه الجائزة تضع الرئيس أوباما أمام التحدي والمسؤولية التاريخية لإثبات أنه يستحقها فعلاً، من خلال ترجمة أقواله إلى أفعال فقد تعلمت شعوب العالم أن إظهار حسن النوايا وحده لا يكفي لحل المشكلات العالقة.

خاتمة

إن تنفيذ المقترحات السابقة يستوجب إنشاء المجالس والأجهزة واللجان المساعدة التالية:

- مجلس القيادة والتوجيه الموحد - وكخطوة أولى - المجلس الأعلى الموحد للتنسيق والتعبئة والتنظيم والذي يكون نواة لتحقيق الوحدة..
- اللجنة الخاصة لمناصرة قضايا الأفرو أمريكانز المسلمين ودعمهم ماديا وروحيا ومعنويا..
- اللجنة القانونية الخاصة لمناصرة قضايا الأفرو أمريكانز المسلمين فيما يتعلق بالحقوق المدنية ومكافحة التمييز بكافة أشكاله، وبالطرق القانونية..
- لجنة المنح الدراسية وإعداد وتوحيد المناهج الدراسية والدعم في مجالات التعليم والتدريب وإعداد الكوادر والقيادات..
- لجنة دعم العمل الإعلامي والتوعوي والثقافي وتفعيل دور المؤسسات العاملة في هذه المجالات، وتقديم الدعم المادي والفني والبشري لها بما يمكنها من أداء دورها بالصورة المطلوبة ويضمن لها الاستمرار..
- لجنة تنسيق العمل السياسي والتعبئة العامة والتوعية والتثقيف..

وأخيرا.. وإن كانت هناك من كلمة فإنني أدعو جميع القادرين على المساهمة في هذه الأعمال لما لها من أهمية ولإنقاذ هؤلاء الإخوة من الضياع والذوبان.. وحتى لا نفقد هذه القوة.. وحتى لا تضيع هذه الفرصة التاريخية التي لاحت بعد طول انتظار.. فهل نحن فاعلون؟

هذا ما أتمناه ويتمناه كل مخلص غيور..

اللهم إني بلغت.. اللهم إني بلغت.. اللهم إني بلغت فاشهد..

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين وسلم تسليماً كثيرا.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ كتب الحديث النبوي الشريف الصحاح..

٣ ـ الموسوعة الإسلامية

٤ ـ على بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر

٥ ـ مصطفى شهاب الدين: (الجغرافيون العرب)

٦ ـ حسين مؤنس: (تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس)

٧ ـ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي

٨ ـ عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية

٩ ـ فيرني وما ساتس: الأندلس

١٠ ـ لطف الله قاري: العرب قبل كولمبس

١١ ـ أمير الإسلام: البحث بعنوان:
"Evaluation and Assessment of the Growth and Development of Islam.. etc"

١٢ ـ موسوعة الزاد

١٣ ـ أديب رشاد: "Islam, Black Nationalism & Slavery A Detailed History"

١٤ ـ أمينة بيفرلي: "African American Islam"

١٥ ـ د. عبد العزيز نوار ود. محمود جمال الدين: تاريخ الولايات المتحدة من القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين..

١٦ ـ أديت فراسيه: الأمبراطورية الأمريكية

١٧ ـ كلود جوليان: الحلم والتاريخ

١٨ ـ وزارة الإعلام الأمريكية: "American History"

١٩ ـ كليفتون مارش: "From Black Muslims To Muslims"

٢٠ ـ مارتا لي: "The Nation of Islam"

٢١ ـ إريك لنكولن: المسلمون الزنوج في أمريكا ـ ترجمة وتعريب عمر الديراوى..

٢٢ ـ أسين أدوم: "Black Nationalism"

٢٣ ـ إيمى جاك قارفي: "Marcus Garvey, Philosophy & Opinions"

٢٤ ـ أسين أدوم: البحث عن هوية في أمريكا

٢٥ ـ د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان: منظمة الإليجا محمد الأمريكية

٢٦ ـ الموسوعة العربية العالمية

٢٧ ـ حاتم صاحب: تاريخ أمة الإسلام (رسالة للماجستير)

٢٨ ـ د. عبد الله الصنيع: الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية (مخطوطة)

٢٩ ـ مالكولم إكس: "The Black Man's History"

٣٠ ـ جيمس بالدوين: "One Day, When I was Lost" (مشروع فيلم عن حياة مالكولم إكس)

٣١ ـ بنجامين كريم: "Remembering Malcolm"

٣٢ ـ أليكس هيلي: "The Autobiography of Malcolm"

٣٣ ـ أليكس هيلي: "The Playboy Interview"

٣٤ ـ دافيد ريمنك: ملك العالم ـ محمد علي وصعود بطل أمريكي

٣٥ ـ السناتور بول فيندلي: "Silent No More"

٣٦ ـ الدكتورة أيفون يزبك حداد: "Muslim Communities In North America"

٣٧ ـ السيد شريف: "The African American Image"

٣٨ ـ أكبر محمد (أحد أبناء إليجا محمد): "Muslims In The USA"

٣٩ ـ جان كيني: "Sufism Comes To America"

٤٠ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة

٤١ ـ د. محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية: تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي (أطروحة)

٤٢ ـ السير إدوارد بيرنت تايلور: الثقافة البدائية

٤٣ ـ الدكتور صالح زهر الدين (قضية الزنوج الأمريكيين والتمييز العنصري).

٤٤ ـ دافيد ريمنك (ملك العالم محمد علي وصعود بطل أمريكي.

٤٥ ـ باسيل دافيدش (The Lost Cities of America).

٤٦ ـ لنكولن (ترجمة الديراوي) (المسلمون الزنوج في أمريكا).

٤٧ ـ مواقع مختلفة من شبكة الإنترنت.

الصحف والمجلات العربية
جريدة الأهرام المصرية
جريدة الشرق الأوسط
جريدة الحياة
جريدة المدينة
جريدة عكاظ
جريدة الجزيرة
جريدة الرياض
جريدة الأخبار المصرية
جريدة الخرطوم
مجلة الوطن العربي
مجلة المجتمع
مجلة الجسور

الصحف والمجلات الأجنبية
The New York Times
New York City
USA Today
The Washington Post
Jerusalem Post
The Chicago Tribune
Chicago Daily Defender
Star Tribune
The Indianapolis Star
Muhammad Speaks (مجلة)
Bilalian News (مجلة)
The Chicago Reporter

فهرس

الإهداء	٥
تمهيد	٦
مقدمة	١٢
عرض موجز للدراسة	١٨
الباب الأول: سكان أمريكا الأصليون من هم ومن بقي منهم؟	**٢٩**
حرب الإبادة الجماعية والتطهير العرقي	٣١
دخول الإسلام والمسلمين الأراضي الأمريكية	٣٣
الأفرو أمريكانز: الأصول والجذور	٣٦
الهجرات المنظمة إلى الأرض الجديدة	٣٨
المسلمون الأوائل في أمريكا الشمالية	٤٥
الباب الثاني: الحركات المناهضة للرق في الولايات المتحدة	**٤٩**
لمحة تاريخية عن معاناة الأمريكيين الأفارقة عبر الحقب والعصور	٥٠
قوانين تحرير الرقيق	٥٠
الأفرو أمريكانز من نار العبودية إلى نفق التفرقة العنصرية	٥١
الحركات المناهضة للفصل العنصري خلال القرن التاسع عشر	٥٤
الباب الثالث: الحركات المنظمة للأفرو أمريكانز في القرن العشرين	**٥٩**
لمحة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأفروأمريكانز خلال العقدين الأولين من القرن العشرين	٦٠
حركة الحقوق المدنية خلال العقدين الأولين من القرن العشرين	٦٢
ماركوس قارفي الشاعر الأمة (١٨٨٧ – ١٩٤٠م)	٦٣
المنظمة العالمية لتقدم الزنوج	٦٦
حركة المور الاجتماعية (المعبد العلمي للموريين)	٧٠
الطقوس الدينية والعبادات لحركة الموريين	٧١
الباب الرابع: أمة الإسلام	**٧٣**
لمحة عن الأوضاع قبل بداية حركة أمة الإسلام	٧٤
والاس فارد: الغريب الأسطورة	٧٦
رحيل فارد واختفاؤه: القصة غير الكاملة	٨١
إليجا محمد (١٨٩٧-١٩٧٥م)	٨٤
أعمال إليجا محمد وإنجازاته	٨٨
العبادات كما صاغها وروج لها إليجا محمد	٨٩
العقيدة الإليجية في الميزان	٩١
زيارة إليجا للأراضي المقدسة وأداؤه العمرة	٩٤
النواحي الاقتصادية والاجتماعية للحركة	٩٥
الباب الخامس: مالكولم إكس - الدكتور مارتن لوثر كنج	**٩٩**
طفولته وحياته الأولى	١٠٠
الانقلاب الأول ورحلة البحث عن الذات	١٠١
الانقلاب الثاني	١٠٢
إسهامات مالكولم في تطور الحركة ونموها	١٠٣
بروز مالكولم وظهوره منافسا خطيرا لإليجا	١٠٤
الفجوة	١٠٦
مالكولم إكس وأسطورة الملاكمة العالمي كلاي	١٠٧
كاسيوس كلاي: ميلاده ونشأته	١٠٨
إسلام كاسيوس كلاي	١١١
التنافس يحتدم بين إليجا ومالكولم حول كلاي	١١٢
محمد علي يرفض التجنيد	١١٣

مالكولم إكس يؤسس تنظيماً جديداً ١١٥
الانقلاب الثالث والأخير ١١٦
اغتيال مالكولم إكس ١٢١
وانطفأت شمعة أخرى ١٢٤
الدكتور مارتن لوثر كنج (١٩٢٩ - ١٩٦٨م) ١٢٦
صفحة سوداء أخرى في تاريخ أمريكا ١٢٦
الوالي الذي تحدى رئيس الجمهورية الأمريكية ١٢٩

الباب السادس: الإمام وارث الدين محمد (١٩٣٣ - ٢٠٠٨م) ١٣٥

الإمام وارث الدين محمد (١٩٣٣- ٢٠٠٨م) ١٣٦
وجاء فجر جديد ١٣٧
المعادلة الصعبة ١٤٢
الأعمال الإصلاحية للإمام وارث الدين محمد ١٤٥
الإصلاحات في مجال العقيدة والمفاهيم ١٤٨
اجتماعاتي مع الإمام وارث الدين ١٤٩
ردود الفعل ١٥٠

الباب السابع: لويس فراخان.. المغني (الساحر) ١٩٣٣م ١٥٣

مولده ونشأته ١٥٤
انضمام فراخان إلى (أمة الإسلام) ١٥٤
لويس فراخان ووارث الدين محمد ١٥٦
حركة أمة الإسلام في ثوبها الجديد ١٥٨
الصراع بين فراخان ووارث حول الزعامة والسلطة ١٦٠
اجتماعاتي مع لويس فراخان ومعاونيه ١٦٢
اجتماعات شيكاغو: ١٦٤
مسيرة المليون رجل أسود ١٦٨
وجاءت لحظة التتويج ١٧٢
قراءة أولية في كتاب المسيرة المليونية والظاهرة الفراخانية ١٧٧
وصدقت البشرى ١٨٢

الباب الثامن: الأفرو أمريكانز المسلمون إلى أين؟ ١٨٧

مدخل ١٨٨
أمة المراهقين الآلهة والمراهقات الكواكب الأرضية ١٩٠
كلارنس بودينق ١٩١
الـ ٥٪ المقر الرئيسي والتعاليم الدينية ١٩٣
المحاولات الأخرى لإعادة الأفروأمريكانز إلى عقيدة التوحيد ١٩٤
محمد الإسكندر رسيل ويب ١٩٥
الشيخ الحاج داؤد أحمد فيصل ١٩٦
مولد دار الإسلام الحركة أو دار الإسلام الثانية ٢٠٠
نهاية حركة دار الإسلام ٢٠٢

الباب التاسع: الأفرو أمريكانز المسلمون: التحديات والأخطار الحالية والمستقبلية ٢٠٣

التحديات التي تواجه الأفرو أمريكانز عامة ٢٠٤
أولاً: تحدي سد الفراغ الذي تركه رحيل وارث الدين محمد ٢٠٤
ثانياً: التحديات المتعلقة بمسألة الهوية والانتماء والوطن ٢٠٤
ثالثاً: تحدي المحافظة على الهوية الثقافية ٢٠٦
رابعاً: التحديات الاقتصادية والاجتماعية ٢٠٧
خامساً: التحديات العلمية والتقنية ٢٠٩
سادساً: تحدي المحافظة على المكتسبات التي تحققت ٢١٠
رؤية استشرافية لمستقبل الأفرو أمريكانز المسلمين ودورهم المنتظر على الساحتين المحلية والعالمية ٢١٢
التوصيات ومحاور العمل ٢٢١
محاور العمل ٢٢٤
المحور التعليمي والثقافي ٢٢٥
المحور الإعلامي ٢٢٧

الباب العاشر: باراك أوباما: الحلم الذي تحقق ٢٣١

باراك أوباما: الحلم الذي تحقق ٢٣٢
أوباما الأبيض في البيت الأسود ٢٣٤
أوباما والعالم الإسلامي ٢٤٠
أوباما رجل السلام ٢٤٣

فهرس الأعلام

استيفي واندر ١٧٥
الأب بول ٨٤
الأمير محمد الفيصل ١٢٥
الإدريسي ٣٤
الإسكندر رسيل ويب ١٩٥
الشيخ فيصل ١٩٦– ١٩٧– ١٩٨،٢٠٠
العمري ٣٣
الكسندر توسلي ٣٧
المستر ويب ١٩٥–١٩٦
المسعودي ٣٤
المسيح عيسى ١٥٨،١٤٥،١٤١،٨٥،٧٦، ١٦٥، ١٧٥
الملك سعود ١٩٦
الملك فيصل ٢١، ١١٨، ١١٩
اليزابيث الثانية ٢١٨
اليزابيث ايكافورد ٢٦، ٢٧
آل جور ٢١٥
أبراهام فوكسمان ١٨٤
أبراهام لنكولن ٧، ١٣، ١٨، ١٩، ٢٥، ٢٨، ٤٦، ٥٠، ٥٣، ٧١، ٩٧، ٩٨
إبراهيم أبو لغد
أبرناتي ١٣٢
أبو القاسم الشابي ٢٠
أحمد زكي يماني ١٧٧
أحمد زويل ١١٤، ٢١٨
أحمد سوكارنو ٢١
أحمد عباس صالح ١٧١، ١٧٥
أحمد كفتارو ١٣٩
أحمد يوسف ١٧٧
أدغار هوفر ١٠٩، ١١٤
أدولف هتلر ٢٥، ١٦٩
أديب رشاد ٨٦
أرنولد هيرش ٢٠٧
أسعد أمين ١١٤
أفلاطون ١٩١
أكبر محمد ٨٨، ٩٤، ١١٩، ١٢٠، ١٢٤، ١٥٠، ١٥٢
ألفريد هاميثون ١٣٢
ألفس بريسلي ١٥٤
ألفن ١٥٤
أمينة بيفرلي ١٩٠
أندرو يونج ٢٨
أنور السادات ٩٤، ١٤٦
أوجي سمبسون ١٨١
أوين ٦٤
أيزنهاور ٢٥، ٢٦
أيليا بوينتون ٢٧
أيوب بن سليمان بن ابراه ٣٦، ٣٧، ٣٩
إحسان باقبي ٢٢٠
إريك جي ساندكويست ١٣٤
إريك لنكولن ٩٨، ٧١، ٩٧، ١٤٤
إريك هوفر ١٤٣
إسحاق عبد الشهيد ١٩٨
إسن أدوم ٦٣، ٨٦
إكرام لمعي ٣٣
إليجا محمد ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٣، ١٩٠، ١٩١، ٢٠١
إليزا ١٠٤
إليس كوسي ١٤
إليكس هيلي ٣٣، ١١٥
إلينور روزفلت ٢٣، ٢٦
إيلا ١٠١
إيميت تيل ١٠٨
باتريك بو شانان ١٧
باتريك موينهان ٢٠٨
باراك أوباما ٦، ٧، ٨، ١١، ١٢، ١٣، ١٧، ١٨، ١٩، ١٥٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ١٤٠
باسم الجسر ١٧٠، ١٨١
باوا محي الدين ١٨٨
بدر الدين عبد الله ١٩٥
بدر الدين عطية ٢٤٠
برادن ٢٧
براون ٢٦، ٥٢، ٥٣
برتراند راسل ١١٣
بلال عبد الرحمن ٢٠٠
بلال عجيب ٧٤، ٧٧، ٨٤، ٨٠، ٩٠، ٩٤، ١٢٣، ١٤٥
بليسي ٢٦
بوب مارلي ٦٥، ١٥٤
بوست رايم ١٩٤
بوكر واشنطن ٦٣
بوكي تي واشنطن ٨٠
بول فندلي ١١٠، ١١٤، ٢١٨
بول كوفي ٦٨
بول كونور ١٣١
بيتي إكس ١٠٤، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥
بيج دادي ١٩٤
بير سيفال كلارك ١٥٤
بيل كلينتون ٢٣، ٢٨، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٥، ١٨١، ٢٢٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٨
بييداد كوردوبا ٢٤٣
تشارلز ميوري ٢١٢
تلمادج هاير ١٢١
توماس ١٢١، ١٢٣
توماس ريد ٣٦
توني بلير ٢٤٤
تيد سويد نبرغ ١٩٤
ثاتيل ١٤٠
جاكلين كنيدي ١٣٣
جبريل محمد ١٦٢
جستس ١٩١
جمال عبد الناصر ٢١، ٩٤، ١١٩
جميل دياب ١٣٦
جميل عبد الله ٢٠٢
جنداي فريزر ١٨
جهاد عبدالمميت ١٥
جو لويس ١٠٨، ١٠٩، ١١٣
جو ليبرمان ٢١٥
جوب بن سولومون ٣٦، ٣٧
جورج بوش ١٣، ١٩، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٠
جورج فورمان ١٠٨، ١١٤
جورج ميتشل ٢٤٠
جورج واشنطن ٤٧، ١٢٧
جورج والاس ١٢٩، ١٣١
جوزيف ١٩١
جوليان بوند ١٣٢
جوليوس نايريري ٢١
جومو كنياتا ٢١، ١٩٧
جون جفريز ١٠٨
جون قيفنس ٧٢
جون كنيدي ٧، ٩، ١٣، ٢٠، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٤٧، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٩١، ٢٣٦، ٢٣٩
جون كوينزي ٣٦
جونسون ٩، ٢٣، ٢٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٢١، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٨، ١٣١، ١٣٣، ١٩٨
جيرالد فورد ١٤٦
جيسي جاكسون ١٥، ٢٢، ٢٨، ١٣٢، ١٦١، ١٦٨، ١٧٦
جيم برادوك ١٠٩
جيم كراو ٧، ٢٠
جيمس إيرل ٢٧، ١٣٣
جيمس راي ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤
جيمس زغبي ٨٦
جيمس لوين ٥٨
جيمي كارتر ٢٨، ٢٤٣
جيون هونسو ١٨٢
حاتم صاحب ٨٣، ٨٧
حسان حتحوت ٣٣
حسن سندروسي ١٧٨
حسن عبدالحميد ١٩٨
حسين شريف ١١٩
خشخاش ٣٤
داؤد أحمد فيصل ١٨٨
دافيد ريمنك ١٠٨
دبليو دومينقو ٦٤
ديوس محمد علي ٦٣
رالف ١٣٢
رجب محمود ١٩٨
رشيد الخالدي ١١٤
ركيم ١٩٤
روان ويليامز ٤٨

روبرت تيني ٥٢
روبرت دول ١٧٣
روبرت سي بيرد ٢٧
روبرت فيسك ٢٤٤
روبرت كنيدي ٢٠، ٢٣
رودلف ١٠٧
روزا باركس ٩، ٢٦، ١٢٦
روكفلر ١٣٣
رونالد دينتون ويلسون ١٣٣
ريتشارد نيكسون ٢٧، ٢٨، ١٣٢، ١٣٣
رينالد ١٠٢
سامبو ٣٧
سانتا ماريا ٣٣
ستوكلي كار مايكل ٢٧، ١٢٨، ١٩٩
ستيفن سبيلبرج ١٨٢
سليمان عبد الهادي ١٩٨
سونجي روي ١١٢
سوني لستون ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤
شارليستون ١٠٢
شاندلر ٦٤
شرمان جاكسون ٩٣
شريف صالح ١٢٦، ١٢٨
شيلبي ستيل ١٤
صفي الدين حامد ٣٣
عابد الله غازي ١٦٤
عباس رسول ١٣٧
عبد الرحمن بن إبراهيم ٣٦
عبد العزيز التويجري ٤٣
عبد الله الصنيع ٨١، ٨٢
عبد الله عرب ١٩٥
عبد الله عمر نصيف ١٦١
عبد الله فراج الشريف ٣٧، ٤٣
عبد الوهاب أبو سليمان ٩٠
عطيلة ١٠٤
علي المزروعي ١١٤
عمر عبد السلام ١٦٨
عمر عزام ١١٦، ١١٨
عمرو عبد السميع ١٨٠، ١٨٢
غايا انجيلو ١٧٥
فارمر ١٣١
فرانكلين روزفلت ٨٧
فريزر ١٠٨
فلبرت إكس ١٢٠، ١٢٤
فلويد باترسون ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٤
فوكوياما ٢١٣، ٢٤٠
فيرجسون ٥٦
فيليب راندولف ٦٤
قبلة ١٠٤
كارديالك ٣٥
كارلوس كوكس ٦٩، ١٧٧
كاسيوس كلاي ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٥
كالفن كوليدج ٦٨
كاني ١٩٤
كريستوفر كولمبوس ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٥
كريم عبد الجبار ١١٤، ١٣٧
كلارا إيفانس ٨٤
كلارنس بودينق ١٩٠، ١٩١، ١٩٢
كلود جوليان ٤٧، ٥٧
كلود قرين ٧٢
كليفتون مارش ٧٠، ٧٢، ٨٣، ١٠٥، ١٠٧، ١١٥
كوامي نكروما ٢١
كورديلي ٨٤
كولن باول ١٥، ٢١، ١٥٦، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٢، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٧
كوفي أنان ٢١٨
كونتا كنتي ٣٣
كونداليزا رايس ١٥، ٢١، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٦
كيلي ميلر ٦٣
لاري كنج ١٧٦، ١٧٧
لطف الله قاري ٣٥
لقمان عبد العليم ١٩٨
لندساي ١٩٢
لويز ١٠٠
لويس إكس ١٥٥
لويس فراخان ٨، ١٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٨، ٤٢، ٦٤، ٩٠، ٩٦، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٧، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠
لويس لوقاي ١٠٤
لويس يوقين والكوت ١٥٤، ١٥٥
ليتل ١٠٠، ١٠٢
ليونارد ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤
مارتا لي ٧٧، ٨٤، ٨٥، ٨٩
مارتن لوثر كنج ٩، ٢٠، ٢٤، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٨، ٣١، ١٠٩، ١١٠، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٢٩، ١٥٦، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٦٧، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٨، ٢٣٦، ٢٣٩
مارتي أهتيساري ٢٤٣
ماركوس قارفي ٢٢، ٢٥، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٨٠، ٨٥، ٩٣، ١٠٨، ١٥٦، ٢٣٩
ماريان باري ١٧٦
ماك باركر ٢٧
ماكارثي ١٣٣
مالك شاباز ١٥، ٨٩، ١١٩
مالكولم إكس ٩، ١٥، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٦٤، ٧٥، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٦، ١٧١، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٩، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩
ماوي ٣٣
مايك تايسون ١٥، ١٠٨
مايك والاس ١٠٤
مايكل استيل ١٨، ٢١٥
مبارك علي الجيلاني الها ٢٠٢
محمد الحركان ١١٨
محمد السماك ٤٤
محمد رسول ٨٦
محمد علي كلاي ٩، ١٠، ٢٦، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠
محمد علي يوسف ٨١، ٨٢
محمود الشواربي ١١٦، ١١٧، ١١٨
مصباح رفاعي ١٦٤، ١٦٧
مصطفى العقاد ١١٤
مصطفى شهاب الدين ٣٤
مصطفى محمد ٧٧
مفيد عبد الرحيم ١٦٩، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٠
مقبول إلهي ١٩٦
منسا أبو بكر ٣٣
مها عبد الفتاح ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥
مهدي رضوي ١٦
موسليني ٣٢
ميخائيل جورباتشوف ٢٤٣
ميرزا غلام أحمد ١٩٥
ميلفن ليرد ٢٨
مينيتي مادين ٢٤٤
نهاد عوض ١٢، ٢٢٠
نهرو ٢١
نوبل درو علي ٦٣، ٦٤، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٨٠، ٨٥، ٩٣
نور الدين فايز ١٢٣
نورمان بتلر ١٢١، ١٢٣
نيلسون مانديلا ٢١٨
هاري ترومان ٥٦
هربرت محمد ٨٨، ٩٤، ١٠٥، ١١٤
هشام ناظر ١٨٩
هنري كلاي ويلسون ١٣٣، ١٣٤
هومر ٢٥
هيرام ريفلس ٥٤
هيلاري كلينتون ٢١٦، ٢٣٣
هيلاسلاسي ٨٢
هيوبرت هاريسون ٦٤
وارث الدين محمد ٧، ١١، ٢٤، ١٠، ٦٧، ٦٨، ٧٩، ٨٣، ٨٨، ٩١، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١١٤، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٣، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٤، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٠
والاس دي فارد ٢٢، ٧٢، ٧٥، ٧٧، ٨٣، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١١٨، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٧، ١٥٨، ١٩٠
وليام روبنسون ١٣٠
ويلفرد ١٠٢، ١٢٤
ويليام غاريسون ٥٣
ويليام ويلبرفورس ٤٨
يارو ماموت ٣٦
يحيى عبد الكريم ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١
يعقوب الغراب ٧، ٢٠
يوحنا بولس الثاني ٢١٨
يورو محمود ٣٦
يوسف نور الدين ١٩٠، ١٩٤
يولاندا ١١٤

تم بحمد الله